

بمحققين ومنتخبين
جهد السيد محمد طاهر

مكتبة الجاهل
أبي عثمان غنم بن بحر الجاهل

٢٥٥ - ١٥٠

الكتاب الأول

الجزء الأول

[نال هذا الكتاب الجائزة الأولى للنشر
والتحقيق العلمي في المسابقات الأدبية التي
نظمها المجمع اللغوي ١٩٤٩ - ١٩٥٠]

الجزء الثالث

الطبعة الثانية

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
عيسى ومحمد محمود الحلبي وشركاهم خلفاء

كتاب الحيوان

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بكير الجاحظ

الجزء الثالث

بتحقيق كاسر

عبد السلام محمد هارون

الطبعة الثانية

جميع الحقوق محفوظة

١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢

باب

ذِكْرُ الْحَمَامِ (١)

وما أودعها الله عزَّ وجلَّ (٢) من ضروبِ المعرفة ، ومن الخِصالِ
المحمودة ، لتعرف (٣) بذلك حكمة الصَّانِع ، وإتقان صنْعِ المدبِّر (٤) .

(استنشاط القارئ ببعض الهزل)

وإن كُنَّا قد أمَلْنَاكَ بِالْجِدِّ وبالاحتجاجاتِ الصحيحة والمروِّجة (٥) ؛
لتكثر الخواطر ، وتشحدَّ العقول - فإنَّا سننشطك (٦) ببعض البطالات ،
وبذكر العلل الظَّريفة ، والاحتجاجاتِ الغريبة ؛ فربَّ شعْرٍ يبلغُ بفرطِ
غباوةِ صاحبه [من السرور والضحك والاستطراف] ، ما لا يبلغه [حشدُ
أحرِّ النوادر ، وأجمَع (٧) المعاني .

(١) س : « نبدأ وبالله التوفيق بذكر الحمام » ل : « من الله التوفيق بذكر الحمام » .

(٢) ل : « وما أودعه الله جل ذكره » .

(٣) في الأصل : « ولتعرف » .

(٤) كذا في ل . وفي ط : « وإتقانه وصنعه المدبر » . وفي س : « وصنعة المدبر » .

(٥) المروجة : التَّوهُجُ روجها صاحبها ، وجعلها تسيير في الناس . ويقال : روج
الدراهم : جعلها تنفق في السوق . وفي ط ، س : « الممزوجة » . والأشبه
ما أثبت من ل .

(٦) كذا في ل . وفي ط : « فاستنشطتك » . وفي س : « فاستنشطك » .

(٧) ط : « وأجود » . وما كتبت من ل أقرب إلى لغة الجاحظ .

وأنا أستظرفُ أمرين استظرافاً شديداً : أحدهما استماعُ حديثِ الأعراب . والأمرُ الآخرُ احتجاجُ متنازعينِ في الكلام ، وهما لا يحسنانِ منه شيئاً ؛ فإنهما يُثيرانِ من غريبِ الطَّيبِ (١) ما يُضحكُ كلَّ شكَّانٍ وإن تشدَّد ، وكلَّ غضبانٍ وإن أحرَّقه لهيبُ الغضبِ . ولو أنَّ ذلك لا يحلُّ (٢) لكان في باب اللُّهو والضَّحكِ والسُّرورِ والبَطالةِ والنشأغلِ ، ما يجوز في كلِّ فنٍّ (٣) .

وسنذكر من هذا الشكلِ عللاً ، ونوردُ عليك من احتجاجاتِ الأغبياءِ حُججاً . فإن كنتَ ممن يستعملُ الملاةَ ، وتَعَجَّلُ إليه السَّامةُ ، كان هذا البابُ تنشيطاً لقلبك ، وبمأماً لقوتك . ولتبتدئِ النَّظَرَ في باب الحمامِ وقد (٤) ذهب [عنك] الكلالُ وحدثَ النشاطُ .

وإن كنتَ صاحبَ علمٍ وجِدِّ ، وكنتَ (٥) ممرئاً موقَّحاً ، وكنتَ إلفَ تفكيرٍ وتنقيحٍ ، ودراسةٍ كُتِّبَ ، وحِلْفَ تَبَيَّنَ (٦) ، وكان ذلك عادةً لك لم يضرِّك مكانه من الكتابِ ، ومَخْطِيبِهِ (٧) إلى ما هو أولى بك .

(١) المراد بكلمة « الطيب » هنا : الهزل والفكاهة ، كما في هذا الجزء ص ٣٩ .

وفي القاموس « وفاكه : طيب النفس ضحوك » ، ويقال : طايبه : أى مازحه

وجاء في البيان ٣ : ٣٤٥ : « وكان فتى طيب من ولد يقطين لا يصحو »

وطيب بمعنى فكه مزاح . وأصل معناه السهل المعاشرة . وانظر الحيوان ٤ : ٥٨ .

(٢) س : « ولولا أن ذلك ليحل » ؟ والإشارة بكلمة « ذلك » إلى احتجاج المتنازعين .

(٣) ط ، ل : « ما يجوز كل فن » .

(٤) كذا في س . وفي ل ، ط : « فقد » .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٦) التبين : التفهم . وفي ط ، س : « تبين » . وما أثبت من ل أشبهه بكلام الجاحظ .

(٧) التخطي : مصدر تخطى بمعنى تجاوز . والتخطية : مصدر خطاه ، بمعنى دفعه =

(ضرورة التنويع في التأليف)

وعلى أنني قد عزمتُ - والله الموفق - أنني أوشح هذا الكتابَ وأفصلُ
أبوابه ، بنوادرٍ من ضروبِ الشعر ، وضروبِ الأحاديث ؛ ليخرج قارئُ
هذا الكتاب من باب إلى باب ، ومن شكل إلى شكل ؛ فإنني رأيتُ
الاسماعَ تملُّ الأصواتَ المطرِبةَ والأغانيَ الحسنةَ والأوتارَ الفصيحةَ ، إذا طال
ذلك (١) عليها . وما ذلك إلا في طريق الراحة ، التي إذا طالت أورثت الغفلة .
وإذا كانت الأوائِلُ قد سارتُ في صغارِ الكتبِ هذه السيرةَ ، كان
هذا التدبيرُ لما طالَ وكثُرَ أصلحُ ، وما غايتنا من ذلك كله إلا أن
تستفيدوا خيراً .

وقال أبو الدرداء : إنني لأجُمُّ نفسي ببعضِ الباطل ، كراهةً أن أحملَ
عليها من الحق ما يملُّها !

(ادعاء أبي عبد الله الكرخي الفقيه)

فمن الاحتجاجات الطيبة (٢) ، ومن العِللِ الملهية ، ما حدثني به
ابن المديني (٣) قال : تحوَّل أبو عبد الله الكرخيُّ اللِّحْيانيُّ إلى

= وأماطه . وإذا حلت غيرك على أن يخطو قلت أخطيته . وكلمة « تخطيه »
هي في س : « تخطيته » ، وهو تحريف ما أثبت من ل ؛ ط .

(١) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٢) الطيبة هنا بمعنى الهزلية . وانظر ما سبق في ص ٦ . وهذه الكلمة هي في ط ، ل :

« الطيبة » مصحفة .

(٣) هو علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح بن بكر بن سعد أبو الحسن السعدي ، مولاهم =

الحرّيبية^(١) فادّعى أنّه فقيه ، وظنّ أنّ ذلك يجوز له ؛ لمكانٍ لحيته وسَمته .
قال : فألقى على باب داره البوارى^(٢) ، وجلس [وجلس] إليه [بعض]
الجيران ، فأتاه رجلٌ فقال : يا أبا عبد الله ! رجلٌ أدخل إصبَعَه في أنفه
فخرَجَ عليه دمٌ ، أى شئٌ يصنع^(٣) ؟ ! قال : يحتجم . قال : قعدتَ
طيباً أو قعدتَ فقيهاً ؟

(جواب أبي عبد الله المروزيّ)

وحدّثني شَمون^(٤) الطيب قال : كنتُ يوماً عند ذى اليمّينين طاهر
ابن الحسين^(٥) فدخَلَ عليه أبو عبد الله المروزيّ فقال [طاهر] : يا أبا عبد الله

= ويعرف بابن المديني ، بصرى الدار ، وهو أحد أئمة الحديث في عصره ،
والمقدم على حفاظ وقته ، أخذ عنه أحمد بن حنبل ، وكان لا يسميه ، إنما يكتبه
تجيلاً له . اتصل بالقاضي أحمد بن أبي داود ، وله معه أخبار كثيرة . ولد
سنة إحدى وستين ومائة ، وتوفى سنة أربع وثلاثين ومائتين . انظر تاريخ
بغداد ٦٣٤٩ .

(١) الحرّيبية : محلة كبيرة مشهورة ببغداد عند باب حرب ، تنسب إلى حرب بن عبد الله
البلخي الراوندي ، أحد قواد المنصور . انظر الخبر أيضاً في البيان ٢ : ٣٢١ .
س : « الحرّيبية » ل : « الحرّيبية » صوابهما في ط . ونحو هذا الخبر الشعبي
في العقد ٦ : ١٥٢ .

(٢) البورى ، والبورية : والبارى ، والبارية والبارياه والبورياه : الحصير المنسوج .

(٣) س : « يصنعه » . وانظر قصة شبيبة بهذه في أخبار الظراف ص ٢٦ .

(٤) المعروف في هذا الاسم : « شمون » .

(٥) هو طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي ، من كبار الوزراء ، كان أديباً حكماً
شجاعاً ، وهو الذى وطد الملك للمأمون العباسي ، وهو الذى قتل الأمين ،
وعقد البيعة للمأمون ، فولاه شرطة بغداد ثم جعله والياً على خراسان ، فحدثه =

مذْ كَمْ دَخَلْتَ الْعِرَاقَ ؟ قَالَ : مِنْذَ عِشْرِينَ سَنَةً ، وَأَنَا صَائِمٌ مِنْذَ ثَلَاثِينَ سَنَةً (١) . قَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، سَأَلْنَاكَ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَأَجَبْتَنَا عَنْ مَسْأَلَتَيْنِ !

(جواب شيخ كندی)

وَحَدَّثَنِي أَبُو الْجَهْجَهَاءُ (٢) قَالَ : ادَّعَى شَيْخٌ عِنْدَنَا أَنَّهُ مِنْ كِنْدَةَ ، قَبْلَ أَنْ يَنْظَرَ فِي شَيْءٍ مِنْ نَسَبِ كِنْدَةَ ، فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا وَهُوَ عِنْدِي : مِمَّنْ أَنْتَ يَا [أبا] فُلَانٍ ؟ قَالَ : مِنْ كِنْدَةَ . قُلْتُ : مِنْ أَيِّهِمْ أَنْتَ ؟ قَالَ : لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ [هذا] الْكَلَامِ ، عَافَاكَ اللَّهُ !

(جواب ختنِ أبي بكر بن بريرة)

وَدَخَلْتُ عَلَى خَتَنِ [أبي بكر بن] (٣) بَرِيرَةَ ، وَكَانَ شَيْخًا يَنْتَحِلُ قَوْلَ الْإِبَاضِيَّةِ ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : الْعَجَبُ مِمَّنْ يَأْخُذُ النَّوْمُ وَهُوَ [لا] يَزْعَمُ [أَنَّ] الْإِسْتِطَاعَةَ مَعَ الْفِعْلِ (٤) ! قُلْتُ : مَا الدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالَ : الْأَشْعَارُ الصَّحِيحَةُ . قُلْتُ : مِثْلَ مَاذَا ؟ قَالَ : مِثْلَ قَوْلِهِ :

= نفسه بالاستقلال بها ، وحالت دون ذلك منيته . وسمى ذا اليمينين لأنه ضرب شخصاً في وقعته مع علي بن ماهان بالسيف ففقدته نصفين ، وكانت الضربة ببساره فقال فيه بعض الشعراء :

* كلتا يديك يمين حين تضربه *

فلقبه المأمون : ذا اليمينين . انظر وفيات الأعيان . وفي ثمار القلوب ٢٣٢ - ٢٣٣ تعليقات آخران . وانظر الطبري ١٠ : ١٤١ و ١٥٥ في حوادث ١٩٥ والديارات للشابثي ٩١ - ٩٢ . ولد طاهر سنة ١٥٩ وتوفي سنة ٢٠٧ .

(١) ل : « وأنا أصوم الدهر منذ ثلاثين سنة » .

(٢) س : « أبو الجهجاء » وهو تحريف . ولأبي الجهجاء حديث في البخلاء ص ٣٦ .

(٣) الزيادة من مثل هذا الموضع ص ٢٢ س : ٣

(٤) من أصول المعتزلة أن استطاعة الفعل تسبق الفعل ، وجمهور الإباضيين على أن =

* مَا إِنَّ يَقَعَنَّ الْأَرْضَ إِلَّا وَفَقَا (١) *

ومثل قوله :

* يَهْوِين شَتَّى وَيَقَعْنَ وَفَقَا *

ومثل قولهم في المثل : « وَقَعَا كَعِكْمَى عَيْر (٢) » [

وكقوله (٣) أيضاً :

حِكْرٌ مِفْرٌ مُقْبِلٌ مُدْبِرٌ مَعاً

كَجَلْمُودٍ صَخْرٍ حَطَّه السَّيْلُ مِنْ عَلٍ (٤)

وكقوله :

أَكْفُ يَدَى عَنْ (٥) أَنْ تَمَسَّ أَكْفَهُمْ

إِذَا نَحْنُ أَهْوَيْنَا وَحَاجَتْنَا (٦) مَعَا

ثم أقبل على فقال : أما في هذا مقنع ؟ قلت : بلى ، وفي دون هذا !

= الاستطاعة مع الفعل ، وشذ منهم الحارثية فإنهم وافقوا المعتزلة . الفرق ٨٤ .
وكلمة « الفعل » هي في ط ، س : « العقل » وتصحيحه من ل ، ومن عيون
الأخبار ٢ : ٥٦ حيث يوجد هذا الخبر .

« (١) ط ، س : « فرطا » ، والوجه فيه ما أثبت من ل .

« (٢) العكم ، بالكسر : العدل بكسر العين . والعير : الحمار . ووقعا : أى
حصلا ، فهما في التوازن والتعادل سواء . أو بمعنى سقطا ؛ لأن العكين
في الأكثر إذا حل أحدهما سقطا معا . والمثل يضرب للمساويين . أمثال
الميداني ٢ : ٢٨٩ . ويقال : وقع المصطرعان عكسى عير وكعكى عير :
وقعا معاً لم يصرح أحدهما صاحبه . لسان العرب . وفي الأصل ، وهو هنال :
« كمطى عير » وهو تحريف .

« (٣) هو امرؤ القيس . والبيت الآتي من معلته المشهورة .

« (٤) هذا الشطر ليس في ل .

« (٥) ل ، س : « من » .

« (٦) ل : « وحاجاتنا » .

(جواب هشام بن الحكم)

وذكر محمد بن سلام عن أبان بن عثمان قال : قال رجلٌ من أهل الكوفة لهشام بن الحكم ^(١) : أترى الله عزَّ وجلَّ في عدله وفضله كلَّفنا ما لا نطيقُ ثمَّ يعدِّبنا ؟ ! قال : قد والله فعل ، ولكننا لانستطيع أن نتكلَّم به ! ٤

(سؤال ممرور لأبي يوسف القاضي)

وحدثني محمد بن الصباح قال : بينا أبو يوسف القاضي يسيرُ بظهر الكوفة - وذلك بعد أن كتبَ كتابَ الحَيْلِ ^(٢) - إذ عرضَ له ممرورٌ عندنا أطيّب الخلق ، فقال له : يا أبا يوسف ، قد أحسنتَ في كتاب الحيل ^(٢) ، وقد بقيتُ عليكَ مسائلٌ في الفِطْنِ ، فإن أذنتَ لي سألتك عنها . قال : قد أذنتُ لكَ فَسَلْ . قال : أخبرني عن الحرِّ كافرٌ هو أو مؤمنٌ ؟ فقال أبو يوسف : دينُ الحرِّ دينُ المرأةِ ودينُ صاحبةِ الحرِّ : إن كانت كافرةً فهو كافر ، وإن كانت مؤمنةً فهو مؤمن . قال : ما صنعت

(١) هشام بن الحكم : صاحب مذهب الهشامية ، وهم فرقة من الغالية عند الشهرستاني ، ومن المشبهة عند الخوارزمي في مفاتيح العلوم ٢٠ ، ومن الإمامية الرافضة عند صاحب الفرق . وكان يقول بالتجسيم والذبيية ، وآراؤه مفصلة في الفرق ٤٧ - ٥٣ ، والملل والنحل ٢ : ٢١ - ٢٣ .

(٢) هي الحيل الشرعية ، التي يتخلص بها من بعض الأحكام ، أو من بعض المحظورات ، ومن نماذج ذلك ما كتبه ابن دريد في كتابه « الملاحن » المطبوع في مصر سنة ١٣٤٧ . وفي س : « الحيل » وهو تصحيف .

شيئاً . قال : فقل أنتِ إذن ؛ إذ لم ترض بقولي^(١) . فقال: الجُرُّ كافر . قال : وكيف علمت ذلك ؟ قال لأنَّ المرأة إذا ركعتْ أو سجّدتْ استدبر الجُرُّ القبلةَ واستقبلتْ هي القبلة ، ولو كان دينُه دينَ المرأة لصنع كما تصنع . هذه واحدةٌ يا أبا يوسف . قال : صدقت . [قال : فتأذن^(٢) لي في أخرى ؟ قال : نعم . قال : أخبرني^(٣) عنك إذا أتيت صحراءَ فهجمتَ على بولٍ وخِراءٍ كيف تعرف أبولُ امرأةٍ هو أم بول رجل ؟ قال : والله ما أدري ! قال : أجل والله ما تدري ! قال : [أ] فتعرف أنتِ ذلك ؟ قال : نعم ، إذا رأيت البول قد سال على الخِراء وبين يديه فهو بولُ امرأة ، وخِراء امرأة . وإذا رأيت البول بعيداً من الخِراء فهو بول رجلٍ وخِراء رجل . قال : صدقت ! قال : وحكى لي جوابَ مسائلَ فنسيت^(٤) منها مسألةً ، فعاودته فإذا هو لا يحفظها .

(جواب الحاج العبسي)

وحدّثني أيُّوبُ الأعورُ ، قال قائلٌ للحجاج العبسي^(٥) : ما بال شعر الاستِ^(٦) إذا نبتَ أسرعَ والتفّ ؟ قال : لقربه من السماء^(٧) والماء هطلٌ عليه^(٨) ! !

(١) ط ، ل : « فقل أنتِ إذا لم ترض بقولي » .

(٢) أراد الاستفهام .

(٣) ل : « أخبرني » .

(٤) ل : « نسيت » .

(٥) ل : « لحجاج العبسي » ، ويظهر أنه من المخشّين .

(٦) ل : « است المرأة » .

(٧) السماء ، بالفتح : أصله سرقين الدواب . وأريد به هنا النجوم ، وفي ط :

« السماء » وهو تحريف ما في ل .

(٨) ماء هطل : متتابع الفطر عظيمه . وفي ل : « ويسقى من عل » . وحديث =

(جواب نوفل عريف الكناسين)

وحدثنى محمد بن حسان قال : وقفتُ على نوفلٍ عريفِ الكناسين ،
وإذا موسوس قد وقف عليه ، وعنده كلُّ كناس بالكرخ ، فقال له
الموسوس : ما بال بنتِ وردان^(١) تدعُ قعرَ البئر وفيه كُرٌّ^(٢) خِراء وهو
لها مُسَلَّمٌ وعليها موفر ، وتجيء تطلب اللطاحة التي في آست أحدنا وهو
قاعدٌ على المقعدة^(٣) ، فتلزم نفسها الكلفة الغليظة ، وتعرض للقتل ،
ولئما هذا الذي في أستاذنا قيراطٌ من ذلك الدرهم ، وقد دفعنا إليها الدرهم
[وافيًا]^(٤) وافرأ . قال : فضحك القوم ، فحرك نوفلُ رأسه ثم قال :
أضحكون ؟ ! قد والله سأل الرجل^(٥) فأجيبوا ! وأما أنا فقد - والله -
فكرت فيها منذ ستينَ [سنة]^(٦) ، ولكنكم لا تنظرون في شيء من
أمر صناعتكم . لاجرم أنكم لا ترتفعون أبداً ! [قال له الموسوس : قل -
يرحمك الله - فأنت زعيمُ القوم] ، فقال نوفل : قد علمنا أن الرطب

= الحجاج هذا ساقط من س . وتجد في محاضرات الراغب ٢ : ١١٧ - ١١٨
حديثاً مثله يروى عن « مخنث » .

- (١) بنت وردان يقال لها في مصر « خنفس » . معجم المملوك ٣٦ .
- (٢) الكر : بالضم : مكيال للعراق ، أو ستة أوقار حار ، أو سمون قفيزا ،
أو أربعون إردباً . وفي ط : ل : « كل » وهي تصحيف . وأثبت مافي س .
- (٣) المقعدة : عنى بها ما وضع له اسم « المرحاض » في عصرنا هذا . وفي ط ، س :
« المقعد » . وأثبت مافي ل . وأصل المقعد والمقعدة مكان التعود .
- (٤) ط : « وقد دفعنا إليها من الدرهم وافرأ » وهو تحريف .
- (٥) ط : « الراجل » ، وتصحيحه من ل ، س .
- (٦) الزيادة من ل ، س وفي ط : « منذ ستين » .

أطيبُ من التَّمَر ، والحديثَ أطرف^(١) من العتيق ، والشئ من معدنه
 أطيّب ، والفاكهة من أشجارها أطرف^(٢) . قال : فغضب شريكه^(٣)
 مسبّح^(٤) الكنّاس ثم قال : والله لقد وبّختنا ، وهوّلت علينا ، حتى ظننّا
 أنك ستجيب بجوابٍ لا يحسنه أحد ، ما الأمرُ عندنا وعند أصحابنا هكذا .
 قال : فقال لنا الموسوس : ما الجواب عافاكم^(٥) الله ؛ فإنّي مانمتُ البارحة
 من الفِكرَة^(٦) في هذه المسألة ؟ قال مسبّح^(٧) : لو أنّ لرجل ألفَ جاريةٍ
 حسناء^(٨) ثم عتقنَ عنده لبرّدتْ شهوته عنهنّ وفترت ، ثمّ إن رأى واحدةً
 دونَ أخصّهن في الحسن صبا إليها^(٩) ومات من شهوتها . فبنت وردان
 تستظرف^(١٠) تلك اللطاخة^(١١) وقد ملّت الأولى^(١٢) ؛ وبعض الناس

(١) كذا في ط ، س وفي ل : « أطرا » .

(٢) ل : « ألد » .

(٣) ط ، س : « شريك » ، وهو تحريف صوابه من ل .

(٤) كذا ضبط الاسم في ل . وجاء في ط ، س : « مسيح » . ولمسح هذا
 حديث في الجزء الأول من الحيوان ص ٢٤٥ .

(٥) س : « فقال له الموسوس : ما الجواب عافاك » .

(٦) ل : « الفكر » .

(٧) انظر التنبيه رقم ٤ من هذه الصفحة .

(٨) ط : « جوارى حسانا » وهو تحريف ، إذ أن تمييز الألف مفرد مجرور .
 وصوابه في ل ، س .

(٩) ل : « واثبها » مكان : « صبا إليها » .

(١٠) كذا بالأصل . ولعلها « تستظرف » .

(١١) س : « اللطافة » . وهو تحريف ما أثبت من ط ، ل .

(١٢) ل : « الأول » .

الفطيرُ أحبُّ إليه^(١) من الخمير . وأيضاً إنَّ الكثيرَ يَمْنَعُ الشَّهْوَةَ ، ويورث الصَّدُوفَ^(٢) . قال : فقال الموسوس - واستحسنَ جوابَ مسَبِّحٍ ، بعد أن كان لا يرى جواباً إلاَّ جوابَ نوفل^(٣) - : لا تعرفُ مقدارَ العالمِ حتَّى تجلسَ إلى غيره ! أنتم أعلم أهل هذه المدرة ، ولقد^(٤) سألتُ علماءها عنهُ منذُ عشرينَ سنةً فما تخلَّصَ أحدٌ منهم إلى مثلِ ما تخلَّصتم إليه . وقد والله - أنتمتم عيني ، وطابَ بكم عيشي ! وقد علمنا أن كلَّ شيءٍ يُسْتَلَبُ استلاباً أنه ألدُّ وأطيب . ولذلك صارَ الذَّيِّبُ إلى الغلمانِ ونيكهم على جهةِ القهر^(٥) [ألدُّ وأطيب] ، وكلُّ شيءٍ يصيبه الرَّجلُ فهو أعزُّ عليه من المالِ الذي يرثه أو يوهب^(٦) له .

(علة الحجاج بن يوسف)

قال : وحدثني أبان بن عثمان قال : قال الحججاج بن يوسف : والله لَطَاعِي أَوْجِبُ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾

(١) كذا في ط . وفي ل ، س : « إليهم » وهما وجهان جائزان ؛ إذ أن لفظ « بعض » يصح أن يراعى فيه الأفراد ، ويصح أن يراعى فيه اكتساب الجمعية ما أضيف إليه من جمع . وينشدون لذلك قول جرير :

إذا بعض السنين تعرفتنا كفى الأيتام فقد أبي اليتيم

انظر الكامل ٣١٢ - ٣١٣ ليبسك ، والخزانة (٤ : ١٦٤ سلفية) وسيبويه ١ : ٢٥ بولاق .

(٢) الصدوف : العزوف عن الشيء والانصراف عنه . وفي ط ، س : « الصدود » وهو بمثل معناه .

(٣) ل : « أنه لا جواب إلا جواب نوفل » .

(٤) ل : « وأنتم أعلم أهل هذه المدرة ، لقد » .

(٥) ط ، س : « الضبط » ، وهو تحريف ما أثبت من ل

(٦) ط ، س : « الذي يوجب له » .

فَجَعَلَ فِيهَا مَثْنَوِيَّةً^(١) ؛ وقال : ﴿ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا ﴾ ولم يَجْعَلْ فِيهَا مَثْنَوِيَّةً^(٢) ! ولو قلتُ لرجل : ادخل من هذا الباب ، فلم يدخل ، حلَّ لي دمه !

(احتجاج مدني وكوفي)

قال : وأخبرني محمد بن سليمان بن عبد الله النوفليُّ قال : قال رجلٌ من أهل الكوفة لرجل من أهل المدينة : نحن أشدُّ حبًّا لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ - مِنْكُمْ يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ ! فقال المدنيُّ : فما بَلَغَ مِنْ^(٣) حُبِّكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ ؟ قال : وِدِدْتُ أَنْ أُقْبِتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَنْتَ لَمْ يَكُنْ وَصَلَ إِلَيْهِ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَلَا فِي غَيْرِهِ مِنَ الْأَيَّامِ شَيْءٌ مِنَ الْمَكْرُوهِ^(٤) يَكْرَهُهُ إِلَّا كَانَ بِي دُونَهُ ! فقال المدنيُّ : أَفَعِنْدَكَ غَيْرُ هَذَا ؟ قال : وما يكون غيرُ هذا ؟ قال : وِدِدْتُ أَنْ أبا طالبٍ كَانَ آمَنَ فُسْرًا بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْتَى كَافِرٌ^(٥) !

(١) المثنوية : الاستثناء . وهو قوله تعالى : « ما استطعتم » .

(٢) فهم الاحتجاج أن المراد طاعة أولى الأمر ، وليس كما ظن ، بل المراد : اسمعوا المواعظ وأطيعوا الأوامر الإلهية ، أو اسمعوا لله ولرسوله ولكتاباه وأطيعوا الله فيما يأمركم . انظر تفسير الزمخشري ، والرازي ، والبيضاوي .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٤) س : « شيء يكرهه » . وفي ط : « بشيء يكرهه » ، ولا تصح هذه الأخيرة إلا ببناء « وصل » للمفعول .

(٥) لفظ « كان » ساقط من ل . وكلمة : « وأنى » هي في ل : « وأنا » .

(احتجاج رجل من وجوه أهل الشام)

وحدَّثني أبان بن عثمان قال : قال ابن أبي ليلى (١) : إني لأسأيرُ رجلاً
من وجوه أهل الشام ، إذ مرَّ بحمَّالٍ معه رَمَّان ، فتناولَ منه رَمَّانَةً فجعلها
في كُمَّه . فَعَجِبْتُ من ذلك ، ثمَّ رجعت إلى نفسي وكذبت بصرى ، حتى
مرَّ بسائلٍ فقير (٢) ، فأخرجها فناوله إيَّاهَا . قال : فعلمتُ أنّي رأيتها ،
فقلتُ له : رأيتك قد فعلتَ عجباً (٣) . قال : وما هو؟ قلت : رأيتك أخذتَ
رَمَّانَةً من حمَّالٍ وأعطيتها (٤) سائلاً؟ قال : وإنك ممّن يقولُ هذا القولُ ؟
أما علمتُ أنّي أخذتها وكانت سيئةً وأعطيتها فكانت عشرَ حسناتٍ ؟
قال : فقال ابنُ أبي ليلى : أما علمتُ أنّك أخذتها فكانت سيئةً وأعطيتها
فلم تُقبلَ منك ؟ !

(١) ابن أبي ليلى : هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، واسم أبي ليلى يسار .
ولى محمد القضاء لبني أمية ، ثم وليه لبني العباس . وكان فقيهاً مفتياً بالرأى .
انظر أصحاب الرأى فى المعارف ص ٢١٦ .

(٢) ط ، س : « وكذبت عيني حتى مر به سائل » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٣) ل : « فقلت رأيت منك عجباً » .

(٤) ل : « فأعطيتها » .

(من جهل الأعراب بالنحو)

وقال الربيع ^(١) : قلت لأعرابي : أتَهْمِزُ إسرائيل ^(٢) ؟ قال : إني إذا لَرَجُلٌ سَوءٌ ؟ قلت : أَلَجُرُّ ^(٣) فِدَاطِينِ ؟ قال : إني إذا لَقَوِي .

(احتجاج رجل من أهل الجاهلية)

قال : وحدَّثنا حمَّادُ بنُ سَلَمَةَ قال : كان رجلٌ في الجاهليَّةِ معَه مِحْجَنٌ ^(٤) يَتناولُ به مَتاعَ الحاجِّ ^(٥) سَرَقَةً ، فإذا قِيلَ له : سَرقت ! قال : لمْ أَسْرِق ، إنَّما سَرَقَ مِحْجِنِي ! قال : فقال حماد : لو كانَ هذا اليَومَ حَيًّا لكانَ من أصحابِ أبي حَنيْفَةَ !

(الأعمش وجليسه)

قال : وحدَّثني مُحَمَّدُ بنُ القاسمِ قال : قال الأعمشُ لجليسٍ له : أَمَا تَسْتَهِي بناني ^(٦) زُرُقَ العيونِ نَقِيَّةَ البَطونِ ، سُوَدَ الظُّهورِ ، وأرغِفَةَ

(١) هو الربيع بن عبد الرحمن السلمي ، كما في البيان ٢ : ٢٢٠ .

(٢) ط : « أتَهْمِزُ أم إسرائيل » ، وتصحيحه من س ، ل .

(٣) ط : « فتجر » وأثبت ما في ل . وقد أراد الربيع بالهمز والجر معناها الاصطلاحية وفهم الأعرابي من الهمز الغمز ، أو النخس ، أو الدفع ، أو الضرب ، أو العض ، كما فهم من الجر معناه اللغوي .

(٤) المحجن : العصا المعوجة .

(٥) الحاج : الحجاج إلى البيت الحرام . وقد جاء على لفظ المفرد .

(٦) اللبني ، بضم الباء : ضرب من السمك . والعامية في مصر يكسرون باه . وجمعه « بناني » . وجاء في ط : « بناني » وفي ل : « بنانيا » ، وهو تحريف ما أثبت من س .

حَارَّةً لَيِّنَةً ، وَخَلًّا حَادِقًا ؟ قَالَ : بَلَى ! قَالَ : فَانْهَضُ بِنَا . قَالَ الرَّجُلُ :
فَنَهَضْتُ مَعَهُ وَدَخَلَ مَنْزِلَهُ . قَالَ : فَأَوْمَأَ إِلَيَّ : أَنْ خُذْ تِلْكَ السَّلَّةَ . قَالَ :
فَكَشَفَهَا فَإِذَا بَرِغِيْفَيْنِ يَابِسَيْنِ (١) وَسُكَّرُجَّةٍ كَامَخٍ (٢) شَبِيثٍ (٣) . قَالَ : فَجَعَلَ
يَأْكُلُ . قَالَ : فَقَالَ لِي تَعَالَ كُلُّ . فَقُلْتُ : وَأَيْنَ السَّمَكُ ؟ قَالَ : مَا عِنْدِي ،
[سَمَك] ، إِمَّا قُلْتَ لَكَ : تَشْتَهِي !

(رَأَى حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ فِي فِقْهِ أَبِي حَنِيفَةَ)

قَالَ : وَسُئِلَ حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ (٤) عَنِ فِقْهِ أَبِي حَنِيفَةَ ، قَالَ : كَانَ
أَبْجَهَلَ النَّاسِ بِمَا يَكُونُ (٥) ، وَأَعْرَفَهُمْ بِمَا لَا يَكُونُ .

(١) ل : « فَإِذَا فِيهَا رَغِيْفَانِ يَابِسَانِ » .

(٢) السُّكَّرُجَّةُ ، بَفَتْحِ الْمِيمِ : ضَرْبٌ مِنْ مَشْبِيَّاتِ الطَّعَامِ ، قَوَامُهُ الْبَقُولُ وَالْمَلْحُ
وَاللَّبَنُ ، وَقَدْ تَضَافَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْأَبَازِيرِ . انْظُرْ كِتَابَ الطَّبِيخِ لِلْبَغْدَادِيِّ ص ٦٨ وَشِفَاءِ
الغليل ١٧٠ .

(٣) الشَّبِيثُ ، بِالْكَسْرِ : ضَرْبٌ مِنَ الْبَقُولِ . وَجَاءَ فِي ل : « شَبِتَ » . وَفِي
الْقَامُوسِ : « الشَّبِيثُ كَطَمْرٍ : هَذِهِ الْبَقْلَةُ الْمَعْرُوفَةُ » . وَفِي تَذَكْرَةِ دَاوُدَ :
« شَبِتَ بِالْمَثَلَةِ وَيُقَالُ بِالْمَثَنَاءِ » ، فَهِيَ لَعْنَتَانِ .

(٤) هُوَ حَفْصُ بْنُ غِيَاثِ بْنِ طَلْحٍ ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو عَمْرٍو . وَوَلَاهُ هَارُونُ الْقَضَاءُ بِيغْدَادَ
بِالشَّرْقِيَّةِ ، ثُمَّ وَوَلَاهُ قَضَاءَ الْكُوفَةِ ، فَاتَّ بِهَا سَنَةَ ١٩٤ . وَكَانَ مَثَلًا فِي الزُّهْدِ
وَالْعِفَّةِ ؛ رَوَوْا أَنَّهُ مَرَضَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا فَدَفَعَ إِلَى ابْنِهِ مَائَةَ دِرْهَمٍ ، وَقَالَ لَهُ : أَمْضُ
بِهَا إِلَى الْعَامِلِ وَقُلْ لَهُ : هَذِهِ رِزْقُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا ، لَمْ أَحْكَمْ فِيهَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ،
لَا حِظَّ لِي فِيهَا ! وَقَدْ سَبَقَ الْخَبْرُ فِي ١ : ٣٤٧ . وَانْظُرِ الْبَيَانَ ٢ : ٢٥٣ حَيْثُ
الْمُسْتَوَلُ هُنَاكَ « شَرِيكَ » .

(٥) ل : « كَانَ » .

(علة خشنام بن هند)

وأما علة خُشْنَام^(١) بن هند ، فإنَّ خشنام بن هِنْدٍ كان شيخاً من الغالية^(٢) ، وكان ممن إذا أراد أن يسميَ أبا بكرٍ وعمرَ قال : الجبْتُ والطَّاعوت ، ومُنْكَر ونكير ، وأفٌّ وتُفٌّ ، [وكُسَيْر] وعُوَيْر^(٣) . وكان لا يزال يُدخِل داره حمارَ كَسَّاح^(٤) ويضربه مائةَ عصاً^(٥) على أن أبا بكرٍ وعمرَ في جوفه . ولم أر قطُّ أشدَّ احتِرافاً^(٦) منه . وكان مع ذلك نبِيذِيّاً وصاحبَ حَمَام^(٧) . ويُشبهه في القَدِّ والخِرطِ شيوخَ الحربيَّة^(٨) . وكان من [بني] غُبَر^(٩) [من] صميمهم . وكان له بُنْيٌّ يتبعه ، فكان يزني أمَّهُ عند^(١٠) كلِّ حقٍّ وباطل ، وعند كلِّ جدِّ وهزل . قلت له يوماً — ونحن

-
- (١) في القاموس : « خشنام : علم ، معرب خوش نام ، أى الطيب الاسم » .
(٢) الغالية : فرقة من فرق الشيعة الخمس ، وهى الزيدية والكيسانية والإمامية والغلاة والإسماعيلية . والغالية ، أو الغلاة : هم الذين غلوا في حق أمّتهم حتى أخرجوهم من حدود الخلقية وحكوا فيهم بأحكام الإلهية ، وربما شهبوا واحداً من الأئمة بالإله ، وربما شهبوا الإله بالخلق . الملل والنحل ١ : ١٩٥ ، ٢ : ١٠ .
(٣) انظر الاستدراكات في نهاية هذا الجزء .
(٤) الكساح : الكناس . والمكسحة : المكنسة . والسكاسحة ، بالضم : الكناسه
(٥) ط ، ل : « عصى » . والوجه كتابته بالألف كما في س .
(٦) الاحتراف ، من الحرفة بمعنى الفقر . انظر المعارف ١٩٧ . وفي ط ، س : « احتراقاً » .
(٧) أى يلعب بالحمام ويقامر به .
(٨) الحربية : محلة كبيرة ببغداد ، قنسب إلى حرب بن عبد الله البلخي . انظر ص ٠٨ .
(٩) غير ، كزفر : قبيلة من يشكر ، كما في تاج العروس . وفي ط ، س « غير »
وتصحيحه من ل .
(١٠) ل : « في » . يزنيها : يقذفها بالزنى .

عند بنى رُبَيْعِي : وَيَحْكُ ، بِأَيِّ شَيْءٍ تَسْتَحِلُّ أَنْ تَقْدِفَ أُمَّهُ بِالزَّوْنَا ؟ فَقَالَ :
لَوْ كَانَ عَلِيٌّ فِي ذَلِكَ حَرَجٌ لَمَا قَدَفْتَهَا ! قُلْتُ : فَلِمَ تَزَوَّجْتَ امْرَأَةً لَيْسَ
فِي قَدْفِهَا حَرَجٌ ؟ قَالَ : إِنِّي قَدْ احْتَلْتُ حِيلَةً حَتَّى حَلَّ لِي مِنْ أَجْلِهَا مَا كَانَ
يَحْرَمُ . قُلْتُ : وَمَا تِلْكَ الْحِيلَةُ ؟ قَالَ : أَنَا رَجُلٌ حَدِيدٌ ، وَهَذَا غَلَامٌ عَارِمٌ ،
وَقَدْ كُنْتُ (١) طَلَّقْتُ أُمَّهُ فَكُنْتُ إِذَا افْتَرَبْتُ عَلَيْهَا (٢) أُمْتُ ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي :
إِنْ أَرَعْتَهَا (٣) وَخَدَعْتَهَا حَتَّى أَنْيَكَهَا مَرَّةً وَاحِدَةً حَلَّ لِي بَعْدَ ذَلِكَ افْتِرَائِي
عَلَيْهَا (٤) ، بَلْ لَا يَكُونُ قَوْلِي حِينَئِذٍ فِرْيَةً ، وَعَلِمْتُ أَنَّ زَنِيَّةً وَاحِدَةً لَا تَعْدِلُ
عَشْرَةَ (٤) آلَافٍ فِرْيَةً . فَأَنَا الْيَوْمَ أَصْدُقُ وَلَسْتُ أَكْذِبُ . وَالصَّادِقُ مُأْجُورٌ .
وَأَنَا وَاللَّهِ مَا أَشْكُ أَنَّ اللَّهَ إِذَا عَلِمَ أَنَّي لَمْ أَزِنْ بِهَا تِلْكَ الْمَرَّةَ (٥) إِلَّا مِنْ خَوْفِ الْإِثْمِ
إِذَا قَدَفْتُهَا (٦) - أَلَيْسَ سَيَجْعَلُ (٧) تِلْكَ الزَّانِيَةَ لَهُ طَاعَةً (٨) قُلْتُ : أَنْتَ الْآنَ عَلَى
[يَقِينٍ] أَنَّ زَنَاكَ طَاعَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى ؟ قَالَ : نَعَمْ .

(١) ل : « قد » .

(٢) ل : « عليه » ، والمعنى يصح بكلتا العبارتين .

(٣) أرغتها : أردتها وطلبها أو خادعتها . وفي ط : « أحبب بها » وفي س :
« أحببها » ، وهما تحريف ما أثبت من ل .

(٤) في الأصل : « عشر » . والألف مذكور .

(٥) س : « المرأة » ، وتصح بتكلف .

(٦) ل : « قدفتها » ، ويصح المعنى بالعبارتين .

(٧) ل : « فتجعل لي » ، وهو تحريف .

(٨) ط ، س : « طاعة لله » ، وهو تحريف ما في ل .

(حجة الشيخ الإباضي في كراهية الشيعة)

قال الشيخ الإباضي [وقد ذهب عنى اسمه وكنيته] وهو ختن أبي بكر ابن بريرة^(١) - وجرى يوماً [شئ من] ذكر النشيع والشيعة ، فأنكر ذلك واشتد غضبه عليهم ، فتوهمت أن ذلك إنما اعتراه للإباضية التي فيه ، [وقلت]^(٢) : وما على إن سألته ؟ فإنه يُقال : إنَّ السائل لا يعدمه أن يسمع في الجواب حجة أو حيلة [أو ملحة]^(٣) - فقلت : وما أنكرت من التشيع و [من ذكر] الشيعة ؟ قال : أنكرت منه مكان الشين التي في أول الكلمة ؛ لأنني لم أجد الشين في أول كلمة قط إلا وهي مسخوطة^(٤) مثل : شوم ، وشراً ، وشيطان ، وشغب ، وشح^(٥) ، وشمال ، وشجن^(٦) ، وشيب ، وشين^(٧) ، وشراسة ، وشنج^(٨) ، وشك ، وشوك ، وشبث ، وشرك ، وشارب^(٩) ، وشطير ، وشطور ، وشعرة^(١٠) وشاني^(١١) ، وشتم ،

-
- (١) ط ، س : « برة » ، وأثبت ما في ل . انظر ص ٩ س ٩ .
(٢) زيادة يفتقر إليها الكلام .
(٣) الزيادة من ل ، س .
(٤) ل : « إلا مسخوطة » .
(٥) كذا في س ، ط . وفي ل : « وشيح » .
(٦) ط « شجرة » ، وهو تحريف ما أثبت من س . وفي ل : « وشخت » .
(٧) بدل هاتين الكلمتين في س ، « وشيب وشتيت » وفي ل : « وشتيت وشيب » .
(٨) الشنج ، بالتحريك : تقبض الجلد . وبدله في ل : « وشح » .
(٩) في ل مكان الكلمات الأربع : « وشوك وشازب وشارد » . وفي ط أعيدت كلمة « شوك » بين « شبت » و « شرك » . الشبث ، محرقة : العنكبوت ، أو دويبة كثيرة الأرجل . والشازب ، التي وردت في ل ، هو الحشن ، أو الضامر اليابس .
(١٠) كذا في ل . ويراد بها شعر للعانة . وفي ط ، س : « شعر » محرقة .
(١١) الشاني ، مخفف الشاني : المبخض العدو . وفي ط : « شاني » . وفي ل « شابسي » وأثبت ما في س . وقد جاء اللفظان مما في عيون الأخبار ٢ : ٥٦ .

وشتيم^(١) ، وشيطرج^(٢) ، وشنعة ، وشناعة ؛ وشامة^(٣) ، وشوصة ، وشر
وشجوب^(٤) وشجة ، وشطون ، وشاطن^(٥) ، وشن^(٦) ، وشلل ، وشيص^(٧)
وشاطر ، وشاطرة^(٨) ، وشاحب .

قلت [له] : ما سمعتُ متكلمًا قطُّ يقول هذا ولا يبلغه ، ولا يقومُ لهؤلاء
القوم قائمةٌ بعد هذا^(٩) !

-
- (١) الشتم : الكريه الوجه .
(٢) الشيطرج : نبت يوجد بالقرب من الخراب ، ورائحته ثقيلة حادة ، وطعمه إلى مرارة . وفي س ، ط : « شطرنج » ، وهو تحريف ما في ل .
(٣) زيادة هذه الكلمة من ل ، س . والشامة والمشامة ، من الشؤم ، ضد البينة والميمنة ، من البين .
(٤) الشوصة ، بالفتح وقد يضم : وجع في البطن ، أو ريح تعقب في الأخلاع ، أو ورم في حجابها . والشر ، بالفتح : القطع ، أو انقلاب الجفن من أعلى وأسفل وانشقاقه ، أو استرخاء أسفله . وهاتان الكلمتان موضعهما في ل بعد كلمة : « شاطرة » .
(٥) الشطون : البعيدة . والشاطن : الخبيث .
(٦) الشن ، بالفتح : القربة الخلق الصغيرة .
(٧) الشيص ، بالكسر : أردأ القم ، ووجع الضرس أو البطن .
(٨) الشاطر : الذي أعيأ أهله ومؤديه خبيثا ، وقد يراد بها اللص . وفي ل : « وشاطر وشطارة » . والشطارة : مصدر شطر : صار شاطراً .
(٩) هذا الخبر الذي ساقه الجاحظ - حديثا بينه وبين الشيخ الإباضي - تجده في العقد ١ : ٣٥٤ قد ساقه الجاحظ أيضا حديثا بين رجل من رؤساء التجار وشيخ شرس الأخلاق كان راكبا مع التاجر في سفينة . ولست أدري من أي كتب الجاحظ نقل صاحب العقد هذا الخبر على ذلك الوجه . كما أننا نجد هذا الخبر في عيون الأخبار ٢ : ٥٦ مصدرا بمبارة : « قال عمرو بن بحر : ذكر لي ذاكر عن شيخ من الإباضية » .

(حيلة أبي كعب القاص)

قال : وتعشى أبو كعب القاص^١ بطفشيل^(١) كثير اللوبيا ، وأكثر منه ، وشرب نبيذ تمر ، وغلس إلى بعض المساجد ليقص^٢ على أهله ، إذ^(٢) انفتل الإمام من الصلاة فصادف زحاما كثيرا ، ومسجدا مستورا بالبواري^(٣) من البرد والريح والمطر ، وإذا محراب غائر في الحائط ، وإذا الإمام شيخ ضعيف ؛ فلما صلى استدبر المحراب وجلس في زاوية منه يسبح ، وقام أبو كعب فجعل ظهره إلى وجه الإمام ووجهه إلى وجوه القوم^(٤) ، وطبق وجه المحراب بحسمه وفروته وعمامته وكسائه ، ولم يكن بين فمحه وبين أنف الإمام كبير شيء ، وقص وتحرك بطنه ، فأراد أن يتفرج بفسوة وخاف أن تصير ضراطا^(٥) ، فقال في قصصه : قولوا جميعا : لا إله إلا الله ! وارفعوا بها أصواتكم : وفسا فسوة في المحراب فدارت فيه وجثمت^(٦) على أنف الشيخ واحتملها ، ثم كده بطنه فاحتاج إلى أخرى فقال : قولوا : لا إله إلا الله ! وارفعوا بها أصواتكم . فأرسل فسوة أخرى فلم تخطى أنف الشيخ ،

(١) الطفشيل ، ضبطه بعضهم بكسر الطاء والشين ، وصاحب القاموس جمعه (طفشيل) وزان سميح ، وقال : إنه نوع من المرق . أما صاحب كتاب الطبيخ فقد جعل الطفشيل ضربا من التنويريات ، أى الأطعمة التى تتضج في التنور . وجاء في منهاج الدكان ٢٢٠ : « طفشيل : كل طعام يعمل من القطنى ، أعنى الحبوب ، كالعدس والجلبان ، وما أشبه ذلك » . وانظر الحيوان ٥ : ٢٢٦ .

(٢) في الأصل : « إذا » .

(٣) البواري : الحصر المنسوجة .

(٤) ل : « الناس » .

(٥) ل : « ضرطة » . وفى س : « ينفرج » بدل : « يتفرج » .

(٦) جثمت : لزمت مكانها . وفى ط : « جثمت » ، والوجه ما ل ، س .

واخْتَنَقَتْ^(١) في المحراب . فخَمَّرَ الشَّيْخُ أَنْفَهُ^(٢) ، فصار لا يدرى ما يصنع .
إن هو تنفَّسَ قتلته الرَّائِحَةَ ، وإن هو لم يتنَفَّسَ مات كَرَبًا . فما زال يُدَارِي
ذلك ، وأبو كعب يقصُّ ، فلم يلبث أبو كعب أن احتاجَ إلى أخرى . وكلما
طالَ لُبُّهُ تولَّدَ في بَطْنِهِ من النَّفْخِ على حَسَبِ ذلك . فقال : قولوا جميعاً :
لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ! وارفعوا بها أصواتكم . فقال الشيخ من المحراب - [وأطْلَعَ ٨
رأسه وقال] - : لا تقولوا ! لا تقولوا ! قد قتلني ! إنما يريد أن يفسو !
ثم جذب إليه ثوبَ أبي كعبٍ وقال : جئت إلى ها هنا لتفسو^(٣) أو تقصِّ ؟
فقال : جئنا لنقص^(٤) ، فإذا نزلت بليَّةٌ فلا بدَّ لنا ولكم من الصَّبْرِ ! فضحك
النَّاسُ ، واختلَطَ المجلس .

(جواب أبي كعب القاصِّ)

وأبو كعبٍ هذا هو الذى كان يقصُّ في مسجد عتَّابٍ كلَّ أربعاء^(٥)
فاحتبسَ عليهم في بعض الأيام وطال انتظارهم له . فبينما هم كذلك إذ جاء
رسوله فتمال : يقول لكم أبو كعب : انصرفوا ؛ فإنِّي قد أصبحت
[اليوم] مخموراً !

(١) كذا في ل . وفي ط ، س : « اخنت » .

(٢) نحر أنفه : غطاء .

(٣) ل : « تفسو » .

(٤) ل : « نقص » .

(٥) هو مقصور : « أربعاء » .

(علة عبد العزيز)

وأما علة عبد العزيز بشكست فإنَّ عبدَ العزيز كان له مالٌ ، وكان إذا جاء وقتُ الزَّكاةِ وجاء القَوَادُّ بـغلامٍ مؤاجِرٍ^(١) ، قال : يا غلامُ ألك أمُّ ؟ ألك^(٢) خالات ؟ فيقول الغلام : نعم . فيقول : خُذْ هذه العشرة الدراهم — أو خُذْ هذه الدنانير — مِنْ زكاةِ مالي ، فادفعها إليهنَّ ، وإن شئتَ أن تُبركني^(٣) بعد ذلك على جهة المكارمة ، [فافعل] ، وإن شئتَ أن تنصرف فانصرف . فيقول ذلك وهو واثقٌ أنَّ الغلامَ لا يمنعُه بعد أخذ الدراهم ، وهو يعلم أنه لن^(٤) يبلغ من صلاحِ طباعِ المؤاجرين أن يؤدوا الأمانات . فعبر^(٥) بذلك ثلاثين سنة وليس له زكاةٌ إلاَّ عند أمهاتِ المؤاجرين وأخواتهم وخالاتهم .

(١) لفظة عباسية ، يقصد بها من يستأجره اللاطة . انظر كنايات الجرجاني ص

١٢٠ س ١١ وأخبار أبي نواس لابن منظور ٩ ، ١٧ .

(٢) يقال أبركه : جملة يبرك . وقد كنى بقوله . وفي ط « تلزمني » وأثبت . ماقى س ، ل .

(٣) ل : « لم » .

(٤) ط : « فعبر » وليست من كلام الجاحظ . وأثبت ماقى ل ، س ، وغبر .

بمعنى بقى وظل .

(احتجاج طيب كوفي للتسمية بمحمد)

وحدثني محمد بن عباد بن كاسب قال : قال لي الفضل بن مروان^(١)
شيخ من طيِّاب^(٢) الكوفيِّين وأغنيائهم^(٣) : إنَّ وُلْدَ لِكَ مائَةَ ذِكْرِ فسمهم
كلَّهم محمداً ، [وكنَّهم بمحمد] ؛ فإنَّكَ سترى فيهم البركة . أو تدرى
لأى شَيْءٍ كثر مالى ؟ قلت : لا والله ما أدرى . قال : إنَّما كثر مالى لأنى
سميتُ نَفْسِي فيما بيني وبينَ اللهِ محمداً ! وإذا كان اسمي عندَ اللهِ محمداً فما أبالي
ما قال الناس !

(جواب أحمد بن رباح الجوهري)

وشبه هذا الحديث قول المروزي^(٤) : قلت : لأحمد بن رباح الجوهري
أشريتَ كساءً أبيضَ طبرياً بأربعمائةِ درهم ، وهو عند الناس - فيما ترى
عيونهم قومسى^(٥) يساوى مائةِ درهمٍ ؛ قال : إذا علم الله أنَّه طبرىٌّ فما علىَّ ممَّا
قال الناس !

(١) ل : « مرزوق » .

(٢) الطيِّاب : جمع طيب ، مثل جيد وجياد ، والطيب : الفكه المزاج . انظر البيان

٣ : ١١٥ ، ١٥٢ ، وسيبويه ٢ : ٢١١ . و ما سبق في ص ٦ ، ٧ .

(٣) ط ، س : « وأغنيائهم » واعتمدت ما في ل . انظر ص ٦ ص ٧ .

(٤) ل : « المرزوق » .

(٥) قومسى : نسبة إلى قومس ، بضم القاف وفتح الميم : كافي للقاموس . أو بضم القاف

وكرر الميم كافي المعجم . وهي صتق كبير بين خراسان وبلاد الجبل .

(احتجاج حارسِ يكنى أبا خزيمة)

وكان عندنا حارسٌ يكنى أبا خزيمة ، فقلت يوماً - وقد خطر على بالي - : كيفَ اكنيتَ هذا العليجَ الألسنُ بأبي^(١) خزيمة ؟ ثم رأيتُه فقلت له : خبرني عنك ، أكان أبوك يسمي خزيمة ؟ قال : لا . قلت : فجدُّك أو عمك أو خالك ؟ قال : لا . قلت : فلك ابنٌ يسمي خزيمة ؟ قال : لا . قلت : فكان لك مولى يسمي خزيمة ؟ قال : لا . قلت : فكان في قريبتك رجلٌ صالحٌ أو فقيهٌ يسمي خزيمة ؟ قال : لا . قلت : فلم اكنيت بأبي^(١) خزيمة ، وأنتَ عليجُ ألسنٍ ، وأنتَ فقيرٌ ، وأنتَ حارسٌ ؟ قال : هكذا اشتبهت . قلت : فلأى شيءٍ اشتبهتَ هذه الكنيةَ من بينِ جميع الكنى ؟ قال : ما يُدريني . قلتُ : فتبعتها السَّاعةَ بدينارٍ ، وتكنتني بأبى كنيةٍ شئتُ ؟ قال : لا واللهِ ، ولا بالدُّنيا^(٢) وما فيها !

(جواب الزيادى)

وحدثني مسعدة بن طارق ، قلت للزيادى - ومررتُ به وهو جالسٌ في يوم غمق^(٣) حارٌّ ومديد^(٤) ، على باب داره في شروع نهر

٩

- (١) ط ، س : « أبا » ، والمعروف في « اكنيت » أن يتعدى بالباء كما في اللسان . وأما الذي يتعدى بنفسه أو بالباء فهو « كنيته وكنوته وأكنيته وكنيته » .
- (٢) ط : « بالدينار » وتصحيحه من ل ، س .
- (٣) يوم غمق ، كفرح ، ذوندى وثقل ، أو لريحه خة وفساد . وفي ط ، س : « يوم غيم » . والوجه ما أثبت من ل ، وهو الموافق لكلمة « ومد » الآتية .
- (٤) اليوم الومد : ذو الومد بالتحريك ، وهو الندی يجي في صميم الحر من قبل البحر .

الجُوبار^(١) بأردية^(٢) ، وإذا ذلك البحر يبخر في أنفه^(٣) - قال : فقلت له
بعث دارك وحظك من دار جدك زياد بن أبي سفيان ، وتركت مجلسك
في ساباط غيث^(٤) ، وإشراك على رحة بنى هاشم ، ومجلسك في الأبواب
التي تلى رحة بنى سليم ، وجلست على هذا النهر في مثل هذا اليوم ،
ورضيت به جاراً ؟ قال . نلت أطول آمالي في قرب هؤلاء [البرّازين] . قلت
له : لو كنت بقرب المقابر فقلت نزلت^(٥) هذا الموضع للاتعاط به والاعتبار
كان ذلك وجهاً . ولو كنت بقرب الحسدّادين فقلت لأتذكّر بهذه
النيران والكيران^(٦) نار جهنّم ، كان ذلك قولاً . ولو كنت اشتريت
داراً بقرب العطارين فاعتللت بطلب^(٧) رائحة الطيب كان ذلك وجهاً

(١) الجوبار : بضم الجيم : محلة بأصبهان . قال ياقوت : « جو بالفارسية النهر
الصغير ؛ وبار كأنه مسيله . فمعناه على هذا مسيل النهر الصغير » قال صاحب
الألفاظ الفارسية المعربة : « وهو مركب من جوى أى سيل ، ومن بار ، وهى
من الأدوات التي تدل على الكثرة » . وفي ط ، س « الحونان ، وتصحيحه
من ل ومعجم البلدان .

(٢) كذا . وهذه الكلمة ليست في ل . ولعل الوجه حذفها .

(٣) ط : « ينجر » ، وهو تحريف ما أثبت من ل ، س . وكلمة « البحر » هى
في ل : « النهر » .

(٤) الساباط : السقيفة بين دارين تحتهما طريق نافذ . ياقوت والقاموس . قال صاحب
الألفاظ الفارسية : « مأخوذة من سايه بوش ، ومعناها المظلة » . وكلمة « غيث »
هى في ط ، س : « عيث » .

(٥) ل : « تركت » ، وهو تحريف ما أثبت من ط ، س .

(٦) جمع كبير : وهو الزرق ينفخ فيه الحداد .

(٧) كذا في ط . وفي س ، ل : « بطيب » .

فَأَمَّا قُرْبُ الْبَرَازِينَ (١) فقط فهذا ما لا أعرفه . أَفَلَكَ فِيهِمْ دَارُ غَلَّةٍ ، أَوْ هَلْ لَكَ عَلَيْهِمْ دُيُونٌ حَالَةٌ ، أَوْ هَلْ لَكَ فِيهِمْ أَوْ عِنْدَهُمْ غِلْمَانٌ يُؤَدُّونَ الصَّرِيبةَ ، أَوْ هَلْ لَكَ مَعَهُمْ شِرْكَةٌ مُضَارَبَةٌ ؟ قَالَ : لَا . قُلْتُ : فَمَا تَرْجُو إِذَا مِنْ قَرَبِهِمْ (٢) ؟ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ إِلَّا : نَلْتُ آمَالِي (٣) بِقُرْبِ الْبَرَازِينَ .

(حكاية ثمامة عن ممرور)

وحدثني ثمامة بن أشرس قال : كان رجلٌ ممرورٌ يقوم كلَّ يومٍ فيأتي داليةً لقوم ، ولا يزالُ يَمْشِي مع رجال الدالية على ذلك الجذع (٤) ذاهباً وجائياً ، في شدة الحرِّ والبرد . حتَّى إذا أمسى نزل إليهم وتوضأً وصلَّى ، وقال : اللَّهُمَّ اجعلْ لنا مِنْ هَذَا فَرْجاً وَمَحْرَجاً ! ثُمَّ انصرف إلى بيته . فكان كذلك حتَّى مات .

(بين أعمى وقائه)

وحدثني المكيُّ قال : كان رجلٌ يقود أعمى بكراء (٥) ، وكان الأعمى ربَّما عثرَ العثرة ونكب النكبة ، فيقول : اللَّهُمَّ أَبْدِلْ

(١) البراز : بائع البرز بفتح الباء ، وهو الثياب ، أو متاع البيت من الثياب . والبراز : بيع بزر الكتان ، أي زيتته بلغة البغادة . وفي ط : « البرازين » وأثبت ما في س ، ل .

(٢) ل : « قرب البرازين » .

(٣) في الأصل ، وهو هنال : « قنت إمامي » ، وجهه ما أثبت .

(٤) ط « الجزع » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٥) الكراء : الأجرة .

لى (١) به قائداً خيراً منه ! قال : فقال القائد : اللهمَّ ابدلْ لى (١) بهِ اعمى خيراً لى منه .

(حماقة ممرور)

وحدثنى يزيدُ مولى إسحاقَ بن عيسى قال : كُنَّا فى منزل صاحب لنا ، إذْ خرج واحدٌ من جماعتنا لِيَقِيلَ فى البيت الآخر (٢) ، فلم يلبث إلا ساعةً حتى سمعناه يصيح : أوهُ (٣) أوهُ ! قال : فنَهَضْنَا بأجمعنا إليه فزعين ، فقلنا له : مالك ؟ وإذا هو نائمٌ على شقه الأيسر ، وهو قابضٌ على خصيته بيده (٤) فقلت له : لم صحت ؟ قال : إذا غزرتُ خصيتى اشتكيتها ، وإذا اشتكيتها صحت . قال : فقلنا له : لاتغمزها بعدُ حتى لاتشتكى ! قال : نعم إن شاء الله تعالى .

(حماقة مولاة عيسى بن على)

قال يزيد : وكانت لعيسى بن على مولاةٌ عجوزٌ خراسانيةٌ تصرخُ بالليل من ضربانِ ضررس لها ، فكانت قد أرقت الأميرَ إسحاق ، فقلت له : إنها مع ذلك لاتدع أكلَ التمر ! قال : فبعث إليها بالغداة فقال لها : أناكلين التمرَ بالنهار وتصبحين بالليل ؟ فقالت : إذا اشتيتُ أكلت وإذا أوجعتى صحت !

(١) فى عيون الأخبار ٢ : ٤٨ حيث يوجد الخبر : « ابدلنى » .

(٢) قال يقييل : نام فى القائلة ، وهى منتصف النهار . فى س : « فى بيت الآخر » .

(٣) كلمة تقال عند التوجع والألم . وفيها ثلاث عشرة لغة ذكرها الفيروزبادى .

(٤) ل : « بيديه » .

(حكاية ثمامة عن مرور)

١٠ وحدثني ثمامة قال : مررتُ في غبِّ مطرٍ والأرضُ نديَّةٌ ، والسَّمَاءُ متغيِّمَةٌ ، والريِّحُ شمَالٌ ، وإذا شيخٌ أصفرٌ كأنَّه جَرَادَةٌ ، وقد جلسَ على قارعة الطَّرِيقِ ، وحجَّامٌ زنجيٌّ يَحْجُمُهُ ، وقد وضع على كاهله وأخذَ عِيَهُ محاجِمٍ ، كلِّ مَحْجَمَةٍ كأنَّهَا قَعْبٌ ، وقد مَصَّ دَمَهُ حَتَّى كَادَ أَنْ يَسْتَفْرِغَهُ . قال : فوقفتُ عليه فقلتُ : يا شيخُ لِمَ تَحْتَجِّمُ في هذا البردِ (١) ؟ قال لمكانِ هذا الصُّفَارِ (٢) الذي بي .

(صنيع مرور)

وحدثني ثمامة قال : حدَّثني سعيد بن مسلم (٣) قال : كُنَّا بِبُحْرَاسَانَ في منزلٍ بعضِ الدَّهَاقِينَ ونحنُ شَبَابٌ ، وفيْنَا شيخٌ . قال : فأتَانَا رَبٌّ لمنزلٍ بدُّهُنٍ طيبٍ فدَهَنَ بعضُنَا رَأْسَهُ ، وبعضُنَا لحيتهُ ، وبعضُنَا مَسَحَ

(١) الزيادة من العقد ٤ : ٢٠٣ حيث يوجد الخبر .

(٢) الصُّفَارُ ، بالضم : الماء الأصفر يجتمع في البطن ، أو دود فيها . كذا في القاموس وقد عبر عنه صاحب مفاتيح العلوم ص ٩٨ بكلمتي « اليرقان والأرقان » وقال : « هما صفار ، وهو أن تصفر عينا الإنسان ولونه بامتلاء مرارته ، واختلاط المرة الصفراء بدمه » . وانظر هذا الخبر في عيون الأخبار ٢ : ٥٢ .

(٣) كذا في ط ، ل . وفي س : « سلم » . وهذا الحديث الآتي تجده أيضا في عيون الأخبار ٢ : ٥٦ مع اختلاف يسير .

شارِبِهِ ، وَبَعْضُنَا مَسَحَ يَدَيْهِ وَأَمْرُهُمَا عَلَى وَجْهِهِ ، وَبَعْضُنَا أَخَذَ بَطَرْفِ
إِصْبَعِهِ فَأَدْخَلَ فِي أَنْفِهِ وَمَسَحَ بِهِ شَارِبَهُ . فَعَمَدَ (١) الشَّيْخُ إِلَى بَقِيَّةِ الدَّهْنِ
فَصَبَّهَا فِي أُذُنِهِ ، فَقَلْنَا لَهُ : وَيْحَكَ ، خَالَفْتَ أَصْحَابَكَ كُلَّهُمْ ! هَلْ رَأَيْتَ
أَحَدًا إِذَا اتَّوَّهُ بِدُهْنٍ طَيِّبٍ صَبَّهَ (٢) فِي أُذُنِهِ ؟ قَالَ : فَإِنَّهُ مَعَ هَذَا
يُضْرْتُنِي (٣) ؟

(أَمْرُ عَيْصٍ ، سَيِّدِ بْنِ تَمِيمٍ)

وَحَدَّثَنِي مَسْعَدَةُ بْنُ طَارِقٍ [الذَّرَاعُ] (٤) قَالَ : وَاللَّهِ إِنَّا لَوُقُوفٌ
عَلَى حُدُودِ دَارِ فُلَانٍ لِلْقِسْمَةِ ، وَنَحْنُ فِي خِصُومَةٍ ، إِذْ أَقْبَلَ [عَيْصٌ] (٥)
سَيِّدُ بَنِي تَمِيمٍ وَمُوسِرُهُمْ (٦) وَالَّذِي يَصَلِّي عَلَى جَنَائِزِهِمْ . فَلَمَّا رَأَيْنَاهُ مُقْبِلًا
إِلَيْنَا أَمْسَكْنَا عَنِ الْكَلَامِ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا فَقَالَ : حَدَّثُونِي عَنْ هَذِهِ الدَّارِ ،
هَلْ ضَمَّ مِنْهَا بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ أَحَدٌ (٧) ؟ ! قَالَ مَسْعَدَةُ : فَأَنَا مُنْذُ سَنِينَ (٨)

(١) عمد : قصد . وفي ط ، س : « وتعمد » ، ولا تصح هذه الكلمة مع وجود « إلى » ، وصوابها في ل .

(٢) ل : « فصبه » وهو تحريف ما في ط ، س .

(٣) ط ، س . « فأنها مع ذلك تصرفني » ولها وجه ، أي فان تلك الفعلة ، وقد أثبت ما في ل .

(٤) عني بكلمة : « الذراع » من يذرع الأرض ، أي يقيسها .

(٥) الزيادة من العقد (٤ : ٢٠٣)

(٦) موسرهم : غنيهم . وفي ط « مؤسرهم » محرفة .

(٧) كذا في ل ، س . وفي ط : « أهدنا » وبهذه يخف انبهام الكلام ،

مع ان الغاية من الحديث بيان شدة انبهام حديث التيمى . وكامة « بعضها » هي

في ل : « بعض » . وفي العقد : « هل ضم بعضها إلى بعض أحد » .

(٨) ل : « منذ ستين سنة » . ومثل ذلك في العقد .

أفكرُ في كلامه ما أدرى ماعنى به . [قال : وقال لى مرة : مامن شر من
ذين ! قلت : ولم ذاك ؟ قال : من جرا يتعلقون] .

وحدثنى الخليل بن يحيى السلولي قال : نازع التيمي بعض بني عمه
في حائط ، فبعث إلينا لندشهد على شهادته (١) ، فأناه جماعة منهم (٢) الحميري
والزهري ، والزيادي ، والبكراوي . فلما صرنا إليه وقف بنا على الحائط
وقال : أشهدكم جميعاً أن نصف هذا الحائط لى !

(جواب ممرور)

قال : وقدم ابن عم له إلى عمر بن حبيب ، وأدعى عليه ألف درهم
فقال ابن عمه : ما أعرفُ مما قال قليلاً ولا كثيراً ، ولا له على شيء !
قال : أصلحك الله تعالى ! فاكتبُ بإنكاره . قال : فقال عمر : الإنكار
لا يفوتك (٣) ، متى أردته فهو بين يديك !

(أمنية أبي عتاب الجرّار)

قال : وقلت لأبي عتاب الجرّار (٤) : ألا ترى عبد العزيز الغزال
وما يتكلم به في قصصه؟ قال : وأى شيء (٥) قاله؟ [قلت] : (٦) قال : ليت الله تعالى

(١) ل : « ليشهدنا على شهادة » .

(٢) ل : « فيهم » .

(٣) ل : « ليس يفوتك منه » .

(٤) في الأصل : « لابن عتاب » ، وكنية الرجل « أبو عتاب » كما في البيان (٢ :
٣١٨) وعيون الأخبار ٢ : ٤٨ والعقد ٤ : ١٩٧ . و « الجرّار » هي
كذلك في ط ، س ، وفي ل : « الحزان » وفي البيان : « الجزائر » . واسمه إبراهيم بن جامع
كما في الحيوان ٥ : ١٦٧ .

(٥) في الأصل : « قلته » .

(٦) زيادة يحتاج إليها الكلام .

لم يَكُنْ خَلَقْنِي وَأَنَا السَّاعَةَ أَعور ! قَالَ أَبُو عَتَّابٍ (١) : [وقد قَصَّرَ في القول ،
وأساءَ في التَّعْنِي . ولَكُنِّي أَقول] : لَيْتَ اللهُ تَعَالَى لَمْ يَكُنْ خَلَقْنِي وَأَنَا السَّاعَةَ
أَعْمَى مَقْطُوعُ اليَدَيْنِ وَالرَّجْلَيْنِ !

(تَعزِيَةٌ طَرِيفَةٌ لِأَبِي عَتَّابِ الْجَرَّارِ)

وَدَخَلَ أَبُو عَتَّابٍ عَلَيَّ عَمْرُو (٢) بِنِ هَدَّابٍ وَقَدْ كُفَّ بَصْرُهُ ، وَالنَّاسُ
يُعْزُونَهُ ، فَثَلَّ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَكَانَ كَالْجَمَلِ الْمَحْجُومِ (٣) ، [وَ] لَهُ صَوْتُ جَهِيرٍ ،
فَقَالَ : يَا أَبَا أُسَيْدٍ ، لَا يَسُوعُنْكَ (٤) ذَهَابُهُمَا ، فَلَوْ رَأَيْتَ ثَوَابَهُمَا فِي مِيزَانِكَ تَمَنَّيْتَ
أَنَّ اللهُ تَعَالَى قَدْ قَطَعَ يَدَيْكَ وَرَجْلَيْكَ ، وَدَقَّ ظَهْرَكَ ، وَأَذَى ضِلْعَكَ ! (٥) .

(دَاوُدُ بْنُ الْمُعْتَمِرِ وَبَعْضُ النِّسَاءِ)

وَبَيْنَا دَاوُدُ بْنُ الْمُعْتَمِرِ الصُّبَيْرِيُّ جَالِسٌ مَعِي ، إِذْ مَرَّتْ بِهِ امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ
لَهَا قَوَامٌ وَحُسْنٌ ، وَعَيْنَانُ عَجِيبَتَانِ ، وَعَلَيْهَا ثِيَابٌ بَيْضٌ ، فَنَهَضَ دَاوُدُ ١١

(١) ط : « ابن عقاب » س : « ابن عتاب » وصوابه من ل . وانظر التنبيه ٤ من
الصفحة السابقة .

(٢) ل ، ط : « عمر » ، وأثبت ما في س وعيون الأخبار والبيان ٢ : ١٠٣ وكتاب
البعال ٢٦٣ .

(٣) الجمل المحجوم : الذي وضع على فمه الحجام - ككتاب - لثلا يمض ؛ فصوته
أقوى صوت . وجاء في حديث ابن عمر - وذكر أباه - : « كان يصيح
الصيحة يكاد من سماعها يصعق ، كالبعير المحجوم » . في ط : ل : « المحجوم » .
وتصحيحه من س .

(٤) ط ، س : « يسوك » وهي صحيحة . وأثبت ما في ل وعيون الأخبار (٢ : ٤٨) .

(٥) ط ، س : « ظلمك » وفي ل : « ظلفك » . والظلف ، أصله للبقرة والشاة والظبي بمنزلة
القدم من الناس ، ولا يصح معه المعنى إلا بعسر . والوجه ما أثبت من الحيوان ٥ : ١٦٨ .

فلم أشكَّ أنه قام ليَتَّبِعها ، فبعثتُ غلامِي ليعرف ذلك ، فلما رجع قلت له :
قد علمت [أنك]^(١) إنما قُمتَ لتكلمها ؛ فليس ينفعك إلا الصدق ،
ولا ينجيك مني الجحود ، وإنما غايتي أن أعرف كيف ابتدأت القول^(٢) ،
وأى شيءٍ قلتَ لها - وعلمت أنه سيأتي بآبدة . وكان ملياً بالأوابد^(٣) -
قال : ابتدأتُ القول^(٤) بأن قلتُ [لها] : لولا ما رأيتُ عليك^(٥) من سياء
الخير لم أتبعك . قال : فضحكتُ حتى استندتُ إلى الحائط ، ثم قالت :
إنما يمتنع مثلك من أتباعٍ مثلي والطمع فيها^(٦) ، ما يرى من سياء الخير
فأما إذ قد صار سياء الخير هو الذي يُطمعُ في النساءِ فإننا لله وإنا
إليه راجعون !

وتبع داودُ بنُ المعتمر امرأة^(٧) ، فلم يزل يُطربها^(٨) حتى أجابت ،
ودعها على المنزل الذي يمكنها^(٩) فيه ما يريد ، فتقدمت المفاجرة وعرض له

(١) الزيادة من س فقط .

(٢) ط ، س : « ابتدئتُ القول » ، وتصحيحه من ل .

(٣) ط ، س : « مليا » وفي ل : « مليئا » . قال ابن منظور : « الملى بالهمز :
الثقة الغنى . وقد أولع فيه الناس بترك الهمز وتشديد الباء » . فالروايتان
صحيحتان . والأوابد : جمع آبدة ، وهي الكلمة أو الفعل الغريبة .

(٤) ط : ، س : « ابتدئتُ » ، وتصحيحه من ل .

(٥) ط ، س : « لولا ما عليك » ل : « لولا ما رأيت » وفي عيون الأخبار (٢ : ٥١) :
« لولا ما رأيت عليك » وقد أثبت ما فيها جامعا بين الروايتين .

(٦) كذا في ل . وفي ط ، س : « فيه » . وكلاهما صحيح .

(٧) ل : « واحدة » .

(٨) يطربها : يبالغ في الثناء عليها ، وهن يفتررن بذلك . وفي ط : « يطربها » . وليس بشيء .
وفي ل : « يطردها » من طرد الصيد . وقد أثبت ما في س .

(٩) ل : « يمكنه » وهما سيان .

رجلٌ فشغلتهُ ، وجاء إلى المنزل وقد قضى القومُ حوائجهمُ وأخذت حاجتها ، فلم تنتظره^(١) . فلما أتاهمُ ولم يرها قالَ : أين هي ؟ قالوا : والله قد فرغنا وذهبت ! قال : فأى طريقٍ أخذت ؟ قالوا : [لا] والله ما ندرى ؟ قال : فإن عدوتُ في إثرها حتى أقومَ على مجامع الطرق^(٢) أتروني ألحقها ؟ قالوا : [لا] والله ما تلحقها ! قال : فقد فانتِ الآن ؟ قالوا : نعم . قال : فعمسى أن يكون خيراً ! فلم أسمع قطُّ بإنسانٍ يشكُّ أن السَّلامة من الذنوب خير [غيره]^(٣) .

(قول أبي لقمان الممرور في الجزء الذي لا يتجزأ)

وسأل بعضُ أصحابنا أبا لقمان الممرور عن الجزء الذي لا يتجزأ : ما هو ؟ قال :
الجزء الذي لا يتجزأ هو على بن أبي طالب عليه السلام . فقال له أبو العيناء محمد^(٤) :

- (١) ل : « وأبت أن تنتظره » .
- (٢) كذا في ل . وفي ط ، س : « في جامع الطريق » محرفة .
- (٣) الزيادة من س . وبدونها يصح القول أيضا ويجزل كما في ط . وفي ل : « فلم أسمع قط بأن إنسانا مسلما شك في أن السَّلامة من الذنوب خير من غيرها » .
- (٤) أبو العيناء هو محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان الهاشمي بالولاء ، مولى أبي جعفر المنصور . ولد بالأهواز ونشأ بالبصرة ، وسمع من أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد والعتبي . وكان فصيحاً ظريفاً لساناً . دخل على المتوكل في قصره المعروف بالجفري فقال له : ماتقول في دارنا هذه ؟ قال : إن الناس بنوا الدور في الدنيا ، وأنت بنيت الدنيا في دارك ! ولقيه بعض الكتاب في السحر فقال متعجبا منه ومن بكوره : يا أبا عبد الله ، أتبكر في مثل هذا الوقت ؟ فقال له : أتشاركني في الفعل وتنفرد بالتعجب ؟ ! . فقد أبو العيناء بصره بعد الأربعين . وسبب تلقيه بأبي العيناء مذكور في وفيات الأعيان . ولد سنة ١٩١ وتوفي سنة ٢٨٢ . انظر نكت الهميان ٢٦٥ .

أفليس في الأرض جزء لا يتجزأ غيره؟ قال: بلى حمزة جزء لا يتجزأ، وجعفر جزء لا يتجزأ! قال فما تقول في العباس؟ قال: جزء لا يتجزأ. قال: فما تقول في أبي بكر وعمر؟ قال: أبو بكر يتجزأ، وعمر يتجزأ. قال: فما تقول في عثمان؟ قال: يتجزأ مرتين، والزبير يتجزأ مرتين. قال: فأى شيء تقول في معاوية؟ قال: لا يتجزأ [ولا لا يتجزأ].

فقد فكرنا في تأويل أبي لقمان حين جعل الإمام^(١) جزءاً لا يتجزأ^(٢) إلى أي شيء ذهب، فلم ننع عليه إلا أن يكون كان أبو لقمان إذا سمع المتكلمين يذكرون الجزء الذي لا يتجزأ، هاله ذلك وكبر في صدره، وتوهم أنه الباب الأكبر من علم الفلسفة، وأن الشيء إذا عظم خطرُه سموه بالجزء الذي لا يتجزأ.

وقد تسخفنا في هذه الأحاديث، واستجزنا ذلك بما تقدم من العذر وسند ذكر قبل ذكرنا [القول] في الحام جملًا من غرر ونوادير وأشعار وتنف وفقر من قصائد قصار وشوارد وأبيات، لنعطى قارى الكتاب من كل نوع تذهب إليه النفوس نصيباً إن شاء الله.

(١) المراد بالإمام: علي بن أبي طالب. وفي ط، س: «الأنام» بمعنى الخلق، وأثبت ما في ل.

(٢) كذا في س، ل. وفي ط: «أجزاء لا تتجزأ» فيكون صواب ما في ط: «جعل الأنام أجزاء لا تتجزأ» والمراد بالجزء الذي لا يتجزأ، أن الأجسام تنحل إلى أجزاء صغار لا يمكن ألبتة أن يكون لها جزء. وهذا هو مذهب جمهور المتكلمين وأما الفلاسفة فيرون أن كل جزء فإنه ينقسم إلى أصغر منه، وهكذا إلى غير نهاية. وقد تبهم في ذلك النظام وبعض المعتزلة، فنفى الجزء الذي لا يتجزأ. انظر الفصل ٥: ٩٢ - ١٠٨ والفرق ص ١٢٣. وقد صنف جعفر ابن حرب المعتزلي كتاباً في تكفير النظام بإبطاله الجزء الذي لا يتجزأ. الفرق ١١٥.

(٣) الزيادة من س.

(تناسب الألفاظ مع الأغراض)

ولكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ ، ولكل نوع من المعاني ١٢
نوع من الأسماء : فالسَّخِيفُ للسَّخِيفِ ، وَالخَفِيفُ للخَفِيفِ (١) ، وَالجَزَلُ
للجَزَلِ ، وَالإفصاحُ في مَوْضِعِ الإفصاح ، وَالكِنَايَةُ في مَوْضِعِ الكِنَايَةِ ،
وَالاسترسالُ في مَوْضِعِ الاسترسال .

وإذا (٢) كان مَوْضِعُ الحديثِ على أَنَّهُ مُضْحِكٌ وَمُلهٍ (٣) ، ودَاخِلٌ
في بابِ المَزَاحِ والطَّيِّبِ (٤) ، فَاسْتَعْمَلْتَ فِيهِ الإِعْرَابَ ، انْقَلَبَ عَن جِهَتِهِ .
وإنْ كَانَ في لَفْظِهِ سُخْفٌ وَأَبْدَلْتَ السَّخَافَةَ بِالْجَزَالَةِ ، صَارَ الحديثُ الَّذِي
وَضِعَ على أَنَّ يَسِرَّ النُّفُوسَ يُكْرَهُمَا ، وَيَأْخُذُ بِأَكْظَامِهَا (٥) .

(١) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٢) ط ، س : « وإن » . وأثبت ما في ل .

(٣) ط ، س : « وملهى » ، والصواب ما أثبت من ل .

(٤) الطيب بمعنى الهزل والفكاهة . وفي ل : « المزح الطيب » . وأثبت ما في

ط ، س . وانظر التنبيه الأول من ص ٦ .

(٥) الأكظام : جمع كظم ، بالتحريك ، وهو مخرج النفس . والكلام في استعمال
الإعراب عند الفكاهة وسرد النوادر سبق للجاحظ مثله في الجزء الأول

(الوقار المتكلف)

وبعضُ الناسِ إذا انتهى إلى ذِكْرِ الحِرِّ والأيرِ والنَّيكِ ارتدَّ وأظهرَ
التعزُّزَ (١) ، واستعملَ بابَ التَّورُّعِ . وأكثرُ مَنْ تجده كذلك فإنَّما هو
رجلٌ ليس معه من العفافِ والكرمِ ، والنَّبلِ والوقارِ ، إلَّا بقدرِ هذا
الشَّكلِ من التَّصنعِ . ولم يُكشَفْ قطُّ صاحبُ رياءٍ ونفاقٍ ، إلَّا عن
لؤمٍ مُستعملٍ ، ونذالةٍ متمكِّنةٍ .

(تسمُّعُ بعضِ الأئمَّةِ في ذكرِ ألفاظِ)

وقد كان لهم في عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ مَقْنَعٌ ، حينَ سَمِعَهُ بعضُ الناسِ (٢)
يُنشدُ في المسجدِ الحرامِ (٣) :

وَهِنَّ يَمْشِينَ بِنَا هَمِيْسًا
إِنْ تَصَدَّقِ الطَّيْرُ نَنْكَ لَمِيْسًا (٤)

(١) التعزُّزُ : التباعُدُ من الدنَسِ . وفي ط ، س : « التعزُّزُ » بمعنى التكبُّرِ
والتشددِ ، كما في اللسانِ ، وأثبت ما في ل .

(٢) هو أبو العالية ، كما في عيون الأخبار ١ : ٣٢١ .

(٣) في العقد ٣ : ١٢٢ أنه كان يرتجز في الطريق بالبيت الآتي في طريقه إلى مكة .

وفي العمدة ١ : ١١ أن ابن عباس سئل : هل الشعر من رفث القول ؟
فأنشد البيت وقال : « إنما الرفث عند النساء » ثم أحرم للصلاة . وليس في الخبر
عنده ذكر المسجد الحرام أو مكة . والبيت ليس لابن عباس بل تمثّل به كما
في اللسان (همس) .

(٤) الهميس : المشى الخفى الحس . لميس : اسم امرأة .

فقيل له في ذلك ، فقال : لِأَمَّا الرَّفْتُ مَا كَانَ عِنْدَ النِّسَاءِ :
وقال الضَّحَّاكُ : لو كان ذلك القولُ رَفْتًا لكان قطعُ لسانه أحبَّ إليه
مِنْ أَنْ يَقُولَ هُجْرًا (١) .

قال شَيْبُ بْنُ يَزِيدَ الشَّيْبَانِيُّ (٢) ، لَيْلَةَ بَيْتِ (٣) عَتَّابِ بْنِ وَرْقَاءَ (٤) :

* مَنْ يَنْكِ الْعَيْرَ يَنْكِ نَيْكًا * .

وقال عليُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حِينَ دَخَلَ عَلَى بَعْضِ
الْأَمْرَاءِ فَقَالَ لَهُ : مَنْ فِي هَذِهِ الْبُيُوتِ ؟ فَلَمَّا قِيلَ لَهُ : عَقَائِلٌ مِنْ عَقَائِلِ

(١) الكلام من مبدأ « وقال الضحاك » : كان في الأصل متأخرا عن مكانه ، بعد
نهاية خبر شيبب الآتي . وقد رددته إلى موضعه الطبيعي . والضحاك هذا هو
الضحاك بن عبد الله الحلالي ، وهو أحد من انضم إلى عبد الله بن عباس في خروجه
على علي بن أبي طالب . انظر تفصيل هذا في العقد ٣ : ١٢٠ - ١٢٢ .

(٢) هو شيبب بن يزيد بن نعيم الخارجي ، كان مع صالح بن مسرح رأس الصفرية .
خرج شيبب بالموصل ، وبعث إليه الحجاج خمسة قواد قتلهم واحدا بعد واحد .
وفي إحدى حروبه نفر به فرسه على نهر دجيل - دجيل الأهواز لادجيل بغداد -
ففرق فيه وكانت تشترك معه زوجته غزالة وكذا أمه جهيزة في مقاومة الحجاج .
ولما دخل هو وزوجه غزالة على الحجاج في الكوفة ، تحصن منها وأغلق عليه
قصره ، فكتب إليه عمران بن حطان - وقد كان الحجاج ليج في طلبه - :

أسد على وفي الحروب نعمة ربدأ تجفل من صفير الصافر !

هلا برزت إلى غزالة في الوغى بل كان قلبك في جناحي طائر !

ولد شيبب سنة ٢٦ وتوفي سنة ٧٧ . انظر المعارف ١٨٠ ، ووفيات الأعيان ،
والأغانى ١٦ : ١٤٩ ، ٢١ : ٨ .

(٣) ط ، س : « ليلة في بيت » ل : « ليلة بيته » ، والصواب ما أثبت من المعارف ١٨٢ .
وبيت العدو : أوقع به ليلا .

(٤) عتاب بن ورقاء ، كان يكنى أبا ورقاء ، وكان من أجواد العرب ، ولي عدة
ولايات ، وقاد عدة جيوش .

(٥) يضرب مثلا لمن يغالب الغلاب . وأصل المثل في أمثال الميداني ٢ : ٢٣٢ -
٢٣٣ . وقد سبق في الجزء الثاني ص ٢٥٦ .

العرب ، قال عليٌّ : « مَنْ يَطْلُ أَيْرُ أَبِيهِ يَنْتَطِقَ بِهِ (١) » .

فَعَلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - يَعْوَلُ (٢) فِي تَنْزِيهِهِ اللَّفْظَ وَتَشْرِيفِ

الْمَعَانِي (٣) .

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حِينَ قَالَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ (٤) لِلنَّبِيِّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : جِئْنَا بِعَجْرَائِكَ وَسُودَانِكَ ، وَلَوْ قَدْ مَسَّ هَؤُلَاءِ

وَخَزُ (٥) السَّلَاحِ لَقَدْ أَسْلَمُوا ! فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : عَضِبْتَ

بِبَطْرِ اللَّاتِ !

(١) قَالَ الْمَيْسَدَانِي فِي الْأَمْثَالِ ٢ : ٢٢٨ : « يَرِيدُ مِنْ كَثْرَةِ إِخْوَتِهِ اشْتَدَّ ظَهْرُهُ

وَعَزَّهُ بِهِمْ » . وَانظُرْ رِسَائِلَ الْجَا حِظِّ ٢ : ٩٢ بِتَحْقِيقِنَا .

(٢) ط ، س : « يَقْدَمُ » وَتَصْحِيحُهُ مِنْ ل .

(٣) هَذِهِ السَّلَامَةُ سَائِقَةٌ مِنْ ل . وَكَلِمَةُ « تَشْرِيفٌ » هِيَ فِي ط ، س : « شَرَفٌ »

وَأَثْبَتَ مَا فِي ل .

(٤) بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ : صَحَابِيٌّ ، تَرَجَّمْ لَهُ ابْنُ حَجْرٍ فِي الْإِصَابَةِ ١ : ١٤٦ وَكَانَ

مِنْ الرِّجَالِ الْبَارِزِينَ فِي يَوْمِ الْفَتْحِ وَبَعْدَهُ . انظُرْ سِيرَةَ ابْنِ هِشَامٍ . وَالْمَعْرُوفُ

فِي كِتَابِ السَّيْرَةِ نَسَبُهُ مِثْلَ الْكَلِمَةِ الْآتِيَةِ إِلَى عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودِ الثَّقَفِيِّ . جَاءَ فِي سِيرَةِ

ابْنِ هِشَامٍ ، عِنْدَ الْكَلَامِ فِي أَمْرِ الْحَدِيثِيَّةِ : « فَخَرَجَ - يَعْنِي - عُرْوَةَ - ابْنِ مَسْعُودِ

الثَّقَفِيِّ - حَتَّى أَقَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :

يَا مُحَمَّدُ ! أَجَمَعْتَ أَوْشَابَ النَّاسِ ثُمَّ جِئْتَ بِهِمْ إِلَى بَيْضَتِكَ لِتَفْضُلِهَا بِهِمْ ؟ ! لَهَا قَرِيشٌ

قَدْ خَرَجَتْ مَعَهَا الْعَوْدُ الْمُطَافِيلُ ، قَدْ لَبَسُوا جُلُودَ النُّورِ ، يَمَاهِدُونَ اللَّهَ لِاتِدْخُلِهَا

عَلَيْهِمْ عَنُودَةً أَبَدًا ! وَإِيْمَ اللَّهُ لَكُنِّي بِهَؤُلَاءِ قَدْ انْكَشَفُوا عَنْكَ غَدَا . قَالَ :

وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ خَلَفَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاعِدًا ، فَقَالَ : امْصَصْ

بِظُرِّ اللَّاتِ ! أَنْحَنَ نَنْكَشَفَ عَنْهُ ؟ ! قَالَ : مِنْ هَذَا يَا مُحَمَّدُ ؟ قَالَ : هَذَا

ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ . قَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا يَدُكَ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي الْكَافَاتُكَ بِهَا ،

وَلَكِنْ هَذِهِ بِهَا ! » . وَقَدْ نَقَلَ هَذَا الْكَلَامَ عَنْهُ ابْنُ سَيِّدِ النَّاسِ ٢ : ١١٦

وَكَذَلِكَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي الْبَدَايَةِ وَالنَّهَايَةِ . وَانظُرْ رِسَائِلَ الْجَا حِظِّ ٢ : ٩٣ .

(٥) الْوَخْزُ : الطَّعْنُ الْخَفِيفُ الضَّمِيفُ . وَفِي ل : « حَرٌّ » .

وقد رووا مرفوعاً قوله : « مَنْ يُعْذِرُنِي مِنْ [ابن] أمّ سباع ^(١) مُقَطَّعة البُظور ؟ » .

(لِكُلِّ مقام مقال)

ولو كان ذلك الموضوعُ موضعَ كناية هي المستعملة . وبعد فلو لم يكن لهذه الألفاظِ مواضعُ استعملها أهلُ هذه اللُغة وكان الرأىُ ألا يُلفظَ بها ، لم يَكُنْ لأوّل كونها معنىً إلا على وجه الخطأ ، ولسكان في الحزم والصّونِ لهذه اللُغة أن تُرفَعَ هذه الأسماء منها .

وقد أصاب كلَّ الصّوابِ الذي قال : « لِكُلِّ مقامٍ مقال ^(٢) » .

(صورٌ من الوقار المتكاف)

ولقد دخل علينا فتىٌ حدّثُ كان قد وقَعَ إلى أصحاب عبد الواحد ابن زيد ^(٣) ونحنُ عند موسى بنِ عمّران ، فدارَ الحديثُ إلى أن قال الفتى : ١٣ أفطرتُ البارحة على رغيفٍ وزيتونة [ونصف ، أو زيتونة وثلاث ، أو زيتونة وثلاثي زيتونة ، أو ما أشبه ذلك . بل أقول : أكلت زيتونة] ، وما علم الله من

(١) يقال : أعذره منه : أمكنه « وتروى مثل هذه الكلمة منسوبة إلى حمزة بن عبد المطلب . انظر مفاخرة الجوارى والغلمان وسيرة ابن هشام ٥٦٣ - ٥٦٤ جوتنجن وتاريخ الطبرى القم الأول ص ١٤٠٥ . وسباع هذا هو ابن عبد العزى الغبشاني . وفي س : « سباع » مصحفة . وقد قتله حمزة بن عبد المطلب يوم أحد . السيرة ٦١١ وكانت أمه ختانة بمكة . السيرة ٥٦٣ .

(٢) انظر المثل في كتاب الميداني (٢ : ١٣٢) .

(٣) عبد الواحد بن زيد البصرى الزاهد ، كان شيخنا للصوفية ، وكان من أهل الحديث ، =

أخرى^(١) ، فقال موسى : إن من الورع ما يُبغضه الله ، علم الله ؛ وأظنُّ ورعَكَ هذا من ذلك الورع .

وكان العُتْبِيُّ^(٢) ربّما قال : فقال لى المأمون كذا وكذا ، حين صار التَّجْمُ على قِفة الرأس ، أو حينَ جازَني^(٣) شيئاً ، أو قبل^(٤) أن يوازي^(٥) هامتي . هكذا هو عندي ، وفي أغلبِ ظنِّي ، وأكرهُ أن أجزمَ على شيءٍ وهو كما قلت إن شاء الله تعالى ، وقريباً ممّا نقلت . فيتوقف في الوقت الذي ليس من الحديث في شيء . وذلك الحديث إن كان مع طلوعِ الشمسِ لم يَزِدْه ذلك خيراً ، وإن كان مع غروبها لم ينقصه ذلك شيئاً . هذا ولعلَّ الحديث في نفسه لم يكن قطُّ ولم يصلْ هو في تلك الليلة ألبتة . وهو مع ذلك زعم أنه دخل على أصحابِ الكهف فعرف عددهم ، وكانت عليهم ثيابٌ سَبْنِيَّةٌ^(٦) وكلبهم مُمَعَّطُ الجلد . وقد قال الله عزَّ وجلَّ لنبيِّه صلى الله عليه وسلم : ﴿ لَوْ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ .

= قال حصين بن القاسم : لو قسم حديث عبد الواحد على أهل البصرة لوسعهم . ولكنه كان متها في حفظه ، كثير الوهم . لسان الميزان (٤ : ٨٠) . وقد ذكره ابن النديم في الفهرست ٢٦٠ مصر ١٨٣ ليسك ، ضمن العباد والزهاد . وانظر خبرين من أخبار أصحابه في البيان (٣ : ١٧١ ، ٢٨٦) .

(١) أى من ريتونة أخرى . وهذه الكلمة هى في ط : « أمرى » محرقة صوابها في س ، ل .

(٢) العتبي هو محمد بن عبد الله . سبقت ترجمته في الجزء الأول ص ٥٤ . وفي ل : « العتبي » محرقة ، صوابها في س ، ط .

(٣) ط : « جازني » ، والوجه ما أثبت من ل ، س .

(٤) ل : « قبيل » .

(٥) ط : « يوارى » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٦) ثياب سبئية : نسبة إلى سين ، بالتحريك ، وهو موضع لم يعينه ياقوت . =

(بعض نوادر الشعر)

وسنذكر من نوادر الشعر جملة ، فإن نشطت لحفظها فاحفظها ؛ فإنها من أشعار المذاكرة . قال الثَّقَفِيُّ (١) :

مَنْ كَانَ ذَا عَضِدٍ يُدْرِكُ ظَلَامَتَهُ

إِنَّ الدَّلِيلَ الَّذِي لَيْسَتْ لَهُ عَضِدُ

تَذُبُّو يَدَاهُ إِذَا مَا قَلَّ نَاصِرُهُ وَيَأْنِفُ الضَّمِيمَ إِنْ أَثْرَى لَهُ عَدَدُ (٢)

وقال أبو قيس بن الأسلت (٣) :

-
- = والفيروزبدي جملة قرية ببغداد . وأما صفة الثياب فقد اختلف اللغويون فيها ، فن قائل إنها القسية ، أى الثياب صنعت من كتان مخلوط بجزير . ومن قائل إنها ضرب من الثياب يتخذ من مشاقة الكتان أغلظ مايكون . وهذا المعنى الأخير هو المناسب للكلام . وهذه الكلمة هي في ط ، س : « الشثية » تحريف ما أثبت من ل .
- (١) الثقفى هذا ، هو الأجرد الثمئي كما في الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٧١٢ . وهو من الشعراء اللذين وفدوا على عبد الملك بن مروان . والبيتان الآتيان رواهما الجاحظ في البيان ١ : ٦٧ ، ٣ : ٢٢٥ وكذا ابن قتيبة في عيون الأخبار ٣ : ٢ .
- (٢) ط : « وتأنف » وتصحيحه من ل ، س : والبيان وعيون الأخبار . وأثرى عدده : كثر عدد قبيله أو أنصاره .
- (٣) أبو قيس ، قال صاحب الأغاني ١٥ : ١٥٤ : لم يقع إلى اسمه . والأسلت لقب أبيه ، واسمه عامر بن جشم ، ينتهى نسبه إلى الأوس . وأبو قيس شاعر من شعراء الجاهلية . قال هشام بن الكلبي : كانت الأوس قد أسندوا أمرهم في يوم بعثت إلى أبي قيس بن الأسلت ، فقام في حرهم وآثرها على كل أمر حتى شحب وتغير ، ولبت أشهراً لا يقرب امرأته . ثم إنه جاء ليلة فذق على امرأته ففتحت له ، فأهوى إليها بيده فدفعتته وأنكرته ، فقال : أنا أبو قيس ! فقالت : والله ما عرفتك حتى تسكمت ! فقال في ذلك أبو قيس ، القصيدة التي أولها :
- =

بُرُّ امْرِئٍ (١) مُسْتَبْسِلٍ حَازِرٍ (٢) لِلدَّهْرِ ، جِلْدٍ غَيْرِ مَجْزَاعٍ
الْكَيْسُ (٣) وَالْقُوَّةُ خَيْرٌ مِنَ الْإِشْفَاقِ (٤) وَالْفَهْمَةُ وَالْهَاجُ (٥)
وَقَالَ عَبْدَةُ بْنُ الطَّيِّبِ :

رَبُّ جَبَانًا بِأَمْوَالٍ مَخْوَلَةٍ وَكُلُّ شَيْءٍ حَبَاهُ اللَّهُ تَخْوِيلُ
وَالْمَرْءُ سَاعٍ لِأَمْرٍ لَيْسَ يُدْرِكُهُ وَالْعَيْشُ شُحٌّ وَإِشْفَاقٌ وَتَأْمِيلُ
وَكَانَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - يَرُدُّ هَذَا النِّصْفَ
الْآخَرَ ، وَيَعْجَبُ مِنْ جُودَةِ مَا قَسَمَ (٦) .

= قالت ولم تقصد لقليل الخنا مهلا فقد أبلغت أسماء
استنكرت لونا له شاحبا والحرب غول ذات أوجاع

قلت : والقصيدة من المفضليات ص ٢٨٤ ومنها البيتان المذكوران . وأما ابن حجر
في الإصابة (٩٣٥ من باب الكئي) فقال : « مختلف في اسمه : فقيل صيفي ،
وقيل الحارث ، وقيل عبد الله ، وقيل صرمة . واختلف في إسلامه » .
وانظر الخزنة ٣ : ٣٧٥ - ٣٧٨ .

(١) البز : السلاح ومثلها البزة . وجاءت الرواية في ط ، س : « إني امرؤ »
وأثبت رواية ل . وهي الموافقة لما في المفضليات .

(٢) الحاذر : المتأهب الشاكي السلاح ، وجاء مثل هذا في قول القائل :

وَبِزَّةٍ فَوْقَ كَمِيٍّ حَازِرٍ وَزَهْرَةٍ سَلَبَتْهَا عَنْ عَامِرٍ
وجاء في ط : « حازر » بالزاي ، وهو تحريف صوابه في س ، ل ، والمفضليات .

(٣) رواية المفضليات : « الخزم » .

(٤) رواية المفضليات : « الإدهان » . والإدهان : اللبن . والإشفاق : الخوف .

(٥) الفهمة : العي . وجاء في ط ، س : « القمية » وهي إن صحت في اللغة
كان معناها الذلة . وقد أثبت رواية ل . ورواية المفضليات : « الفسكة »
والفسكة : استرخاء الرأي . والهاع : سوء الحرص مع الضعف . وهذه
هي رواية ل ، والمفضليات . وفي ط ، س : « العاع » وجاء في اللسان
والقاموس : عيب بالتشديد ، بمعنى عي . ولم ترد فيهما لفظة « العاع » .

(٦) انظر العقد ٣ : ٣٨٧ والبيان ١ : ٢٤٠ - ٢٤١ والصناعتين ٣٣١ .

وقال المتلمّس :

وأعلمُ علمَ حقِّ غيرَ ظنٍّ وتَقَوَى اللهُ مِنْ خَيْرِ العِتَادِ
لِحَفْظِ المَالِ أيسرَ مِنْ بُغَاهُ^(١) وضربَ فِي البِلَادِ بِغَيْرِ زَادِ
وَإِصْلَاحِ القَلِيلِ يَزِيدُ فِيهِ وَلَا يَبْقَى الكَثِيرُ مَعَ الفَسَادِ ١٤
وقال آخر :

وَحِفْظُكَ^(٢) مَالًا قَدْ عُنَيْتَ بِمُجْمَعِهِ

أَشَدُّ مِنَ الجُمُعِ^(٣) الَّذِي أَنْتَ طَالِبُهُ

وقال حميد بن ثور الهلالي :

أَتَشْغَلُ عَنَّا يَا بَنَ^(٤) عَمِّ فُلانٍ^(٥) تَرَى

أَخَا^(٦) البِخْلِ إِلَّا^(٧) سَوْفَ يَعْتَلُّ بِالشَّغْلِ

وقال ابن أحرر :

هَذَا الثَّنَاءُ وَأَجْدِرُ أَنْ أَصَاحِبَهُ وَقَدْ يَدُومُ رِيْقَ الطَّامِعِ الأَمَلِ^(٨)

(١) يقال : بغى الشيء يبغيه بغاء وبغى وبغية ، بضمين . وما أثبت هو ما في س .

وفي ل : « خير من بغاة » ، وهي رواية البحترى في حماسه ص ٣٤٣ . وفي ط :

« أيسر من فناه » وهذه رواية العقد ٢ : ٤١ . وفناه : فناؤه ، وقصر

لضرورة الشعر ، ومثل هذه الرواية في المعنى رواية البغدادي في الخزانة ٣ : ٧٢ :

* لحفظ المال خير من ضياع *

وقد خصص البحترى الباب الثلاثين والمائة لما قيل في إصلاح المال وحفظه .

(٢) الرواية في س : « حفظك » بخزم البيت .

(٣) ط ، س : « المال » والوجه ما أثبت من ل ، والبخلاء ١٤٢ . قال الجاحظ :

« وقد قضوا بأن حفظ المال أشد من جمعه » وأنشد البيت .

(٤) ل : « بانن » ولعل الوجه ما أثبت من ط ، س . وهو الأشبه بقول الشعراء .

(٥) ط ، ل : « فلا » .

(٦) ط ، س : « من » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٧) ط : « لا » وتصحيحه من س ، ل . وفي ط ، س : « سوف تعتل »

وتصحيحه من ل .

(٨) « الثناء » جاءت في ط ، س : « الشقاء » وهو تحريف صوابه من ل =

وقال ابن مقبل :

هَلِ الدَّهْرُ إِلَّا تَارَتَانُ ، فِينَهُمَا

أَمُوتٌ وَأُخْرَى أَبْتَغِي العَيْشَ أَكْدَحُ^(١)

وكلتاها قد خُطَّ لي في صحيفة

فلا المَوْتُ أهْوَى لي ولا العيش أروح^(٢)

وقال عمرو بن هند :

وإن الذي ينهاكم عن طلابها يُنَاغِي نِسَاءَ الحَيِّ في طَرَّةِ البُرْدِ^(٣)

يُعَلِّلُ والأَيَّامُ تَنْقُصُ عُمْرَهُ^(٤)

كما تَنْقُصُ^(٥) النَّيرانُ^(٦) من طرف الزَّندِ

= والبيان ١ : ١٨٠ واللسان (مادة دوم) . وجاء في س : « فأجدر » .
وكلمة « أصحابه » هي في الأصل « صاحبه » محرفة ، وتصحيحها من البيان واللسان .
قال ابن بري في هذا البيت : « يقول : هذا ثنائى على النعمان بن بشير ،
وأجدر أن أصحابه ولا أفارقه . وأملى له يبقى ثنائى عليه ، ويدوم ريقى في ففى
بالثناء عليه » .

(١) الرواية المشهورة في البيت : « وما الدهر » . انظر ديوان ابن مقبل ٢٤ والكمال
٥٣٨ ليبسك وحاسة البحترى ١٨٣ وكتاب سيبويه ١ : ٣٧٦ . واستشهد به
المبرد وسيبويه على حذف الاسم لدلالة الصفة عليه . وتقدير الكلام : فنهما
تارة أموت فيها .

(٢) هذا البيت من ل . وروى في حاسة البحترى : « فلا الموت أهواه » وما
هنا أوفق .

(٣) طرة الشعر والثوب : طرفه .

(٤) ط ، س : « نعلل والأيام تنقص عمرنا » ، وأثبت ما فى ل ، والبيان ٣ : ٣٤
وما سيأتى فى ص ٤٧٩ .

(٥) ش : « تنقص » وله وجه . س : « تنقص » وليس بشيء .

(٦) ط : « الأيام » وهو تحريف ما أثبت من س ، ل ، والبيان .

وقال أمية - إن كان قالها (١) - :

رُبَّمَا تَجْزَعُ النَّفُوسُ مِنَ الْأَمَّةِ رِلَهُ فَرَجَةٌ كَحَلِّ الْعِقَالِ

(شعر في الغزل)

وقال آخر (٢) :

رَمْتَنِي وَسِئْرُ اللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا عَشِيَّةَ آرَامِ الْكِنَاسِ رَمِيمٌ (٣)
أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لَوْ رَمْتَنِي رَمِيَّتُهَا وَلَكِنَّ عَهْدِي بِالنُّضَالِ قَدِيمٌ (٤)
رَمِيمٌ الَّتِي قَالَتْ لَجَارَاتِ بَيْتِهَا ضَمِنْتُ لَكُمْ أَنْ لَا يَزَالَ يُهِيمُ (٥)

وقال آخر :

لَمْ أَعْطِهَا بِيَدِي إِذْ بَسْتُ أَرْضُفَهَا إِلَّا تَطَاوَلَ غُصْنُ الْجَيْدِ لِلجَيْدِ (٦)

(١) ل : « قاله » . وانظر اللسان (فرج) .

(٢) هو أبو حية النخعي كما في الكامل ١٩ ليبسك والحماسة (٢ : ١١٠) . وانظر البيان ١ : ٦٨ و ٣ : ٣٢٤ .

(٣) يقول : رمته بطرفها . وعنى بستر الله ، الإسلام ، أو الشيب . وآرام الكناس ، روى فيها : « بأحجار الكناس » وهو اسم موضع . انظر الكامل واللسان (كنس) . ورواية الحماسة : « ونحن بأكتاف الحجاز » . ورميم هي خليلته .

(٤) قال المبرد في شرح هذا البيت : « لو كنت شابا لرميت كما رميت ، وفتنت كما فتنت ، ولكن قد تطاول عهدي بالشباب ! » .

(٥) هذا البيت ساقط من ل . ويصح في « أن » أن تكون ناصبة أو مخففة من الثقيلة يرفع بعدها للفعل .

(٦) في اللسان : عطا الشيء يمطوه : إذا أخذه وتناوله .

كَمَا تَطَاعَمَ فِي خَضْرَاءَ نَاعِمَةٍ مَطْوِقَانِ أَصَاخًا بَعْدَ تَغْرِيدِ (١)
فَإِنْ سَمِعْتَ بِهَلْكَ لِلْبَخِيلِ فَقُلْ بُعْدًا وَسُحْقًا لَهُ مِنْ هَالِكِ مُودِي

(شعر في الحكم)

وقال أبو الأسود الدؤلي (٢) :

الرُّءْيُ يَسْعَى ثُمَّ يَدْرِكُ مَجْدَهُ حَتَّى يُزَيِّنَ بِالَّذِي لَمْ يَفْعَلْ (٣)
وَتَرَى الشَّقِيَّ إِذَا تَكَامَلَ عَلَيْهِ (٤) يُرْمَى وَيَقْدَفُ بِالَّذِي لَمْ يَعْمَلْ

١٥

[وقال دريد :

رئيسُ حروبٍ لا يزال ربيئةً مشيحٌ على محقوق الصُّلبِ مُلبِّدِ (٥)
صَبُورٌ عَلَى رِزَاءِ الْمَصَائِبِ حَافِظٌ مِنَ الْيَوْمِ أَعْقَابِ الْأَحَادِيثِ فِي غَدِ (٦)
وَهَوْنٌ وَجَدِي أَنِّي لَمْ أَقْلُ لَهُ كَذَبَتْ وَلَمْ أَبْخُلْ بِمَا مَلَكَتْ يَدِي]

(١) خضراء ، عنى بها شجرة أو أيسكة . والناعمة : الخضراء الناضرة . نعم العود : اخضر ونضر ، والمطوقان : حامتان مطوقتان . وتطاعهما : أن يدخل الذكر فيه في قم أنثاه . وفي ط ، ل : « مطوقات أصاخت » ، والوجه ما أثبت من ل ، واللسان (طعم) .

(٢) الدؤلي : نسبة إلى الدئل بضم الدال وكسر الهمزة ، وهو أبو قبيلة من الهون ابن خزيمية . يقال في النسبة إليه دؤلي ودولي بفتح عينهما ، ودليل بكسر الدال ، ودئلي بكسرتين . وجاء في س « الدليل » . وأبو الأسود هو ظالم بن عمرو ابن جندل بن سفيان بن كنانة . كان عاقلا ، حازما ، بخيلا . وهو أول من وضع العربية . وكان شاعرا مجيدا ، وشهد صفين مع علي ، وولى البصرة لابن عباس ومات بها - وقد أسن - سنة تسع وستين .

(٣) مجده فاعل يدرك ، أى يتكامل مجده ويتم . من أدرك الثمر .

(٤) ل : « عيبه » .

(٥) يقال احتقوق ظهر البعير والفرس : إذا طال واعوج ، وعنى بالمحقوق فرسه . الملبد : الفرس قد شد عليه اللبد .

(٦) الرواية في الحماسة : « فليل التشكى للمصيبات حافظ » . والأبيات من قصيدة يرفي بها دريد أخاه عبد الله بن الصمة ، روى بعضها أبو تمام في الحماسة

(١ : ٣٣٦ - ٣٤٠) .

وقال سعيد بن عبد الرحمن (١) :

وإنَّ أمراً يُسمى وَيُصْبِحُ سَالِماً مِنْ النَّاسِ إِلَّا مَا جَنَى لَسَعِيدُ (٢)

(شعر في الزهد)

وقال أكثم بن صيفي :

نُرْبِي وَبَيْنَكَ آبَاؤُنَا وَبَيْنَنَا نُرْبِي بَنِينَا فَنِينَا

وقال بعضُ المحدثين :

فَالآنَ أَسْمَحْتُ لِلخَطُوبِ فَلَا يُلْفَى فُوَادِي مِنْ حَادِثٍ يَجِبُ (٣)

قَلْبِي الدَّهْرُ فِي قَوْلِهِ وَكُلُّ شَيْءٍ لِيَوْمِهِ سَبَبُ

وقال آخر (٤) :

لِدُوا لِمَوْتٍ وَابْتِنُوا لِلخَرَابِ فَكُلُّكُمْ يَصِيرُ إِلَى ذَهَابِ (٥)

أَلَا يَامُوتُ لَمْ أَرِ مِنْكَ بُدْأً أَبَيْتَ فَمَا تُحْيِفُ وَلَا تُحَايِ (٦)

كَأَنَّكَ قَدْ هَجَمْتَ عَلَى مَشِيبي كَمَا هَجَمَ المَشِيبُ عَلَى شَبَابِي (٧)

- (١) هذا ما في ل ، ومثله في الحيوان ١ : ٢٤ ونهاية الجزء الثاني من البيان . وفي س ، ط : « وقال آخر » . وجاء في عيون الأخبار (٢ : ١٢) : « وقال حسان : قلت شعراً لم أقل مثله » . وأنشد البيت .
- (٢) إلا ماجنى ، يريد إلا جزاء ماجنى . وجاءت هذه الكلمة في س : « عنى » . وفي ط : « جنا » وهما تحريف ما أنهت من ل والبيان وعيون الأخبار .
- (٣) أسمح للخطوب : لان وانقاد ، وهو عبارة عن التحمل والصبر . ووجب القلب وجباً ووجيباً ووجباناً : خفق .
- (٤) هو أبو نواس ، والأبيات من ثلاثة عشر بيتاً في ديوانه ص ٢٠٠ . ونسبت في الأغاني ٣ : ١٥٥ إلى أبي العتاهية . وهي في ديوان أبي العتاهية أيضاً ص ٢٣ - ٢٤ .
- (٥) الرواية في ط ، س : « وكلكم يصير إلى التراب » وأثبت ما في ل والديوان ، وهو الموافق لما في محاضرات الراغب (٢ : ٢٢٤) .
- (٦) حاف يحيف : جار وظلم . وفي ط ، س « تحيف » وهو تصحيف ما في ل وفي الديوان : « قسوت فاتكف وما تحايى » .
- (٧) ط والديوان : « على الشباب » وفي الديوان أيضاً : « هجمت على حياتي » .

وقال آخر^(١) :

يأنفس حوضى بحار العلم أو غوصى فالناس من بين مغموم ومخصوص^(٢)
لاشئ في هذه الدنيا يحاط به إلا إحاطة منقوص بمنقوص

(شعر في التشبيه)

وأنشدنا للأحيمر^(٣) :

بأقب منطلق اللبان كأنه سيد تنصل من حجور سعالى^(٤)

وقال الآخر^(٥) :

أراقب^(٦) لحاً من سهيل كأنه إذا ما بدامن دجية الليل يطرف^(٧)

وقالوا^(٨) قال خلف الأحمر : لم أر أجمع من بيت لأمرى القيس ،

وهو قوله :

(١) ط ، س : « وقال منهم آخر » والوجه حذف « منهم » كما في ل . وجاء في أدب الدنيا والدين ص ٢١ ، « وأنشد الرشيد عن المهدي بيتين وقال : أظنهما له » ثم روى البيهقي .

(٢) ط : « بين مغموم » وصوابه في س ، ل وأدب الدنيا والدين .

(٣) ط ، س « وأنشد الأحيمر » وما أثبت من ل .

(٤) الأقب : الضامر البطن ، عني به فرسا . اللبان ، بالفتح : الصدر ، وأراد بانطلاق اللبان انبساطه واستواءه . وفي الأصل : « منطلق اللسان » بمعنى زلق فصيح وليس يكون ذلك . والسيد ، بالكسر : الذئب . تنصل من حجور السعالى : خرج منها . والسعلاة - فيما يزعم العرب - : الغول . يقول : كأنه ذئب خبيث فهو سريع العدو . جاء في ل : « تنصل في » .

(٥) هو جران العود . والبيت من قصيدة مثبتة في ديوانه ١٣ - ٢٤ .

(٦) هذا ما في ل والبيان (٣ : ٤٠) وهو صواب الرواية . وفي ط ، س « يراقب »

(٧) الرواية في الديوان ص ١٤ وكذا في ل : « من آخر الليل » . والدجية ، بالضم : الظلمة وبجملها دجى . ويطرف : أى كما تطرف العين .

(٨) هذه الكلمة ساقطة من ل .

أَفَادَ وَجَادَ وَسَادَ وَزَادَ وَقَادَ وَزَادَ وَأَفْضَلَ (١)
وَلَا أَجْمَعَ مِنْ قَوْلِهِ (٢) :

لَهُ أَيُّطَلَا ظَبْيٍ وَسَاقًا نَعَامَةً وَإِرْحَاءَ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيْبٌ تُتْفَلُ
وَقَالُوا : وَلَمْ نَرِ (٣) فِي التَّشْبِيهِ كَقَوْلِهِ ، حِينَ شَبَّهَ شَيْئَيْنِ بِشَيْئَيْنِ فِي حَالَتَيْنِ
مُخْتَلِفَيْنِ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ ، وَهُوَ قَوْلُهُ :

١٦

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا لَدَى وَكُرْهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي

(قِطْعَةٌ مِنْ أَشْعَارِ النِّسَاءِ)

وَسَنَذَكُرُ قِطْعَةً مِنْ أَشْعَارِ النِّسَاءِ . قَالَتْ أَعْرَابِيَّةٌ (٤) :

رَأَتْ نِضْوًا أَسْفَارٍ أُمِيمَةً شَاحِبًا عَلَى نِضْوِ أَسْفَارٍ فَجَنَّ جُنُونَهَا
فَقَالَتْ : مِنْ أَيِّ النَّاسِ أَنْتَ ، وَمَنْ تَكُنُّ
فَإِنَّكَ مَوْلَى فِرْقَةٍ لَا تَزِينُهَا

(١) كَذَا فِي لٍ وَمِثْلُهُ عِنْدَ الْعَكْبَرِيِّ ٢ : ٧٢ . وَجَاءَ فِي ط ، س :

أَفَادَ وَجَادَ وَسَادَ وَقَادَ وَعَادَ وَزَادَ وَأَفْضَلَ

وَقَدْ جَرَى عَلَى طَرِيقَةِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ أَبُو الْعَمَيْثِلِ الْأَعْرَابِيُّ فَقَالَ :

أَصْدَقَ وَعَفَّ وَبَرَّ وَأَصْبَرَ وَاحْتَمَلَ وَأَصْفَحَ وَدَارَ وَكَافَ وَأَبْذَلَ وَأَشْجَعَ

ثُمَّ الْمُنْتَبِيُّ فِي قَوْلِهِ :

أَقْلَ أُنْلَ أَقْطَعَ أَجْلَ عَلَّ سَلَّ أَعْدَ زِدْ هَشَّ بَشَّ تَفْضَلَ ادْنَسَّرَ صَلَّ

انظُرِ الْوَسْاطَةَ ٢٥٣ وَالْعَكْبَرِيَّ .

(٢) كَذَا فِي لٍ وَفِي ط ، س : : « وَقَالُوا : وَقَالَ خَلْفُ الْأَحْمَرِ : لَمْ أَرِ أَجْمَعَ
مِنْ بَيْتِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ » .

(٣) س : « يَرِي » .

(٤) كَذَا . وَالشَّعْرُ كَمَا تَرَى ، يَنْطِقُ بِأَنَّ قَائِلَهُ رَجُلٌ .

(٥) الْفِرْقَةُ ، بِالْكَسْرِ : الْجَمَاعَةُ . ط ، س : « وَقَرَيْنَهَا » صَوَابُهُ فِي لٍ وَتَقْدُّ الشَّعْرَ ٧٣
وَاللِّسَانَ (ضَخَا ٢١٢) حَيْثُ أَنْشَدَ خَمْسَةَ أَيْبَاتٍ .

وقالت امرأة من خثعم :

فإن تسألوني من أحبُّ فإنني

أحبُّ ، وبيتِ الله ، كعبَ بنِ طارقِ
أحبُّ الفتى الجعدَ السلويَّ ناضلاً^(١) على الناسِ مُعتاداً لضربِ المفارقِ

وقالت أخرى :

وما أحسنَ الدنيا في الدارِ خالدُ
وقالت أمُّ فروة^(٢) الغطفانيَّة :

فما ماءُ مزنٍ أيُّ ماءٍ تقولهُ
تحدَّرَ من غرِّ طوَالِ الذَّوائبِ^(٣)
بمُنْعَرَجٍ أو بطنٍ وادٍ تحدَّرتُ
عليه رِيحُ الصَّيفِ من كلِّ جانبِ^(٤)
نَفَى نَسَمُ الرِّيحِ القَدَا عن متونِهِ
فما إن بهِ عيبٌ يكونُ لعائبِ^(٥)
بأطيبِ يَمَنٍ يقصُرُ الطَّرْفَ دُونَهُ
تقى اللهُ واستحياءُ بعضِ العواقبِ

(١) يقال نضله ، إذا غلبه في الرمي . وجاء في ل : « فاضلاً » وأثبت ما في ط ، س .

(٢) كذا في س والجزء الخامس من الحيوان ص ١٤٢ . وفي ط « أم فرق » وفي ل :

« امرأة فروة » . والشعر الآتي قد نسب في زهر الآداب (١ : ١٦٧) إلى

عائكة المريفة في ابن عم لها راودها عن نفسها . وفي أمالي القائل (٢ : ٨٧)

شعر لمن تدعى زينب بنت فروة المريفة ، تقوله في ابن عم لها يقال له المغيرة .

(٣) رواية زهر الآداب : « وما طعم ماء أي ماء تقوله » . وعنى بالغر السحاب ،

وبذوائها أطرافها .

(٤) رواية زهر الآداب : « بمنعرج من بطن واد تقابلت » وفي الجزء الخامس من

الحيوان : « تحدبت » موضع « تحدرت » ، و « المزن » مكان « الصيف » .

(٥) زهر الآداب : « نفت جرية الماء » . وفيه وفي الجزء الخامس : « تراه لشارب » .

وقال بعضُ العُشاقِ (١) :

وَأَنْتِ الَّتِي كَلَّفْتِنِي (٢) دَلَجَ السَّرَى
وَأَنْتِ الَّتِي أَوْرَثْتِ قَلْبِي حَرَارَةً
وَأَنْتِ الَّتِي أَسَخَطْتَ قَوْمِي (٥) فَكَلَّهْمُ

وَجُونَ الْقَطَا بِالْجَلْهَتَيْنِ جُثُومٌ (٣)
وَقَرَّحْتَ قَرَحَ الْقَلْبِ وَهُوَ كَلِيمٌ (٤)
بَعِيدُ الرِّضَا دَانِي الصُّدُودِ كَظِيمٌ (٦)

فَقَالَتِ الْمَعشُوقَةُ :

وَأَنْتَ الَّذِي أَخْلَفْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي
وَأَبْرَزْتَنِي لِلنَّاسِ حَتَّى (٧) تَرَكْتَنِي
فَلَوْ أَنَّ قَوْلًا يَكْلِمُ الْجَسْمَ قَدَبَدَا

وَأَشْمَتُّ بِي مَنْ كَانَ فِيكَ يَلُومُ
لَهُمْ غَرَضًا أُرْمَى وَأَنْتَ سَلِيمٌ
بِجَلْدِي مِنْ قَوْلِ الوِشَاةِ كَلُومٌ

وقال آخر (٨) :

شَهِدْتُ وَبَيْتِ اللَّهِ أَنْكَ غَادَةٌ
وَأَنَّكَ لَا تَجْزِينِي بِمُودَةٍ

١٧ رَدَّاحٌ وَأَنَّ الْوَجْهَ مِنْكَ عَتِيقٌ (٩)
وَلَا أَنَا لِلْهَجْرَانِ مِنْكَ مُطِيقٌ

(١) هو ابن الدمينية ، وكان قد هوى امرأة من قومه يقال لها « أميمة » فهام بها مدة فلما وصلتته تجنى عليها وجعل ينقطع عنها ، ثم زارها ذات يوم فتعابها طويلا ، وتحدثا بالشعر الآتي . انظر معاهد التنصيص ١ : ٥٨ والحجاسة ٢ : ١٤٦ وديوان ابن الدمينية ٣٦ - ٣٧ . والأبيات الثانية في البيان ٣ : ٣٧٠ والأغانى ١٥ : ١٤٨ .

(٢) ط ، س : « كلفني » وتصحيحه من ل والمراجع المتقدمة .

(٣) عنى بالجلهتين ناحيتي الوادي . وفي س : « بالجهتين » وهو محرف .

(٤) في الحجاسة والديوان ، « قطعت قلبى حزازة » والحزازة : الوجد . وفيها أيضا « وقرقت » مكان : « وقرحت » والوجه فيها « قرقت » بقاف ثم فاء ، يقال قرقت الجرح وقرفته : قشره ولما يبرأ . وجاء في المعاهد : « ومزقت » وفي المعاهد والحجاسة : « فهو كليم » وفي الديوان : « فهو سقيم » .

(٥) كذا في ل . وفي ط ، س : « أحفظت قلبى » وهو تحريف . والرواية في المعاهد والحجاسة والديوان : « أحفظت قومي » . وأحفظه : أغضبه .

(٦) الكظيم : المكظوم ، وهو من امتلأ جوفه بالغضب .

(٧) الرواية في جميع المصادر المتقدمة : « ثم » .

(٨) هو قيس لبي ، كما في تزيين الأسواق ٤٩ .

(٩) الرداح ، كسحاب : الثقبلة الأوراك . والعتيق : الجميل الرائع .

فأجابته :

شَهِدْتُ وَبَيْتِ اللَّهِ أَنْكَ بَارِدٌ أَلَا ثَنَانِيَا وَأَنَّ الْخَصْرَ مِنْكَ رَقِيقٌ^(١)
وَأَنَّكَ مَشْبُوحُ الذَّرَاعَيْنِ خَلْجَمٌ^(٢) وَأَنَّكَ إِذْ تُخْلُو بِهِنَّ رَفِيقٌ^(٣)

(شعر مختار)

[وقال آخر :

اللَّهُ يَعْلَمُ يَا مَغْبِرَةَ أَنْنِي قَدْ دُسْتُهَا دَوْسَ الْحِصَانِ الْهَيْكَلِ
فَأَخَذْتُهَا أَخَذَ الْمُقْصَبُ شَاتَهُ عَجَلَانَ يَشْوِيهَا لِقَوْمٍ نَزَلٌ^(٤)]
وقال كعبُ بنُ سعدٍ الغنَوِيُّ^(٥) :

وَحَدَّثَنِي أَنَّهَا الْمَوْتُ بِالْقُرَى فَكَيْفَ وَهَاتَا هَضْبَةٌ وَقَلِيبٌ

(١) كذا في ط ، س . وفي ل والبيان ٢ : ٣٥١ : « وأن الكشح منك لطيف »
وما أثبت هو الأشبه ؛ إذ أنه الملائم للمجاوبة .

(٢) مشبوح الذراعين : طويلهما ، وقيل عريضهما . الخلجم : الجسم العظيم . وفي ط ،
س : « خلجم » وهو تصحيف ما كتبت من ل والبيان .

(٣) في ل ، والبيان : « عفيف » وانظر التنبيه الأول .

(٤) المقصب : القصاب . والشعر للعجاج ، كما في اللسان (فتح) .

(٥) كعب بن سعد الغنوي شاعر إسلامي ، وهو أحد بني سالم بن عبيد بن سعد
ابن عوف بن كعب بن جلان بن غنم بن غنم بن غنم بن أعصر . كذا قال أبو عبيد البكري
في شرح أمالي القالي في موضعين منه . وقد راجعت كتب الصحابة وكتاب الشعراء
لابن قتيبة وكتاب الأغاني وغيرها فلم أجد ترجمته في أحدها إلا ما قاله أبو عبيد
المذكور ، والظاهر أنه تابعي . خزانة الأدب (٣ : ٦٢١ يولاق) . والأبيات
الآتية من مرثية له طويلة رواها ابن الشجري في مختارات أشعار العرب (٢٧ -
٣٠) والقالي في أماليه (٢ : ١٤٨ - ١٥١) يرفي بها أخاه أبا المغوار ، واسمه
هرم أو شبيب . وفي أمالي القالي أن بعض الناس يروى هذه القصيدة لكعب ،
وبعضهم يروونها بأسرها لسهم الغنوي ، وهو من قومه وليس بأخيه ، وبعضهم
يروى شيئا منها لسهم .

وماؤه سماء^(١) كان غير حَمَمَةٍ^(٢) بَرِّيَّةٍ تَجْرِي عَلَيْهِ جَنُوبٌ^(٣)
ومنزلة في دارِ صَدِيقٍ^(٤) وَغَبِطَةٍ وما اِقْتَالَ في حُكْمٍ عَلَى طَيْبٍ^(٥)
وقال دُرَيْدُ بن الصَّمَّةِ :
رئيسُ حُرُوبٍ لا يَزَالُ رَيْبَةً مشيحٌ على مُحْقَوفِ الصَّلْبِ مُلْبِدٍ^(٦)
صَبُورٌ عَلَى رُزْءِ المِصَائِبِ حَافِظٌ مِنْ اليَوْمِ أَعْقَابَ الأَحَادِيثِ في غَدٍ
وهُونٌ وَجَدِي أني لم أَقُلْ لَهُ كَذَبْتَ ولم أَبْجَلْ بما مَلَكَتْ يَدِي

(قطع من البديع)

وقطعة من البديع قوله^(٧) :

إذا حَدَّأها صاحبي وَرَجَّعا وصاحَ في آثَارِها فأَسْمَعُ

- (١) ط : « وما وسماع » : س : « وما وسماع » وصوابه من ل ولسان العرب (قول) .
(٢) الجمة : مكان جوم الماء ، أى كثرته . والمجمة بالخاء : المكان تكثر فيه الحمى .
جاء في ط ، س : « بين مجمة » ، وأثبت ما في ل ، ولسان العرب (قول) .
(٣) ريح الجنوب معها الخير والمطر والتلقيح . انظر اللسان (جنب) . قال ابن الأعرابي :
الجنوب في كل موضع حارة إلا بنجد فإنها باردة . جاء في ط ، س : « بنى شربة »
مكان « برية » التى أثبتها من ل ، ولسان .
(٤) كذا في ط ، س : ولسان . وفي ل : « أمن » .
(٥) اقتال : تحكم . وجاءت هذه الكلمة في ل : « اقتال » وفي س : « افتاك »
وصواب تحريفهما من اللسان (قول) . وجاء في ط : « افتات » وهى صحيحة ،
في معنى : « اقتال » . وكلمة « فى » هى فى كل من س ، ل ولسان العرب :
« من » . وقد عني بالكلام أن أخاه لم يمرض فيحتاج إلى الطيب .
(٦) « محقوف » هى فى الأصل : « محرورف » وليس لهذه وجه . وقد سبق الكلام
فى هذه الأبيات وشرحها ص ٥٠ .
(٧) ط ، س : « قولهم » ، وأثبت ما في ل .

يَبْعُنُ^(١) مِنْهُنَّ جُلَالاً أَتْلَعَا^(٢) أَدْمَكَ فِي مَاءِ الْمَهَاوِي مُنْقَعًا^(٣)
وقال الراجزُ في البديع المحمود :

قد كنت إذ حبلُ صِباك مُدْمَشُ^(٤) وإذ أهاضيبُ الشبابِ تَبْغَشُ^(٥)
ومن هذا البديع المستحسن منه ، قولُ حُجْر بن خالد بن مرثد^(٦) :

سمعتُ بِفِعْلِ الفاعلين فلم أجدُ كَفِعْلِ أَبِي قابوسَ حَزْمًا وناثلاً^(٧)
يُسَاقُ الغمامُ الغُرُّ من كلِّ بلدةٍ إليك فأضحى حَوْلَ بيتِكَ نازلاً^(٨)

(١) في الأصل : « يتبعن » وهو ظاهر التحريف . وقد غنى بكلامه الإبل .

(٢) الجلال ، بالضم : العظيم . وجاء في ط ، س : « حلالا » مصحفة . والأتلع :
الطويل العنتق .

(٣) كذا جاء في البيت في ط ، ل . وفي س : « أرمك » وفي ل : « ماء المهاري » .

(٤) في اللسان : « أدمج الحبل : أجاد فثله . . . وقوله : إذ ذاك إذ حبل الوصال
مدمش ؛ إنما أراد : مدمج ، فأبدل الشين من الجيم لمكان الروى » . فروى
البيت برواية أخرى .

(٥) الأهضوبية : الدفعة من المطر ، تجمع على أهاضيب . وتبغش : تدفع ماها من
الماء . وقد كنى بقوله عن قوة الشباب ونعمته وريه . جاء في ط ، س : « تنش »
وصوابها من ل ، والبيان ٣ : ٣٣٤ .

(٦) هو حجر بن خالد بن محمود بن عمرو بن مرثد بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس
ابن ثعلبة ، شاعر جاهلي كان معاصرا لعمرو بن كلثوم . وكان أنشد شعرا بين يدي
النعمان بن المنذر ، فأحفظ عمرو بن كلثوم ، فلطمه عمرو في مجلس الملك ، ثم اقتص
منه حجر ، وأجار الملك حجرا . فقال حجر الأبيات الآتية يمدحه . انظر شرح التبريزي
للحماسة ٢ : ٣٩ والحماسة ٢ : ٢٩٤ و « مرثد » هي في ط ، س :
« مزيد » وتصحيحها من ل ، والحماسة وشرحها .

(٧) أبو قابوس : كنية النعمان ، و « حزما » هي كذلك في ط ، والحماسة . وفي ل :
« فعلا » .

(٨) في صدر هذا البيت روايات كثيرة . فيروى « فساق إلهي الغيث » ، و « فسيق إليه
للغيث » ، و « فساق الإله للغيث » ، و « فسيق التهام الغر » . وهي صورة تطلعك على
ماتفضل الرواية . وكل هذا دعاء له .

فأصبحَ منه كلُّ وادٍ حلَّتْه

وإن كان قد خَوَى^(١) المِراييعُ^(٢) سائلا

فإن أنتَ تهلكَ يَهلكِ الباعُ والنَّدا وتُضحى قلوبُ الحمدِ جِراءِ حائلا^(٣)

فلا ملكٌ ما يبلغنك سَعِيهٌ ولا سُوقَةٌ ما تَمُدَّحَنك باطلا^(٤)

١٨

باب

في صدق الظنِّ وجودة الفِراسة

قال أوس بن حجر :

[الألمعيُّ الذي يظنُّ بك الظنَّ كَأَنَّ قَدْرَأي وقد سمعا

وقال عمر بن الخطَّاب : « إنك لا تَتَنَفَّعُ بعقل الرَّجُلِ حتَّى تعرفَ

صدقَ فطنته » .

(١) خوى النجم : سقط ولم يمطر في نوائه ، وكان العرب يستدلون على المطر بالنجوم .

انظر تفصيل ذلك في الأزمنة والأمكنة للمرزوقي ٢ : ١٧٩ - ١٨٥ ، وبلوغ الأرب ٣ : ٢٢٩ - ٢٦١ . وفي الأصل « حوى » مصحفة .

(٢) المِراييع : النجوم التي يكون بها المطر في أول الأنواء . ط : « المِراييع » وتصحيحه من س ، ل . يقول : يسير الخير في ركابك ، فلو أنك نزلت في مكان محروم من نعمة الغيث ، أفضت عليه من الخير ما يفعمه .

(٣) الباع : الشرف والكرم . قال رؤبة :

* إذا السكرام ابتدروا الباع بدر *

والقلوص : الناقة الشابة الفتية . و « الحمد » هي في س : « الحب » محرفة وفي ل : « الحى » ، ولها وجه . وفي الحماسة : « الحرب » وهي رواية جيدة . والحائل من النوق : التي حل عليها فلم تلتجح .

(٤) للتبريزي كلام جيد في هذا البيت .

وقال أوس بن حجر [:

مليحٌ نجيحٌ أخو مازقٍ نِقَابٌ يُحَدِّثُ بِالْغَائِبِ (١)

وقال أبو الفضة ، قَاتِلٌ (٢) أَحْمَرُ بْنُ شَمِيْطٍ :

فَالَا يَأْتِيَكُمْ خَبْرٌ يَقِينٌ فَإِنَّ الظَّنَّ يَنْقُصُ أَوْ يَزِيدُ

وقيل لأبي الهذيل : إِنَّكَ إِذَا رَاوَعْتَ وَاعْتَلَلْتَ - وَأَنْتَ تَسْكُمُ النِّظَامَ

[وقت] - فَأَحْسِنُ حَالَتِكَ أَنْ يَشْكَّ النَّاسُ فِيكَ وَفِيهِ ! قَالَ : خَمْسُونَ شِكًّا

خَيْرٌ مِنْ يَقِينٍ وَاحِدٍ !!

وَقَالَ كَثِيرٌ فِي عَبْدِ الْمَلِكِ :

رَأَيْتُ أَبَا الْوَلِيدِ غَدَاةً جَمَعَ بِهِ شَيْبٌ وَمَا فَقَدَ الشَّبَابَ (٣)

فَقُلْتُ لَهُ ، وَلَا أَعْيَا جَوَابًا : إِذَا شَابَتْ لِدَاتُ الْمَرْءِ شَابَا

وَلَكِنْ تَحْتَ ذَلِكَ الشَّيْبِ حَزْمٌ إِذَا مَا قَالَ أَمْرَضَ أَوْ أَصَابَا (٤)

وَلَيْسَ فِي جَوْدَةِ الظَّنِّ بَيْتٌ شِعْرٌ أَحْسَنُ مِنْ بَيْتِ بُلْعَاءِ (٥) بْنِ قَيْسٍ :

(١) أخو مازق : أى هو حسن التخلص من المآزق . وروى : « أخو ماقط » .
والنقاب : الرجل العالم بالأشياء الفطن .

(٢) ط ، س : « أحمد » وصوابه في ل . وانظر ما كتبت في الشميطية ص ٢٦٨
من الجزء الثاني .

(٣) جمع ، بالفتح ، هو المزدلفة . وكلمة « وما » هى في ط ، س : « وما » ، تحريف
ما في ل ، واللسان (مادة مرض) . وفي البيان ٤ : ٦٧ : « وقد » وهى تحريف
يشوه المعنى ؛ إذ يريد أنه وإن فقد مظاهر الشباب فهو متمتع بأخص صفات الشباب .

(٤) أمرض : أى قارب الصواب في الرأى وإن لم يصب كل الصواب . وفي س :
« أغرض » ولا وجه له ، وصوابه في البيان واللسان . وكلمة : « قال » في البيت بمعنى
« ظن » وبهذه الأخيرة جاءت الرواية في البيان واللسان .

(٥) ط ، س : « لبلعا » وأثبت ما في ل . وبلعاء هذا كان رأس بنى كنانة في أكثر
حروبهم ومغازيهم ، وهو شاعر محسن ، وقد قال في كل فن أشعرا جريدا
المؤتلف ١٠٦ . مات بلعاء قبل يوم الحريرة ، وهو اليوم الخامس من أيام الفجار
الآخر . العقد ٣ : ٢٧٢ - ٢٧٣ .

وأبغى صَوَابَ الظَّنِّ أَعْلَمَ أَنَّهُ إِذَا طَاشَ ظَنُّ الْمَرْءِ طَاشَتْ مَقَادِرُهُ
وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ ﴾ .

وقال ابن أبي ربيعة في الظَّنِّ :

وَدَعَانِي إِلَى الرَّشَادِ فَوَادُّ كَانِ لِلغَىِّ مَرَّةً قَدْ دَعَانِي
ذَلِكَ دَهْرٌ لَوْ كُنْتُ فِيهِ قَرِينِي (١) غَيْرَ شَكِّ عَرَفْتُ لِي عِصْيَانِي
وَتَقَلَّبْتُ فِي الْفِرَاشِ وَلَا تَعَلَّمُ إِلَّا الظُّنُونِ أَيْنَ مَكَانِي

(من مختار الشعر)

وقال ابن أبي ربيعة في غير هذا الباب :

وَحِجْلٌ كُنْتُ عَيْنَ النَّصْحِ مِنْهُ إِذَا نَظَرْتُ وَمَسْتَمِعًا مَطِيعًا
أَطَافَ بَغِيَّةٍ (٢) فَنَهَيْتُ عَنْهَا وَقُلْتُ لَهُ أَرَى أَمْرًا شَنِيعًا
أَرَدْتُ رَشَادَهُ جَهْدِي ، فَلَمَّا أَبَى وَعَصَى أَتَيْنَاهَا جَمِيعًا
وَقَالَ مَعْقَرُ بْنُ حَمَارٍ الْبَارِقِيُّ (٣) :

(١) الرواية في الديوان ص ٦٦ : « قريبي » وهي رواية جيدة . وعصيان الأهل والأقارب في الحب ، مما أكثر الشعراء الكلام فيه .

(٢) ط : « بغية » والوجه ما أثبت من ل ، س . وإليها يعود الضمير في « عنها » .

(٣) معقر بن حمار البارق اسمه سفيان بن أوس بن حمار ، وهو شاعر جاهلي . سمى معقرا بقوله في قصيدة مشهورة :

لها ناهض في الوكر قد مهدت له كما مهدت للبعل لحساء عاقر

معجم المرزباني ٢٠٤ وخزانة البغدادي ٢ : ٢٩١ بولاق . وهو صاحب البيت المشهور (انظر المعجم ، وكذلك المؤلف ٩٢) :

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر

وفي ط ، س : « معبد بن حماد » وجاء على الصواب الذي أثبتته في ل .

الشَّعْرُ لِبُ الْمَرْءِ يَعْرِضُهُ وَالْقَوْلُ مِثْلُ مَوَاقِعِ النَّبْلِ
مِنْهَا الْمُقَصَّرُ عَنْ رَمِيَّتِهِ وَنَوَافِذُ يَذْهَبْنَ بِاتِّخَالِصٍ (١)

(أبياتٌ للمحدثين حسانٌ)

وأبياتٌ (٢) للمحدثين [حسان (٣)] ، قال العتّابي (٤) :

وَكَمْ نِعْمَةٍ آتَاكَهَا (٥) اللَّهُ جَزَلَةً مُبْرَأَةً مِنْ كُلِّ خُلُقٍ يَذِمُّهَا (٦)
فَسَلَطَتْ (٧) أَخْلَاقًا عَلَيْهَا ذَمِيمَةً تَعَاوَرْنَهَا حَتَّى تَفْرَى أَدِيمَهَا
وَلَوْعًا وَإِشْفَاقًا وَنَطْقًا مِنَ الْخَنَا بَعُورَاءَ يَجْرِي فِي الرِّجَالِ نَمِيمُهَا (٨)
وَكَنْتَ امْرَأً لَوْ شِئْتَ أَنْ تَبْلُغَ الْمَدَى (٩)

بَلَغْتَ بِأَدْنَى نِعْمَةٍ (١٠) تَسْتَدِيمُهَا

وَلَكِنْ فِطَامُ النَّفْسِ أَعْسَرَ مَحْمَلًا (١١) مِنَ الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ حِينَ تَرُومُهَا (١٢)

١٩

(١) الخصل ، بالفتح : الغلبة في النضال .

(٢) ل : « أبيات » .

(٣) الزيادة من س ، ل .

(٤) هو كلثوم بن عمرو العتّابي ، سبقت ترجمته في الجزء الثاني ص ٢٩٦ . وقد روى

الراغب البيهقي الأخيرين في محاضراته ١ : ١٣٣ ونسبهما إلى عمرو بن كلثوم

وصوابه ما ذكرت ، كما في البيان ١ : ١٢٠ .

(٥) ط ، س : « آتى بها » ، وأثبت ما في ل .

(٦) ذامه يذمّه : عابه .

(٧) ط : « فسلط » ، وأثبت ما في س ، ل .

(٨) التميم مثل التميمية . و « نطقًا » أى هو ينطق بالعوراء من الخنا .

(٩) رواية المحاضرات : « المتى » . ومؤداهما واحد .

(١٠) رواية المحاضرات : « غاية » .

(١١) كذا في ط ، س والبيان . وفي ل والمحاضرات : « أثقل » .

(١٢) س فقط : « يرومها » وليس بشيء .

وقال أيضاً :

وكنْتُ امرأً هَيَّابَةً تَسْتَفِزِّنِي رِضَاعِي بِأَدْنَى ضَجْعَةٍ أُسْتَلِينُهَا (١)
أُوَافِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهَمَّةٍ تَوَقَّلُ (٢) فِي نَيْلِ الْمَعَالَى فَنُوتُهَا
رَعَى أُمَّةَ الْإِسْلَامِ فَهُوَ إِمَامُهَا وَأَدَّى إِلَيْهَا الْحَقَّ فَهُوَ أَمِينُهَا
وَيَسْتَنْتِجُ الْعَقْمَاءَ (٣) حَتَّى كَانَمَا تَغْلُغَلُ فِي حَيْثُ اسْتَقَرَّ جَنِينُهَا
وَمَا كَلَّ مَوْصُوفٍ لَهُ الْحَقُّ يَهْتَدِي وَلَا كَلَّ مَنْ أَمَّ الصَّوْمَى يَسْتَبِينُهَا (٤)
مُقِيمٌ بِمُسْتَنْ الْعُلَا ، حَيْثُ تَلْتَقِي طَوَارِفُ أَبْكَارِ الْخُطُوبِ وَعُوتُهَا (٥)

وقال الحسن بن هاني :

قُولَا لَهَارُونَ إِمَامَ الْهُدَى عِنْدَ احْتِفَالِ الْجَلِيسِ الْحَاشِدِ
نَصِيحَةُ الْفَضْلِ (٦) وَإِشْفَاقُهُ أَخْلَى لَهُ وَجْهَكَ مِنْ حَاسِدِ
بِصَادِقِ الطَّاعَةِ دِيَانِهَا وَوَاحِدِ الْغَائِبِ وَالشَّاهِدِ (٧)

(١) ط ، س : « تستلينها » .

(٢) توقل : تنوقل ، بمعنى تصعد . وهذه رواية ل . وفي ط ، س : « ثوغل » .

(٣) يستنتج العقماء : يجعلها تلد . وهذا كناية عن قدرته على التغلب على المصاعب .
في ط ، س : « العتقاء » وهي ذلك الطائر الخيالي الذي لا وجود له ، وبها يصح
المعنى أيضا . أي هو يقدر أن يحصل على ما لا يناله غيره .

(٤) ط ، س : « وماكل » ، وهي على الصواب في ل . أم : قصد . والصوى : جمع
صوة بالضم : وهي حجر يكون علامة في الطريق .

(٥) المستن : مكان الاستنان ، وهو سرعة العدو . والطوارف : الحديثات ،
وفي ط : « طوارق » . والعون : جمع عوان ، وهي التي ولدت بعد بطها البكر .

(٦) هو الفضل بن يحيى البرمكي . وأراد أبو نواس استعطاف الرشيد على الفضل .

(٧) يقول : هو مخلص لك في حضرتك وفي غيبتك .

أنتَ على ما بكِ مِنْ قُدْرَةٍ ما أنتَ مِثْلَ الفَضْلِ بالوَاجِدِ
أوحده (١) اللهُ فما مثله لَطالِبِ ذاكَ ولا نأشِدُ
وليس على الله بمستنكر (٢) أن يَجْمَعَ العالمَ في واحدٍ
وقال عدى بن الرِّقاعِ العاملي :

وقصيدة قد بتُّ أجمعَ بينها حتى أقومَ مِيلها وسنادها
نظرَ المثقف في كُيوبِ قناتِهِ حتى يُقيمَ ثِقافُهُ مُنادها (٣)
وعلمتُ حتى لستُ أسألُ عالِماً عن حَرْفٍ واحدةٍ لَكِ أزدادها (٤)
صلى الإلهُ على امرئٍ ودعته وأتمَّ نِعْمتهُ عليه وزادها

(شعر لبنى عدى بن الرقاع)

قال : واجتمع ناسٌ من الشعراءِ ببابِ عدى بن الرقاعِ يُريدون
مُمانتتهُ ومُسالجتهُ ، فخرَجَت إليهمُ بِنْتُ له صغيرة ، فقالت :
تجمَعهمُ من كُلِّ أوبٍ ومَنزِلٍ على واحدٍ لازلتمُ قِرْنَ واحدٍ (٥)

(١) هكذا الرواية الجيدة : « أوحده » أى جملة واحداً . وهى رواية الديوان ٨٧ وعيون الأخبار ١ : ٢٢٧ . وفى الأصل : « أوجده » وليس بشيء .
(٢) كذا فى ط ، ل . وفيه الخزم . والرواية فى س والديوان وعيون الأخبار : « وليس لله بمستنكر » .
(٣) الثقافة ، بالكسر : ماتسوى به الرماح . والمناذ : المعوج . وفى الأصل : « منادها » وهى على الصواب الذى أثبت فى الموشح ص ١٣ .
(٤) قال فى الموشح ١٩٠ قال أبو جعفر المنجم : كتبت أحب أن أرى شاعرين فأؤدب أحدهما ، وهو عدى بن الرقاع ، لقوله :
وعلمت حتى ما أسائل واحداً عن علم واحدة لكى أزدادها
ثم أسائله عن جميع العلوم فإذا لم يجب أدبته ! وأقبل رأس الآخر - وهو زيادة بن زيد - لقوله :
إذا ما انتهى علمى تناهيت عنده أطال فأعلى أم تناهى فقصرها
(٥) « ومنزل » هكذا جاءت الرواية أيضاً فى الشعراء ١٤٥ . وروى فى الصناعيتين =

(شعر لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت وهو صغير)

وقال عبدُ الرحمنُ بنُ حسانِ الأنصاري ، وهو صغير^(١) :
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ مُشْتَغِلًا فِي دَارِ حَسَّانَ أَصْطَادُ الْيَعَاسِيَا^(٢)
وقال لأبيه وهو صبيٌّ - ورجع إليه وهو يبكي ويقول : لسغى طائر!
قال : فصفه لي يا بنيَّ ! قال كأنه ثوبٌ حَبْرَةٌ^(٣) ! قال حسان : قال ابني
الشَّعْرَ وَرَبَّ الكَعْبَةَ !
وكان الذي لسعه زنبورًا .

-
- = ٣٥٩ ، وذيل الأماك ٧٠ : « وبلدة » . وفي الكامل ١٤٩ لبيسك وشرح المقامات
للشريشي ٢ : ٣٠١ « ووجهة » . وزاد الثعالبي في الخبر : « فاستحيوا ورجعوا »
وابن قتيبة : « فانصرفوا عنه ولم يهاجوه » . والشريشي : « فأفحمتهم ورجعوا
بأخزى حالة » .
(١) ل : « صغير » . والخبر هنا مقتضب . جاء في الكامل ١٤٩ لبيسك : « ويروى
أن معلمه عاقب الصبيان على ذنب وأراده بالعقوبة ، فقال : الله يعلم . . . الخ .
(٢) اليعسوب : أمير النحل .
(٣) الرواية في الكامل ١٤٩ لبيسك : « كأنه ملتف في بردى حبرة » . والخبرة ،
بالتحريك ، أو كمنية : ضرب من برود اليمن .
(٤) كذا في ل ، وفي ط ، س : « زنبور » بالرفع . وهي صحيحة في العربية ،
على تقدير ضمير الشأن . وبتلك اللفظة جاء قول العجيز :
إذا مات كان الناس صنفان شامت وآخر من بالذي كنت أصنع
انظر سيويه ١ : ٣٦ بولاق ، وشرح المفصل ٣ : ١١٦ س ٥ .

(شعر سهل بن هارون وهو صغير)

وقال سهلُ بن هارون ، وهو يختلف إلى الكُتَّابِ لجارٍ لهم :
نُبِّيتُ بِغَلِّكَ مَبْطُونًا فقلَّتْ له فهل تَمَّائِلُ أو نَأْتِيهِ عُوَادًا (١)

٢٠

(شعر طرفة وهو صغير)

وقال طرفة وهو [صبيٌّ] صغير :
يا لَكَ مِنْ قُبْرَةٍ بِمَعْمَرٍ خَلَا لَكَ الْجَوْ فَبِيضِي وَاصْفَرِي (٢)
وقال بعض الشعراء (٣) :
إِذَا مَاتَ مَيْتٌ مِنْ تَمِيمٍ فَسَرَّكَ أَنْ يَعْيشَ فَجِيٌّ بَزَادٍ

(١) ط : « نبت يفلك » س : « نبتت بفلك » ل : « نبيت نعلك » وصوابه ما أثبت من كتاب البغال . و المبطون : الذي يشتكي بطنه . و « فقلت » هي في ل : « فرغت » وفي البغال : « فرغت » . و تماثل : دنا من الشفاء . ط ، س : « أو يأتيه عواد » . وانظر قصة البيت واضحة في كتاب البغال ٣٠٣ - ٣٠٤ .

(٢) روى الديرى سبب هذا فذكر « أنه كان مع عمه في سفر ، وهو ابن سبع سنين فنزلوا على ماء فذهب طرفة بفخ له فنصبه للقنابر ، وبقى عامة يومه لم يصد شيئاً ، ثم حمل فخه وعاد إلى عمه ، فتحملوا ورحلوا من ذلك المكان ، فرأى القنابر يلقطن مانثر لمن من الحب فقال ذلك » . والرجز ستة أشطار عند الديرى واللسان (قبر) .
وقال ابن برى : هو لسكليب بن ربيعة . وانظر الشعراء ١٤٠ .

(٣) هو يزيد بن الصمق الكلابي كما في معجم المرزباني ٤٩٤ وكتايبات الجرجاني ٧٣ والاعتضاب ٢٨٨ . أو أبو مهوش الفقعسي كما في حواشي الكامل ٩٨ لبيسك . وللأبيات خبر فيما عدا الأول ، وكذا في العقد ٢ : ١٠ وأمثال الميداني ١ : ١٧١ وأدب الكاتب ١٢ والخزانة ٣ : ١٤٢ وأخبار الطراف ٢٤ . ورواها الجاحظ في البيان ١ : ١٩٠ .

نَجْبِرُ أَوْ بِلَحْمٍ أَوْ بِسَمْنٍ أَوْ الشَّيْءِ الْمَلْفَفِ فِي الْبِجَادِ (١)
رَاهِ يَطُوفُ بِالْآفَاقِ (٢) حِرْصاً لِيَأْكُلَ رَأْسَ لُقْمَانَ بْنِ عَادٍ (٣)
وقال الأصمعيّ : الشَّيْءِ الْمَلْفَفِ فِي الْبِجَادِ : الوَطْبُ (٤) :
وقال أعرابيٌّ :

أَلَا بَكَرَتْ تَلْحَى قَتِيلَةً بَعْدَمَا بَدَأَ فِي سَوَادِ الرَّأْسِ أَيْضُ وَاضِحٌ
لِتُدْرِكَ بِالْإِمْسَاكِ وَالْمَنْعِ ثَرْوَةً مِنْ الْمَالِ أَفْتَتَهَا السَّنُونَ الْجَوَائِحُ
فَقُلْتُ لَهَا : لَا تَعْدُلِينِي فَإِنَّمَا بِذِكْرِ النَّدَى تَبْكِي عَلَى النَّوَائِحِ (٥)

(أشعار في معانٍ مختلفة)

وقال بشارٌ أبياتاً تجوز في المذاكرة (٦) ، في باب (٧) [المنى ، وفي باب]
الحزم ، وفي باب المشورة . وناسٌ [يجعلونها للجعجاع الأزديّ ، وناسٌ]
يجعلونها لغيره ، وهي قوله :

-
- (١) البجَاد : الكساء ، وزنا ومعنى .
 - (٢) روى : « يطوف الآفاق » كما في س .
 - (٣) الثعالبي في ثمار القلوب ٢٥٧ : « العرب كما تصف لقمان بن عاد بالقوة وطول العمر كذلك تصف رأسه بالعظم ، وتضرب به المثل » وأنشد البيت . ومثل هذا الكلام لابن السيد في الاقتضاب ٤٩ . وزاد : « كما يقال لمن يزهي بما فعل ، ويفخر بما أدركه : كأنه قد جاء برأس شخاقان ! » .
 - (٤) في اللسان : « الملفف في البجَاد : وطب اللبن ، يلف فيه ليحمي ويدرك » .
 - (٥) س : « تبكي عليك » ، وما هنا أجود .
 - (٦) ل : « من المذاكرة » ، محرفة .
 - (٧) ط ، س : « وفي باب » ، وأثبت ما في ل .

إِذَا بَلَغَ الرَّأْيُ الْمَشُورَةَ فَاسْتَعِنُ بِرَأْيِ نَصِيحٍ أَوْ نَصِيحَةٍ (١) حَازِمٌ
 وَلَا تَحْسَبِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاظَةً مَكَانَ الْخَوَافِي رَافِدٌ لِلْقَوَادِمِ (٢)
 ٢١ وَأَذِنَ مِنَ الْقُرْبَى الْمُقَرَّبَ نَفْسَهُ وَلَا تُشْهِدِ الشُّورَى أَمْرًا غَيْرَ كَاتِمٍ
 وَمَا خَيْرٌ كَفًّا أَمْسَكَ الْغُلُّ أُنْخَتَهَا وَمَا خَيْرٌ نَصْلٍ لَمْ يُؤَيِّدْ بِقَائِمٍ (٣)
 فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِرِدُ الْهَمَّ بِالْمَنَى وَلَا تَبْلُغُ الْعَلِيَا بِغَيْرِ الْمَكَارِمِ
 وقال بعض الأنصار (٤) :

وَبَعْضُ خَلَائِقِ الْأَقْوَامِ دَاءٌ كَدَاءِ الشَّيْخِ لَيْسَ (٥) لَهُ شِفَاءٌ
 وَبَعْضُ الْقَوْلِ لَيْسَ لَهُ عِنَاجٌ (٦) كَمَخْضِ الْمَاءِ لَيْسَ لَهُ إِتَاءٌ (٧)
 وقال تَابِطُ شَرًّا - إِنْ كَانَ قَالَهَا (٨) - :

- (١) ل والبيان (٤ : ٤٩) : « نصيحة » وهي صحيحة ، يقال نصحه نصحاً ، بالضم ، ونصاحته ، ونصاحية . والاسم النصيحة .
 (٢) مر الكلام في ريش الطائر بالجزء الثاني ص ٣٥٥ . رافد : معين . وفي س ، ط : « راية » ولم أجد لها وجهاً ، ويرى : « فإن الخوافي قوة » . وفي كنيات الجرجاني ٦٠ : « فريش الخوافي » .
 (٣) النصل هنا : حديدة السيف . والقائم : مقبضه . في ل ، « وما خير سيف » وأثبت ما في ط ، س .
 (٤) للشعر في البيان (٣ : ١٨٦) منسوب إلى الربيع بن أبي الحقيق .
 (٥) هذه الكلمة ساقطة من ط . والرواية في ل : « كداء البطن ليس له دواء » .
 (٦) أصل العنّاج للدلو ، وهو خيط أو سير يشد في أسفلها ثم يشد في عروتها . وهذه رواية ل واللسان . وفي ط : « عماد » . والبيت ساقط من س .
 (٧) المخض : أصله اللبن ، وهو تحريكه لاستخراج الزبد . والإتاء ، بالكسر : الزبد .
 (٨) بعد هذه الكلمة في ل عبارة مقحمة على الكتاب لاجرم ، وهذا نصها : « قال النمرى : وما يدل على أنه مولد قوله :

شامسٌ في القُرِّ حتَّى إذا ما ذَكَتِ الشُّعْرَى فَبَرَدٌ وَظِلٌّ (١)
 وَلَهُ طَعْمَانٍ : أَرَى وَشَرَى وَكَلا الطَّعْمَيْنِ قَدْ ذَاقَ كُلُّهُ (٢)
 مُسْبِلٌ فِي الْحَى أَحْوَى رِفْلٌ وَإِذَا يَغْدُو فَسِمْعٌ أَزَلُّ (٣)
 وَوَرَاءَ الثَّأرِ مِنْهُ ابْنُ أُخْتِ مَصِيعٌ عُقَدَتُهُ مَا يُحَلُّ (٤)
 مُطْرَقٌ يَرشَحُ سَمًا ، كَمَا أَطْرَقَ أَفْعَى يَنْفُثُ السَّمَّ صِلُّ
 خَبْرٌ مَا نَابَنَا مُصْمِئِلٌ جَلَّ حَيٌّ دَقَّ فِيهِ الْأَجَلُّ (٥)

- = فإن الأعرابي لا يكاد يتغلغل إلى مثل هذا . وقال أبو الندى : مما يدل على أن هذا الشعر مولد أنه ذكر فيه سلعاً . أما النمرى هذا فهو أحد شراح الحماسة ، بل هو أول شارح لها كما في خزانة الأدب (٣ : ٣٣٢ ، ٥٤١ بولاق) وهو ينتقل في شرحه عن كتاب المعاني لأحمد بن حاتم الباهلي ، وهذا توفي سنة ٢٣١ . وأما أبو الندى فهو محمد بن أحمد الغندجاني ، يروى عنه الحسن بن أحمد أبو محمد الأعرابي الذي قرئت عليه بعض تصانيفه سنة ثمان وعشرين وأربعمائة . وللحسن رد على النمرى في شرحه للحماسة نقل عنه البيهقي في خزانة كثيرأ . وهذه الزيادة تجدها في شرح التبريزي للحماسة (٢ : ١٦٠ - ١٦١) مع بسط وتفصيل .
- (١) شامس في القُر : يعني أن من لجأ إليه في القُر وجده كالشمس التي تدق . والشعري : كوكب يظهر في شدة الحر .
- (٢) الأرى : العسل . والشرى : الحنظل .
- (٣) مسبل في الحى : أى هو في حال السلم ممن يسبلون ثيابهم لما هم فيه من نعمة . والرفل : الكثير اللحم . ويغدو : أى في حال الحرب . والسمع : ولد الذئب من الضبع . والأزل : القليل لحم العجز والفخذين .
- (٤) ل : « ووراء الثأر منى » وهى رواية الحماسة . والمعنى يصح بكليهما إن حمل الضمير في « منى » على التجريد . والمصع : الشديد المقاتلة .
- (٥) المصمئل : الشديد . وفي ل : « خبر ماجانا » .

كُلُّ مَاضٍ قَدْ تَرَدَّى بِمَاضٍ كَسْنَا الْبَرْقِ إِذَا مَا يُسَلُّ (١)

فَاسْقِنِيهَا (٢) يَا سَوَادَ بْنَ عَمْرٍو إِنَّ جِسْمِي بَعْدَ خَالِي نَحْلٌ (٣)

وقال سلامة بن جندل (٤) :

سَأَجْزِيكَ بِالْوُدِّ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا أَصْغَعُ إِنِّي سَوْفَ أَجْزِيكَ صَعَصَعَا

سَأُهِدِي وَإِنْ كُنَّا بَتَثْلِيثَ مِدْحَةٍ إِلَيْكَ وَإِنْ حَلَّتْ بِيُوتِكَ لَعَلْعَا (٥)

فَإِنْ يَكُ مُحَمَّدًا أَبُوكَ فَإِنَّا وَجَدْنَاكَ مُحَمَّدًا الْخَلَاتِقِ أُرُوعَا

فَإِنْ شِئْتَ أَهْدِينَا ثَنَاءً وَمِدْحَةً (٦) وَإِنْ شِئْتَ أَهْدِينَا لَكُمْ مِائَةَ مَعَا (٧)

فقال صعصعة بن محمود بن (٨) بشر (٩) بن عمرو بن مرثد : الثناء والمدحة (١٠)

(١) قبل هذا البيت في الحماسة بيتان يتوقف معناه عليهما . وهما :

يركب الهول وحيداً ولا يصحبه إلا اليماني الأفل

وفتو هجروا ثم أسروا ليلهم حتى إذا انجبا حلوا

أراد بالماضي الأول الرجل الشديد، والثاني السيف القاطع . تردى بالسيف : تقلده بحمائه .

(٢) س : « سقنيها » . ويريد الخمر .

(٣) النحل : المهزول . وفي ل : « بعد حال » مصحفة .

(٤) قال سلامة الأبيات الآتية ، وبعث بها إلى صعصعة بن محمود . (البيان ٣ : ٣١٨) .

(٥) كذا الرواية في ل ، والبيان . وفي ط : « سأهدي بتثليث إليك هدية توافيك لو » .

وفي س مثل ط مع إبدال « مدحة » بكلمة « مذمة » و « توافيك » بكلمة « قوافيك » .

(٦) كذا الرواية في ل والبيان . وفي ط ، س : « أهدينا إليك ثناءنا » .

(٧) عنى بالمائة مائة من الإبل تسكون فدية لأخيه أحمربن جندل ، الأسير .

(٨) ل : « من » .

(٩) س : « بشير » . وفي البيان : « صعصعة بن محمود بن عمرو بن مرثد » .

(١٠) كذا في ل والبيان . وفي ط ، س : « الثناء والحمد والمدح » .

أحبُّ إلينا . وكان أحمر^(١) بن جندل أسيراً في يده ، فخلَّى سبيلَه من غير فداء .

وقال أوسُ بن حَجْر ، في هذا الشَّكل من الشُّعر - وهو يقع في باب

الشُّكر والحمد - :

لَعَمْرُكَ مَا مَلَّتْ ثَوَاءً ثَوِيَّهَا حَلِيمَةٌ إِذْ أَلْقَى مِرَاسِيَّ مَقْعَدِ^(١)
 وَلَكِنْ تَلَقَّتْ بِالْيَدَيْنِ ضَمَانِي وَحَلَّ بِفَلَجٍ فَالْقِنَافِذِ عُوْدِي^(٣) ٢٢
 وَفَدَّ غَبْرَتِ شَهْرِي رَبِيعٍ كَلَيْهِمَا بِحَمْلِ الْبَلَايَا وَالْحِبَاءِ الْمَمْدَدِ^(٤)
 وَلَمْ تُلْهَمَهَا تِلْكَ التَّكَالِيفُ ؛ إِنَّهَا كَمَا شِئْتَ مِنْ أُكْرُومَةٍ وَتَخْرُدِ^(٥)
 سَاجِرِيكَ أَوْ يَجْزِيكَ عَنِّي مَثُوبٌ^(٦) وَحَسْبُكَ أَنْ يُشْنَى عَلَيْكَ وَحُمْدِي^(٧)

(١) كذا في ل والبيان . وفي ط ، س : « أحمد » .

(٢) يقال ألقى مراسيه : أى استقر ، ومثله ألقى عصاه . وكلمة « مقعد » هى في ط ، س : « ومقعد » ، صوابه في ل ، ويعنى بالمقعد نفسه . وانظر الديوان ه والبيان (٣ : ٣١٩) .

(٣) فلج والقنافظ : موضعان . والنود : جمع عائد الذى يزور المريض . قالوا : وكان أوس قد جالت به ناقته في سفر فصرعته فاندقت فخذه ، فأواه فضالة بن كعدة ، وكانت حليلة بنت فضالة تعنى به في أثناء مرضه . (الأغاني ١٠ : ٧) .

(٤) ط ، س : « عبرت » ، وهى رواية الديوان ومؤداهما واحد . والبلايا : جمع بلية .

(٥) التخرد من قولهم خريدة ، وهى الحية الطويلة السكوت الخافضة الصوت الخفرة المتسترة ، قد جاوزت الإعصار ولم تعنس . و « تخرد » هى رواية ل والديوان والبيان واللسان (مادة خرد) . وفي ط : « تخودى » بالواو ، والياء في آخرها زيادة ناسخ . وفي س : « تجرد » .

(٦) المثوب : المثيب . وفي التنزيل العزيز : « هل ثوب الكفار » . وما أثبت هو رواية ل والديوان والأغاني . وفي ط ، س والبيان : « سنجزيك أو يجزيك عنا » .

(٧) ط ، س « وتحمد » وهو خطأ إملائي .

وقال أبو يعقوب الأعور :

فلم أجزه إلا المودّة جاهداً وحسبك مني أن أودّ وأجهداً^(١)

(من شعر الإيجاز)

وأبيات^(٢) تضاف إلى الإيجاز وحذف الفصول . قال بعضهم ووصف

كلاباً في حال شدّها وعدّوها ، وفي سرعة رفع قوائمها ووضعها - فقال :

* كأنما ترفع ما لم يوضع^(٣) *

ووصف آخر ناقةً بالنشاط والقوة فقال :

* [خرقاء]^(٤) إلا أنها صناع *

وقال الآخر :

* الليل أخفى والنهار أفضح^(٥) *

ووصف الآخر قوساً^(٦) فقال :

* في كفه معطيّة منوع *

(١) أي وأجهد في الود . وفي ط ، س : « وأحدا » .

(٢) ط ، س « وأشياء » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٣) انظر ما كتب عن هذا البيت في الجزء الثاني ص ٣٥ .

(٤) زيادة هذه الكلمة من ل والعمدة (١ : ١٦٨) والبيان (١ : ١٥٠ و ٣ : ٧٢) .

(٥) قبله في البيان (١ : ١٥٠) :

* إنك يا ابن جعفر لاتفطح *

(٦) في الأصل : « فرسا » وهو تحريف ، تجد صوابه في البيان (١ : ١٥٠) وديوان

المعاني (٢ : ٥٩) ، وقد نسب البيت فيهما إلى العكلى ، وهو أبو حزام .

وقال الآخر (١) :

وَمَهْمَهٍ فِيهِ السَّرَابُ يَسْبَحُ [كَأَنَّمَا دَلِيلُهُ مَطْوَحٌ] (٢)
يَدَّابُ فِيهِ الْقَوْمُ حَتَّى يَطْلُحُوا كَأَنَّمَا بَاتُوا بِحَيْثُ أَصْبَحُوا

ومثل هذا (٣) البيت الأخير (٤) [قوله] :

وَكَأَنَّمَا بَدْرٌ وَصَيْلٌ كَثِيفَةٌ (٥) وَكَأَنَّمَا مِنْ عَاقِلٍ أَرْمَامٌ
ومثله (٦) :

تَجَاوَزْتُ حُمْرَانَ فِي لَيْلَةٍ وَقُلْتُ قُسَّاسٌ مِنَ الْحَرَمَلِ (٧)
ومن الباب الأول قوله :

عَادَنِي الْمَهْمُ فَاعْتَلَجْتُ كُلُّهُ هَمٌّ إِلَى فَرَجٍ
وهذا الشعر لـ جعيفران الموسوس (٨) .

وقال الآخر (٩) :

-
- (١) هو مسعود أخو ذي الرمة ، كما في ديوان المعاني (٢ : ١٢٨) .
(٢) زيادة هذا البيت من ل ، وهو في أصله متأخر عن البيت الذي بعده ، والوجه تقديمه عليه .
(٣) ل : « ومن شكل » .
(٤) ط : « الآخر » وأثبت ما في س ، ل .
(٥) كثيفة : اسم جبل . وفي س : « كثيفة » . وفي ل : « كثيفة » وهو تحريف ما أثبت من ط .
(٦) ط ، س : « ومنه قول الآخر » . وصاحب الشعر هو أوفى بن مطر الخزازي ، كما في ذيل أمالي القائل ٩١ . والبيت من سبعة أبيات لها قصة في ذيل الأمالي .
(٧) في ذيل الأمالي : « تجاوزت ماوان » .
(٨) ل : « لجعفر الموسوس » وصوابه في ط ، س . وهو جعيفران بن علي بن أصفر ابن السري ، أبوه من أبناء الجند الخراسانية . ولد جعيفران ونشأ ببغداد ، وكان أدبياً شاعراً ، تغلب عليه السوداء حيناً ، فإذا أفانق قال جيد الشعر . الأغاني (١٨ : ٦١) . وللبيت السابق خبر في الأغاني (١٨ : ٦٢) .
(٩) صاحب الشعر جرير ، كما في نهاية أمالي المرتضى (٤ : ٢٠٢) .

لم أفض من صحبة زيد أربي فتى إذا نبهته^(١) لم يغضب
أبيض بسام وإن لم يعجب ولا يرضن^(٢) بالمتاع المحقب
موكل النفس بحفظ الغيب أقصى رفيقيه له كالأقرب
وقال دكين^(٣) :

وقد تعالت^(٤) ذميل العنس بالسوط في ديمومة كالترس
* إذ عرج الليل بروج الشمس^(٥) *

وقال دكين أيضاً :

بموطن ينيط فيه المحتسى^(٦) بالمشرفيات نطاف الأنفس^(٧)

٢٣

(١) هذه الرواية موافقة لما في عيون الأخبار (٣ : ٢٣) .

(٢) س : « يطن » ولعل صواب هذه « يظن » بالبناء للمفعول : أى يتهم .

(٣) هو دكين بن رجاء الفقيمي ، وكان ممن أجازاه عمر بن عبد العزيز - وعمر الضنين بإجازة الشعراء - أجازاه وهو والى المدينة ، كما أجازاه وهو خليفة . الشعراء لابن قتيبة . والرجز يروى فى المؤلف ١٠٤ منسوباً إلى منظور بن حبة الأسدى .

(٤) كذا فى الأصل والبيان (٣ : ٣٣٤) ، وصواب الرواية : « تعالت » كما فى المؤلف ١٠٤ وزهر الآداب (٢ : ١٠٥) واللسان مادة (علل) . يقال : تعالت الناقة : إذا استخرجت ماعنها من السير . والذميل : ضرب من سير الإبل .

(٥) فى البيان والمؤلف : « بروج الشمس » . وعرج الليل : حبسه . والبروج : الظهور .

(٦) س : « الخنس » وهو تحريف . وينيط : يعلق .

(٧) المشرفيات : السيوف منسوبة إلى مشارف الشام . والنطاف : جمع نطفة ، وهى قليل الماء يبقى فى دلو أو قربة . وتعليق النطاف فى المشرفيات عبارة عن شدة الحرص على الماء ، وذلك يكون فى المهامه الجديدة . وفى ط ، س : « لطاف » ، وهو تحريف مأثب من ل .

وقال الراجز :

طَالَ عَلَيْهِنَّ تَكَالِيفَ السَّرَى وَالنَّصَّ فِي حِينِ الْمَهِجِرِ وَالضُّحَى
حَتَّى عُبَاهُنَّ فَمَا تَحْتَ الْعُجْبَى (١) رَوَاعِفٌ يَخْضِبْنَ مُبَيَّضَ الْحَصَى (٢)
وفي هذه الأرجوزة يقول :

* وَضَحِكَ الْمَزْنَ بِهَا ثُمَّ بَكَى (٣) *

ومن الإيجاز المحذوف قولُ الراجز ، ووصف سهمه حين رمى غيراً
كيف [نَفَذَ سَهْمَهُ ، وكيف] صرّعه ، وهو قوله (٤) :

* حَتَّى نَجَا مِنْ جَوْفِهِ وَمَا نَجَا (٥) *

(شعر في الاتعاض والزهد)

ومما يجوز في باب الاتعاض قولُ المرأةُ وهي تطوفُ بالبيت :

أَنْتِ وَهَبْتَ الْفِتْيَةَ السَّلَاحِبَ (٦) وَهَجَمَةً يَحَارُ فِيهَا الطَّالِبُ (٧)

(١) العجى ، واحدها العجاية والمجاورة بضم العين في كليهما ، وهى عصب مركب فيه فصوص من عظام كأمثال فصوص الخاتم ، تكون عند رسغ الدابة . والرجز في البيان ٣ : ٣٣٥ .

(٢) رواعف : يسيل منها الدم .

(٣) ط ، س : « البرق » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٤) ط ، س : « يقول » وتصحيحه من ل .

(٥) الشعر في وصف سهم رام أصاب حماراً . انظر البيان ١ : ١٥٠ . يقول :
نجا السهم من جوف الحمار وما نجا الحمار . أو نجا الحمار - من التجو - وما نجا
من الهلاك .

(٦) وهبم السلاهب : أى الخيل الطويلة .

(٧) الهجمة : عدد عظيم من الإبل . وانظر البيان ٣ : ١٩٤ .

وَعِنَّمَا مِثْلَ الْجَرَادِ السَّارِبِ مَتَاعَ أَيَّامٍ وَكُلُّ ذَاهِبٌ
[ومثله قولُ المسعودي :

أَخْلِفَ وَأَنْطَفَ ، كُلُّ شَيْءٍ زِعْزَعْتُهُ الرِّيحُ ذَاهِبٌ ^(١)]
وقال القُدار ^(٢) ، وكان سيِّدَ عَنزَةٍ فِي الجَاهِلِيَّةِ :

أَهْلَكْتَ مُهْرِي فِي الرَّهَانِ لِحَاجَةٍ وَمِنَ اللَّجَاجَةِ مَا يُضِرُّ وَيَنْفَعُ

[قال : وسمعت عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر ينشد - وكان فصيحاً :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْفَعِ فَضْرًا فَإِنَّمَا يُرَجَّى الْفَتَى كَمَا يُضِرُّ وَيَنْفَعُ]

وقال الأخطل :

شُمْسُ الْعَدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَفَادَ لَهُمْ وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَرُوا

وقال حارثة بن بدر :

طَرِبْتُ بِفَانُورٍ ^(٣) وَمَا كَدْتُ أَطْرِبُ ^(٤) سَفَاهًا وَقَدْ جَرَّبْتُ فِيمَنْ يَجْرِبُ

وَجَرَّبْتُ مَاذَا الْعَيْشُ إِلَّا تَعَلَّةٌ وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مَنْجَنُونَ يَقْلَبُ ^(٥)

وَمَا الْيَوْمُ إِلَّا مِثْلُ أَمْسِ الَّذِي مَضَى وَمِثْلُ غَدِ الْجَائِي وَكُلُّ سَيْذَهْبٍ ^(٦)

(١) فِي اللِّسَانِ : أَخْلَفَ فُلَانٌ لِنَفْسِهِ : إِذَا كَانَ قَدْ ذَهَبَ لَهُ شَيْءٌ فَجَعَلَ مَكَانَهُ آخَرَ

وَأَمَّا « أَنْطَفَ » فَلَمْ أَهْتَدِ إِلَى وَجْهِهَا ، وَهِيَ فِي الْبَيَانِ ٣ : ١٩٤ ، ٢٥٢

و ٤ : ٦٩ : « أَتْلَفَ » .

(٢) ط ، س : « الْفَرَارُ » وَأَثْبَتَ مَا فِي ل .

(٣) فَانُورٌ : اسْمُ مَوْضِعٍ ، أَوْ وَادٍ بِبِلَادِ نَجْدٍ . فِي ط : « بَفَانُورٍ » وَصَوَابُهُ فِي س ، ل .

(٤) ل : « تَطْرِبُ » .

(٥) فِي شَرْحِ شَوَاهِدِ الْمَعْنَى السِّيَوطِي ٧٩ : « الْمَنْجَنُونَ يَفْتَحُ الْمِيمُ : « الدُّوَلَابُ الَّذِي

يَسْتَقِي عَلَيْهِ . وَجَمْعُهُ مَنْجَجِينَ وَهُوَ مُؤَنَّثٌ » . فَالْوَجْهُ : « تَقْلَبُ » . وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْقَائِلِ :

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مَنْجُونًا بِأَهْلِهِ وَمَا صَاحِبُ الْحَاجَاتِ إِلَّا مَعْدِبًا

(٦) مَنَعَ تَنْوِينٍ : « غَدٌ » لِضَرُورَةِ الشُّعْرِ . وَرَبَّمَا كَانَتِ الرَّوَايَةُ : « أَمْسَى » وَ « غَدَى »

بِالإِضَافَةِ إِلَى يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ .

وقال حارثة بن بدر الغداني^(١) أيضاً :

إذا ألهم أمسى وهو داء فآلقه ولست بممضيه وأنت تعادله^(٢)
فلا تنزلن أمر الشديدة بامرئ إذا رام أمراً عوقته عواذله
وقل للفلواد إن نزا بك نزوة
من الرّوع أفرخ أكثر الرّوع باطله

(شعر في الغزو)

وقال الحارث بن يزيد (وهو جد الأحيمر السعدي) وهو يقع في باب

الغزو وتمدحهم ببعدهم المغزى^(٣) :

لَا لَأَعَقُّ وَلَا أَحُو ب وَلَا أُغِيرُ عَلَي مُضْرُ
لَكَيْمًا غَزَوِي إِذَا ضَجَّ الْمَطِيُّ مِنَ الدَّبْرِ
وقال ابن محفض^(٤) المازني :

(١) هو حارثة بن بدر بن حصين بن قطن بن مالك بن غدانة بن يربوع . قال أبو الفرج : كان من لدات الأحنف بن قيس . قال ابن حجر : فإن يكن كذلك فقد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم . وله أخبار في الفتوح . وذكر المبرد في الكامل أنه غرق في ولاية عبد الله بن الحارث على العراق . وذلك سنة أربع وستين . الإصابة ١٩٣٣ . وفي ط ، س : « الفزاري » وصوابه في ل ، كما يتضح من نسبه وكما في أمالي المرتضى ٢ : ٤٧ حيث يوجد الشعر الآتي .

(٢) رواية المرتضى واللسان ١٣ : ٤٦٢ : « فأمضه » . تعادله ، هو من قولهم : أنا في عدال من هذا الأمر - بكسر العين - أي في شك منه ، أمضى عليه أم أنركه . يقول : اجزم بطرد الهم ولا تتردد في ذلك .

(٣) المغزى : الغزو ، أو مكانه . والبيتان الآتيان سبقا في الحيوان ١ : ٣٣ وهما كذلك في البيان ٣ : ٢٠٠ .

(٤) ط ، س : « محفض » . وقد اختلف في ضبط هذا الاسم ، ولذلك قصة في خزانة =

إن تَكَ دِرْعِي يَوْمَ صَحْرَاءِ كَلْبَةٍ (١) أُصِيبَتْ فَمَا ذَا كُمْ عَلَى بِعَارِ
 أَلَمْ تَكْ مِنْ أَسْلَابِكُمْ قَبْلَ ذَا كُمْ عَلَى وَقَبِي يَوْمًا وَيَوْمَ سَفَارِ (٢)
 [فتلك سراييل ابن داودَ بيننا عوارى والأيام غير قصارِ (٣)
 ونحن طردنا الحمى بَكَرَ بنِ وائلِ إِلَى سَنَةٍ مِثْلِ الشَّهَابِ وَنَارِ (٤)
 ومومٍ وطاعونٍ ومحمىٍ وحصبَةٍ وذى لِبْدِي يَغْشَى المَهْجِهَجَ ضَارِي (٥)
 وحكمَ عَدُوٍّ لاهَوَادَةَ عِنْدَهُ وَمَنْزَلَ ذُلٍّ فِي الحَيَاةِ وَعَارِ

= البغدادى ٢ : ٥١٠ - ٥١١ بولاق . وأصوب الأقوال في ضبطه ما أثبت من ل .
 وابن محفض هذا ، هو حريث بن سلمة بن مرارة بن محفض ، من بنى مازن
 ابن عمرو بن تميم . قال المرزباني : هو مخضرم له في الجاهلية أشعار ، وعاش
 إلى أن أدرك الحجاج ، وله معه قصة ؛ فإنه سمعه على المنبر وهو يقول :

بنو المجد لم تقعد بهم أمهاتهم وآباؤهم آباء صدق فأنجبوا

فقام إليه حريث ، وهو شيخ كبير ، فقال : أيها الأمير ، من يقول
 هذا ؟ قال : حريث بن محفض المازنى . فلما نزل دعاه فقال : ما حلك على
 قطع الخطبة على ؟ قال : أنا حريث بن محفض ، فإنك أنشدت شعرى فأخذتني
 أريحته ! قال : فخلاه . الإصابة ١٩٦٨ وانظر ذيل الأمالى ٨١ .

(١) كلبية ، بضم الكاف : واد من أودية العلاة باليمامة لبنى تميم . وفي ط ، ل ، « كلبية »
 وصوابه من م ومعجم البلدان . وفي ذيل الأمالى : « يوم صحراء كلبية ، وهى
 موضع وقعة كانت بينهم وبين بكر بن وائل » .

(٢) في ذيل الأمالى : « الوقبى ، وكذلك سفار : ماء لبنى مازن » .

(٣) زدت هذا البيت من معجم البلدان وذيل الأمالى . وسراييل : دروع . وابن داود
 هو سليمان ، وقد أخطأ حريث فنسب الدروع إليه . وإنما تنسب لداود نفسه
 وانظر نظير هذا الخطأ في شعر النابغة والحطيئة في المعرب للجواليقي ص ٨٥ - ٨٦ .
 عوارى : جمع عارية . بتشديد الياء وتخفيفها ، وهو ما يعار .

(٤) قال أبو على : سنة ، أراد أسكناهم السواد وهو بلد وباء . وروى أبو على :
 « مثل السنان » .

(٥) الموم ، بالضم : الجندى الكثير المتراكب . والمهجهج : من يزرع للسمع

يصيح به : هج هج .

وقال آخر (١) :

خُذُوا الْعَقْلَ إِنْ أَعْطَاكُمْ الْقَوْمَ عَقَلَكُمْ

وكونوا كَمَنْ سِيمَ الْهُوَآنَ فَآرْتَعَا (٢)

ولا تَكْثُرُوا فِيهَا الضَّجَاجَ فَإِنَّهُ مَحَا السَّيْفِ مَا قَالِ ابْنُ دَارَةَ أَجْمَعَا (٣)

وقال أبو ليلى :

كَأَنَّ قَطَاتَهَا كُرْدُوسٌ فَحَلَّ مَقْلَصَةً عَلَى سَاقِي ظَلِيمٍ (٤)

(شعر في السيادة)

وقال أبو سليمان (٥) :

لَا بَدَّ لِلسُّودِ (٦) مِنْ أَرْمَاحٍ وَمِنْ سَفِيهِ دَائِمٍ النَّبَاحِ

(١) هو الكيت بن ثعلبة كما في خزنة الأدب ٤ : ٥٦٠ بولاق والمؤتلف ١٧٠ .
أو هو الكيت بن معروف ، كما في حماسة البحتري ١١ ، وشرح التبريزي
للحماسة ١ : ٢٠٦ .

(٢) سيم الهوان : كلف النذل . وأرتع : من أرتع إبله : جعلها تأكل ماشاءت
وهذه رواية ل ، والخزنة . وفي ط ، س : « فأتبعها » وفي حماسة البحتري :
« فأربعا » .

(٣) ابن دارَةَ هو سالم بن مسافع بن يربوع ، كان يهجو بني فزارة هجوا شنيعا ، فقتله
زميل الفزاري ، فقال الكيت ذلك ، يريد أن الفعل أفضل من القول . انظر شرح
الحماسة للتبريزي ، وخزنة الأدب ٤ : ٥٦٢ بولاق .

(٤) القطة : العجز ، أو ما بين الوركين . والكردوس ، بالضم : كل عظم كثير
اللحم . وكلمة « ساق » هي في الأصل : « سلقى » ولا وجه لها ، وتصحيحها
بما سبق في الجزء الأول ص ٢٧٤ .

(٥) س : « سلمى » . وقد سبق الرجز في الجزء الأول ٣٥٢ .

(٦) ط ، س : « للسود » ، وتصحيحه من ل والجزء الأول .

* وَمِنْ عَدِيدٍ يُتَّقَى بِالرَّاحِ *

وقال الهذلي :

وإنَّ سيادةَ الأَقبامِ فاعلمَ لها صعداءَ مَطلبها طويل (١)
وقال حارثة بن بدر (٢) ، وأنشده سفيان بن عيينة (٣) :
خَلَّتِ الدِّيَارُ فَسُدَّتْ غَيْرَ مُسَوِّدٍ وَمِنَ الشَّقَاءِ تَفَرَّدِي بِالسُّودِ

(شعر في هجاء السادة)

وقال أبو نخيلة :

وإنَّ بقومٍ سَوِّدوكَ لَفَاقَةً إلى سَيِّدٍ ، لو يظفرون بسيدٍ
وقال إياس بن قتادة ، في الأحنف بن قيس :

٢٥ وإنَّ مِنَ السَّادَاتِ مَنْ لو أَطَعْتَهُ دَعَاكَ إلى نارٍ يَنْفُورُ سَعِيرِها (٤)
وقال حميضة (٥) بن حذيفة :

أَيظلمهم قسراً فتبّاً لسعيه وكل مطاعٍ لا أبالك يظلم

(١) انظر كلامي على هذا البيت في الجزء الثاني ص ٩٥ .

(٢) في الأصل : « الحارث بن بدر » صوابه في البيان ٣ : ٢١٩ وأمال المرتضى
٢ : ٥٣ . وانظر أمالي الزجاجي ٢١ .

(٣) سفيان بن عيينة ذكره ابن قتيبة في المعارف ٢٢١ في أصحاب الحديث ،
ولد سنة سبع ومائة ، ومات سنة ثمان وتسعين ومائة . قال : وكان أشد
الناس اختصاراً . سئل عن قول طاوس في ذكاة السمك والجراد ، فقال :
ذكاته صيده . وجاء في العقد ١ : ٢٩١ : لما انفرد سفيان بن عيينة ومات
نظراؤه من العلماء ، تكاثر الناس عليه ، فأنشده يقول : خلت الديار . . الخ .

(٤) س : « يفود سعيرها » . والبيت في البيان ٣ : ٣٣٦ .

(٥) كذا في ل . وفي ط ، س : « حميضة » .

وقال آخر :

فأصبحت بعد الحلم في الحى ظالما تخمط فيهم والمسود يظلم^(١)

وكان أنس بن مدركة^(٢) [الخثعمي] يقول :

عزمت على إقامة ذى صباحٍ لأمرٍ ما يسود من يسود^(٣)

[وقال الآخر :

كما قال الجار لسهمٍ رامٍ لقد جمعت من شيء لأمر

وقال أبو حية :

إذا قلن كلاً قال والنقع ساطعٌ بلى ، وهو واهٍ بالجرء أباجله [

وقال آخر^(٤) :

إني رأيت أبا العوراء مرتفقاً^(٥) بشط دجلة يشرى التمر والسما

كشدة الخيل تبقى عند مذودها والموت أعلم إذ قفى بمن تركا^(٦)

هذه مساعيك في آثار سادتنا ومن تكن أنت ساعيه فقد هلكا

(١) التخبط : الكبر والغضب .

(٢) أنس بن مدركة ، أو ابن مدرك : شاعر جاهلي . انظر تحقيق العلامة الراجكوتى

في حواشى الخزانة ٣ : ٨٠ سلفية . وفى ل : « إياس بن مدركة » وهو تحريف .

(٣) هذا البيت من شواهد سيويوه ١ : ١١٦ بولاق ، وقد تكلم فيه صاحب الخزانة

٣ : ٧٧ سلفية .

(٤) الأبيات تجدها أيضاً في الجزء الخامس ص ٥٩٨ .

(٥) في الجزء الخامس : « مرتفعا » .

(٦) فى س ، وكذا فى الجزء الخامس : « كشرة الخيل » . وفى ل : « كثره »

وكلمة « تبقى » ساقطة من س وهى فى الجزء الخامس « تبغى » . و : « إذ قفى »

هى فى الجزء الخامس « من يدنى » .

وقال شتيم بن خويلد ، [أحد بنى غراب بن فزارة] :

وقلت لسيدنا يا حلیمُ إنك لم تأس أسوا رفيقاً^(١)
أعنتَ عدياً^(٢) على شأوها تُعادي فريقياً وتُبقى فريقياً
زحرت^(٣) بها ليلةً كلها فجئتَ بها مؤيداً خنفيقاً^(٤)
وقال ابن ميادة^(٥) :

أثبتُ ابن قشراء العجان^(٦) فلم أجدُ لدى بابهِ إذناً سيراً ولا نُزلاً^(٧)
وإنَّ الذي ولأكَ أمرُ جماعةٍ لأنقصُ من يمشي على قدمٍ عملاً

(شعر في المجد والسيادة)

وقال آخر^(٨) :

ورثنا المجد عن آباءِ صدقٍ أساناً في ديارهم الصنعا

- (١) أنشده ابن الأنباري في الأضداد ٢٢٥ وقال : « أراد يا حلیم عند نفسك ، فأما عندي فأنت سفيه » .
- (٢) كذا في ل ، ومعجم المرزباني ٣٩٢ والبيان ١ : ١٨١ . وفي ط ، س :
- « عليا » .
- (٣) زحرت ، من الزحير ، وهو النفس بأذين .
- (٤) قال الجاحظ في البيان : « مؤيد : داهية . خنفيق : داهية أيضا » . ط :
- « مريدا خنفيقا » ، وتصحيحه من ل ، س ، والبيان .
- (٥) كذا في ل . وفي ط ، س : « وقال آخر » . وجاء في الجزء الخامس نسبة البيت إلى ابن أحمـر .
- (٦) القشراء : الشديدة الحمرة . والرواية في الجزء الخامس : « حمراء » .
- (٧) « يسيرا » هي في ط ، س : « يسر » ، وأثبت ما في ل ، والجزء الخامس .
والنزل أصله بضم النون والزاي ، وسكن للشعر . والنزل : ما أعد للضيف .
- (٨) هو معن بن أوس المزني ، كما في الأغاني ١٠ : ١٥٨ . والبيتان كذلك في عيون
الأخبار ٤ : ١١٣ .

إذا المجدُّ الرَفِيعُ تَعَاوَرَتْهُ بُنَاةُ السُّوءِ أَوْشَكَ أَنْ يَضِيعَا
وقال الآخر :

إذا المرءُ أثرى ثمَّ قال لقومِهِ أنا السَّيِّدُ المُفَضَّى إِلَيْهِ المَعْمَمُ^(١)
ولم يَعْطِهِمْ خَيْرًا أَبَوًا أَنْ يَسُودَهُمْ وَهَانَ عَلَيْهِمْ رَعْمُهُ وَهُوَ أَظْلَمُ^(٢)
وقال الآخر (٣) :

٢٦

تَرَكْتُ لِبَحْرِ دِرْهِمِيهِ وَلَمْ يَكُنْ لِيَدْفَعْ عَنِّي خَلَّتِي دِرْهَمًا بِحْرٍ^(٤)
فَقَلْتُ لِبَحْرِ خَذُهُمَا وَاصْطَرَفَهُمَا وَأَنْفَقَهُمَا فِي غَيْرِ حَمْدٍ وَلَا أَجْرٍ
أَتَمَنَعُ سُؤَالَ العَشِيرَةِ بَعْدَ مَا تَسَمَّيْتَ بِحْرًا وَأَكْنَيْتَ أَبَا الغَمْرِ
وقال الهذليُّ :

وكنت إذا ما الدهرُ أحدث نَكْبَةً أَقُولُ شَوَى ، مَا لَمْ يُصَيِّنْ صَمِيمِي^(٥)
وقال آخر في غير هذا الباب :

سقى الله أرضاً يَعْلَمُ الضَّبُّ أَنَّهَا بَعِيدَةٌ مِنَ الأَدْوَاءِ^(٦) طَيِّبَةٌ البَقْلُ
بنى بيته في رأسِ نَشْرٍ وَكُدْيَةٍ^(٧) وَكُلُّ أَمْرِي فِي حِرْفَةِ العَيْشِ ذُو عَقْلٍ

(١) في عيون الأخبار ١ : ٢٤٨ : « المفضى إليه المعظم ». ونسب في أمال الزجاجي ١٨ إلى المغيرة بن حبياء .

(٢) في حسانة ابن الشجرى ١٠٠ : « وهان عليهم فقده » .

(٣) في العقد ٢ : ٢٧٥ : « سألت أعرابي رجلا يقال له عمرو ، فأعطاه درهمين ، فردهما عليه فقال ، « وأنشد البيتين الأولين ، برواية « عمرو » مكان : « بحر » . وفي محاضرات الراغب ٢ : ١٥٢ : « ولي رجل يقال له البحر ، ويكنى أبا الغمر بعض كور خراسان ، فدحه شاعر فأعطاه درهمين فقال « . وأنشد البيتين الأولين . وانظر عيون الأخبار ٣ : ١٤٣ .

(٤) في الأصل : « بحرى » وهو تحريف . والخلة بالفتح : الحاجة والفقر .

(٥) أنشد ابن الأنبارى هذا البيت في الأضداد ١٩٩ وقال : شوى أى هين حقير .

(٦) الأدوية : جمع داء ، وفي ل : « الأرواء » .

(٧) في الأصل : « بنا » . النثر : المكان المرتفع . والكديّة : الأرض الغليظة .

(أبو الحارث جَمِين والبرذون)

وحدثنى المكِّيُّ قال : نظر أبو الحارث [جَمِين] ^(١) إلى برذون يُسْتَقَى عليه ماء ، فقال : المرءُ حيثُ يَضَعُ نَفْسَه ^(٢) ! هذا لو قد هَمَلَجَ لم يُبْتَلْ بما ترى !

(بين العقل والحظ)

وقال عبد العزيز بن زُرارة السكلابي :

وما نُبُّ ^(٣) الأبيب بغير حظٍّ بأغنى في المعيشة من فتيل ^(٤)
رأيت الحظَّ يسترُ كلَّ عيبٍ وهيهاتَ الحظوظُ من العقول

(١) كذا في ل ، وفي مواضع متعددة من البيان ، وصاحب القاموس يرى هذا

خطأ ، وأن صوابه « جَمِين » قال - في مادة جمن - : « ضبطه المحدثون بالنون

والصواب بالزاي المعجمة ، أنشد أبو بكر بن مقسم :

إن أبا الحارث جَمِيناً قد أوقى الحكمة والميزا «

(٢) بدل هذه في البيان ٢ : ١٠٢ :

* « وما المرء إلا حيث يجعل نفسه » *

وهو صدر بيت لحريث اللحام (للساوية ١٥٦) وعجزه :

* فأبصر بعينيك امرأ حيث يعمد *

(٣) ط ، س : « لبث » ، وتصحيحه من ل .

(٤) الفتيل : الهنة التي في شق النواة . وفي ط : « فتيل » تحريف ما في س ، ل .

(هجو الخلف)

وقال الآخر (١) :

ذهبَ الَّذِينَ أَحْبَبَهُمْ سَلْفًا (٢) وَبَقِيَتْ كَالْمَقْهُورِ فِي خَلْفِ (٣)
مِنْ كُلِّ مَطْوِيٍّ عَلَى حَتَقٍ مُتَضَجِّعٍ يُكْفَى وَلَا يَكْفِي (٤)

(عبد العين)

وقال آخر :

وَمَوْلَى كَعْبِدِ الْعَيْنِ أَمَّا لِقَاؤُهُ فَيُرْضَى وَأَمَّا غَيْبُهُ فَظَنُونُ (٥)
ويقال للمرائي ، ولن إذا رأى صاحبه تحرك له وأراه الخدمة والسرعة
في طاعته فإذا غاب عنه وعن عينه خالف ذلك : « إنما هو عبدُ عين (٦) » .

-
- (١) هو الأحوص ، كما في البيان ٢ : ١٨٤ . والبيتان أيضا فيه ٣ : ٣٣٦ .
(٢) ل : « أحب قريهم » . وفي البيان : « أحبهم فرطا » .
(٣) في الجزء الثاني من البيان : « كالمقهور » . وفي الثالث : « كالمقهور » .
وكلمة « خلف » هي في ط : « خلق » محرفة .
(٤) المتضجع : من تضجع في الأمر ، إذا تقعد ولم يقيم به .
(٥) في ثمار القلوب ٢٦٣ : « فضنين » ، وهو تحريف ماهنا . وفي البيان
٢٠٤ : ٣

- ومولى كداء البطن أما لقاءه فحلم وأما غيبه فظنون
والظنون بالفتح كالظنين : وهو المتهم الذي لا يوثق به . ويصح أن تقرأ بضم
الظاء جمعا للظن .
(٦) للميداني مثل هذا الكلام في أمثاله ٢ : ٣٢٠ وزاد : « وكذلك يقال :
فلان أخو عين ، وصديق عين : إذا كان يراني فيرضيك ظاهره » .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائماً ﴾ .

(من إيجاز القرآن)

وقد ذكرناً آياتاً تُضاف إلى الإيجاز وقِدَّةَ الفُضول ، ولى كتابٌ جَمَعَتْ فيه آياً من القرآن ؛ لتعرفَ بها [فصل] ما بينَ الإيجاز والحذف ، وبين الزوائد والفضول والاستعارات ، فإذا قرأتها رأيت فضلها في الإيجاز والجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة [على الذي كتبتُه لك في باب الإيجاز وترك الفضول] . فنها قوله حينَ وصفَ خمرَ أهلِ الجنة : ﴿ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴾ . وهاتان الكلمتان قد جمعتا جميعَ عُيوبِ خمرِ أهلِ الدنيا .

وقوله عز وجل حينَ ذكرَ فاكهةَ أهلِ الجنة فقال : ﴿ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ . جمع بهاتين الكلمتين جميعَ تلك المعاني . [وهذا كثيرٌ قد دللتك عليه ، فإن أردته فوضعه مشهور] .

(رأى أعرابي في تسمير المال)

وقال أعرابيٌّ من من بني أسد :
يقولون ثمر ما استطعت ، وإنما لوارثه ما ثمر المال كاسبه
فكله وأطعمه وخالسه وارثاً شحيحاً ودهراً تعثر بك نوائبه (١)

(١) خالسه ، من الخالسة ، وهي الأخذ في نهزة ومخالطة .

(شعر في الهجاء)

وقال رجلٌ من بني عبّس :

أبأغ قراداً لقد حكمتُم رجلاً^(١)

لا يعرف النصف بل قد جاوز النصفاً^(٢)

كان امرأً ثاراً والحق يغلبه فجانب السهل سهل الحق واعتسفا

وذاكم أن ذلّ الجار حالفكم وأن أنفكم لا يعرف الأنفا

إنّ المحكم ما لم يرتقب حسباً

أو يرهب السيف أو حدّ القنا جنفاً^(٣)

من لا ذب بالسيف لاقى قرضه عجبا^(٤) موتاً على عجلٍ أو عاش مُنتصفاً

بيعوا الحياة بها إذ سام طالبها إما رواحاً وإما ميتةً أنفاً^(٥)

(١) ط ، س : « أبلغ فؤادي لقد حركتمو » ، وهو تحريف ما أثبت من ل .
وقراد : اسم قبيلة .

(٢) النصف مثلثة والنصفة بالتحريك : الإنصاف . والنصف بالتحريك : الاسم
منه . والأبيات في البيان ١ : ٢١١ .

(٣) جنف : مال مع أحد الخصمين ، أو جار .

(٤) القرص ، أصله : ما يتجازى به الناس بينهم . وجاء في ل ، والبيان ١ :
٣١١ : « فرصة » .

(٥) يقول : بيعوا الحياة بالحياة . ويقال سام بالسلعة وسام بها وعليها : غالى .
وقد تعدى الفعل هنا بنفسه . في ط ، س : « نام » وليس بشيء .
وأثبت ما في ل .

ليس امرؤ خالداً والموت يطلبه هاتيك أجسادُ عادٍ أصبَحَتْ جِيفًا
أبلغُ لَدَيْكَ أبا كعب (١) مغلَّلةً أنَّ الذي بيننا قد مات أو دَنِفًا (٢)
كانت أمورٌ فجابت عن حلومكم ثوبَ العزيمَةِ حتَّى انجَابَ وانكشفا (٣)
إني لأعلمُ ظَهَرَ الضَّغنُ أعدِلِهِ عني ، وأعلمُ أنِّي آكلُ الكشفا (٤)

(شعرٌ حِكْمِيّ)

وقال أسقفُ نجران (٥) :

منعَ البقاءَ تصرفُ الشمسِ وطلوعُها من حيث لا تُسمي
وطلوعُها بِيضاءٍ صافيةً وغروبُها صفراءُ كالورس
اليومَ أعلمُ ما يجيءُ بهِ ومضى بفضلِ قضائه أمس

(١) ل : « سعد » . والمغلَّلة : الرسالة تحمل من بلد إلى بلد .

(٢) دنف : براه المرض حتى أشق على الموت . وفي س : « قد بات » بحرف .

(٣) كذا في ط ، س . وفي ل : « فجابت » و « مال فانكشفا » .

(٤) كذا في ل ، وفي ط ، س : « أين آكل » . وقولهم : « يعلم من

أين تؤكل الكشف » كناية عن الخدق .

(٥) الشعر نسب في معاهد التنصيص ٢ : ١٢١ وكذلك الصناعتين ١٩٢ إلى بعض

ملوك اليمن . ونسب في العقد ٢ : ١٢٢ إلى عابد من نجران ، وفي معجم

المرزبانى ٣٣٩ إلى التمام بن الباهل ، وهو تبع الثاقب أو الثالث ، ملك حضرموت

واليمن . وانظر خبرا متعلقا به في كل من زهر الآداب ٣ : ١٨٣ وذيل أمالي القائل ٢٩ .

وقال عبيد بن الأبرص (١) :

وَكُلُّ ذِي غَيْبَةٍ يَتَوَبُّ وَغَائِبُ الْمَوْتِ لَا يَتُوبُ
مَنْ يَسْأَلُ النَّاسَ يَحْرِمُوهُ وَسَائِلُ اللَّهِ لَا يَخِيبُ
[وعاقراً مثل ذات رحم] وغامماً مثل من يخيب [٢٨
أَفْلِحَ بِمَا شِئْتَ فَقَدْ يُبْلَغُ (٢) بِالضَّمِّ عَفْ وَقَدْ يُخَدِّعُ الْأَرِيبُ
المرء ما عاش في تكذيب طول الحياة له تعذيب

وقال آخر (٣) :

إِذَا الرَّجَالُ وَلَدَتْ أَوْلَادُهَا وَاضْطَرَبَتْ مِنْ كِبَرِ أَعْضَادِهَا
وَجَعَلَتْ أَوْصَابُهَا تَعْتَادُهَا فَهِيَ زُرُوعٌ قَدْ دَنَا حَصَادُهَا

(مرثية محمد المخلوع)

وقالت بنت عيسى بن جعفر (٤) ، وكانت مُملِكةً (٥) لمحمد (٦) المخلوع

حين قتل :

(١) كذا في ل . والشعر من قصيدته المشهورة التي أوطأ :

أقفر من أهله ملحوب فالتقطيبات فالذنوب

(٢) ل : « يدرك » .

(٣) هو زر بن حبيش . قاله وقد حضرته الوفاة . وكان قد عاش مائة وعشرين سنة .

انظر أدب الدنيا والدين ١٠٨ . والرجز أيضاً في الحيوان (٦ : ٥٠٦) والعقد

(٢ : ٢٦٨) ومعجم الأدباء ١٦ : ١٢٤ .

(٤) عيسى بن جعفر ، هو حفيد أبي جعفر المنصور ، ولي البصرة وكورها وفارس

والأهواز والنجامة والسند ، ومات بدير بين بغداد وحلوان . المعارف ١٥٦ - ١٦٦ .

(٥) مُملِكة ، من الإملاك ، وهو عقد الزواج . وفي ط « ملكها » وهو

تحريف ما أثبت من ل ، س .

(٦) محمد المخلوع ، هو الأمين بن هارون الرشيد . وفي العقد (٢ : ١٧٨) أن

اسم المرأة لبانة بنت ربيعة بن علي ، وفي مروج الذهب (٢ : ٣١٦ بهية) أنها

لبابة ابنة علي بن المهدي ، وفيها زيادة في الشعر . وفي البيان (٣ : ١٢١) أنه لامرأة في

بعض الملوك . وفي الطبري ١٠ : ٢١٠ أن الشعر، للباباة أو لابنة عيسى بن جعفر .

أَبْكِيكَ لَا لِلنَّعِيمِ وَالْأَنْسِ بَلْ لِلْمَعَالِي وَالرُّمُحِ وَالْفَرَسِ
أَبْكِي عَلَى فَارِسٍ فُجِعْتُ بِهِ أَرْمَلَنِي قَبْلَ لَيْلَةِ الْعُرْسِ

(من نعت النساء)

وقال سلم الخاسر (١) :

تَبَدَّتْ فَقَلْتُ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَا بِجِيْدِ نَبِيِّ اللُّونِ مِنْ أَثَرِ الْوَرَسِ (٢)
فَلَمَّا كَرَّرْتُ الطَّرْفَ قَلْتُ لِصَاحِبِي عَلَى مِرْيَةٍ : مَا هَاهُنَا مَطْلَعُ الشَّمْسِ !

(١) هو سلم بن عمرو ، مولى لبي تيم بن مرة ، شاعر بصرى قدم بغداد وبلغ المهدي والهادي والبرامكة . قالوا : سمي بالخاسر لأنه ورث عن أبيه مصحفا فباعه واشترى طبورا . وهو صاحب البيت المشهور :

من راقب الناس مات غما وفاز باللذة الجسور

كان سلم تلميذ بشار بن برد وراويته . وجاء اسمه في الوفيات برسم « سلم » وهو خطأ . انظر الأغاني (٢١ : ٧٣ - ٨٤) وتاريخ بغداد ٤٧٥٤ . وما ينص على تعيين اسمه قول أبي العتاهية له :

سلم ياسلم ليس دونك سر حبس الموصلى فالعيش مر

وقوله :

إنما الفضل لسلم وحده ليس فيه لسوى سلم درك

وقوله :

والله والله ما أبالي متى ماتت ياسلم بعد ذا السفر

وقوله :

تعالى الله ياسلم بن عمرو أذل الحرص أعناق الرجال

(٢) « الشمس » يصح قراءتها بالنصب ، يجعل « قلت » بمعنى ظننت . ويصح الرفع بتقدير « هى » . ل : « مجلد غنى اللون أثر كالورس » .

(شعر رثاء)

وقال الآخر (١) :

كفى حزنًا بدفنيك ثم أنى نفضتُ تُرابَ قبرك عن يديًا
وكانت في حياتك لي عظامًا وأنت اليوم أو عظم منك حيًا (٢)

باب

من المديح بالجمال وغيره

قال مزاحم العقبلي :

يزين سنا الماوي (٣) كلَّ عشيةً على غفلات الزين والمتجمل (٤)
وجوه لو أن المدلين اعتشوا بها صدع عن الدجى حتى ترى الليل ينجلي (٥)
وقال الشمردل :

إذا جرى المسكُ يندى في مفارقهم راحوا كأنهم مرضى من الكرم

(١) هو أبو العتاهية يرثى على بن ثابت الأنصاري ، كما في معاهد التنصيص (٢) : (١٨٥) . أو ولد له كما في العقد (٢ : ١٥٦) . وانظر الكامل ٢٣٠ ليسك وذيل الأمل ص ٢ ومروج الذهب (٢ : ٣٦٨) والمستطرف (٢ : ٢٩٤) .

(٢) انظر لهذا البيت الاستدراكات .

(٣) الماوي : لغة في الماوية أى المرأة ، أو جمع لها عند ابن الأعرابي . وفي ط : « الماذى » وفي س : « المازى » وفي ل : « المادى » وكل ذلك تحريف ما أثبت ، كما في اللسان (مادة موى) والبيان (٣ : ٢٥٢ و ٤ : ٦٩) .

(٤) في الأصل : « والمتحمل » وصوابه من اللسان والبيان (٣ : ٢٥٢ و ٤ : ٦٩) ومجالس ثعلب ٢٧٧ . وهى مصدر من تجمل .

(٥) انظر تفسيره في اللسان (عشا ٢٨٧) .

يشبهون ملوكاً من تجلّتهم^(١) وطول أنضية الأعناق والأُم^(٢)

[النضى : السهم الذى لم يرش ، يعنى أن أعناقهم مُلسٌ مستوية^(٣) .

والأُم^(٤) : القامات] .

وقال القتال الكلابي :

يَالَيْتَنِي ، وَالْمُنَى لَيْسَتْ بِنَافِعَةٍ^(٥) لِلْمَلِكِ أَوْ لِلْحِصْنِ أَوْ لِسَيَّارٍ^(٦) ٢٩

طوال أنضية الأعناق لم يجدوا رِيحَ الإماء إذا راحت بأزفار^(٧)

لم يرضعوا الدهر إلا ثدى واضحة^(٨) لواضح الوجه يحمي باحة الدار^(٨)

وقال آخر :

إذا كان عقلٌ قلتم إنَّ عقلنا إلى الشاء لم تحلُّ علينا الأباغرُ

وإنَّ امرأً بعدي يُبادل^(٩) وُدَّكم بُودَّ بنى ذبيان مولى نحاسرُ

(١) ل وكذا الكامل (٣٥ لبيسك) ، وأما القالي (١ : ٢٣٨) : « في تجلّتهم » .

والتجلة : العظمة . وفي العقد (٦ : ٢٢٨ لجنة التأليف) : « في تجلّتهم » . ورواية

الحماسة (٢ : ٢٧٨) : « يشبهون سيوفاً في صرامتهم » .

(٢) كذا جاءت الرواية في ل والأماي والحماسة ، ويروى : « اللم » جمع

لمة ، بكسر اللام ، وهو شعر الرأس إذا كان فوق الوفرة .

(٣) جاء في الكامل : « فالنضى مركب النصل في السنخ . وضره مثلاً . وإنما أراد

طوال الأعناق » .

(٤) الأُم : جمع أمة ، بضم الهمزة .

(٥) ل : « بمنغية » .

(٦) قال المبرد في الكامل ٣٥ لبيسك : « وقوله لمالك أو لخصن أو لسيار » ، فهؤلاء

بيت فزارة » ، يريد موضع الشرف فيهم .

(٧) الأزفار : جمع زفر بالكسر ، وهو الحمل بالكسر ، كما في الكامل واللسان

(مادة زفر) . وفي س : « بأذفار » فيكون جمع زفر بالتحريك ، وهو

خبيث الريح .

(٨) قال المبرد : واضحة : أى خالصة في نسبها ، وليست بأمة .

(٩) في هامش س : « خ : تبدل » أى في نسخة .

أولئك قومٌ لا يُهانُ هديهم^(١) إذا صرحت كحلٌ وهبت أعاصير^(٢)
مذاليتي^(٣) بالخيل العتاق إذا عدوا^(٤) بأيديهم خطيبةٌ وبواتر

وقال أبو الطمّحان القيني في المعنى الذى ذكرنا :

كم فيهم من سيّدٍ وابنِ سيّدٍ وفيّ بعقدِ الجارِ ، حينَ يفارقه
يكاد الغمامُ الغرُّ يُرعدُ أنْ رأى وجوهَ بنى لأمٍ وينهلُ بارقه
وقال لقيطُ بن زرارة^(٥) :

ولئن من القومِ الذين عرّفتُمُ إذا مات منهم سيّدٌ قامَ صاحبه
نجومٌ سماءٍ كلما غارَ كوكبٌ بدا كوكبٌ تأوى إليه كواكبه
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليلِ حتى نَظَمَ الجزعَ ناقبه^(٦)

وقال بعض التميميين ، يمدح عوفَ بن القعقاع بن معبد بن زرارة :

بحقِّ امرئٍ سرو عتبية خاله^(٧) وأنت لقعقاع وعمك حاجبٌ
[درارى نجومٌ كلما انقضَّ كوكبٌ بدا كوكبٌ رفضُّ عنه الكواكبُ]

(١) الهدى : الرجل ذو الحرمة ، يأتى القوم يستجير بهم أو يأخذ منهم عهدا . فهو مالم يجر أو يأخذ العهد هدى ، فإذا أخذ العهد منهم فهو حينئذ جار لهم . اللسان (هدى) .

(٢) كحل ، بالفتح ، هى السنة والجدب ، . وصرحت : صارت خالصة فى شدتها وجدبها . وهو مثل . انظر الميداني ٢ : ٣٧٠ واللسان . وفى س : « كهل » محرفة .

(٣) كذا فى ل . والمذلاق : السريع الجرى ، جمعه مذاليتى . وفى ط ، س : « مذاليف » من الدليف ، وهو المسى الرويد . وليس يصح المعنى به .

(٤) ل : « غزوا » .

(٥) الشعر منسوب إلى أبي الطمّحان القيني فى السكامل ٣٠ ليبسك والوساطة ١٥٩ والحامسة (٢ : ٢٧٢) .

(٦) الجزع ، بالفتح : ضرب من الخرز فيه سواد وبياض .

(٧) كذا فى ط ، س . وفى ل : « يسرو عينة » ، وفى الشطر تحريف .

وقال طفيلُ الغنويُّ :

وَكَانَ هُرَيْمٌ مِنْ سِنَانِ خَلِيفَةٍ وَعَمْرُو وَمِنْ أَسْمَاءَ لَمَّا تَغَيَّبُوا
نَجُومٌ ظَلَامٌ كَلِمَا غَابَ كَوْكَبٌ بَدَأَ سَاطِعًا فِي حِنْدِسِ اللَّيْلِ كَوْكَبٌ (١)

وقال الحرّيمي (٢) ، يمدح بني خريم (٣) ، من آل سنان بن أبي حارثة :

بَقِيَّةُ أَقْمَارٍ مِنَ الْغُرِّ لَوْ خَبِتْ (٤) لَظَلَّتْ مَعَدَّةً فِي الدُّجَى تَتَسَكَّعُ (٥)

إِذَا قَمَرٌ مِنْهُمْ تَغَوَّرَ أَوْ خَبَا بَدَأَ قَمَرٌ فِي جَانِبِ اللَّيْلِ (٦) يَلْمَعُ

وقال بعضُ غنيِّ (٧) ، وهو يمدح جماعةً إخوة ، أنشدنيها أبو قطن ،

الذي يقال له شهيد الكرم :

٣٠ خَبَّرَ ثَنَاءَ (٨) بَنِي عَمْرِو فَإِنَّهُمْ أُولُو فَضُولٍ وَأَنْفَالٍ وَأَخْطَارِ (٩)

إِنْ يُسْأَلُوا الْخَيْرَ يُعْطُوهُ ، وَإِنْ جُهِدُوا فَالْجُهْدُ يُخْرِجُ مِنْهُمْ طَيْبَ أَخْبَارِ (١٠)

(١) ديوان طفيل ١٨ والبيان ٣ : ٣٣٧ . ل : « نجوم أسماء » . ل ، س : « غار

كوكب » . ل : « بدا وانجلى عنه الدجّة كوكب » .

(٢) الحرّيمي بالراء تقدمت ترجمته في الجزء الأول ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

(٣) ط ، ل : « خريم » ، وتصحيحه من س . وانظر ترجمة الحرّيمي .

(٤) ط ، س : « أقوام » موضع « أقمار » . و « الغر » هي كذلك في س .

وفي ل : « العر » ، وفي ط : « العز » ، محرفتان .

(٥) في اللسان : « وتسكع في ضلاله : ذهب ، كتسكع . عن ثعلب » .

(٦) الرواية في الواسطة ١٥٩ : « في جانب الأفق » .

(٧) أي أحد الغنويين . وانظر التحقيق الخاص به في الجزء الثاني ص ٨٩ .

(٨) ط ، س : « خبر ثنائي » وتصحيحه من ل . والتجسير : تحسين الخط

أو الكلام أو الشعر .

(٩) الفضول : ما يتيقن من الغنائم حين تقسم ، يختص بها الرئيس .

(١٠) جهدوا : أصابهم الجهد ، وهو شدة للزمان .

وإن توددّتهم لأنوا ، وإن شهيموا
كشفت أذمار حرب غير أعمار^(١)
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم
مثل النجوم التي يسرى بها السارى

وقال رجل من بني نهشل^(٢) :

إني لمن معشر أفنى أوائلهم
قبيل الكماة إلا أين المحامونا
لو كان في الألف منا واحد فدعوا
من فارس خالهم إياه يعنوننا^(٣)
وليس يذهب منا سيّد أبداً
إلا افتلينا غلاماً سيّداً فينا^(٤)

وفي المعنى الأوّل يقول النابغة الذبيانيّ :

وذاك لأنّ الله أعطاك سورة^(٥) ترى كلّ ملك دونها يتذبذب
بأنك شمس والملوك كواكب
إذا طلعت لم يبد منهنّ كوكب

وفي غير ذلك من المديح يقول الشاعر :

وأنت حيّاً في الحروب محلهم
والجيش باسم أبيهم يستهزم

[وفي ذلك يقول الفرزدق :

لتبك وكيعاً خيل ليل مغيرة
تساق السام بالردينيّة السمر^(٦)

(١) انظر تفسير البيت في الجزء الثاني ص ٨٩ . وجاء في س : « وإن شتموا » محرفة .

وفيها أيضاً : « أذمار شر » وفي ل : « شد » وفيها : « غير أعمار » .

(٢) هو بشامة بن حزن النهشلي كما في شرح التبريزي للحماسة ١ : ٥٠ . وانظر

الحماسة ١ : ٢٥ .

(٣) ل : « من عاطف » . يقال عطف على العدو : مال عليه .

(٤) الافتلاء : الافتطام والأخذ عن الأم .

(٥) السورة : بالضم : المنزلة الرفيعة .

(٦) وكيع هذا هو ابن أبي سود الغدافي . والسام : جمع سم . ورواية الديوان ٢٤٦

والكامل ٧٦٥ ليسك : « المنايا » . وانظر كتاب البغال ٢٦٨ .

لقوا مثلهم فاستهزموهم بدعوة دعواها وكيعاً والرِّمَّاحُ بهم تجرى^(١)
وأما قول الشاعر :

* تخامل المحتد أو هزام^(٢) *

فإنَّما ذهبَ إلى أنَّ الدَّعوةَ إذا قام بها [خامل الذِّكر والنسب^(٣)
فلا يحسده من أكفائه أحدٌ ، وأما [إذا قام بها^(٤)] مذكورٌ بيمين
النَّقِيبةِ ، وبالظَّفَرِ المتتابعِ ، فذلك أجود^(٥) ما يكون ، وأقربُ إلى
تمام الأمر .

وقال الفرزدق :

تَصْرَمُ مَنِيَّ^(٦) وَدُ بَكْرٍ بِنِ وَاثِلٍ وَمَا كَانَ وَدِي عَنْهُمْ يَتَصْرَمُ
قَوَارِصُ تَأْتِينِي وَيَحْتَقِرُونَهَا وَقَدْ يَمَلَأُ الْقَطْرُ الْأَنْاءَ فَيُقْعَمُ^(٧)

وقال الفرزدق^(٨) :

وقالت أراه واحداً لأخاله^(٩) يؤمِّله في الوارثين الأبعادُ

-
- (١) رواية الديوان والكمال : « والجياد بهم تجرى » . وما هنا أجزل وأقوى .
(٢) كذا جاء .
(٣) ط ، س : « وإذا قام بالدعوى خامل الذكر والنسب » .
(٤) ليست بالأصل والكلام في حاجة إليها .
(٥) س : « أجوز » .
(٦) كذا في ل . ، وفي ط ، س : « تذكر حبي » وهو تحريف .
(٧) ل : « الأقي » . وهو الجدول تؤتية إلى أرضك .
(٨) الشعر الآتي قاله الفرزدق عند ما عبرته زوجته نوار بأنه لا ولد له . عيون الأخبار
٤ : ١٢٢ ومعاهد التنصيص ١ : ١٠٢ . وفي الديوان ١٧٢ أن التي عبرته
هي امرأته طيبة بنت المعجاج المجاشعي . وينسب الشعر أيضاً إلى ابن عتقاء
الفرزاري . معجم المرزباني ٣٤٣ .
(٩) في الديوان : « طاح أهله » ، وفي المعجم : « باد أهله » .

لَعَلَّكَ يَوْمًا أَنْ تَرَينِي (١) كَأَنَّمَا
بَنِي حَوَالِيَ الْأَسْوَدِ الْخَوَارِذِ (٢)
فَإِنَّ تَمِيمًا قَبْلَ أَنْ يَلِدَ الْحَصَى (٣)
أَقَامَ زَمَانًا وَهُوَ فِي النَّاسِ وَاحِدٌ

وقال الفرزدق أيضاً (٤) :

فَإِنْ كَانَ سَيْفٌ خَانَ أَوْ قَدَّرَ أَتَى (٥)
مِيقَاتِ يَوْمٍ حَتْفُهُ غَيْرُ شَاهِدٍ (٦)
فَسَيْفُ بَنِي عَبَسٍ وَقَدْ ضَرَبُوا بِهِ
نَبَايِدِي وَرَفَاءَ عَنْ رَأْسِ خَالِدٍ (٧)
كَذَلِكَ سَيْوْفُ الْهِنْدِ تَنْبُو ظُبَاتُهَا
وَيَقْطَعُنَّ أَحْيَانًا مَنَاطَ الْقَلَائِدِ

(١) ط ، س « تراني » وهو تحريف ، وصوابه من ل و عيون الأخبار . وفي
الديوان : « فإني عسى أن تبصريني » .

(٢) الخوارد : جمع حارد ، وهو المجتمع الخلق الشديد الهيبة . ورواية الديوان :
« اللوايد » .

(٣) الحصى : العدد الكثير . وقال الأعشى :

ولست بالأكثر منهم حصي وإنما العزة للكائر

(٤) وكان قدم سليمان بن عبد الملك أسيراً من الروم وأمره أن يضربه بالسيف ، فلما
ضربه بالسيف لم يؤثر فيه ، وكلع الرومي في وجهه ، فارتاع الفرزدق ، وضحك
سليمان والقوم . فقال جرير :

بسيف أبي رغوان سيف مجاشع ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

ضربت به عند الإمام فأرعثت يدك وقالوا محدث غير صارم

انظر تفصيل الخبر في الأغاني (١٤ : ٨٢ - ٨٣) والغيث المنسجم (٢ :
١١٣) والعمدة (١ : ١٢٦) والنقائض ٣٨٤ .

(٥) س : « أتى » بمعنى حان . وانظر رواية البيت في حاسة البحتری ٥٦ .

(٦) يروي : « لتأخير نفس حتفها » .

(٧) ورفاء هذا هو ابن زهير بن جذيمة العبسي . وخالد ذلك هو ابن جعفر بن كلاب

العامري ، وكان خالد قد برك على زهير تمهيداً لقتله ، ولحقه حنلج بن البكاء

العامري ، وقال : نبح رأسك يا أبا جزء - يعني خالداً - ففتح خالد رأسه ، وضرب

حنلج رأس زهير ، وضرب ورفاء بن زهير رأس خالد العامري بالسيف ، وكان

على خالد درعان فبنا سيف ورفاء ، فقال في ذلك :

(خیر قصار القصائد)

وإن أحببت أن تروى من قصار القصائد شعراً لم يسمع بمثله (١) ،
فالتمس ذلك في (٢) قصار قصائد الفرزدق ؛ فإنك لم تر شاعراً قط يجمع
التجويد في القصار والطوال غيره .

وقد قيل للكميت : [إنَّ] النَّاسَ يزعمون أنَّك لاتقدر على القصار !
قال : مَنْ قال الطَّوَالَ فهو على القصار أقدر (٣) .

هذا الكلام يخرج في ظاهر الرأى والظن ، ولم نجد ذلك عند التحصيل
على ما قال .

= رأيت زهيراً تحت كل كل جعفر فأقبلت أسعى كالمجول أبادر
إلى بطلين ينهضان كلاهما يريعان نصل السيف والسيف نادر
فشلت يميني إذ ضربت ابن جعفر وأحرزه من الحديد المظاهر
الأغاني (١٠ : ١٤) . . وقد شاع حديث الفرزدق بهذا ، حتى حكى أن المهدي
أتى بأسرى من الروم ، فأمر بقتلهم ، وكان عنده شبيب بن شيبة فقال له : اضرب
هذا الملح ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد علمت ما ابتلى به الفرزدق فغير به قومه إلى
اليوم ! فقال : إنما أردت تشريفك ، وقد أعفيتك . انظر أدب الدنيا والدين
٦ - ٧ . والفرزدق في شعره يعرض بسليمان بن عبد الملك ويعيره بنبو سيف
ورقاء العيسى عن خالد ، وبنو عيس أخوال سليمان . الأغاني (١٤ : ٨٣) . أو
هو قال ذلك لأن صنع بنو عيس كان مع جرير - يعني أنه كان مواليا لهم - الأغاني
(١٠ : ١٥) . وجرير ليس عيسياً ، بل هو كلبى .

(١) ل : « تسمع بمثله » .

(٢) س : « من » .

(٣) ل : « قدر » .

(جواب عقيل بن علفة وجرير)

وقيل لعقيل بن علفة : لم لاتطيل الهجاء ؟ قال : « يكفيك من القلادة ماأحاط بالعنق (١) » .

وقيل لجرير : إلى كم تهجو الناس ؟ قال : إنني لأبتدى ، ولكني أعتدى (٢) .

وقيل له : لم لانقصر (٣) ؟ قال : « [إن] الجراح يمنع الأذى (٤) ! » .

(شعر مختار)

قال عبيد بن الأبرص :

نَبِّئْتُ أَنْ بَنَى جَدِيلَةَ أَوْعَبُوا [نَفَرَاء] مِنْ سَلَمَى لَنَاوَتَكْتَبُوا (٥)

(١) المعروف في المثل : « حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق » . انظر أمثال الميداني (١) :

(١٧٩) ونهاية الأرب (٣ : ٢٧) .

(٢) انظر ماسياتي في ص ٤٧٠ والبيان ٣ : ٦٥ والتمثيل والمحاضرة ١٨٤ والعقد ٥ : ٢٩٦ .

(٣) أي تقصر قصائدك ، وكان جرير يطيل قصائد الهجاء .

(٤) يريد أن مظهر العنف والانطلاق يكف الناس عن التعرض لصاحبه . والجراح

أصله للخيل تغلب صاحبها وتطير به . في ط ، س : « قال الجماع يمنع الأذى »
وتصحيحه وإكماله من ل .

(٥) بنو جديلة : حى من طيء . أوعبوا : أي لم يدعوا منهم أحداً ونفروا جميعاً .

تكتبوا : صاروا كتائب . وهى في ط ، س : « تكتبوا » وتصحيحه من ل

والديوان ١٢ ليدن .

[ولقد جرى لهم فلم يتعيفوا تيس قعيد كالمراوة أعضب^(١)]
وأبو الفراه على خشاش هشيمة متنكب إبط الشمال ينعب^(٢)
[فتجاوزوا ذاكم إلينا كله عدواً وقرطبة^(٣) فلما قربوا]
طعنوا^(٤) بمران الوشيج فما ترى خلف الأسنة غير عرق يشخب^(٥)
وتبدلوا اليعبوب بعد إلهم صمًا^(٦) ففروا^(٧) ياجدليل وأعدبوا^(٨)

(١) يقول : قد جرى لئبي جديلة بالشؤم تيس قعيد من الطباء فلم يتعيفوا . التعيف : من العيافة ، وهى هنا بمعنى التشاؤم . والقعيد : الذى يأتى من الخلف . وجعل التيس كالمراوة فى ضخمها واندماجها . والأعضب : المكسور القرن . وهو مما يتشام به . انظر العمدة (٢ : ٢٠٢) .

(٢) أبو الفراه ، عنى به الغراب . والحشاش : الشجرة اليابسة . والحشاش : مالا عظم له من الدواب ، مثل الحيات والعظايا . وشبه فراخ الغراب لمعطها بالحنافس . وروى فى س : « حشاش » ، وهى بالكسر بمعنى الجانب ، كما فى القاموس . ومتنكبا إبط الشمال ، أى مائلا عن جهتها . والشمال : جمع شمال ، وهى الريح الشمالية .
(٣) « ذاكم » عنى به التعيف والزجر . و « قرطبة » أى عدوا شديداً . وفى الأصل « قرضية » تصحيف مأثبت . ورواية الديوان : « مرقصة » ، وهى ضرب من العدو .

(٤) ط ، س : « ظعنوا » ، والوجه مأثبت من ل وديوان عبيد .

(٥) المران بالضم : الرماح الصلبة اللدنة ، الواحدة مرانة . والوشيج : شجر الرماح . يشخب : يسيل دمه .

(٦) اليعبوب : صنم لجديلة ، وكان لهم صنم أخذته منهم بنو أسد ، رهط عبيد ابن الأبرص ، فتبدلوا لليعبوب بدله . الخزانة (٣ : ٢٤٦ بولاق) .

(٧) فى الخزانة : « قروا » ، بالقاف .

(٨) قال البغدادي : « أى لاتأكلوا على ذلك ولا تشربوا » . وهكذا جاء فى ل والخزانة . وفى ط ، س : « أوعبوا » .

وقال آخر :

ألم ترَ حَسَّانَ بنَ مَيْسِرَةَ الَّذِي بَجُوحِي^(١) ، إلى جيرانِهِ كَيْفَ يَصْنَعُ
مَتَارِيْبُ^(٢) ما تنفكُ مِنْهُمُ^(٣) عِصَابَةٌ إليه سِرَاعاً يَحْصُدُونَ وَيَزْرَعُ

(شعر في معنى قوله : يريد أن يعرِّبه فيعجمه)

وباب^(٤) آخرٌ مثلُ قوله^(٥) :

* يريد أن يُعَرِّبَهُ فَيُعْجِمُهُ *

وقال آخر :

* كَأَنَّ مَنْ يَحْفَظُهَا يُضْيِعُهَا *

-
- (١) ما عدل : « يجوع » . وانظر الاستدراكات .
(٢) متاريب : جمع مترب ، كحمن ، وهو الذي قل ماله . وهذا الحرف من الأضداد ،
والأكثر فيه أن يستعمل للذي كثر ماله . والمعروف في الذي قل ماله : ترب كفرح ،
من الثلاثي . انظر اللسان (ترب) . وهذه الكلمة هي في ط ، ل : « متى
ريب » ، وهي على الصواب في س .
(٣) ط ، س : « منه » .
(٤) ط : « وقال » . وتصحيحه من س ، ل ؛ فإن الآتي مخالف للسابق .
(٥) هو الخطيئة ، والبيت الآتي من أرجوزة له ، أولها كما في العمدة ١ : ٧٤ ،
واللديوان ١١١ :

الشعر صعب وطويل سلمه إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه
زلت به إلى الخضيض قدمه والشعر لا يسطيعه من يظلمه
وبعده :

ولم يزل من حيث يأتي يجرمه من يسم الأعداء بيق ميسمه

وقال آخر :

* أهوج لا ينفعه التشقيف *

وقال بعض المحدثين [في هذا المعنى] :

إذا حاولوا أن يشعبوها رأيتها مع الشعب لا تزداد إلا تداعياً^(١)

وقال صالح بن عبد القدوس :

والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه^(٢)

إذا ارعوى عاد إلى جهله كذرى الضنا عاد إلى نكسه

ومثل هذا قوله :

وتروض عرسك بعد ما هرمت ومن العناء رياضة الهرم

وقال حسيل^(٣) بن عرفة :

ليهنيك بغض في الصديق وظنة^(٤) وتحديثك الشيء الذي أنت كاذبه

وأنت مشنوء إلى كل صاحب بلاك^(٥) ، ومثل الشر يكره جانبه

(١) الشعب : الإصلاح . والتداعي : التساقط . وهذا البيت هو الثاني من أبيات عددها اثنا عشر بيتاً في البخلاء ١٨٨ يهجو بها الشاعر قوماً بخلاء ، فوصف قدورهم بما يقتضيه الهجاء .

(٢) البيان ١١ : ١٢٠ و التمثيل والمحاضرة ٧٨ .

(٣) هو حسيل بن عرفة بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقوس الأسدي ، وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ورأى الرسول ، وروى عنه . وهو ممن غير الرسول الكريم أسماءهم ، فسماه « حسين » . انظر الإصابة ١٧١٧ . وقد جمعه أبو زيد في نوادره ٧٥ ، ٧٧ من شعراء الجاهلية . والصواب ما قدمت . ومن العجيب أن أبا حاتم قال إنه « حسين » ثم يخطئه الأخفش في ذلك . انظر النوادر في الموضوعين . وقد جاء هذا الاسم في كل من ط ، س ، وكذلك البيان ٣ : ٢٤٩ : « الحسن » ، وهو تحريف . والأبيات بدون نسبة في البيهقي ٣٣٩ .

(٤) في البيان والبيهقي : « لينك » وهما صحيحتان . وفيه أيضاً « وضنة » .

(٥) بلاك : اختبرك . وفي ط ، س : « قلاك » بمعنى أبغضك ، وأثبت ما في ل والبيان والبيهقي .

وَأَنَّكَ مَهْدَاءٌ أَخْلَنَا نَطْفُ الثَّنَا^(١) شَدِيدُ السَّبَابِ رَافِعِ الصَّوْتِ غَالِبُهُ
فَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْجَهْلِ يَدْعُو إِلَى الرَّدَى^(٢) وَلَا مِثْلَ بُغْضِ النَّاسِ غَمَضِ صَاحِبِهِ

(كَلِمَةٌ لِلزَّبْرَقَانِ)

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : قَالَ الزَّبْرَقَانُ بْنُ بَدْرٍ : خَصَلْتَانِ كَبِيرَتَانِ فِي أَمْرِي
السَّوَاءُ : شِدَّةُ السَّبَابِ ، وَكَثْرَةُ اللَّطَامِ^(٣) .

(شِعْرٌ فِي تَمْجِيدِ الْأَقَارِبِ)

وَقَالَ [خَالِدٌ] بْنُ نَضْلَةَ :

لَعَمْرِي لَرَهْطُ الْمَرْءِ خَيْرٌ بِقِيَّةٍ عَلَيْهِ وَلَوْ عَالَوْا بِهِ كُلَّ مَرْكَبِ^(٤)
مِنَ الْجَانِبِ الْأَقْصَى وَإِنْ كَانَ ذَا نَدَى كَثِيرٍ^(٥) وَلَا يُنْبِيكَ مِثْلُ الْمَجْرَبِ
إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ عِدَاءً لَسْتَ مِنْهُمْ فَكُلُّ مَا عُلِفَتْ مِنْ خَيْثٍ وَطَيْبِ^(٦)
فَإِنْ تَلْتَبَسُ بِي خَيْلُ دُودَانَ لَا أَرْمُ وَإِنْ كُنْتُ ذَا دَنْبٍ وَإِنْ غَيْرَ مُذْنِبِ

(١) الثنا : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيئ . وفي ط ، س ، والبيان :

« الثنا » ، وهو تحريف ما أثبت من ل . والنطف : المتهم المريب .

(٢) الردى : الهلاك . وفي الأصل : « الرخا » ، وتصحيحه من البيان .

(٣) س : « الطعام » محرف .

(٤) أي وإن أركبوه المراكب الصعبة . س : « غلت به » محرفة .

(٥) رواية الحماسة ١ : ١٣٤ : « ذا غنى جزيل » . و « كثير » هي في ط ،

س : « كثيراً » ، وإنما هو صفة للندى .

(٦) العدا : اسم جمع بمعنى الأعداء . أو بمعنى الغرباء كما جاء في المخصص ١٢ : ٥٢

رواية عن ابن السكيت ، قال : « ولم يأت فعل - أي بكسر ففتح - في الصفات

غير هذا » . وانظر البيان ٣ : ٢٥٠ .

(بكل وادٍ بنو سعد)

قال : ولما تأذى الأضبط بن قريع في بني سعد (١) تحوّل عنهم إلى
آخرين فأذوه فقال : بكلّ وادٍ بنو سعد !

(مقطعات شتى)

وقال سُحَيْمُ بن وَثِيل :

ألا ليسَ زَيْنَ الرَّحْلِ قِطْعٌ وَنُمْرُقٌ ولكنَّ زَيْنَ الرَّحْلِ يَأْمِي رَاكِبُهُ (٢)

وقال أعرابيٌّ :

فما وَجَدُ مِلْوَاحٍ مِنَ الْهَيْمِ حُلَّتْ عن الماءِ حَتَّى جَوْفُهَا يَتَصَلَّصَلُ (٣)
تَحْمُومٌ وَتَغْشَاهَا الْعِصِيُّ وَحَوْهَا أَقْاطِيعُ أَنْعَامٍ تُعَلُّ وَتُنْهَلُ
بِأَكْثَرِ مَنِي غَلَّةً وَتَعْطَفُ (٤) إلى الورد (٥) ، إِلَّا أَنِّي أَجْمَلُ

(١) ط ، س : « سحيم » ، والصواب : « سعد » كما في ل ، وما سبق في الجزء الأول ص ٣٥٨ .

(٢) القطع ، بكسر القاف : البساط ، أو الفرقة ، أو الطنفسة يجعلها الراكب تحته .
وفي ل : « نطع » بالنون ، وهو البساط من الأديم . والنرق والفرقة : الوسادة الصغيرة أو الطنفسة فوق الرحل . وقد حرف الناسخون البيت في عيون الأخبار ١ : ٢٩٧ فجعلوه « قطعاً يمزق » . ورواه المرزباني في معجمه ٣٩٠ لمضرس بن ربيع .

(٣) حلتت : منعت من الماء . وفي ط ، س : « خليت » . والهيم : الإبل العطاش .

(٤) ط ، س : « تقطعا » . وأثبت ما في ل والبيان ٣ : ٥٥ .

(٥) ل : « العدد » وصواب هذا « العد » بالكسر ، وهو الماء الجاري الذي له مادة لاتنقطع .

وقال خالد بن علقمة ابن الطيفان^(١) ، في عيب أخذ العقل والرضا
بشيء دون الدّم ، فقال :

وإنّ الذي أصبحتم تحلبونه دم غير أنّ اللون ليس بأحمرًا
فلا توعدوا أولاد حيان بعدما رضىتم وزوجتم سيالة مسهرا^(٢)
وأعجب فرد يقصم القمل حالقا^(٣) إذا عب منها في النقيبة بربرا^(٤)
إذا سكبوا في القعب من ذى إنائم رأوا لونه في القعب وردا وأشقرا^(٥)

٣٣

باب آخر

في ذكر الغضب ، والجنون ، في المواضع التي يكون فيها محموداً^(٦) .
قال الأشهب بن ربيعة^(٧) :

- (١) ط ، س : « الصبيان » ، وهو تحريف مأثبت من ل والقاموس . والطيفان
هى أم خالد . وكلمة « ابن » هى فى الأصل مخذوفة الألف وهو خطأ ، وقد جاء
على الصواب الذى أثبتته فى الأغاني ١١ : ١٢١ . وكان خالد معاصرا
لجرير والفرزدق .
- (٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وحولتم بسالة مشقرا » . وهو تحريف ،
ولعل صواب « حولتم » فيه « حولتم » .
- (٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وأكحم فردا يقصم القمل جالبا » !
- (٤) منها : أى من إبل الدينة . والنقيبة : العظيمة الضرع من النوق . وفى ل :
« النقيبة » ، وهى الجزور تجزر للضيافة . والبربرة : الصياح .
- (٥) ط : « القعب » محرفة . وقد زاد كلمة « ذى » قبل إنائم ، ولذلك نظائر فى
كلامهم . انظر خزنة الأدب ٤ : ٣٣١ - ٣٣٢ سلفية .
- (٦) كذا فى ل . وفى ط ، س : « فى مثل ذلك من الغضب ، وفى ذكر الجنون
فى المواضع التى يكون ذكره فيها محموداً » .
- (٧) الأشهب بن ربيعة : شاعر إسلامى مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام ، أسلم ولم =

هر^(١) المَقَادَة^(٢) من لا يستقيد لها^(٣) وأَعصَوْصَبَ السَّيرُ وارتدَّ المساكينُ^(٤)
مِنْ كُلِّ أَشْعَثَ قَدْ مَالَتْ عِمَامَتُهُ كَأَنَّهُ مِنْ ضِرَارِ الضِّيمِ مجنون^(٥)
وقال في شبيهه ذلك أبو الغول الطُّهَوِيُّ^(٦) :

فَدَتَ نَفْسِي وَمَا مَلَكَتْ يَمِينِي مَعَاشِرَ صَدَّقَتْ فِيهِمْ ظُنُونِي^(٧)
مَعَاشِرَ لَا يَمْلُونُ الْمَنَابِيَا إِذَا دَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ الطَّحُونِ^(٨)
وَلَا يَجْزُونَ مِنْ خَيْرِ بَشَرٍ وَلَا يَجْزُونَ مِنْ غِلْظِ بِلَدِينِ^(٩)
وَلَا تَبِيلٍ بَسَّالْتُهُمْ وَإِنْ هُمْ صَلُّوا بِالْحَرْبِ حِينًا بَعْدَ حِينٍ

= تعرف له صحبة . انظر الإصابة ٤٦٤ . و « رميلة » هي أمه . واسم أبيه ثور
ابن أبي حارثة ، ينتهي نسبه إلى تميم . وكان الأشهب من هاجي الفرزدق ، وقد
سبق رجز له في ذلك بالجزء الأول ٣١٥ هو في الخزانة ٤ : ٥١٠ بولاق . جاء
في ط : « رميلة » وهو تحريف . وجاء بعد هذا في كل من ط ، س :
كلمة « بعد ذلك » .

- (١) هر : كره . وفي ط ، س : « هذ » بمعنى قطع .
- (٢) المقادة : القود ، وهو نقيض السوق . وفي ل : « الوفادة » وأحسبها تحريفاً ،
ولعل الكلام في صفة ركب مسافرين في فلاة .
- (٣) ل : « يستعد لها » .
- (٤) اعصوب السير : صار عصيباً شاقاً . وفي ل : « اعصوب الشر » .
- (٥) مالت عمامته مما لعب النوم به . والضرار : الضرر . وفي ٦ : ٢٤٦ : « من حذار الضيم » .
- (٦) قيل له أبو الغول لأنه فيما زعم رأى غولاً فقتلها . المؤتلف ١٦٣ . وهو شاعر إسلامي .
التبريزي (١ : ١٤) ومعجم البلدان (وقبي) . وفي ل : « الضبي » وهو تحريف .
- (٧) قال التبريزي : « يروى : صدقوا . . . ويروى : صدقت فيهم ظنوني ، ويكون
ظنوني في موضع رفع بصدقت » ، أي فاعلاً لصدقت .
- (٨) في ل ، وكذا في الحماسة : « فوارس » وفيهما أيضاً : « الحرب الزبون » .
- (٩) في ل ، وكذا في الحماسة : « ولا يجزون من حسن بسى » . والسيء بالفتح .

هُمْ أَحْمَوْا حَمَى الْوَقْبَى بِضَرْبٍ يُؤَلَّفُ بَيْنَ أَشْتَاتِ الْمُنُونِ (٣)
فَنَكَّبَ عَنْهُمْ دَرَّةَ الْأَعَادِي وَدَاوُوا بِالْجُنُونِ مِنَ الْجُنُونِ

وقال ابن الطَّيْرِيَّة (٢) :

[لو أُنْزِي لَمْ أُنَلْ مِنْكُمْ مَعَاقِبَةً إِلَّا السِّنَانَ لَذَاقَ الْمَوْتِ مَطْعُونٌ
أَوْ لَأَخْتَبْتُ فِإِنِّي قَدْ هَمَمْتُ بِهِ بِالسَّيْفِ إِنْ خَطَبَ السَّيْفِ مَجْنُونٌ (٣)]

وقال آخر [:

حَمْرَاءُ تَامِكَةَ السَّنَامِ كَأَنَّهَا بَحْمَلٌ بِهَوْدَجٍ أَهْلِيهِ مَطْعُونٌ (٤)
جَادَتْ بِهَا يَوْمَ الْوَدَاعِ يَمِينُهُ كِلْتَا يَدَيْ عَمْرٍو الْغَدَاةَ يَمِينُ (٥)
مَا إِنْ يَجُودُ بِمَثَلِهَا فِي مَثَلِهِ إِلَّا كَرِيمٌ الْحَلِيمِ أَوْ مَجْنُونٌ (٦)

(١) الوقبى ، بالتحريك : اسم أرض ، أو اسم ماء . المقصور ١١٦ ومعجم البلدان .
في ل ، والمقصور والحاسة والمعجم : « هم منعوا » .

(٢) كذا جاء في ل نسبة البيتين الآتين إلى ابن الطَّيْرِيَّة ، ونسبة الثلاثة التي بعدها
إلى « آخر » ، لكن في ط ، س نسبة للثلاثة الأبيات التالية إلى ابن الطَّيْرِيَّة .
ولم أعثر على مرجع لطائين المقطوعتين .

(٣) في الأصل : « لاشتمت » ، صوابه من ٦ : ٢٤٥ .

(٤) تامكة السنام : عظيمته . وقد شبه الناقة المهداة إليه بالجمل المظعون : الذي شد
هودجه بالظمان ككتاب ، وهو خيل الهودج . فجعلها كجمل لوثاقة خلقها ، ثم أضاف
إلى الثمت ذكر الهودج ، ليصور بذلك عظم علوها .

(٥) كلتا يديه يمين : أراد : شماله كيمينه في العطاء ، مبالغة في وصفه بالعطاء . وجاء في
الحديث : « كلتا يديه يمين » فتوهم بعضهم التشبيه ، ورد عليهم ابن قتيبة في تأويل
مختلف الحديث ٢٦٥ .

(٦) ط ، س : « في مثلها » . والأشبه ما كتبت من ل . وضمير : « بمثلها »
عائد إلى الناقة الحمراء . وضمير « مثله » إلى يوم الوداع . والخيم
بالسكر : السجية .

وفي هذا المعنى يقول حسان ، أو ابنه عبد الرحمن بن حسان :
إِنَّ شَرَّخَ الشَّبَابِ وَالشَّعَرَ الْأَسَدِ وَدَ مَا لَمْ يُعَاصَ كَانَ جُنُونًا
إِنْ يَكُنْ غَثًّا مِنْ رَقَاشِ حَدِيثٍ فِيمَا نَأْكُلُ الْحَدِيثَ سَمِينًا^(٢)
وفي شبيهه بذلك قول الشَّنْفَرِيِّ :

فَدَقَّتْ وَجَلَّتْ وَاسْبَكْرَتْ وَأُكْمِلَتْ

فَلَوْ جُنَّ إِنْسَانٌ مِنَ الْحُسْنِ جُنَّتْ^(٣)

وقال القطامي - حين وصف إفراط ناقته في المراح والنشاط :

يَتَّبَعْنَ سَامِيَةَ^(٤) الْعَيْنِينَ تَحْسِبُهَا مَجْنُونَةً أَوْ تَرَى مَا لَا تَرَى الْإِبِلُ ٣٤

وقال ابن أحرر ، في معنى التشبيه والاشتقاق :

بِهَجْلٍ مِنْ قَسًا ذَفِرِ الْخَزَامِي تَدَاعَى الْجَرِيْبَاءُ بِهِ الْحَيْنِينَا^(٥)

(١) شرخ الشباب هو اسوداد الشعر . ولولا أنهما لاصطاحبا صارا بمنزلة المفرد كان حق الكلام أن يقال : يعاصيا . أمال ابن الشجري (١ : ٣٠٩) . وانظر قول المبرد في الكامل ٥٩٧ ليبسك والعسكري في الصناعتين ١٨٥ .

(٢) هذا البيت ليس في ل . والبيتان في الديوان ١٣٤ - ٤١٤ في سبعة أبيات .

(٣) يقول : دق جسمها في المواضع التي يستحسن فيها الدقة ، وعظم في الأجزاء التي يرضى فيها العظم . واسبكرت : استقامت واعتدلت . وقصيدة البيت بديعة ، وهي من المفضليات . وانظر البيان (٣ : ٢٢٤) ومجالس ثعلب ٤٢٦ .

(٤) سامية : عالية ، وفي ط ، ل : « نامية » ، وتصحيحه من س والجزء السادس من الحيوان ص ٧٧ .

(٥) الهجل ، بالفتح : المطمئن من الأرض . وفي ل : « لجو » وهو تحريف . وفي س : « بجو » وهي صحيحة ، فالجو : ما اتسع من الأرض وبرز واطمان ، كما في اللسان . و « قسا » : موضع بالعالية ، وهو بالفتح ، ويقال بالكسر كما في المقصور . و « الخزاي » : نبت طيب الرائحة . و « ذفر » : ذكي الرائحة . و « تداعي » هي في ط « تهادي » وهي رواية أخرى ، كما في اللسان (جرب) . والجريباء : الريح الشمالية الباردة . والحئين : صوت الريح . وفي ل : « الحينينا » مصحفة عما أثبت من ط ، س واللسان في مواضع متعددة والكامل ٤٦٤ ليبسك ومعجم البلدان (قسا) والمقصود ٨٨ والبيان ٣ : ٢٢٢ والحيوان (٦ : ١٨٥) والمخصص (١١ : ٢٠٧) .

تَفَقَّأَ فَوْقَهُ الْقَلْعُ السَّوَارِي وَجُنَّ الْحَازِبَازِ بِهِ جُنُونًا^(١)

وفي مثل ذلك يقول الأعشى :

وَإِذَا الْغَيْثُ صَوَّبُهُ وَضَعَ الْقِدْحَ وَجُنَّ التَّلَاعُ وَالْآفَاقُ^(٢)
لَمْ يَزِدْهُمْ سَفَاهَةً نَشْوَةَ الْحَمِّ رِ وَلَا اللَّهْوُ فِيهِمْ وَالسَّبَاقُ

وقال آخر في باب المزاح والبطالة ، مما أنشدني أبو الأصبع^(٣)

ابن ربيع :

أَتَوْنِي بِمَجْنُونٍ يَسِيلُ لُعَابَهُ وَمَا صَاحِي إِلَّا الصَّحِيحُ الْمَسْلَمُ

وأنشدني^(٤) إبراهيم بن هاني ، وعبد الرحمن بن منصور^(٥) :

جُنُونُكَ مَجْنُونٌ وَلَسْتَ بَوَاجِدٍ طَبِيبًا يُدَاوِي مِنْ جُنُونِ جُنُونٍ

(١) تفقأ : تصعب ، وفي س : « تسكر » ، وهي رواية أخرى كما في أمثال الميداني (١) :
(٢٢٧) والحيوان (٦ : ١٨٦) . والقلع بالتحريك : قطع من السحاب كأنها
الجمال ، الواحدة قلعة . والحازباز : ذباب يظهر في الربيع فيدل على خصب السنة ،
أوهوبت . وجنونه : تكاثفه .

(٢) البيتان أعيدا في ص ٤٨٥ والجزء السادس ص ١٨٦ .

(٣) أبو الأصبع جاء في الأصل « أبو الأصبع » . صوابه من البخلاء ٢٢٩ ، ١٠٥ . وذكره
الجاحظ في البيان (٤ : ١٩) ضمن النوكي وأشباههم . وروى أنه قيل له :
أما تسمع بالعدو وما يصنعون في البحر ؟ فلم لا تخرج إلى قتال العدو ؟ قال : أنا
لا أعرفهم ولا يعرفوني ، فكيف صاروا إلى أعداء ؟ !

(٤) ط ، ل : « وأنشد » ، وأثبت ما في س موافقاً ما في الجزء السادس ص ١٨٦ .

(٥) في الجزء السادس زيادة : « قبل أن يجن » .

(إبراهيم بن هانيء والشعر)

وكان إبراهيم [بن هانيء] لا يقيم شعراً^(١) . ولا أدرى كيف أقامَ

هذا البيت !

وكان يدعى بحضرة أبي إسحاق^(٢) علم الحساب ، والكلام ،
والهندسة ، واللحون ، وأنه يقول الشعر ؛ فقال أبو إسحاق : نحن لم نمتحنك
في هذه الأمور ، فلك أن تدعيها عندنا^(٣) . كيف صرت تدعى قول
الشعر ، وأنت إذا رويته لغيرك كسرتة ؟! قال : فإنني هكذا طبعْتُ ، أن أقيمه
إذا قلت ، وأكسره إذا أنشدت ! قال أبو إسحاق : مابعدَ هذا الكلام كلام !

(جواب أعرابي)

وقلت لأعرابي ، أيما أشدُّ غلماً : المرأةُ أو الرجل ؟ فأنشد :

فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَسَائِلُ الْأَيْرِ أَدْنَى لِلْفَجُورِ أَوْ الْحِرِّ

وَقَدْ جَاءَ هَذَا مُرْخِيًّا مِنْ عِنَانِهِ وَأَقْبَلَ هَذَا فَاتِحًا فَاهٍ يَهْدِرُ^(٤)

(١) وكان ماجنا خليعاً كثيراً العبث متمرداً . انظر أخباره وأحاديثه في الجزء الأول
من البيان ٩٣ - ٩٥ .

(٢) هو النظام .

(٣) س : « عندها » .

(٤) يهدر : من الهدير ، وأصله تردد صوت البعير في حنجرتة . وفي ط ، س :

« يهدر » بالياء محرفة . وهي على الصواب الذي أثبت في ل ومحاضرات الراغب

(٢ : ١١٨) وقد روى الخبر فيها مبدوءاً بقيل لقطرب - يعني النحوي .

(مقطعات شتى)

وأنشد بعضهم :

أَصْبَحَ الشَّيْبُ فِي الْمَفَارِقِ شَاعَا وَاكْتَسَى الرَّأْسُ مِنْ بِيَاضِ قِنَاعَا
ثُمَّ وَلَّى الشَّبَابُ إِلَّا قَلِيلاً ثُمَّ يَأْبَى^(١) الْقَلِيلُ إِلَّا نَزَاعَا

وأنشد محمد بن يسير^(٢) [لبعضهم] :

قَامَتْ مُتَخَاصِرُنِي لِقَبَّتِيهَا^(٣) خَوْدٌ تَطَّطَّرُ نَاعِمٌ بِكِرُّ^(٤)
كُلُّ يَرَى أَنْ الشَّبَابَ لَهُ فِي كُلِّ مَبْلَغٍ لَذَّةٌ عُدْرُ^(٥) ٣٥

وقال الآخر في خلاف ذلك ، أنشدني محمد بن هاشم السدري^(٥) :

فَلَا تَعْذُرَانِي فِي الإِسَاءَةِ إِنَّهُ أَشْرُ الرِّجَالِ مَنْ يَسِيءُ فَيُعْذَرُ^(٦)

(١) ط ، س : « يَأْبَى » . وتصحيحه من ل والبيان (٢ : ٣٣٤) .

(٢) ط ، س : « يسر » وصوابه في ل . وقد سبقت ترجمته في الجزء الأول .

والشعر في البيان (١ : ١٩٨) مسبوق بعبارة : « وأنشد الأحوص بن محمد » .

(٣) جاء في البيان ، من تفسير الجاحظ للبيت : « تخاصرني : آخذ بيدها وتأخذ بيدي » .

وكلمة : « لقبها » كذا جاءت بالأصل ، ووردت في الجزء الأول من البيان

وكذا في الثالث منه ص ٣٤١ : « بقنتها » ، وفسرها الجاحظ في الجزء الأول بقوله :

« والقنته (واحدة القنن . وهي) : المواضع الغليظة من الأرض في صلابته » .

(٤) تاطر : تَطَّطَّرَ ، أى تَتَنَّى وتَمَطَّطَف . و « ناعم » هكذا جاءت في ط ، س .

وفي ل والبيان : « غادة » ، وفسرها الجاحظ بأنها الناعمة اللينة .

(٥) ط : « السدري » صوابه ما في ل ، س . ترجم له المرزباني في معجمه ٤٣١

(٦) قال الجوهري في الصحاح : « لا يقال أشر إلا في لغة رديئة » . وهكذا جاءت

الرواية في ط ، ل . وفي س والجزء السابع ص ٢٦٠ وكذا في أدب الدنيا والدين

ص ٣١ : « شرار » .

وقال ابن فسوة^(١) :

فَلَيْتَ قَلْوَصَى عُرِّيتَ أَوْ رَحَلْتَهَا إِلَى حَسَنٍ فِي دَارِهِ وَابْنَ جَعْفَرٍ^(٢)
إِلَى مَعَشَرَ لَا يَخْصِفُونَ نِعَالَهُمْ وَلَا يَلْبَسُونَ السَّبْتِ مَالِمٌ يُخْصِرُ^(٣)

وقال الطَّرِمَّاحُ بْنُ حَكِيمٍ ، وَهُوَ أَبُو نَفْرٍ^(٤) :

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَذْنِي بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ أَمْرٍ غَيْرِ طَائِلٍ
إِذَا مَارَأَنِي قَطَعَ الطَّرْفَ بَيْنَهُ وَبَيْنِي فِعْلَ العَارِفِ المِتْجَاهِلِ
مَلَأْتُ عَلَيْهِ الأَرْضَ حَتَّى كَأَنَّهَا مِنْ الضِّيْقِ فِي عَيْنِيهِ كِفَّةٌ حَابِلٍ^(٥)

(١) ط ، س : « ابن قُتْرَب » وصوابه ما أثبت من ل . والشعر في الأغاني (١٩) :

(١٤٤) وكذا البيان (٣ : ١٠٩) منسوب إلى ابن فسوة . وقد تقدمت ترجمته في الجزء الثاني ص ١١ .

(٢) كذا على الصواب في ل والأغاني . وفي ط : « إلى حرمي دارى بن جعفر »

وفي س : « إلى حينى درامى » والتحرير فيما ظاهر . وفيما أيضا « إذ رحلتها » ، وهو خطأ صوابه في ل والأغاني .

(٣) السبت ، بالكسر : الجلد المدبوغ ، وكانت النعال السبئية خاصة بأهل النعمة من العرب . وانظر كلام الجاحظ في البيان ٣ : ١٠٩ - ١١٣ . والنعل المخصرة : المستدقة الوسط .

(٤) كذا في ل ، وهو الصواب كما في الشعراء لابن قتيبة ١٤٠ والأغاني ١٠ :

١٤٨ . وفي ط : « نقيير » وفي س : « بقير » محرفتان . والطرماح : شاعر إسلامي في الدولة مروانية ، ومولده ومنشؤه بالشام ، ثم انتقل إلى الكوفة مع من وردها من جيوش أهل الشام ، فاعتقد مذهب الشراة والأزارقة . وكان شاعراً فصيحاً ، يكثر في شعره الغريب . قال محمد بن حبيب : سألت ابن الأعرابي عن ثمانى عشرة مسألة كلها من غريب شعر الطرماح فلم يعرف واحدة منها . وكان صديقاً للشكيت الشاعر لايكادان يتفارقان . انظر المرجعين المتقدمين والخزانة ٣ : ٤١٨ بولاق .

(٥) الحابل : من يصطاد بالحياة ، وكفته ، بالكسر ، هى حبالته . في ط : « حائل » محرقة ، صوابها في ل ، س والأغاني والشعراء . ولبيت نظير في اللسان (كفف) .

وقال آخر :

إذا أبصرتني أعرضت عني كأن الشمس من قبلي تدور
وقال الحرّيمي (١) وذَكَرَ عماء (٢) :

أصغى إلى قائدي ليخبرني إذا التقينا عننٌ يُحجيني
أريد أن أعدل السلام وأن أفصل بين الشريف والدون
أسمع ما لا أرى فأكره أن أخطيء ، والسمع غير مأمون (٣)
لله عيني التي فجعت بها لو أن دهرًا بها يواتيني (٤)
لو كنت خيرت ما أخذت بها تعمير نوح في ملك قارون
وقال بعض القدماء (٥) :

ألم تر حوشبًا أضحى يدي قصورًا نفعها لبني نفيله (٦)
يومل أن يعمر عمر نوح وأمر الله يحدث كل ليلة (٧)

(١) في الأصل وكذا معاهد التنصيص (١ : ٨٧) : « الحرّيمي » - بالزاي - وهو تحريف ، صوابه في عيون الأخبار (٤ : ٥٧) ونكت الهميان ٧١ . وقد تقدمت ترجمته ، وتحقيق اسمه في الجزء الأول ص ٢٢٤ .

(٢) ل : « في عيني » . وانظر الشعر والشعراء ٨٣٠ - ٨٣١ .

(٣) س : « وأكره أن أخطيء » .

(٤) كذا في ل والمراجع المتقدمة . وفي ط ، س : « دهرًا تولى فأتواتيني » .

(٥) لم أجد صاحب البيت فيما لدى في المراجع . قالوا : لما بنى أبو العباس بناءه بالأنبار الذي يدعى رصافة أبي العباس ، قال لعبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي : ادخل وانظر . فدخل معه فلما رآه تمثل بالبيتين . معجم البلدان ، والأغاني (١٨ : ٢٠٦) وعيون الأخبار (١ : ٢١١) . وقد عاتبه أبو العباس على ذلك ، كما في عيون الأخبار والعقد (٣ : ٢٦٩) .

(٦) كذا في ل ، س ومعظم الروايات . وفي ط وعيون الأخبار : « بقيلة » .

(٧) ل : « يطرق كل ليلة » ، وهي رواية فريدة .

وقال ابن عباسٍ بعد ما ذهب بصره (١) :

إِنْ يَأْخُذِ اللَّهُ مِنْ عَيْنِي نُورَهُمَا فِي لِسَانِي وَقَلْبِي مِنْهُمَا نُورٌ (٢)
قَلْبِي ذِكْرٌ وَعَقْلِي غَيْرُ ذِي دَخَلٍ وَفِي فِي صَارِمٌ كَالسَّيْفِ مَأْثُورٌ

[وقال حسانٌ يذكرُ بيانَ ابنِ عباسٍ (٣) :

إذا قال لم يترك مقالاً ولم يقف لِعَيٍّْ ولم يثنِ اللسانَ على هُجرٍ
يصرِّفُ بالقولِ اللسانَ إذا انتحى وينظر في أعطافه نظرَ الصَّقرِ]

(شعر في الخصب والجدب)

وقال بعضُ الأعرابِ يذكُرُ الخصبَ والجدبَ :

٣٦

مُطِرْنَا فَلَمَّا أَنْ رَوِينَا تَهَادَرْتُمْ شَقَاشِقُ فِيهَا رَائِبٌ وَحَلِيبٌ

(١) كذا في ل ، وهو الصواب ، كما في نكت الهميان ٧١ نقلا عن الجاحظ ، وكذا

عيون الأخبار ٤ : ٥٦ والشعر والشعراء ٨٣٠ ، ومعه التنصيص ١ : ٨٧ والعقد

٣ : ١٥٧ ، ٣٩٠ وقد ذكر صاحب العقد سبب الشعر . وشذ أبو علي القالي في ذيل

الأمالي ص ١٥ فنسب البيتين إلى حسان بن ثابت . وقد وجدتهما في ديوانه ص ١٦٥ .

ويروى البيتان أيضاً لأبي علي البصير كما في المستطرف ٢ : ٢٧٢ ولأبي العيناه

في معجم الأدباء ١٨ : ٢٠٣ . وفي ط ، س : « وقال أبو يعقوب الخزيمي » ، وهو خطأ .

(٢) س : « فني لساني وسمعي » وفي عيون الأخبار : « فني فؤادي وسمعي » .

(٣) انظر معجم الأدباء ٦ : ١٨٩ . ولحسان بن ثابت أبيات أخرى يذكر فيها بيان

ابن عباس . انظر البيان ١ : ٣٣٠ .

ورابت رجالاً من رجال ظلامه
 ونصت ركاباً للصبا فتروحت
 وطن فناء الحى حتى كأنه
 بنى عنم لا تعجلوا ، ينضب الثرى
 فلو قد تولى النبت وامتيرت القرى
 وصار غبوق الخود وهى كريمة
 [وصار الذى فى أنفه خنزوانة
 أولئك أيام تبين ما الفتى
 وعدت ذحول بينهم وذنوب^(١)
 هن بما هاج الحبيب خيب^(٢)
 رعى منهل من كرهن نجيب^(٣)
 قليلاً ويشقى المترفين طيب^(٤)
 وحتت ركاب الحى حين تنوب^(٥)
 على أهلها ، ذو جدتين مشوب^(٦)
 ينادى إلى هادى الرعى فيجيب^(٧)]
 أكاب سكتت أم أشم نجيب

- (١) ل : « ورامت رجال » و « ذحول بيننا » . وانظر الإمتاع والمؤانسة ١ : ١٩٦ - ١٩٧ وديوان المعاني ٢ : ٤٥ .
- (٢) « فتروحت » كذا فى س ، والمخصص ١٠ : ١٨٠ . وفى ط ، ل : « فتراجعت » . وفى ط ، س : « هاج الحبيب » وتصحيحه من ل والمخصص . قال ابن سيده : « أما قوله : ونصت ركاباً للصبا ، فإن طلب اللهو بما يبعث عليه الفراغ ورخاء البال » . و « الحبيب » هنا بمعنى المحب ، بكسر الحاء . و « خيب » هى بالحاء المعجمة ، ومعناها سرعة الجرى . ل والمخصص : « حبيب » بالحاء ، وليس بشئ . يقول : لتلك الركاب خبيب بما يهيج المحيين ويبعث أشواقهم .
- (٣) ط : « وطن » ، ل : « ودير » محرفتان . وفى ل أيضاً : « من كرهن لجيب » .
- (٤) عبارة تهكمية ، وعنى بالطيب هنا الجذب وشدة الزمان .
- (٥) تولى : أخذ فى الهيج . وامتيرت القرى : جلب ما فيها . ط ، س : « وأبترت القرى ، وصوابه من ل والمخصص . وفى المخصص : « تنوب » ، وهما بمعنى .
- (٦) الغبوق ، بالفتح : ما يشرب بالعشى . والخود : الشابة الحسنه الخلق . وفى ط ، س : « عنوق الجود » تحريف ما أثبت من ل والمخصص . والجدة بالضم : الخط ، وعنى بذو الجدتين اللبن يظهر فيه لونان ، وذلك حين يكون مشوباً ، أى مخلوطاً بالماء . وفى ط ، س : « عشوب » ، تحريف ما فى ل .
- (٧) الخنزوانة : السكر . وهادى الرعى : مقبضها . وفى المخصص بياض يمكن ساء ما هنا .

(شعر لأنس بن أبي إياس)

وقال : ولما ولي حارثة بن بدرٍ سُرق^(١) ، كتب إليه أنس بن

أبي إياس^(٢) [الدليل] :

أحار بن بدرٍ قد وليت ولايةً فكن جردًا فيها تحون وتسرق
وباه تما بالغي ، إن للغي لساناً به المرء الهيوبه ينطق
[ولا تحقرن يا حارٍ شيئاً ملكته فحظك من ملك العراقين سُرق]
فإن جميع الناس إماماً مكذبٌ يقول بما هوى ، وإماماً مصدق^(٣)
يقولون أقوالاً ولا يعرفونها ولو قيل هاتوا حققوا لم يحققوا

وقال بعض الأعراب :

فلما رأينا القوم ثاروا بجمعهم رعيناً الحديث وهو فيهم مضيع^(٤)
وأدر كنا من عز^(٥) قيس حفيظة ولا خير فيمن لا يضر وينفع

(١) سرق ، بالضم وتشديد الراء المفتوحة : إحدى كور الأهواز . وفي ط : « سرف » بحرفة .

(٢) ويروى : « ابن إياس » . وانظر القاموس (أنس) وجمهرة ابن حزم ١٨٤ . وقصة الشعر مفصلة في أمالي المرتضى ٢ : ٤٩ - ٥١ والعقد ٢ : ٥٥ وزهر الآداب ٤ : ٥٨ ومعجم البلدان رسم (سرق) . وانظر رواية الأبيات في المراجع المتقدمة وكذا عيون الأخبار ١ : ٥٨ ، ومحاضرات الراغب ١ : ٨٣ . والمفهوم أن الشعر الآتي مداعبة لاهجاء . ويقال إن حارثة بن بدر أجاب عن هذه الأبيات بقوله :

جزاك إله العرش خير جزائه فقد قلت معروفا وأوصيت كافيا
أشرت بأمر لو أشرت بغيره لألفيتني فيه لأمرك عاصيا

(٣) ل : « تهوى » .

(٤) كذا في ل . وفي ط ، س : « ساروا بجمعهم » و : « فينا مضيع » ، تحريف .

(٥) ل : « عرق » .

(نصيحة رجل لبعض السلاطين)

ويقال إن رجلاً قال لبعض السلاطين : الدنيا بما^(١) فيها حديث ، فإن
استطعت أن تكون من أحسنها حديثاً فافعل !

(أقوال مأثورة)

وقال حذيفة بن بدر لصاحبه^(٢) يوم جفر الهبأة^(٣) ، حين أعطاهم
بلسانه ما أعطى : إياك والكلام المأثور^(٤) .

وأنشد الأصمعي :

كلُّ يومٍ كأنه يومٌ أضحى عند عبد العزيزِ أو يومٍ فطرٍ
وقال : وذكر لي بعضُ البغداديين أنه سمع مَدَنِيًّا مرَّ بابِ الفضلِ
ابن يحيى - وعلى بابهِ جماعةٌ من الشعراء - فقال :

مالقينا من جودِ فضلِ بنِ يحيى تركَ الناسَ كلَّهُم شعراءَ ٣٧

(١) س : « وما » .

(٢) هو أخوه حمل بن بدر ، كما في العقد ٣ : ٣١٦ .

(٣) كان هذا اليوم لعبس على ذبيان ، وفيه قتل حذيفة ، وأخوه حمل ، سيدا بنى
قزارة . للعقدة ٢ : ١٦١ والعقد ٣ : ٣١٦ وكامل ابن الأثير ١ :
٣٥٢ . وفي ط : « الهبأة » ، وهو على الصواب في س ، ل .

(٤) المأثور : الذي ينقله الخلف عن السلف . وفي س : « المائق » ، وفي ط :
« السائر » والأشبه ما أثبت من ل : موافقاً لما في العقد .

وقال الأصمعي : قال لي نَخْلَفُ الأحمر : الفارسيُّ إذا تظَرَّفَ (١)
تساكت ، والتَّبَطَّى إذا تظَرَّفَ (١) أكثر الكلام .

وقال الأصمعيُّ : [قَالَ رَجُلٌ] لأعرابيُّ : كيف فلانٌ فيكم ؟ قَالَ :
مرزوقٌ أحق ! قَالَ : هذا الرَّجُلُ الكامل .

قَالَ : وقال أعرابيُّ لرجلٍ : كيف فلانٌ فيكم ؟ قَالَ : غَنِيٌّ حَظِيٌّ (٢)
قال : هذا من أهل الجنة !

(السواد والبياض في البادية)

الأصمعيُّ قَالَ : أخبرني جوسق قال : كان يقال بالبدو : « إذا ظَهَرَ
البَيَاضُ قَلَّ السَّوَادُ ، وإذا ظَهَرَ السَّوَادُ قَلَّ البَيَاضُ » . قال الأصمعيُّ : يعني
بالسَّوَادِ التَّمْرُ ، وبالبياض اللَّبَنُ والأقِطُ (٣) . يقول : إذا كانت السَّنَةُ مُحْصِبَةً
كثُرَ الأقِطُ واللَّبَنُ وَقَلَّ التَّمْرُ ، وإذا كانت السَّنَةُ مجدبةً كَثُرَ التَّمْرُ وَقَلَّ اللَّبَنُ
[والأقِطُ] . وقال : إذا كان العام خصيباً (٤) ظهر [في صدقة الفِطْرِ]
البَيَاضُ ، يعني الأقِطُ ؛ وإذا كان جَدِيباً (٥) ظهر السَّوَادُ ، يعني التمر .
وتقول الفُرسُ : إذا زَحَرَتِ الأودِيَةُ بالماء كَثُرَ التَّمْرُ (٦) ، وإذا
اشتَدَّتِ الرِّياحُ كَثُرَ الحَبُّ .

(١) تظرف : تكلف الظرف . وفي ط ، ل : « تظرف » . وصوابه من س .

(٢) ط ، س : « غني حظي » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٣) الأقط : شيء يتخذ من اللبن الحخيص يطبخ ثم يترك حتى يمصل .

(٤) ط : « خصباً » .

(٥) ط ، س : « جدباً » .

(٦) ط : « السمن » ، وأثبت ما في س ، ل .

(قول في أثر الريح في المطر)

وحدَّثني محمد بن سلام^(١) ، عن شعيب بن حجر^(٢) قال : جاء رجلٌ على فرسٍ فوقفَ بماءٍ من مياه العرب فقال : أعندكم الريحُ التي تكبُّ البعير^(٣) ؟ قالوا : لا . قال : فتذري الفارس^(٤) ؟ قالوا : لا . قال : فكما تكون يكون مطرُكم .

وحدَّثني العُتبيُّ^(٥) قال : هَجَمَتِ على بطنِ بينَ جبلين ، فلم أرَ وادياً أخصبَ منه ، وإذا رجالٌ يتركلون^(٦) على مساحيمهم ، وإذا وجوهٌ مهجَّنة ، وألوانٌ فاسدة . فقلتُ : واديكمُ أخصبُ وادٍ ، وأنتم لاتشبهونَ المخاصيبَ^(٧) قال : فقال شيخٌ منهم : ليس لنا ريح .

(١) ل : « وحدث محمد بن سلام » . ومحمد بن سلام هذا هو الجمحي صاحب الطبقات ، كان من أئمة الأدب البصريين ، توفي سنة إحدى وثلاثين ومائتين . لسان الميزان (٥ : ١٨٢) .

(٢) ل : « صخر » .

(٣) تكب البعير : ثقله وتصرعه .

(٤) ذرت الريح الشيء وأذرتة : أطارته .

(٥) ل : « القيني » ، وهو تحريف نهينا عليه كثيراً .

(٦) في القاموس : « تركل بمسحاته : ضربها برجله لتدخل في الأرض » . في ط

« يتوكأون » ، وفي ط : « يتوكلون » ، وأثبت ما في ل .

(٧) المخاصيب : جمع مخصب أو مخصاب . وفي ط فقط : « المخاصب » .

(شعر في الخصب)

وقال النمر بن تولب :

كَأَنَّ حَمْدَةَ (١) ، أَوْ عَزَّتْ لَهَا شَبَّهَا فِي الْعَيْنِ يَوْمًا تَلَاقَيْنَا بِأَرْمَامِ
مِثْلًا جَادَ عَلَيْهَا وَإِبِلٌ هَاطِلٌ فَأَمْرَعَتْ لِاحْتِيَالٍ فَرَطَ أَعْوَامِ (٢)
إِذَا يَجْفُ ثَرَاهَا بَلَّهَا دِيمٌ مِنْ كَوْكَبِ بَزَلِ بِالْمَاءِ سَجَامِ
لَمْ يَرَعَهَا أَحَدٌ وَارْبَتَهَا زَمْنَا (٣) فَأَوْ مِنْ الْأَرْضِ مَحْفُوفٍ بِأَعْلَامِ (٤)
تَسْمَعُ لِلطَّيْرِ فِي حَافَاتِهَا زَجَلًا كَأَنَّ أَصْوَاتَهَا أَصْوَاتُ جُرَامِ (٥)
كَأَنَّ رِيحَ خَزَامَاهَا وَحَنَوَاتِهَا بِاللَّيْلِ رِيحٌ يَلْتَنَجُوجِ وَأَهْضَامِ (٦)

(١) ل فقط : « جرة » .

(٢) لاحتيال : أى بعد احتيال . والاحتيال : مرور الأحوال . وفرط أعوام : بعد أعوام ، قال لبيد :

هل النفس إلا متعة مستعارة تمار فتأق ربها فرط أشهر

وفى ط ، س : « بعد أعوام » .

(٣) كذا . وفى اللسان مادة (فأو) : « وأكم روضتها » .

(٤) الفأو : بطن تطيف به الرمال يكون مستطيلا . ط : « فأوا » .

(٥) الجرام : الذين يصرمون التمر ، أى يقطعونه . وقد عنى الأنباط . وفى ط ، س : « حوام » بحرف .

(٦) الخزامى والحنوة : نباتان طيبا الرائحة . واليلنجوج : العود الهندى الذى يستعمل فى

البخور . وفى ط : « يلتنجوج » محرفة . والأهضام : واحدها هضم بالكسر ، وهضم بالفتح ، وهضمة ، وهو كل شئ يتبخر به غير العود واللبنى .

قال : فلم يدع معني من أجله يُخَصَّب الوادى ويعتم نبتة إلا ذكره .
وصدق النمر (١) !

وقال الأسدى في ذكر الحِصْب ورطوبة الأشجار (٢) ولدونة الأغصان
وكثرة الماء :

وَكَأَنَّ أَرْحَلَنَا بِجَوْ مُحْصَبٍ بِلِوَى عُنَيْزَةٍ مِنْ مَقِيلِ التُّرْمُسِ (٣)
فِي حَيْثُ خَالَطَتِ الْخَزَامَى عَرَفَجَا يَأْتِيكَ قَابِسُ أَهْلِهِ لَمْ يُقْبَسِ (٤)
ذهب إلى أنه قد بلغ من الرطوبة في أغصانه وعيدانه (٥) ، أنها إذا ٣٨
حُكَّ بعضها ببعض لم يقدح (٦) .
وفي شبيهه بذلك يقول الآخر (٧) ، وذهب إلى كثرة الألوان (٨)
والأزهار والأنوار :

(١) في ل : « وصدق حديث القيني في قوله : فأومن الأرض محفوف بأعلام » .
وليس بشيء .

(٢) كذا في ل . وفي ط ، س : « الأشعاب » محرف . وفي البيان (٣ : ٣٤) :
« الورق » . وفي الحيوان ٤ : ٤٦٥ أن الشعر للمرار بن منقذ .

(٣) في الأصل : « أرجلنا » وصوابه من البيان والمخصص (١٠ : ١٣٣) .
والجو : ما انخفض من الأرض . والمحصب : موضع بين مكة ومنى . ورواية
المخصص : « بوهد نخصب يبنى عنيزة » ، والوهد : المنخفض . وهذه الرواية أجود . والترمس :
ماء لبني أسد . والمقيل : موضع القيلولة حيث يتوافر الظل . ورواية المخصص :
« مقيض » ، بمعنى موضع الفيضان .

(٤) كذا في ل والمخصص (١٠ : ١٧٦ ، ١١ : ٣٢) . وفي ط ، س
والبيان : « أهلها » .

(٥) ل : « من رطوبة أغصانها وعيدانها » .

(٦) س : « تقلح » .

(٧) ل : « جرير » .

(٨) ليست في ل .

[كانت لنا مِنْ غَطْفَانَ جَارَهُ] كأنها من دَبَلٍ وشاره^(١)

والحلى حلى التبر والحجاره^(٢) مَدْفَعٌ مِثَاءٌ إِلَى قَرَارَةٍ^(٣)

[ثم قال :

* إِيَّاكَ أَعْنَى وَاسْمَعِي بِاجَارِهِ^(٤)] *

وقال بشار :

وحديثٍ كأنه قِطْعُ الرَّوِّ ضٍ وفيه الحمرَاءُ والصَّفراءُ

باب

من الفطن وفهم الرطانات والكنايات والفهم والافهام

(حديث المرأة التي طرقها اللصوص)

الأصمعي قال : كانت امرأة [تنزل] متنجية من الحى ، وتحب الغزلة

وكان لها غنمٌ ، فطرقها اللصوص فقالت لأمتها^(٥) : أخرجى ! مَنْ هاهنا ؟

(١) الدبل : بالتحريك : أصله في البعير أن يمتلئ شعما ولحما . وفي ط ، س « ذبل » محرفة . والشارة : السمن ، أو حسن الهيئة ، وفي المخصص واللسان (مادة حلى) « كأنها من حسن وشاره » .

(٢) استشهد بهذا البيت ابن سيده في المخصص (٤ : ٤٠) على أن الحلى ما يزين به من مصوغ المعدنيات والحجارة .

(٣) الميثاء : الأرض اللينة . والقرارة : المطمئن من الأرض . والمدفع : الحجري .

(٤) البيت في أمثال الميداني (١ : ٤٣) مع أبيات أخرى منسوبة إلى سهل ابن مالك الفزاري .

(٥) ط ، س : « لابنتها » ، وأثبت ما في ل .

[قالت : هاهنا] حَيَّانٌ ، والحُمَارِسُ (١) ، وعامرٌ (٢) والحارثُ ، ورأسُ
عَنْزِ (٣) وَشَادِن (٤) . ورَاعِيَا بَهْمِنَا (٥) . [فنحنُ ما أولئك . أى : فنحنُ أولئك] .
فلما سَمِعُوا ذلكَ ظَنُّوا أَنَّ عِنْدَهَا بَنِيهَا . وقال الأَصْمَعِيُّ مرَّةً (٦) : فلما
سَمِعَتْ حِسَّهُمْ قالت [لَأَمَّتْهَا] : أَخْرَجَنِي سُلُوحَ بَنِيٍّ مِنْ هَاهُنَا .
قال : وَسُلُوحٌ جَمْعُ سُلَاحٍ (٧) . وَحَيَّانٌ والحُمَارِسُ (٨) : أَسْمَاءُ تَبُوسٍ لَهَا .

(قصة المَهْمُورَةِ الشِيَاهِ والحَمْرِ)

قال الأَصْمَعِيُّ : تزَوَّجَ رَجُلٌ امْرَأَةً فساقَ إِلَيْهَا مَهْرَهَا ثلاثينَ شاةً ،
وَبَعَثَ بِهَا رَسُولًا ، وَبَعَثَ بَرِيقًا خَمْرًا . فَعَمَدَ الرَّسُولُ فذَبِیحَ شاةً فِي الطَّرِيقِ
فَأَكَلَهَا ، وَشَرَبَ بَعْضَ الزُّقِّ . فلما أُنِيَ المَرَأَةُ نظرت إلى تسعٍ وعشرينَ
ورأت الزُّقَّ ناقصًا ، فعَلِمَتِ أَنَّ الرَجُلَ لا يَبِيعُ إِلَّا بِثلاثينَ وَزِقًا (٩) مملوءًا

(١) ل : « الحتارس » .

(٢) ط ، س : « وعامرا » ، محرفة .

(٣) ط فقط : « عتر » ، ولها وجه ؛ فالعتر بالكسر : كل ما ذبح .

(٤) ط ، س : « بارق » .

(٥) ط ، س : « وراعينا بهمنا » ، تحريف مافى ل .

(٦) الكلام من « فلما سمعوا » ساقط من ل .

(٧) السلاح ، بالضم : النجو .

(٨) ل : « الحتارس » . وكما أن الوجه أن يضاف « عامر والحارث » إلى الكلام ليتحقق

معنى الجمعية .

(٩) ط ، س : « وزقا » .

فَقَالَتْ لِلرَّسُولِ : قُلْ لِصَاحِبِكَ ^(١) : إِنْ سُحِبَ قَدْ رُثِمَ ^(٢) ، وَإِنْ رَسُوْلَكَ جَاءَنَا فِي الْحَقِّ ! فَلَمَّا أَتَاهُ الرَّسُولُ بِالرَّسَالَةِ : قَالَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ ، أَكَلْتَ مِنْ الثَّلَاثِينَ شَاةً شَاةً ، وَشَرِبْتَ مِنْ رَأْسِ الزُّقِّ ! فَاعْتَرَفَ [بِذَلِكَ] ^(٣) .

(قصة العنبري الأسير)

الأصمعيُّ قال : أخبرني شيخٌ من بني العنبر قال : أسر بنو شديبان رجلاً من بني العنبر ، قال : دَعَوْنِي حَتَّى ^(٤) أُرْسَلَ إِلَى أَهْلِ لَيْفِدُونِي ^(٥) . قالوا : على ألاَّ تسكِّمَ الرَّسُولَ إِلَّا بَيْنَ أَيْدِينَا . قال : نعم . قال : فقال للرَّسُولِ ، ائْتِ أَهْلِي فَقُلْ : إِنَّ الشَّجَرَ قَدْ أُورِقَ . وقل : إِنَّ النِّسَاءَ قَدْ اشْتَكَّتْ وَحَرَزَتْ القَرَبَ ^(٦) . ثمَّ قال له : أَتَعْقِلُ ؟ قال : نعم . قال : إِنْ كُنْتَ تَعْقِلُ فَمَا هَذَا ؟ قال : الليل . قال : أراك تعقل ! انطلق إلى أهلي فقل لهم : عَرِّوْا جَمَلِي الأَصْهَبَ ، وَارْكَبُوا نَاقَتِي الحُمْرَاءَ ، وَسَلِّوْا حَارِثًا عَنْ أَمْرِي - وَكَانَ حَارِثٌ صَدِيقًا لَهُ - فَذَهَبَ الرَّسُولُ فَأَخْبَرَ هَمَّ ، فَدَعَا حَارِثًا فَقَصَّ عَلَيْهِ الرَّسُولُ القِصَّةَ ، فَقَالَ أَمَّا قَوْلُهُ « إِنَّ الشَّجَرَ قَدْ أُورِقَ » فَقَدْ تَسَلَّحَ القَوْمُ .

٣٩

- (١) ل : « قل له » .
 (٢) رثم : كسر أنفه أو فوه حتى تقطر منه الدم ، أو لطح بالدم .
 (٣) هذه الزيادة من س فقط . والخبر في البيان (٣ : ٢١١) برواية أخرى ، وقد عين اسم الرجل بأنه قسامه بن زهير العنبري . وانظر كذلك كنايةات الجرجاني ٦٣ ومحاضرات الراغب (١ : ٦٧) حيث نسب الخبر في الأخيرة إلى امرئ القيس .
 (٤) هذه الكلمة ساقطة من ل .
 (٥) ط ، س : « إلى صاحبي » ، وفي ط فقط : « يفتدوني » .
 (٦) هذه الجملة ليست في ل . وهي في أصلها : « وجرت القرب » وليس لذلك وجه ، وقد اعتدت في تصحيحها على ما في كامل ابن الأثير ١ : ٣٨٤ : والمراد بالخمرز هنا الإصلاح استعداداً للحرب .

وأما قوله : « إنَّ النساءَ قد اشتكَّتْ وخرزت القربَ ^(١) » فيقول : قد اتخذت الشُّكَا ^(٢) وخرزت القربَ للغزو . وأما قوله : « هذا الليل » فإنه يقول : أنا كم جيشٌ مثلُ الليل . وأما قوله : « عرَّوا جملي ^(٣) الأضهب » فيقول : ارتحلوا عن الصَّمان . وأما قوله : « اركبوا ناقتي الحمراء » فيقول : انزلوا الدهناء .

وكان القوم قد تهيَّئوا للغزوهم ، فخافوا أن يُنذِرهم ، [فأنذَرهم] وهم لا يشعرون ، فجاء القوم يطلبونهم فلم يجدوهم ^(٤) .

(قصة المطاردى)

وكذلك صنع العطاردى فى شأن [شِعب] جبلة ، وهو كِرب بن صفوان ؛ وذلك أنه حين لم يرجع لهم قولاً حين سألوه أن يقول ، ورى بصرتين فى إحداهما شوك ، والأخرى تراب ، فقال قيس بن زهير : هذا رجلٌ مأخوذٌ عليه ألا يتكلم ، وهو ينذِرُكم عدداً ^(٥) وشوكة ^(٦) .

قال الله عزوجل : ﴿ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ .

(١) س فقط : « وجررت القرب للغزو » ، والكلمة الأخيرة تفسد الكلام ، وتصحيح

كلمة « جررت » هنا وفيما سأتى قريباً ، اعتمدت فيه على ما فى الكامل .

(٢) الشكا ، بالكسر : جمع شكوكة بالفتح : وعاء للماء أو اللبن من آدم .

(٣) ط ، س : « جمالى » وتصحيحه من ل .

(٤) هذا الخبر أورده ابن عبد ربه فى العقد ٣ : ٣٣٠ - ٣٣١ فى بدء كلامه على

يوم الوقيط ، وكذلك ابن الأثير ، بصورة مفصلة . وهو أيضاً فى أمالى القالى :

١ : ٦ والمسترضى ١ : ١٢ والعمدة ١ : ٢١١ ومحاضرات الراغب

١ : ٦٧ والمزهر ١ : ٣٣٣ وكنايات الجرجاني ٦٤ ومعانى الأشنانداني

٥٧ وطرز المجالس ٢٥٤ والملاحن ٤ وأخبسار الظراف ٧٠ والمستطرف ١ : ٤٢ .

(٥) أى عدوا كثير العدد ، وقد أشار إليه بالتراب . وفى ط ، س : « غدرا »

وليس بشيء .

(٦) الشوكة : البأس والقوة . س : « أو شوكة » . والخبر مع بسط كبير ، فى كامل

ابن الأثير ١ : ٣٥٥ - ٣٥٦ .

(شعر في صفة الخيل والجيش)

قال أبو نخيلة (١) :

لما رأيتُ الدِّينَ دِينًا يُؤَفِّكُ وَأُمَسَّتِ القُبَّةُ لا تَسْتَمْسِكُ (٢)
يُفْتَقُ مِنْ أَعْرَاضِهَا وَيُهْتَكُ (٣) سرت من الباب فَطَارَ اللدَّ كَدَكُ (٤)
مِنهَا الدَّجُوجِيُّ وَمِنهَا الأَرْمَكُ (٥) كَاللَّيْلِ إِلاَّ أَنهَا تَحَرَّكُ

وقال منصور النمرى :

لَيْلٌ مِنَ النَّقْعِ لا شَمْسٌ وَلا قَمَرٌ إِلاَّ جَبِينُكَ وَالمذروبة الشُّرْعُ (٦)

وقال آخر :

كَأَنَّهُمْ لَيْلٌ إِذَا اسْتَنْفَرُوا (٧) أَوْ لُجَّةٌ لَيْسَ لَهَا سَاحِلٌ

(١) في الأصل : « ابن نخيلة » ، وليس يعرف شاعر أو راجز بهذا الاسم . وأبو نخيلة

تقدمت ترجمته في ٢ : ١٠٠ .

(٢) ط : « لاتمسك » .

(٣) ط ، س : « أو يهتك » .

(٤) الدكدك : ماتكبس واستوى من الرمل ، أو ماالتبد منه بالأرض . في ط ، س

« قطار دكدك » ، وفي ل : « فسار للدكدك » ، وقد جمعت بينهما بما ترى .

(٥) الدجوجى : الشديد السواد . والأرمك : الذى يتخالط حرته سواد ، وقد تكلم

العسكري في هذا البيت والذى بعده . وهما في صفة الخيل . الصناعتين ٣٩٧ .

(٦) المذروبة : المحددة . وفي ط س : « المدرية » ، وهو تحريف ما أثبت من ل

وديون المعاني ٢ : ٦٧ .

(٧) استنفروا : دعوا للقتال والنصرة . في ط : « استفزوا » وصوابه في س ، ل .

وقال العجاج (١) :

كأَنَّمَا زُهاوُه إِذا جُهرٌ (٢) ليلٌ ورزٌ وِغَرِه إِذا وِغَرٌ (٣)

* سارِ سَرَى مِن قِبَلِ العَيْنِ فجرٌ (٤) *

وفي هذا الباب وليس منه (٥) يقول بشار :

كَأَنَّ مُثارَ النَّقَعِ فوقَ رُؤوسِهِم (٦) [وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبهُ

وقال عمرو بن كلثوم :

تَبَي سَنابِكُهُم مِن فوقِ أَرؤوسِهِم [سقفا (٧) كواكبهُ البِيضُ المَبائِرُ

وهذا المعنى قد غلب عليه بشار ، كما غلب عنترَةُ على قوله :

فَتَرَى الذُّبابَ بِها يُغَيِّ وَحدُهُ هَزِجًا كَفِعلِ الشَّارِبِ المَتَرِّمِ
غَرَدًا يُحْكُ ذِرَاعَهُ بِدِرَاعِهِ فِعلُ المُكِبِّ على الزَّنَادِ الأَجْدَمِ

فلو أنَّ امرأَ القَيسِ عَرَضَ في هذا المعنى لعنترَةُ لافْتَضَحَ .

(١) ط : « وقال آخر » . وأثبت ماني س ، ل .

(٢) زهاؤه : قدره . وفي ط ، س : « نهاره » وصوابه من ل : وديوان المعاني

٢ : ٧١ . وجهر : نظر إليه باستعظام . ورواية ديوان المعاني واللسان (مادة جهر ، وغر) : « لمن جهر » . والشعر في نعت جيش .

(٣) الرز ، بالكسر : الصوت . ووغر الجيش : صوتهم وجلبتهم . وفي ط ، س « وزور وعرة إذا وعر » ، وهو تشويه إصلاحه من ل وديوان المعاني واللسان .

(٤) ل : « فحر » ، وفي الأصل : « العير » صوابه في ديوان العجاج ١٨ وديوان المعاني والمخصص ١٦ : ١٨٥ . قال ابن سيده : والعين : ماعن يمين قبلة العراق .

(٥) ل : « به » .

(٦) ط ، س : « كأنما النقع يوما فوق رؤوسهم » ، وبذلك يختلف الوزن ، وأثبت

ماني ل وعيون الأخبشار ٢ : ١٩٠ . ومشهور الرواية : « فوق رؤوسنا » انظر الوساطة ٢٣٧ وحاسة ابن الشجري ٢٣٤ .

(٧) ط ، س : « سقف » صوابه في ل .

(مقطعات شتى)

وقال بعضهم [في] غير هذا [المعنى] :

وفلاةٍ كأنما اشتمل اللَّبَّ لُ على رَكِيهَا بأبناءِ حامٍ (١)
٤٠ خضتُ فيها إلى الخليفة بالرَّ قةٍ (٢) بحرى ظهيرةٍ وظلام

وقال العرجيُّ (٣) :

سميتني خلقاً بحلّةٍ قدّمت (٤)
ولا جديد إذا لم يلبس الخلقُ
يا أيها المتحلّي غيرَ شيمته
ومن خلّاتِهِ الإقصادُ والمَلَقُ (٥)
ارجعْ إلى خيمك المعروفِ ديدنه
إن التخلّقَ يأتي دونه الخلقُ (٦)

وقال آخر (٧) :

أودى الخيارُ من المعاشِرِ كلهم
واستبَّ بعَدك يا كُليبُ المجلسُ
وتنازَعوا في كلِّ أمرٍ عَظيمةٍ
لو قدّ تسكونُ شهدتهم لم يندسوا (٨)

(١) حام : أحد أبناء نوح . وإليه ينسب السودان ، والزنوج ، والأجاس ، والنوبة .

(٢) الرقة : مدينة على الفرات . ط ، س : « بالشرقة » تحريف .

(٣) ط ، س : « وقال آخر » ، وأثبت ما في ل موافقاً لما في المقد ٢ : ٢٤

وزهر الآداب ١ : ٧٧ والشعراء ١٣٨ . ويروى الشعر أيضاً لسالم بن وابصة

كافي البيان ١ : ٢٣٣ ونوادر أبي زيد ١٨١ . وهو بدون نسبة في مجالس ثعلب ٣٠٠ .

(٤) ط : « بحلة قدحت » س : « حللة قدمت ، وأثبت ما في ل .

(٥) الإقصاد ، لعله من أقصدت الحية : لدغت فقتلت .

(٦) الخيم ؛ بالكسر : السجية .

(٧) هو مهلهل ، كما سيأتي ، وكافي ديوان المعاني ١ : ٢٠٤ والصناعتين ١٩٤ .

(٨) ل : « لو كنت حاضر أمرهم لم يندسوا » .

وأبياتُ أبي نواسٍ على أنه مولدٌ شاطر ، أشعرٌ من شعر مهلهل في إطراق
النَّاسِ في مجلسِ كليب ، وهو قوله (١) :

على خبزِ إسماعيلَ واقيةَ البُخْلِ (٢) وقد حلَّ في دارِ الأمانِ مِنَ الأكلِ
وما خبزُهُ إلا كآوى يُرى ابنها ولم تُرَ آوى في الحزون ولا السَّهْلِ
وما خبزُهُ إلا كعَنقَاءِ مُغْرِبِ تُصوِّرُ في بسطِ الملوكِ وفي المثلِ
يحدثُ عنها النَّاسُ من غيرِ رُؤيةٍ سيوى صورةٍ ما أن تُمِرَّ ولا تُمَحَلِي
وما خبزُهُ إلا كليبُ بنُ وائلٍ ليلَى يحمى عزه منبتِ البقلِ
وإذ هو لا يستبُّ خصمانِ عنده ولا القولُ مرفوعٌ بجِدِّ ولا هزلِ

(١) يهجو إسماعيل بن أبي سهل بن نبيخت ، كما في الديوان ١٧١ وأخبار أبي نواس ١٢٧ وثمار القلوب ٧٧ . قال الجاحظ : « وكان أبو نواس يرتعى على خوان إسماعيل بن نبيخت كما ترتعى الإبل في الحمض بعد طول الخلة ، ثم كان جزاؤه منه أنه قال :

خبز إسماعيل كالوشى إذا ماشق يرفا

وقال :

وما خبزُهُ إلا كليب بن وائل ليلَى يحمى عزه منبتِ البقلِ

البخلاء ٥٩ . وفي رسالة الحاسد والحسود ص ١٠ : « وكان الحسن بن هاني يرتع على مائدة إسماعيل الهاشمي ، وكان من المطعمين للطعام المسرفين ، فعارض الحسن بن هاني يوماً بعض أصحابه فقال له : من أين ؟ فقال : من عند إسماعيل . فقال له : ما أطعمكم ؟ فقال : أطعمنا دماغ كلب في قحف خنزير . فلم يكن منه هذا القول إلا على وجه الحسد » .

(٢) انفرد ابن منظور في أخبار أبي نواس برواية : « واقية النمل » ، كما يقال : « واقية الكلاب » .

فإن خبزُ إسماعيلَ حلَّ به الذى أصابَ كليبًا لم يكن ذلك عن بَدَلٍ (١)
ولكن قضاءً ليس يُسطاعُ دَفْعُهُ بِجيلةِ ذى دَهْيٍ ولا فِكْرِ ذى عقلٍ (٢)

(شعر العرب والمولدين)

والقضية التي لا أحتشمُ منها (٣) ، ولا أهابُ الحصومة (٤) فيها : أن (٥)
عامَّة العرب والأعراب والبدو والحضر من سائر العرب ، أشعر من [عامَّة]
شعراء الأمصارِ والقُرَى ، من المولدة (٦) والنابتة (٧) . وليس ذلك بواجبٍ
لهم في كلِّ ما قالوه (٨) .

وقد رأيت ناسًا منهم (٩) يهرجون أشعارَ المولدين ، ويستسقون من
رواها . ولم أر ذلك قطُّ إلا في روايةٍ للشعرِ غيرِ بصيرٍ بجوهر ما يروى . ولو
كان له بصرٌ (١٠) لعرفَ موضعَ الجيِّدِ من كان ، وفي أيِّ زمانٍ كان .

(١) في ديوان المعاني والتمار : « عن ذل » ، وفي الديوان : « من ذل » ، وأنا
أرتضى ما هنا .

(٢) ل : « بجيلة ذى مكر ولادهى ذى عقل » . والدهى : الدهاء .

(٣) كذا في س ، ل . وفي ط : « والقصيدة هذه احتشم منها » محرفة .

(٤) ط ، س : « ولا أطلب الحصومة » ، ل : « ولا أهابُ الخصوم » ، وقد عدلت
القول بما ترى .

(٥) ط : « إذ » ، وتصحيحه من س ، ل .

(٦) ل : « المولدين » .

(٧) ط : « والثانية » ول « الثانية » س : « النابتة » ، والوجه ما أثبت .

(٨) ط ، ل : « فيما قالوه » ، والوجه ما كتبت من س .

(٩) ط : « نشأهم » س : « نسابهم » ل : « ناسا » ، ولعل الصواب فيما أثبت .

(١٠) ل : « ولد » ، وهو تحريف ظاهر .

وأنا رأيت^(١) أبا عمرو [الشيبانيّ] وقد بلغ من استجادته لهذين البيتين ،
ونحن في المسجد يوم الجمعة ، أن كلّف رجلاً حتى أحضره دواة وقرطاساً ٤١
حتى كتبهما له . وأنا أزعّم أنّ صاحب هذين البيتين لا يقول شعراً أبداً .
ولولا أن أدخل في [الحكم] بعض الفتك^(٢) لزعمت أنّ ابنه لا يقول شعراً
أبداً^(٣) ، وهما قوله :

لأَحْسَبَنَّ الْمَوْتَ مَوْتَ الْبَيْلَى فإِنَّمَا الْمَوْتُ سُؤَالُ الرَّجَالِ^(٤)
كلاهما موتٌ ولكنّ ذَا أَفْطَعَ مِنْ ذَاكَ لَذَلَّ السُّؤَالُ^(٥)

(القول في المعنى واللفظ)

وذهب الشّيخُ إلى استحسانِ المعنى ، والمعاني مطروحةٌ في الطريق
يعرفها العجميُّ والعربيُّ ، والبدويُّ والقروى ، [والمدنيُّ] . وإِنَّمَا الشَّأْنُ
في إقامةِ الوزن ، وتخيّر اللفظ^(٦) ، وسهولة المخرج^(٧) ، [وكثرة المساء] ،

(١) كذا في ل . وفي ط ، س : « قد سمعت » .

(٢) الفتك : المجون . وفي ط ، س : « القيل » .

(٣) كذا في ل . وفي ط ، س : « لزعمت أنّ ابنه أشعر منه » .

(٤) كذا في ل . وفي ط ، س : « وإِنَّمَا » .

(٥) كذا في ط ، س والبيان (٢ : ١٧١) . وفي ل : « أشد من ذاك على
كل حال » . وفي المستطرف (٢ : ٥٣) : « أخف من ذاك لذل السؤال » . ومن
العجب أن ينعي الجاحظ على أبي عمرو استحسانه هنا ، ثم يقع هو فيما عابه على غيره
فيجعل البيتين في مختارات البيان والتبيين .

(٦) كذا في ل . وفي ط : « تمييز » وفي س : « وتخيير » .

(٧) ط : « وسهولته وسهولة المخرج » .

وفي صححة الطبع وجودة السبك^(١) ، فإنما الشعر صناعة^(٢) ، وضرب من
النسج^(٣) ، وجنس من التصوير .

وقد قيل للخليل بن أحمد : مالك لا تقول للشعر ؟ قال : «الذي يجيئني
لأرضاه ، والذي أرضاه لا يجيئني» .

فأنا أستحسن هذا الكلام ، كما أستحسن جواب الأعرابي حين قيل
له : كيف تجدك ؟ قال : [أجدني] أجد ما أشتهى ، وأشتهى ما أجد !

(شعر ابن المقفع)

وقيل لابن المقفع : مالك لا تجوز^(٤) البيت والبيتين والثلاثة ! قال :
إن جزئها^(٥) عرفوا صاحبها . فقال له السائل : وما عليك أن تعرف بالطوال
الجياد ؟ ! [فعلم أنه لم يفهم عنه] .

(الفرق بين المولد والأعرابي)

ونقول : إن^(٦) الفرق بين المولد والأعرابي : أن المولد يقول^(٧) بنشاطه
وجمع^(٨) باله ، الأبيات^(٩) اللاحقة بأشعار أهل البدو ، فإذا^(١٠) أمعن
انحلت قوته ، واضطرب كلامه .

(١) ل : « وجودة السبك وصحة الطبع » مع إسقاط « صحة الطبع » مما سبق .

(٢) ل : « صياغة » .

(٣) ط فقط : « الصنغ » .

(٤) أي تتجاوز . وفي ط ، س : « تجود » محرفة .

(٥) كذا في ل . وفي ط ، س : « جودتها » وهو تحريف «

(٦) ل : « لأن الفرق » مع حذف « ونقول » .

(٧) س : « يقوم » وهو تحريف .

(٨) ط : « وجميع » ، والوجه ما أثبت من س ، ل .

(٩) كذا في ل . وبدلها في ط ، س : « فيشبهه » .

(١٠) ط ، س : « وإذا » .

(شعر في تمظيم الأشراف)

وفي شبيهه بمعنى مهلهل وأبي نؤاس ، في التّعظيم والإطراق عند السّادة ،

يقول الشاعر^(١) في بعض بني مروان :

في كفه خيرُ رانٍ رِيحه عبقٌ في كفٍّ أروعَ في عرينه شمُّ^(٢)
يغضي حياءً ويغضي من مهابته فما يكلم إلا حين يتنسمُ
إن قال قال بما يهوى جميعهمُ وإن تكلم يوماً ساخت الكلمُ
كم هاتفٍ بك من داعٍ وهاتفه يدعوك يا قسَمَ الخيراتِ يا قسَمَ^(٣)

وقال أبو نؤاس في مثل ذلك^(٤) :

فترى الساداتِ مائلة^(٥) لِسَيلِ الشَّمسِ من قَرَّةِ
فَهُمُ شَتَّى ظُنُونُهُمُ حَذَرَ المطوِّى من خَبَرِهِ^(٦)

(١) هو الفرزدق يقوله في هشام بن عبد الملك كما في أمالي المرتضى (١ : ٤٨) وزهر الآداب (١ : ٦٠) . أو الحزین الكناني في عبد الملك بن مروان كما في ديوان الحماسة (٢ : ٢٨٤) . أو للفرزدق في علي بن الحسين كما في العمدة (٢ : ١١٠) وأمالي المرتضى . أو للعين المقرئ فيه ، كما في العمدة . أو لكثير بن كثير المههمي في محمد بن علي بن الحسين . المؤتلف ١٦٩ . أو لداود بن سلم في قثم بن العباس ، كما في العمدة . وهذا مثل لمقدار اختلاف الرواة في نسبة الشعر . وقد سكت الجاحظ عن النسبة هنا ، وكذلك في البيان (١ : ٣٧٠ ، ٣ : ٤١) وكذا ابن قتيبة في عيون الأخبار (١ : ٢٩٤ ، ٢ : ١٩٦) تحفظا منها .

(٢) ل ، س : « ريحها » .

(٣) هذا البيت ساقط من ل .

(٤) يمدح العباس بن عبيد الله بن أبي جعفر المنصور ، كما في الديوان ٦٦ من قصيدته المشهورة التي مطلعها :

أيها المنتاب من عفره لست من ليلى ولا سمره

(٥) مائلة : واقفة ، يعنى لإجلاله . وهذه رواية ل والديوان . وفي ط ، س : « مائلة » ، والميل علامة الخضوع .

(٦) في الديوان : « حذر المكتون من فكره » .

وقال إبراهيم بن هرمة في مديح المنصور ، وهو شبيه بهذا
وليس منه :

له لحظات عن حفاى سريره (١) إذا كرها فيها عقاب و نائل (٢)
فأمم الذي أمنت آمنة الردى وأمم الذي أوعدت بالشكل ثا كل (٣) ٤٢

(شعر في الحلف والعقد)

وقال مهلهل ، وهو يقع في باب الحلف وكَّد بعقد (٤) :

[ملنا على وائل وأفلتنا يوماً عدى جريعة الذقن (٥)]
دفعت عنه الرماح مجتهداً حفظاً الحلقى وحلف ذى يمن (٦)
أذكر من عهدنا وعهدهم عهداً وثيقاً بمنحر البسطن
مابل بجر كفا بصوقتها (٧) وما أناف المضاب من حصن (٨)
يزيده الليل والنهار معاً شداً ، خراط الجموح فى الشطن (٩)

(١) كذا فى س والعقد (١ : ٣٢٠ تأليف) و عيون الأخبار (١ : ٢٩٤) وفى ل . :
« عن حفا من » وفى ط : « فى حفا من » . وفى العقد (٦ : ٣٥١ تأليف) : « عن
خفاء سريرة » . وفى العمدة (٢ : ١٠٩) : « عن خفاى سريره » .

(٢) س : « فيه عقاب » وهو تحريف .

(٣) ط : « أمته الردى » وتصحيحه من س ، ل . وفى ل : « حاولت بالشكل »
وفى س : « أنكلت » .

(٤) ط فقط : « فى باب حلف » . ل فقط : « وكيف يعقد » .

(٥) يقال فى المثل : أفلتنى جريعة الذقن ، إذا كان قريباً منك كقرب الجرعة من الذقن
ثم أفلتك ، وهو يضرب مثلاً لإفلات الجبان . اللسان (جرع) .

(٦) ط ، س : « وحفظ ذى يمنى » وهو تحريف .

(٧) فى اللسان : « وصوف البحر : شئ على شكل هذا الصوف الحيوانى ، واحده
صوفة . ومن الأبديات قولهم : لا أكلمه مابل بجر صوفة » . ل : « بصوقتها »
وهو تحريف .

(٨) حصن ، بالتحريك : جبل بأعلى نجد . وفى ط ، س : « حصن » مصحف .
وفيهما أيضاً : « وما أناف الصخور » .

(٩) الخراط : بالكسر : الجماح . والشطن : الحبل . ط ، س : « خراط الجموع »
وصوابه من ل .

شعر في مصرع عمرو بن هند

وقال جابر بن حنّى^(١) التغلبيّ :

ولسنا كأقوامٍ قريبٍ محلهمُ ولسنا كمن يرضيكم بالتملق^(٢)
فسائلٌ شرّ حبيلاً بنا ومحلماً غداة نكرُّ الخيلَ في كلِّ خندق^(٣)
لعمرك ما عمرو بنُ هندٍ وقد دعا لتخدمَ ليلى أمّه بموفق^(٤)
فقام ابنُ كلثومٍ إلى السيفِ مُغضباً فأمسكَ من ندمائه بالخنق^(٥)
وعممه عمداً على الرأسِ ضربةً بندي شطّبٍ صافي الحديدِ مخفق^(٦)

(١) جابر بن حنّى أحد شعراء المفضليات . وفي ط ، س : « ضابئ بن حينا » وهو تحريف . والشعر ينسب أيضاً إلى أفنون التغلبي كما في الشعراء ٩٦ والأغاني (٩ : ١٧٦) وكامل ابن الأثير (١ : ٣٣١) .

(٢) ل : « نرضهم » ، والوجه ما أثبت من ط ، س .

(٣) ط : « فسائل شريكاً نائباً ومحكماً » . س : « فسائل شريحاً نائباً ومحكماً » ، وأثبت ما في ل . وفي س : « تكرر الخيل » .

(٤) لاستخدام أم عمرو بن هند ، ليلى أم عمرو بن كلثوم ، قصة يتداولها الرواة . انظر لها الأغاني (٩ : ١٧٥ - ١٧٦) .

(٥) الندمان ، بالفتح : التديم ، والمراد به عمرو بن هند . وفي ل : « ندمائه » وهو تحريف . وفيها أيضاً : « بالمخفق » وهو تحريف كذلك . وفي س : « بالمخفق » .

(٦) الشطب : طرائق للسيف . و « الحديد » هي في الأصل « الحديد » ، وأثبت ما في الأغاني ليستقيم الشعر . والمخفق ، كقبر : العريض من السيوف . وفي ط : « محقق » وفي س : « محقق » وهما تصحيف ما أثبت من ل .

(شعر في الأقارب)

وقال المتلمس :

على كلهم آسى وللأصل زلفة فزحزح عن الأدنين أن يتصدَّعوا
وقد كان إخواني كريماً جوارهم ولكن أصل العود من حيث يُنزعُ

وقال المتلمس :

ولو غيرُ أخوالى أرادوا نقيصتي جعلتُ لهم فوقَ العرائينِ ميسما
وما كنتُ إلاً مثلَ قاطعِ كفه بكفٍّ له أُخرى فأصبحَ أجذما
يداهُ أصابتْ هذهَ حتفَ هذه فلم تجدِ الأخرى عليها مُقدِّما
فأطرقَ إطراقَ الشجاعِ ولو يرى مساعاً لنابيهِ الشجاعُ لَصَمَّما^(١)
أحارثُ إنا لو تُسأطُ دماؤنا تَزايِلنَ حتى لايمسَّ دمَّ دما^(٢)

(تفسير كلمة لعمر)

قال : وسألتُ عن قول عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لأبي

مرِّمِ الجَنَفِ^(٣) : واللهِ لَأَنَا أَشَدُّ بَغْضاً لَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِلدَّمِ^(٤) ! قال :

(١) الشجاع : الحية الذكر .

(٢) تسأط : تخلط . وفي ط ، س : « تساقط » ، وصوابه في ل . وكانوا يعتقدون أنه إذا خلط دم عدوين تميز كل منهما عن الآخر .

(٣) اسمه إياس بن صبيح ، كان من أهل اليمامة وكان من أصحاب مسيامة ، وهو قتل زيد بن الخطاب بن نقيب يوم اليمامة ، ثم تاب وحسن إسلامه ، وولى قضاء البصرة بعد عمران بن الحصين في زمن ابن الخطاب . طبقات ابن سعد (ج ٧ ق ٢ ص ٦٤) : وقال أبو الحسن في شرح الكامل : ثقة كوفي . الكامل ٣٤٦ ليبسك .

(٤) النص في الكامل : « والله لا أحبك حتى تحب الأرض الدم » وزاد : « قال :

أفتمنعني حقاً ؟ قال : لا . قال : فلا بأس ، إنما يأسف على الحب النساء ! » .

لأنَّ الدَّمَّ الجارى من كلِّ شىءٍ بَيْنَ ، لا يغيضُ في الأرض ؛ ومتى جفَّ
[وتجلَّب] فقرفته (١) رأيتَ مكانه أبيض .

إلَّا أنَّ صاحب المنطق قال في كتابه في الحيوان : كذلك الدَّماء ، إلَّا ٤٣
دَمَ البعير .

(أشعار شتى)

وقال النَّمِرُ بنُ تولب (٢) :

إذا كنتَ في سعدٍ ، وأمك منهمُ
غريباً فلا تغررك أمك من سعد (٣)

وقال (٤) :

وإنَّ ابنَ أختِ القومِ مُصغى إنأؤه
إذا لم يُزَاحِمْ خالهُ بأبٍ جلد (٥)

-
- (١) قرفة : قشره . وفي ط ، س : « فقرفته » ؛ تصحيف ما أثبت من ل .
- (٢) في محاضرات الراغب (١ : ١٧٧) نسبة الشعر إلى حسان بن وعدة . وفي الحماسة (١ : ٢٠٠) إلى غسان بن وعدة .
- (٣) الرواية المشهورة : « فلا يفررك خالك من سعد » . انظر الكامل ٣٣٧ ليبسك ومحاضرات الراغب والعقد (١ : ٤٣) والحماسة ، وعيون الأخبار (٣ : ٨٩) .
- (٤) كذا بالأصل . والبيتان متصلان كما في جميع المراجع السابقة ماعدا العقد ، والرواية فيها جميعاً ماعدا العقد ؛ فإنه لم يرو البيت الثاني : « فإن ابن أخت القوم » . وبعد البيت السابق ، كما في العقد وشرح التبريزي (٢ : ٤١) :
- إذا مادعوا كيسان كانت كهولهم إلى الغدر أدنى من شباههم المرء
قال أبو عمرو بن العلاء : كانت بنو سعد بن تميم أغدر العرب ، وكانوا يسمون
الغدر في الجاهلية : « كيسان » .
- (٥) مصغى إنأؤه : يقال أصغيت الإناء : نقصته . انظر المخصص (١٣ : ١٦١) .
وفي اللسان ، « ويقال أصغى فلان إناء فلان : إذا أماله ونقصه من حظه » .

وقال آخر :

تَخَيَّرَهُ اللهُ الْغَدَاةَ لِدِينِهِ عَلَى عِلْمِهِ وَاللَّهُ بِالْعِلْمِ أَفْرَسٌ^(١)

وقال آخر :

وَمَا تَرَكَ الْهَاجُونَ لِي فِي أَدِيمِكُمْ مَصْحًا وَلَكِنِّي أَرَى مُتْرَقَعًا^(٢)

وقال العجليّ ، أو العكلى^(٣) ، لنوح بن جرير :

[أَتَسْبِيئِي فَأَرَاكَ مِثْلِي سُبَّةً وَأَسْبُ جَدِّكُمْ بِسَبِّ آبِينَا]

ولقد أرى والمقتضى متجاوز^(٤) يانوح أن أباك لا يوفينا

وقال عمرو بن معد يكرب :

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئًا فَدَعَهُ وَجَاوِزَهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ

وَصِيْلُهُ بِالزَّمَاعِ فَكُلُّ أَمْرٍ سَمَّا لَكَ أَوْ سَمَوْتَ لَهُ وَلَوْعُ

(شعر في صاحب السوء)

وقال المقنّع الكندي^(٥) :

وَصَاحِبِ السُّوءِ كَالدَّاءِ الْعِيَاءِ إِذَا مَا أَرَفَضَ فِي الْجَوْفِ يَجْرِي هَاهُنَا وَهَنَا^(٦)

(١) كذا في ط ، س . وفي ل : « تخيّرهُ رب العباد . . . بالعبد أعرف » .

(٢) المصح : موضع الصحة . س : « مترقعا » وهو تصحيف ، صوابه في اللسان والمقاييس (رفع) .

(٣) كذا في س . وفي ط : « وقال العجلي ، أو العكلى » وفي ل :

« وقال العكلى » .

(٤) كذا في ل . وفي ط : « ولقد رأونا والقضا متخون » وفي س : « ولقد

رأونا والقضا متخون » .

(٥) المقنّع : لقب غلب عليه ؛ لأنه كان أجل الناس وجها ، وكان إذا سافر اللثام عن

وجهه أصابته العين ، فكان لا يمشي إلا مقنعا . واسمه محمد بن ظفر بن عمير .

شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية . الأغاني (١٥ : ٧٥١) والشعراء ١٧٣ .

(٦) داء عياء : لا يبرأ منه . وفي ل : « كالداء العضال » .

يُنْبِي وَيُنْبِرُ عَنْ عَوْرَاتِ صَاحِبِهِ وَمَا رَأَى عِنْدَهُ مِنْ صَالِحٍ دَفْنَا (١)
 كَمَهْرٍ سَوْءٍ إِذَا رَفَعَتْ سَيْرَتَهُ رَامَ الْجِلْحَاقَ وَإِنْ خَفَضَتْهُ حَرْنَا (٢)
 إِنْ يَحْيَى ذَاكَ فَكُنْ مِنْهُ بِمَعزَلَةٍ أَوْ مَاتَ ذَاكَ فَلَا تَعْرِفْ لَهُ جَنَنًا (٣)

بَاب (٤)

ذِكْرُ خِصَالِ الْحَرَمِ

فِنْ خِصَالِهِ أَنَّ الدُّبَّ (٥) يَصِيدُ الطَّيْرَ وَيُرِيغُهُ (٦) وَيُعَارِضُهُ ، فَإِذَا دَخَلَ الْحَرَمَ كَفَّ عَنْهُ .

وَمِنْ خِصَالِهِ أَنَّهُ لَا يَسْقُطُ عَلَى السَّكْبَةِ حَمَامٌ (٧) [إِلَّا وَهُوَ عَلِيلٌ . يُعْرِفُ ذَلِكَ مَتَى امْتَحَنَ وَتَعَرَّفَتْ حَالُهُ (٨) . وَلَا يَسْقُطُ عَلَيْهَا] مَا دَامَ صَحِيحًا .
 وَمِنْ خِصَالِهِ أَنَّهُ إِذَا حَازَى أَعْلَى السَّكْبَةِ عَرَقَةٌ (٩) مِنَ الطَّيْرِ كَالطَّيَامِ وَغَيْرِهِ ، انْفَرَقَتْ فِرْقَتَيْنِ وَلَمْ يَعْلَمَهَا (١٠) طَائِرٌ مِنْهَا .

(١) ل : « يَجْرِي وَيُنْبِرُ » ، وَفِي الشُّعْرَاءِ : « يَنْبِي وَيُنْبِرُ » .

(٢) رَفَعَتْ سَيْرَتَهُ : زَادَ فِي سُرْعَةِ سَيْرِهِ .

(٣) الْجَنَنُ ، بِالتَّحْرِيكِ : الْقَبْرُ . وَفِي ل : « أَوْ مَاتَ ذَاكَ لَا تَشْهَدُ لَهُ جَنِينًا » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ مَا فِي الشُّعْرَاءِ : « أَوْ مَاتَ ذَاكَ فَلَا تَشْهَدُ » .

(٤) قَبْلَ هَذَا فِي ل : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » .

(٥) كَذَا فِي ل وَثَمَارِ الْقُلُوبِ ١٣ وَمَخَاضِرَاتِ الرَّائِبِ (٢ : ٢٦٣) . وَفِي ط ، س : « السَّكْبَةُ » ، وَلَيْسَ مُرَادًا .

(٦) يُرِيغُهُ : يَطْلُبُهُ .

(٧) ط ، س : « عَلَى السَّكْبَةِ حَمَامٌ » .

(٨) فِي ثَمَارِ الْقُلُوبِ : « عَرَفَ ذَلِكَ مِنْ امْتِحْنِهِ وَتَعَرَّفَ حَالَهُ » .

(٩) الْعَرَقَةُ ، بِالتَّحْرِيكِ : السُّطْرُ مِنَ الطَّيْرِ ، أَوْ الْحَيْلُ ، وَالْجَمْعُ عَرَقٌ . وَفِي ط ، س : « عَرَفَ » وَتَصْحِيحُهُ مِنْ ل .

(١٠) ط : « يَعْلَمُهَا » وَصَوَابُهُ فِي س ، ل .

ومن خصاله [أنه ^(١)] إذا أصاب المطرُ البابَ الذي من شِقِّ العراق ، كان الخِصْبُ والمطرُ في تلك السَّنَةِ في شِقِّ العراق ، [وإذا أصاب الذي من ^(٢)] شِقِّ الشَّامِ كان الخِصْبُ ^(٣) والمطرُ في تلك السَّنَةِ في شِقِّ الشَّامِ [، وإذا ^(٤)] عمَّ جوانبَ البيتِ كان المطرُ والخِصْبُ عامًّا في سائر ^(٥) البلدان .

٤٤

ومن خصال الحرم أن حصى الجِمارِ يُرمى بها في ذلك المرمى ، مُدَّ يَوْمَ حَجِّ النَّاسِ البيتَ على طَوَالِ الدَّهرِ ، ثمَّ كأنَّه على مقدارٍ واحدٍ . ولولا موضع الآيةِ والعلامةِ والأعجوبةِ التي فيها ، لقد كان ذلك كالجبال . هذا مِنْ غير أن تَكْسَحَهُ السَّيُولُ ، وبأخذٍ منه النَّاسُ .

ومن سُنَّتِهِمْ : أن كلَّ مَنْ علا الكعبةَ من العبيد فهو حرٌّ ، لا يرون المَلِكَ على من علاها ، ولا يجمعون بين [عزٍّ] علوها وذلة ^(٦) المَلِكِ . وبمكةَ رجالٌ من الصُّلحاء لم يدخلوا الكعبةَ قطَّ .

وكانوا في الجاهليَّةِ لا يبنون بيتًا مربعًا ، تعظيمًا للكعبةِ . [والعربُ تسمي كلَّ بيتٍ مربعٍ كعبةً ، ومنه : كعبة نَجْرانِ] . وكان ^(٧) أوَّلُ مَنْ بنى بيتًا مربعًا حميد بن زهير ^(٨) ، أحد بني أسد بن عبد العزَّى .

ثمَّ البركة والشفاء الذي يجده مَنْ شرب من ماءٍ زمزم على وجه الدهر

(١) الزيادة من س ، ل .

(٢) هذه الكلمة وسابقتها ليستا بالأصل . وهما من ثمار القلوب .

(٣) في الأصل ، أى ل التي منها هذه الزيادة : « الحظر » ، وتصحيحه من ثمار القلوب .

(٤) ل : « فإذا » .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من ل والثمار .

(٦) كذا في ل . وفي ط ، س : « وبين » . وفي الثمار : « وذال الرق » .

(٧) كذا في ل . وفي ط ، س : « فكان » .

(٨) هو حميد بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزَّى بن قصي القرشي . وكانت له

دار ملاصقة للمسجد ، وقد ذكره ابن حجر في الإصابة ١٨٣٣ .

وكثرة من يُقيم عليه يجدُ فيه الشفاء ، بعد أن لم^(١) يدعُ في الأرض حَمَّةَ^(٢) إلا أنها ، وأقام عندها ، وشرب منها ، واستنقع^(٣) فيها .

هذا مع شأن الفيل ، والطيرِ الأبايلِ ، والحجارة السَّجِيلِ ، وأنهما لم تزل أماناً ولقاحاً^(٤) ، لا تؤدِّي إتاوة ، ولا تدِين للملوك ، ولذلك سُمِّي البيت العتيق ؛ لأنه لم يزل حُرّاً لم يملكه أحد .

وقال حرب بن أمية في ذلك^(٥) :

أبا مَطَرٍ هَلُمَّ إِلَى صَلَاحٍ فَتَكْفِيكَ النَّدَامَى مِنْ قَرِيشِ^(٦)

فَتَأْمَنَ وَسَطَهُمْ وَتَعِيْشَ فِيهِمْ أبا مَطَرٍ هُدَيْتَ لِحَيْرِ عَيْشِ^(٧)

وَتَنْزَلَ بِلَدَّةٍ عَزَّتْ قَدِيمًا وَتَأْمَنَ أَنْ يَزُورَكَ رَبُّ جَيْشِ^(٨)

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا

وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ . وقال عزَّ وجلَّ ، حكايةً عن إبراهيم

(١) كذا في ط ، س . وفي ل : « أن لا » .

(٢) الحمة ، بالفتح : كل عين فيها ماء حار ينبع ، يستشفى بها الأعمال .

(٣) استنقع فيها : نزل واغتسل . وفي ط ، س : « وانقع » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٤) في السكامل ٧٠٦ ليبسك : « واللقاح : الذي ليس في سلطان أحد » .

(٥) يقول الشعر لأبي مَطَرٍ الحضرمي ، يدعوهُ إلى حلفه ونزول مكة . كامل المبرد .

(٦) المبرد : « صلاح اسم من أسماء مكة » ، وضبطت في السكامل ضبط قطام . وقال ياقوت

في المعجم : « صلاح بوزن قطام : من أسماء مكة . قال العمري : وفي كتاب

التكملة : صلاح ، بكسر الصاد والإعراب » يعني التنوين . في س : « فتكنفك »

وفي المعجم : « ليكنفك » ، وفي السكامل « فتكنف كالندى » ، والمعنى مستقيم بالجمع .

(٧) س : « فتأمن رهطهم » .

(٨) كذا في ط ، س ، والمعجم ، والسكامل . وفي ل فقط : « عزت لقاحا »

وفي المعجم : « أن ينالك رب جيش » .

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ .

(خصال المدينة)

والمدينة هي طيبة ، ولطيبها قيل تلفظ خببها وينصع طيبها . وفي ربح
تراها وبنة^(١) تربتها ، وعرف تراها^(٢) ونسيم هواؤها ، والنعمة^(٣) التي
توجد في سكرها وفي حيطانها - دليل على أنها جعلت آية حين
جعلت حرماً .

وكل^(٤) من خرج من منزل مطيب إلى استنشاق [ربح] الهواء
والتربة^(٥) في كل بلدة فإنه لا بد عند الاستنشاق والتثبت من أن يجدها
منتنة . فذلك^(٦) على طبقات من شأن البلدان ، إلا ما كان في مدينة
الرسول ، رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فللصباح^(٧) والعطر والبحور

(١) البنة ، بالفتح : الريح الطيبة . وفي س : « نبت » ، وتصحيحه من ل .

(٢) الزيادة من ل ، س .

(٣) كذا في ط ، س ، وثمار القلوب ٤٣٦ . وفي ل : « والنعمة » ، وهذه
محرقة لا ريب . وأميل إلى أن تكون هذه الكلمة « فعمة » من فعم المسك
البيت : طيبه .

(٤) ط ، س : « وقيل » ، ووجهه من ل .

(٥) ط : « الهوى والبرية » ، وصوابه في س ، ل .

(٦) ل : « وذلك » .

(٧) الصباح ، بوزن كتان : عطر . ط ، س : « فللصباح » تحريف ما أثبت .

وفي ل : « وللصباح » .

والتَّضُوح^(١) ، من الرَّائِحَةِ الطَّيِّبَةِ - إِذَا كَانَ فِيهَا - أضعافٌ ما يوجد له في غيرها من البلدان ، وإن كان الصَّيَّاح^(٢) أجود ، والعطر أفخر ، والبخور آمن .

(بعضُ البلدان الرديئة)

ورُبَّتْ بلدةٌ يستحيل^(٣) فيها العطرُ وتذهب رائحته ، كقَصَبَةِ الأهواز . ٤٥
وقد كان الرشيدُ همَّ بالإقامة بأنطاكية ، وكره أهلها ذلك ، فقال شيخٌ منهم ، وصدَّقهُ : يا أمير المؤمنين ، ليست من بلادك ، ولا بلادٍ مثلك ، لأنَّ الطَّيِّبَ الفاخرَ يتغيَّرُ فيها حتَّى لا يُنتفعَ منه بكثير^(٤) شيء ، والسَّلاحَ يصدأ فيها ولو كان من قلعةِ الهند^(٥) ، ومن طبع^(٦) اليمن ، ومطرها ربَّما أقام

(١) التَّضُوح ، كصبور : طيب . وهذه الكلمة محرقة في الأصل ، فهي في ط : « والتضوح » ، وفي س : « والتضوح » ، وفي ل : « والضرخ » ، والصواب ما أثبتت موافقا لما في ثمار القلوب .

(٢) ط ، س « الصبائح » ، تحريف ما أثبت من ل . وانظر السنتيه السدي قبل السابق .

(٣) يستحيل هنا بمعنى يتغير .

(٤) ل : « بكبير » . وهذا الخبر تجد نحوه في معجم البلدان برسم (أنطاكية) .

(٥) قلعة عظيمة ببلدة تسمى « كله » وهي أول بلاد الهند من جهة الصين ، وفي هذه القلعة تضرب السيوف القلعية . انظر معجم البلدان برسم (القلعة) . وفي ط : « فلق » وفي س : « فلق » ، وتصحيحه من ل .

(٦) ط ، س : « قلع » . والذي باليمن هو « القلعة » كما في المعجم والقاموس . وأثبت ما في ل .

شهرين ، ليس فيه سكون^(١) . فلم يُقِم بها^(٢) . ثم ذكر المدينة فقال :
وإنَّ الجُويَريَّةَ السَّوداءَ ، لَتَجعلُ في رأسها شيئاً من بَلح ، وشيئاً من
نُصُوحٍ ، مما لا قيمةَ له ؛ لهوانه على أهله ، فتجدُ لذلك^(٣) خُمرَةً طيِّبَةً^(٤)
وطيبَ رائحةٍ لا يعلِّقُها^(٥) بيتُ عَرُوسٍ من ذوى الأقدار . حتَّى إنَّ النُّوى
المنقَّعَ ، الذى يكونُ عندَ أهلِ العراقِ في غايةِ النَّتْنِ ، إذا طال إنقاعه ،
يكونُ عندهم في غايةِ الطَّيبِ . واللهُ سبحانه وتعالى أعلم .

باب

ذكر الحمام^(١)

(أجناسه)

قال صاحب الحمام : الحمام وحشىٌّ ، وأهلىٌّ ، وبيوتىٌّ ، وطورانىٌّ^(٧) .
وكلُّ طائرٍ يعرف بالزَّواج ، وبجسن الصَّوت ، والهديل ، والدُّعاء ، والترجيع
فهو حمام ، وإن خالفَ بعضُه بعضاً في بعض الصَّوتِ واللَّونِ ، وفي بعض القَدِّ

(١) ل : « دام شهرين ليس فيها سكون » .

(٢) كذا في ل . وفي ط ، س : « فلم يقربها » وتصح إن جعلت من القرار .

(٣) ط ، س : « ذلك » ، وصوابه في ل وثمار القلوب .

(٤) الحمرة ، مثلثة : الرائحة الطيبة .

(٥) كذا في ل وثمار القلوب . وفي ط ، س : « لا يعلِّقها » . يعلِّقها : يساويها .

(٦) كلمة « باب » ليست في ل . وفيها : « القول في الحمام » .

(٧) الطوراني : منسوب إلى طور سيناء ، أو إلى جبل يقال له طران ، نسبة شاذة .

[ولحن] الهديل^(١) . وكذلك تختلف أجناس الدجاج^(٢) على مثل ذلك^(٣) ولا يخرجها [ذلك] من أن تكون دجاجا : كالديك الهندي والخيلاسي^(٤) والنبطي ، وكالدجاج^(٥) السندي والزنجي وغير ذلك . وكذلك الإبل : كالعرب^(٦) والبخت ، والفولج ، والبهونيات^(٧) والصرصرانيات^(٨) ، والحوش ، والنجب^(٩) ، وغير ذلك من فحول الإبل ؛ ولا يخرجها ذلك من أن تكون إبلا .

وما ذاك إلا كمخالفة الجردان والغار ، والنمل والذر ، وكاختلاف^(١٠) الضان والمغز ، وأجناس البقر الأهلية والبقر^(١١) الوحشية ، وكقراءة ما بينهما^(١٢) وبين الجواميس .

(١) كذا في ل . وفي ط ، س : « وفي بعض النوح والهديل » . وفيهما أيضاً بعد هذا : « والدعاء والترجيع فهو هام » ، والوجه حذف هذا الكلام الأخير كما في ل ؛ لأنه تكرار .

(٢) ط ، س : « وقد يختلف الدجاج » .

(٣) « على مثل ذلك » ساقطة من ل .

(٤) الخلاسي ، بالكسر : الديك بين دجاجتين هندية وفارسية .

(٥) بدلها في ط ، س : « ومثل » .

(٦) ط ، س : « العرب » .

(٧) البهونيات من الإبل : ما بين السكرمانية والعربية . وانظر ١ : ١٣٨ .

(٨) الصرصرانيات : ما بين البخاقي والعرب . ط : « الصرصرانيات » ، تحريف .

(٩) هذه الكلمة ساقطة من ل . والحوش والحوشية : الإبل المتوحشة .

(١٠) ط ، س : « ومثل اختلاف في » ، تحريف .

(١١) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(١٢) ل : « بينها » .

وقد تختلف الحياتُ والعقاربُ بضروبِ الاختلاف ، ولا يخرجها ذلك من أن تكونَ عقاربَ وحياتٍ . وكذلك السكلابُ ، والغربان . وحسبك بتفاوتِ ما بينَ الناسِ : كالزنج والصقالبة ، في الشُّعورِ والألوانِ ؛ وكياجوج ومأجوج ، وعاد وثمود ، ومثلُ الكنعانيين^(١) والعمالقة . فقد تخالف الماعزة الضائنة^(٢) حتى لا يقع بينهما تسافدٌ ولا تلاقح . وهي في ذلك غمٌّ وشاء .

قال : والقُمرىُّ حمام ، والفاختةُ حمام ، والورشانُ حمام . والشَّفنين^(٣) حمام ، وكذلك اليمام واليعقوب . وضروبٌ أخرى كلها حمام . ومفاخرها التي فيها ٤٦ ترجع إلى الحمام التي لا تُعرف^(٤) إلا بهذا الاسم .

قال : وقد زعم أفليمون^(٥) (صاحب الفراسة) أنَّ الحمام يتَّخذُ لضروب : منها ما يتَّخذُ للأنس والنساء والبُيوت ، ومنها ما يتَّخذُ للزُّجال^(٦) والسباق .

(١) ط : « الكنعانيين » ، مخرفة .

(٢) ط ، س : « للضائنة » وهو تحريف ما أثبت من ل .

(٣) الشفنين ، بالكسر : ضرب من الحمام حسن الصوت . ط ، ل : « السفنين » تصحيف ما أثبت من س . وافق لما في الديمري .

(٤) كذا في ل . وفي ط ، س : « الذي لا يعرف » ، وهما وجهان .

(٥) أفليمون : فاضل كبير في فن من فنون الطبيعة ، وكان معاصرا لبقرات ، وأظنه شامى الدار ، كان خبيراً بالفراسة ، عالماً بها ؛ إذا رأى الشخص تركيبه ؛ استدلل بتركيبه على أخلاقه ، وله في ذلك تصنيف مشهور خرج من اليونانية إلى العربية . القفطى . قلت : وقد طبع كتابه في حلب سنة ١٣٤٧ وهو يقع في خمس وأربعين صفحة . وفي ط ، س : « أفليمون » .

(٦) في الأصل : « للرجال » بالراء ، تحريف ما أثبت من نهاية الأرب ١٠ : ٢٥٧ . وانظر هذا الجزء ص ٢٢٣ .

[والزَّجَال : إرسال الحمام الهوادى^(١)] .

(من مناقب الحمام)

ومن مناقب الحمام حُبُّه للناس ، وأنس الناس به ، وأنتك لم ترَ حيواناً قطُّ أعدلَ موضعاً ، ولا أقصد^(٢) مرتبةً من الحمام . وأسفل^(٣) الناس لا يكون دُونَ أن يتَّخذها ، وأرفع الناس لا يكون فوقَ أن يتَّخذها . وهى شئٌ يتَّخذُه^(٤) ما بين الحجاجِ إلى الملك^(٥) الهمام .

والحمامُ مع عمومِ شهوةِ الناس له ، ليس شئٌ مما يتَّخذونه همُّ أشدُّ شغفاً به^(٦) ولا أشدُّ صبابَةً^(٧) منهم بالحمام ، ثمَّ تجد ذلك فى الخِصيان كما تجده فى الفحول ، وتجدُه [فى الصَّبيان كما تجده فى الرِّجال ، وتجدُه] فى الفِتيان^(٨) كما تجده فى الشيوخ ، وتجدُه فى النساء كما تجده فى الرِّجال . والحمامُ من الطَّير الميامين . وليس من الحيوان الذى تظهر له عورة وحجم قضيب^(٩) كالكلب والحمارِ وأشباو ذلك ، فىكون ذلك مما يكون يجب على الرِّجال ألاَّ يدخلوه دورهم .

(١) الزيادة من نهاية الأرب (١٠ : ٢٥٨) .

(٢) أقصد : من القصد ، ضد الإفراط . وفى س : « أفسر » ، محرفة .

(٣) ل : « لأن أسفل الناس » .

(٤) ط ، س : « يتَّخذها » ، وأثبت ما فى ل . ط : « وهى شئ » ، ل : « وهو شئ » ، وأثبت ما فى س .

(٥) ط ، س : « الرجل » .

(٦) ط ، س : « أشد شغفاً » . والشفق : الشفقة . وأثبت ما فى ل .

(٧) ط فقط : « ضيانة » ، وهى تحريف ، لوجود الباء فى كلمة : « بالحمام » .

(٨) ل : « الشبان » .

(٩) ل : « وحجم وقضيب » ، بإقحام الواو .

(كلمة لثني في الحمام)

قال مثنى بن زهير : ومن العجب أن الحمامَ ملقَى ، والسَّكْرانَ موقَى ،
فأنشده ابن يسير^(١) بيت الخزيمي^(٢) :

وأعددتُهُ ذُخْرًا لكلِّ مُلِمَّةٍ وسَهْمُ المنايا بالذَّخائرِ مَوْلَعٌ^(٣)

(شرب الحمام)

ومنى رأى إنسانَ عطشانَ الدِّيكِ والدَّجاجةِ يشربانِ الماءَ ، ورأى
ذئبًا وكلبًا يلطعانِ الماءَ لَطْعًا ، ذهبَ عطشُهُ من قُبْحِ حسوِّ الديكِ نَغْبَةً نَغْبَةً^(٤) ،
ومن لَطَعَ الكَلْبُ . وإنَّهُ كَبِرَى الحمامِ [وهو] يشرب الماءَ ! وهو^(٥) رِيَّانٌ ،
فيشتهى أن يَكْرَعَ في ذلك^(٦) الماءَ معه .

(١) هو محمد بن يسير ، تقدمت ترجمته في (١ : ٥٩) . وفي الأصل : « ابن بشير »
وهذا تحريف .

(٢) في ط : « الخزيمي » وفي س : « الخزيمي » ، وصوابه ما أثبت من ل . وهو أبو يعقوب
إسحاق بن حسان . تقدمت ترجمته في (١ : ٢٢٤) .

(٣) انظر الحيوان (٦ : ٤٢٣) .

(٤) النغبة ، بالفتح : الجرعة ، ويضم . أو الفتح للمرة والضم للاسم . وفي س :
« نغبة نغبة » ، وهو تحريف .

(٥) أى الإنسان .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من ل . وفي ط ، س : « يشتهى أن يكون » ،
وله وجه .

(صدق رغبة الحمام في النسل)

والديك والكلبُ في طلب^(١) السِّفاد [وفي طلب الذَّرء] كما قال
أبو الأخرز^(٢) الجَمَانِيُّ :

* لَأَمْبَتَغِي الضَّنَّ وَلَا بِالْعَازِلِ^(٣) *

والحمام أكثر معانيه الذَّرءُ وطلبُ الولد . فإذا علم الذَّكَرُ أَنَّهُ قد أودع
[رحم] الأنثى ما يكون منه الولدُ تقدَّمَا في إعدادِ العشِّ ، ونقلِ القصب^(٤)
وشقيق^(٥) الخوص ، وأشباه ذلك من العيدان الخوَّارة الدُّقاق^(٦) حتَّى يعملوا
أفحوصة وينسجها^(٧) نسجاً مداخلًا ، وفي الموضوع الذي قد [رضيعاه] آخذاه

(١) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٢) ط ، س : « الأخرز » وصوابه في ل . قال فيه صاحب المؤلف ٥٢ : « أحد
بنى عبد العزى بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . وعبد العزى هو حمان .
راجز محسن مشهور » .

(٣) الضنن ، بالفتح ويكسر : الولد . وفي ط ، س : « الضر » ، وصوابه في ل
والجزء الأول ص ١٩٥ والعازل فسرّه الجاحظ في الجزء الأول ١١٠ . وفي ط ،
س : « بالعاذل » ، وهو تحريف ما أثبت من الجزء الأول ص ١٩٥ . وفي ل :
« العازل » .

(٤) ل : « تقدما في نقل القصب » .

(٥) الشقيق : جمع شقة بالكسر ، وهى القطعة المشقوقة ، ونصف الشيء إذا شق .
وفي ط ، س : « تشقيق » ، وأثبت ما في ل ونهاية الأرب (١٠ : ٢٧١) .

(٦) الخوارة : الضعيفة . وفي ط ، س : « الخور » ، تحريف صوابه في ل ونهاية
الأرب . وفي ط ، س : « الرقاق » بالراء .

(٧) كذا على للصواب في ل ونهاية الأرب . وفي ط ، س : « حتّى يعملوا الخوص
وأشباه ذلك وينسجها » .

واصطنعاه ، بقدر جثمان الحمامة ، ثم أشخصاً لتلك الأفحوصة حُرُوفاً غيرَ مرتفعة ؛ لتحفظَ البيضَ وتمنعه من التدرج ، [ولتلتزمَ كَنَفِي (١) الجَوْجُو] ولتكون (٢) رِفْداً لصاحبِ الحُضْنِ ، وسنْداً للبيض . ثم يتعاوران ذلك المكان ويتعاقبان ذلك القرمُوص (٣) وتلك الأفحوصة ، يسخَّنانها ويدفِّيانها (٤) ويطيَّبانها ، وينفيان عنها طبايعها الأوَّل (٥) ، ويُحدِثان لها طبيعةً أخرى مشتقةً من طبايعهما ، ومستخرجةً من راحةِ أبدانهما وقواهما الفاصِلة (٦) [منهما ؛ لكي تقعَ البيضةُ إذا وقعتْ ، في موضعٍ أشبهَ المواضعَ طباعاً بأرحامِ الحمام] (٧) ، مع الحضانة والوئارة (٨) ؛ لكي (٩) لاتنكسر البيضة بيئسَ الموضع ، ولتلاينكر طبايعها (١٠) طباعَ المسكان ، وليكونَ على مقدارٍ من البردِ والسَّخانة (١١) والرَّخاوةِ والصَّلابَةِ . ثمَّ إنَّ ضَرْبَها المخاضَ وطَرَقَتْ (١٢)

- (١) في أصلها أى ل وكذا في نهاية الأرب : « كنفى » ، والوجه ما أثبت . والكنف : الجانب . والجَوْجُو من الطائر : صدره .
- (٢) ط ، س : « ليكون » ، وفي ل : « وتكون » ، وأثبت ما في نهاية الأرب .
- (٣) القرموص ، بالضم : العنق يبيض فيه الحمام . وفي ط : « القرموص » ، وصوابه في س ، ل .
- (٤) ط فقط : « ويرفيانها » ، والوجه ما أثبت .
- (٥) الطبايع ، بالكسر : الطبع .
- (٦) الفاصلة : المنفصلة . وفي ط ، س : « الفاصلة » ، وما كتبت من ل أشبه .
- (٧) هذه الزيادة من ل ونهاية الأرب . وبدطا في ط ، س : « من أرحامها » .
- (٨) الوئارة : أن يكون الشيء موطأً مهاداً . وفي ط : « والائارة » ، وصوابه في ل ، س .
- (٩) ط : « لكن » وصوابه في ل ، س ونهاية الأرب .
- (١٠) الطبايع ، بالكسر : سبق تفسيره . ط « طبايعها » وفي س : « طبايعهما » ، والوجه ما أثبت من ل .
- (١١) في ل ونهاية الأرب : « والسخونة » وهما بمعنى .
- (١٢) طرقت تطريقاً : حان خروج بيضها ، وأصل التطريق اللقطة .

ببيضتها ، بَدَرَتْ^(١) إلى الموضع الذي قد أعدته ، وتحاملت إلى المكان الذي اتخذته وصنعتة ، إلا أن يُقرَّعها^(٢) رعدًا قاصفًا ، أو ريحًا عاصفًا فإنها ربما رمت بها دون كينها وظل عَشْها ، وبغير موضعها^(٣) الذي اختارته . والرَّعدُ ربما مَرِقَ^(٤) عنده البيض وفسد ، كالمرأة التي تُسْقِطُ من الفَرْعِ ، ويموتُ جنينها من الرَّوعِ^(٥) .

(عناية ذكر الحمام وأنثاه بالبيض)

وإذا وضعت البيض في ذلك المكان فلا يزالان يتعاقبان الحضانة ويتعاورانها ، حتى إذا بلغ ذلك البيض مداه وانتهت أيامه ، وتمَّ ميقاته الذي وظفه خالقه ، ودبره صاحبه^(٦) ، انصدع القَيْضُ^(٧) عن الفرخ ، فخرج

(١) ل : « بادرت » ، وهما بمعنى . وقبل هذه الكلمة في ط ، س : « ففصلت أرحامها » ، وهى عبارة مشوهة وليست في ل ولا في نهاية الأرب .

(٢) كذا في ل ، س ونهاية الأرب . والتقريع : الإقلاق وهو الإزعاج . ويجوز أن تكون هذه الكلمة من القرع بمعنى الضرب . وفى ط فقط : « يفرعها » .

(٣) ل : « دون موضعها » ، بإسقاط ما بين الكلمتين من كلام .

(٤) موقت البيضة ، بالكسر : فسدت فصارت ماء .

(٥) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٦) الكلام من مبدأ : « وتم » ساقط من ل .

(٧) القَيْضُ ، بالفتح : القشرة العليا اليابسة على البيضة ، أو هو البيضة التي خرج ما فيها من فرخ ، أو ماء . وفى ط ، س ، ونهاية الأرب : « البيض » ، والمعنى يصح بكل منهما .

عارىَ الجِلْد ، صغيرَ الجِناح ، قليلَ الحيلة ، منسَدَّ الحلقوم ، فيعينانه على خلاصه من قيضه (١) وترويجه من ضيق هَوْتِه (٢) .

(عنايتهما بالفراخ)

وهما يعلمان أن الفرخين لا تتسع حلوقهما وحواصلهما (٣) للغذاء ، فلا يكون لهما (٤) عند ذلك همٌ إلا أن ينفخا في حلوقهما (٥) الريح ، لتتسع الحوصلة بعد التحامها ، وتنفث بعد ارتاقها . ثم يعلمان (٦) أن الفرخ وإن اتسعت حوصلته شيئاً ، أنه لا يحتمل في أول اغتذائه أن يزقَّ بالطعم (٧) ، فيزقَّ عند ذلك باللعب المختلط بقواهما وقوى الطعم - وهم يسمون ذلك اللُّعابَ اللَّبَّاءَ (٨) - ثم يعلمان أن طبع حوصلته يرق (٩) عن استمراء الغذاء

(١) في الأصل : « بيضه » ، والصواب ما أثبت .

(٢) الهوة بالفتح : أصل معناها الكوة ، وهى الخرق في الحائط ، والثقب في البيت ، والمراد بها هنا موضع خروج الفرخ من القيص . والكلام من مبدأ : « فخرج » ساقط من ل . وهذه الكلمة هى في ط : « هوانه » وفي س : « هواته » والوجه ما أثبت .

(٣) عبر عن المثني بالجمع ، كما في الكتاب العزيز : « فقد صنعت قلوبكما » أى صفا قلبكما .

(٤) ط فقط : « يكون » ، وهو تحريف مطبوعى .

(٥) ل : « حلقه » ، والوجه ما أثبت من ط ، س .

(٦) ط ، س : « ويعلمان » ، وأثبت ما في ل ونهاية الأرب .

(٧) كذا في ل . وفي ط ، س : « إنه أن امتنعت الحوصلة شيئاً لا يحتمله في أول غذائه أن يزق بالطعم » ، هو تحريف كما ترى .

(٨) كذا . والمعروف : « اللَّبَّاء » .

(٩) ط ، س : « طبع حواصلهما يضعف » ، وصوابه من س .

وهضم الطعم^(١) ، وأن الحوصلة تحتاجُ إلى دَبِغٍ وتقوية ، وتحتاج إلى أن يكون لها بعضُ المتانة والصلابة ، فيأكلان من شورج^(٢) أصول الحيطان ، وهو^(٣) شيءٌ بين الملح الخالص^(٤) وبين التراب الملح^(٥) ، فيزقانه به^(٦) حتى إذا علما أنه قد اندبغ واشتد زقاه بالحب الذي [قد غب^(٧) في حواصلهما ثم زقاه بعد ذلك بالحب الذي^(٨) هو أقوى وأطرى . فلا يزالان يزقانه بالحب والماء على مقدار قوته ومبلغ طاقته ، وهو يطلب ذلك منهما ، ويبيض نحوهما^(٩) حتى إذا علما أنه قد أطاق اللقط منعه بعض المنع ، ليجتاح إلى اللقط فيتعوده ، حتى إذا علما أن أداته^(١٠) قد تمت ، وأن أسبابه قد اجتمعت وأنها إن فطماه فطماً مقطوعاً مجذوداً^(١١) قوى على اللقط ، وبلغ لنفسه مُنتهى حاجته - ضرباه إذا سألها الكفاية ، ونفياه متى رجع إليهما^(١٢)

(١) كلمة : « وهضم الطعم » ساقطة من ل .

(٢) الشورج : نوع من الملح ، قال صاحب منهاج الدكان ص ٢١٦ : هو ملح الدباغة . وهذه الكلمة مضطربة في الأصل : فهي في ط : « صروح » وفي س : « سروح » ، ل و عيون الأخبار ٢ : ٩١ : « سورج » ، نهاية الأرب : « سورج » وصواب ذلك كله ما أثبت من منهاج الدكان .

(٣) ط ، س : « وهى » ، والوجه ما أثبت من ل ونهاية الأرب .

(٤) ط ، س : « والحمص » ، وصواب هذه « المحض » ، وأثبت ما فى ل .

(٥) ط ، س : ونهاية الأرب : « الخالص » واخترت ما فى ل .

(٦) كذا فى ل : ونهاية الأرب . وفى ط ، س : « فيزقان الفرخ » .

(٧) غب : أصل معناها بات . والمراد مكث طويلاً حتى لان .

(٨) فى الأصل ، أى ل : « الحب » ، والوجه ما أثبت من نهاية الأرب .

(٩) البيض ، أصله فى الإنسان أن يسأل عن الحاجة فيتمطق بشفتيه .

(١٠) ط : « أداته » ، وصوابها فى ل ، س .

(١١) أى منقطماً لاعودة بعده إلى الزق . وفى ل : « منبتنا » ، وهما بمعنى .

(١٢) بعد هذه الكلمة فى ط ، س كلمة : « للعادة » وليست فى ل ، ولا فى نهاية الأرب .

ثم تَنْزَعُ [عنهما] تلك الرحمة العجيبة منهما له ، وينسيان ذلك العطف
المتمكن عليه (١) ، ويُذهلان عن تلك الأثرة [له] ، والسكد المضنى (٢) من
الغدو عليه ، والرّواح إليه (٣) . ثم يبتديان العمل ابتداءً ثانياً ، على ذلك
النظام وعلى تلك المقدمات (٤) .

فسبحان من عرفهما وألمهما ، وهداها (٥) ، وجعلهما دلالةً
لمن استدلّ ، ومُخْبِرًا صادقاً لمن استخبر ، ذلكم الله رب العالمين . ٤٨

(حالات الطعم الذى يصير فى أجواف الحيوان)

وما أعجَبَ حالاتِ الطُّعمِ الذى يصير فى أجواف الحيوان ، وكيف
تتصرّف به الحالاتُ ، وتختلف فى أجناسه الوجوه (٦) : فمنها (٧) ما يكون
مثل زق الحما لفرخه ، والزق فى معنى التقيء أو فى معنى التقيؤ وليس بهما (٨)
وجرة البعير والشاة والبقرة فى معنى ذلك ، وليس به . والبعير يريد أن

(١) ليست فى ل .

(٢) ل : « والسكد عليه » .

(٣) « من الغدو . . . » الخ ليس فى ل .

(٤) ط ، س : « على هذا النظام وعلى هذه المقامات » وأثبت ما فى ل : بعد تصحيح
كلمة « المقامات » من نهاية الأرب .

(٥) فى الأصل : « وهنأهما » ، وما كتبت أليق بالكلام .

(٦) ط ، س : « وتختلف فى أجناسها الوجوه » ، ل : « فى أجناسه فى الوجوه »
وصححت الكلام جامعاً بينهما .

(٧) أى من الحالات . وفى ل : « فته » .

(٨) ط ، س : « التقيء وليس هما » ، وأثبت الصواب من ل .

يعود في خضمه^(١) الأول واستقصاء طعمه . وربما كانت الجرّة رجيعاً .
والرجيع : أن يعود على ما قد أعاد عليه مرّةً حتّى ينزعه من جوفه ، ويقبله
عن جهته .

(زَقَّ الحَمَام)

والحمام يُخرجه من حوصلته ومن مُسْتَكْنَه وقراره^(٢) ، وموضع حاجته
واستمرائه ، بالأثرة والبر ، إلى حوصلة ولده . [قد] ملك ذلك وطابت به نفسه
ولم تغث عليه نفسه^(٣) ولم يتقذّر^(٤) من صنيعه ، ولم تحبث نفسه^(٥) ، ولم
تغيّر شهوته . ولعلّ لذّته^(٦) في إخراجها أن تكون كلذّته^(٧) في إدخاله ،
وإنما اللذة في مثل هذا بالحجاري^(٨) ، كنعو ما يعترى بحجري النطفة من
استلذاذ مرور النطفة ، فهذا شأن قلب الحمام ما في جوفه ، وإخراجه بعد
إدخاله . والتبساح يخرجه^(٩) على أنه رجعه ونجوه^(١٠) الذي لا يخرج له ولا فرج
[له] في سواه .

(١) كذا في ط ، س . وفي ل : « طحنه » .

(٢) كذا في ل . وفي ط ، س : « مسكنه وقرابه » ، وما في ل أشبه
بلغة الجاحظ .

(٣) يقال غثت نفسه : لقتت ، أي غثيت غثيانا . وفي ط ، س : « تتعاث » ، ولم
أجد لها وجها . وهذه الجملة ساقطة من ل .

(٤) س : « يتقزز » ، ومؤادها واحد .

(٥) انظر ما جاء خاصاً بهذا التعبير في ١ : ٣٣٥ س ١٠ .

(٦) ط ، س : « لذاته » .

(٧) ط ، س ، « كلذاته » .

(٨) ط ، س : « كالحجاري » ، تحريف ما أثبت من ل .

(٩) ط ، س : « والتبساح إخراجه » ، وصوابه في ل . وانظر ماسياًق .

(١٠) ط ، س : « ونجوه » ، وهو تصحيف ما في ل .

(تصرف طبيعة الإنسان والحيوان في الطعام)

وقد يعترى ذلك الإنسان لما يعرض من الداء ، فلا يعرف ^(١) إلا الأكل والقىء ، ولا يعرف النجوى إلا في الحين على بعض الشدة . وليس ما عرض بسبب آفة كالذى يخرج على أصل تركيب الطبيعة .

والسنور والكلب على خلاف ذلك كله ، لأنهما يُخرجانه بعراض يعرضُ لها من خبث النفس ، ومن الفساد ^(٢) ، ومن التثوير والانقباض ^(٣) ثم يعودان بعد ^(٤) ذلك فيه من ساعتها ، مشتبهين له ، حريصين عليه ، والإنسان إذا ذرعه ذلك لم يكن شيئاً أبغض إليه منه ، وربما استقاء وتكلف ذلك لبعض الأمر . وليس التكلف في هذا الباب إلا له .

وذوات الكروش كلها تقصص ^(٥) بجرتها ، فإذا أجادت مضغه أعادته ، والجرّة هي ^(٦) الفرث ، وأشدُّ من ذلك أن تكون ^(٧) رجيعاً ، فهي تجيد مضغها وإعادتها إلى مكانها ، إلا أن ذلك مما لا يجوز أفواهاها ^(٨) . وليس عند الحافر من ذلك قليل ولا كثير ، بوجه من الوجوه .

(١) ل : « يعرض » .

(٢) المزداد بخبث النفس ما يعرض لها من التنقز والغثيان . وفي س : « من حيث النفس والفساد » ، وهو تحريف .

(٣) ل : « الانتقاس » ، والوجه ما أثبت من ط ، س .

(٤) ل : « مع » .

(٥) أصل معنى القمص الطعن الوحى ، أى السريع .

(٦) ط ، س : « وهو » ، تحريف .

(٧) ط ، س : « يكون » .

(٨) س : « إلا أن ذلك ما كان لا يجوز أفواهاها » .

[وقد يعترى سباع الطير شبيهة بالتيء ، وهو الذى يسمونه « الزمَّج » (١) .
وبعض السمك ييء قيتاً ذريعاً ، كالبال ، فإنه ربَّما دسَع الدَّسعة (٢) ،
فتلقى (٣) بعض المراكب ، فيلقون من ذلك شِدَّة . والناقة الضجور ربَّما
دسَعَتْ بِجَرَّتِهَا فى وجه الذى يرْحُلها (٤) أو يعالجها ، فيلقى من ذلك أشدَّ
الأذى . ومعلومٌ أنَّها تفعلُ ذلك على عمد .

فلذوات الأقدام فى ذلك مذهب ، ولذوات الكروش من الظلف
والخفِّ فى ذلك مذهب ، ولذوات الأنياب فى ذلك مذهب ، وللسمك
والتمساح الذى يشبه السمك فى ذلك مذهب .

ويزعمون أن جوف التمساح إن (٥) هو إلاَّ معاليق (٦) فيه ، وأنه فى صورة
الجراب ، مفتوح الفم ، مسدود الدُّبر ، ولم أحمق ذلك ، وما أكثر من
لايعرفُ الحال فيه .

(الرجوع إلى طلب النسل عند الحمام)

ثم رجع بنا القولُ فى الحمام بعد أن استغنى ولده عنه ، وبعد أن نُزِعَتْ
الرحمة منه ، وذلك أنه يبتدىء الذكرُ الدُّعاء والطرد ، وتبتدىء الأنثى بالتأثى

(١) الزمَّج : أحد نوعى العتاق ، والغالب فى لونه أن يكون أحمر ، وهو من خفاف
الجوارح ، ومن الطيور التى يصيد بها الملوك . الديميرى .

(٢) دسَع : قا .

(٣) يصح أن تقرأ بفتح التاء أو ضمها .

(٤) يرْحُلها ، بضم الحاء : يحط عليها الرجل .

(٥) ليست بالأصل ، والأصل هنا ل . وزدتها للحاجة إليها .

(٦) جمع معلاق ، وهو اللسان .

والاستدعاء ، ثم تزييف وتشكُّل (١) ، ثم تمكُّن وتمنع ، وتجيَّب وتصدفُ
بوجهها ، ثم يتعاشقان ويتطاوعان ، ويحدثُ لهما من التغزُّل والتفتُّل (٢) ،
ومن السَّوف (٣) والقَبَل ، ومن المصِّ والرَّشَف ، ومن التنفُّخ والتنفُّج ،
ومن الخيلاء والكبرياء ، ومن إعطاء التقبيل حقَّه ، ومن إدخال الفم
في جوف الفم ، وذلك من التطاعُم ، وهي المطاعمة . وقال الشاعر :
لم أعطها بيدي إذ بتُّ أرشُفها إلاَّ تطاولَ غصنُ الجيدِ بالجيدِ (٤)
كما تطاعَمَ في خضراءِ ناعمةٍ مطوَّقان أصاخا بعد تغريدِ
هذا مع إرسالها جناحيها وكفَّيها على الأرض ، ومع تدَرعها وتبعلُّها (٥)
ومع تصاوله وتطاوُّله ، ومع تنفُّجه وتنفُّخه ، مع ما يعتريه مع الحكمة والتفلى
والتنفُّش (٦) حتَّى تراه وقد رمى فيه بمثله (٧) .

ثم الذي ترى من كسحِه بذنبه (٨) ، وارتفاعه بصدرة ، ومن ضربه
بجناحه ، ومن فرحه ومرَّحه بعد قَمَطه والفراغِ من شهوته ، ثم يعتريه ذلك
في الوقت الذي يفتر فيه أنسكحُ الناس .

-
- (١) تزييف : تنشر جناحيها وذنبها وتسحبهما على الأرض . والتشكُّل ، من الشكل بالفتح :
وهو الغنج والدلال والغزل .
(٢) التفتُّل : التلوى .
(٣) السوف : الشم .
(٤) عطا الشيء يعطوه : تناوله بيده .
(٥) في الأصل ، والأصل هنا ل : « وهو مع . . . الخ . وكلمة « هو » لا حاجة
إليها . والتدروع : أصل معناه لبس الدرع . والتبعل : التزين للبعل .
(٦) التنفُّش ، بالفاء ، هو أن ينفض الطائر ريشه . وفي الأصل : « والتنفُّش » .
(٧) كذا . وهنا تنتهى الزيادة التى ابتدأت من مبدأ الصفحة السابقة ، وهى من ل .
(٨) كسحه : كمنه الأرض بذنبه .

(القوة التناسلية لدى الحمام)

وتلك الحصلة يفوق بها جميع الحيوان ، لأنّ الإنسان الذى هو أكثر الخلق فى قوّة الشهوة ، وفى دوامها فى جميع السنّة ، وأرغبُ الحيوان [فى التصنّع و] التغزل ، والتشكّل والتفتل^(١) أفتراً ما يكون إذا فرغ ، وعندّها ٤٩ يركبهُ الفتور ، ويحبُّ فراقَ الزوج ، إلى أن يعودَ إلى نشاطه ، وترجعَ إليه قوّته .

والحمامُ أنشطُ ما يكون وأفرح ، وأقوى ما يكون وأمرح ، مع الزهو والشكل^(٢) ، واللهو والجذل ، أبرد ما يكون الإنسانُ وأفتراه ، وأقطعَ ما يكون وأقصّره^(٣) .

هذا ، وفى الإنسان ضروبٌ من القوى : أحدها فضلُ الشهوة ، والأخرى دوامُ الشهوة فى جميع الدهر ، والأخرى قوة التصنّع والتكليف ، وأنت إذا جمعتَ خصاله كلها كانت دونَ قوّة الحمام عندَ فراغه من حاجته وهذه فضيلةٌ لا يُنكرها أحدٌ ، ومزِيّةٌ لا يجحدُها أحدٌ ! !

(١) ط ، س : « واتمتع والشكل والتفتل » ، وأثبت ما فى ل .

(٢) الشكل ، بالفتح : الغنج والدلال والغزل .

(٣) العبارة فى ل : « والحمام أنشط ما يكون وأمرح وأقوى وأجذل أبرد ما يكون الإنسان وأفتراً » .

(البغال ونشاطها)

ويقال : إنَّ النَّاسَ لم يَجِدُوا مثْلَ نشاطِ الحِمامِ في وَقتِ فَتْرَةِ الإنسانِ إلاَّ ما وجدوه في البغال ؛ فإنَّ البغالَ تحمِلُ أثقالها عَشِيَّةً ، فتسيرُ بقيَّةَ يومها وسواداً^(١) ليلتها ، وصدرَ نهارِ غَدِها^(٢) ، حتَّى إذا حطُّوا عن جميعِ ما كانَ حملاً من أصنافِ الدوابِّ أحمالها^(٣) ، لم يكنْ لشيءٍ منها هَمَّةٌ ، ولا لِمَنْ رَكِبَها من النَّاسِ إلاَّ المِراغَةَ^(٤) والماءَ والعَلْفَ ، وللإنسانِ الاستلقاءُ ورفعُ الرَّجْلينِ والغَمَزُ والتَّؤوهُ^(٥) ؛ إلاَّ البغالَ فإنَّها في وقتِ إعياءِ جميعِ الدوابِّ وشِدَّةِ كلالها ، وشغلها بأنفسها ممَّا مرَّ عليها ، ليس عليها عملٌ إلاَّ أنْ تدلَّى أيورها وتَشْطَّ^(٦) وتضربَ بها بطونها ؛ وتُحطِّها وترفعها . وفي ذلك الوقتِ لو رأى المُسكاري امرأَةً حسناءَ كما انتشرَ لها ولا همَّ بها . ولو كانَ مُنْعِظاً ثم اعتراهُ بَعْضُ ذلك الإعياءِ لَنسى الإنعاضَ .

وهذه خَصْلَةٌ تخالفُ فيها البغالُ جميعَ الحيوانِ . وترعَمُ العَمَلَةَ^(٧) أنْها تلمسُ بذلك الرَّاحَةَ وتنداوى به . فليس العجبُ — إن كان ذلك حقاً — إلاَّ في إمكانِ ذلك لها في ذلك الوقتِ ، وذلك لا يكونُ إلاَّ عن شهوةٍ وشَبَقٍ مُفْرَطٍ .

(١) ط ، س : « سائر » .

(٢) ط ، س : « وصدر نهارها من غدها » .

(٣) ل : « حتَّى إذا حطوا عن جميع أصناف الدواب أنقالها » .

(٤) المِراغَةُ : اسم من مرغه في التراب جعله يتقلب فيه . وانظر كتاب البغال ٣٢٤ .

(٥) الكلام من مبدأ : « وللإنسان » ساقط من ل .

(٦) شَطَّ وأشَطَّ : أنعَطَّ . ط ، س : « تنعظ » .

(٧) العَمَلَةُ ، بالتحريك : العاملون بأيديهم . وفي ل : « العوام » .

(النشاط العجيب لدى الأتراك)

وشبه آخرٌ وشكلٌ من ذلك ، وذلك كالذى يُوجد عند الأتراك عند بلوغ المنزل بعد مسير الليل كله وبعض النهار ، فإن الناس فى ذلك الوقت ليس لهم إلا أن يتمددوا ويقعدوا (١) دوابهم . والتركى فى ذلك الوقت إذا عين ظبياً أو بعض الصيد ، ابتداءً الرخص بمثل نشاطه قبل أن يسير ذلك السير ، وذلك وقت يهيم فيه الخارجى والحصى أنفسهما (٢) ؛ فإنهما المذكوران بالصبر على ظهر الدابة .

(فطام البهائم أولادها)

وليس فى الأرض بهيمة تَفطمُ ولدَها عن اللبن دفعةً واحدةً ، بل تجدُ الظبية أو البقرة أو الأتان أو الناقة ، إذا ظنت أن ولدَها قد أطاق الأكل منعته بعض المنع ، ثم لا تزال تُنزَلُ (٣) ذلك المنع وترتبه وتدرجه ، حتى إذا علمت أن به غنى عنها إن هى فطمته فطاماً لا رجعة فيه ، منعته كل المنع .

(١) ل : « ويقودوا » ، تحريف ماقى ط ، س .

(٢) الخواج مشهورون بالشدة . وقد ضرب الناس بهم المثل ، قال :

إذا ما البخيل والمحاذر للقرى رأى الضيف مثل الأزرق الجففى

وقال آخر :

وقلب ود حال عن عهده والسيف ينبو بيد الشارى

رسائل الجاحظ ٢٧ سلسي . وانظر لنشاط الترك ص ٣١ منها .

(٣) تنزله : تدرجه . وفى الأصل : « تترك » .

٥٠ والعرب تسمى هذا التدبيرَ من البهائمِ التّعفير^(١) ، ولذلك قال لبيد :
لمعْفِرٍ قَهْدٍ تَنَازَعَ شِدْوَهُ غُبْسٌ كَوَاسِبٌ مَا يَمْنُ طَعَامُهَا^(٢)
وعلى مثل هذه السيرة والعادة يكونُ عملُ الحمامِ في فراخه .

(من عجائب الحمام)

[ومن عجب أمر الحمام أنه يقرب بيضه ، حتى يصير الذي كان منه
يَلِي الأرضَ يَلِي بدنَ الحمام من بطنه وباطنِ جَنَاحِهِ ، حتى يُعْطَى جميعَ
البيضةِ نصيبها من الحُضْنِ ، ومن مَسَّ الأرضِ ، لعلمه أن خلافَ ذلك
العملُ يفسدُه] .

وخصلةٌ أخرى محمودَةٌ في الحمام ، وذلك أن البغلَ المتولدَ بينَ الحمارِ
والرَمَكَةِ لا يبقى له نسل ، والرَّاعِي^(٣) المتولدَ فيما بينَ الحمامِ والوَرشَانِ ،
بكثرِ نسله ويطولُ عمرُهُ ولِدِهِ . والبُخْتُ والفوالجُ ، إنْ ضَرَبَ بعضها بعضاً
خرجَ الولدُ منقوصَ الخلقِ لا خيرَ فيه . والحمامُ كيفَما أدْرَتَهُ ، وكيفَما
زَاوَجْتَ بَيْنَ مَتَفِقِهَا ومُخْتَلِفِهَا ، يكونُ الولدُ^(٤) تامَّ الخلقِ ، مأمولَ الخيرِ .

(١) « التّعفير » سبق كلام الجاحظ فيه ٢ : ١٩٨ .

(٢) سبق شرح هذا البيت في ٢ : ١٩٨ . س : « غبش » وهو تصحيف .

(٣) ط ، س : « والزاغبي » ، وهو تحريف . واسمه مشتق من الترعيب ، وهو شدة
الصوت ، جاء على لفظ النسب وليس به ، وقيل منسوب إلى أرض تسمى راغب .
اللسان والقاموس .

(٤) الزيادة من س ، ل .

فمن نتاج الحمام إذا كان مركباً مشتركاً [ماهو] ^(١) كالرأعي ^(٢) والورداني .
وعلى أن للورداني غرابة لون وظرافة ^(٣) قد ، وللرأعي ^(٤) فضيلة في عظم
البدن والفراخ . وله من ^(٥) الهديل والقرفرة ما ليس لأبويه ، حتى صار ذلك
سبباً للزيادة في ثمنه ، وعلّة للحرص على اتّخاذه .

والغم على قسمين : ضأن ومعز ، والبقر على قسمين : أحدهما الجواميس ،
إلا ما كان من بقر الوحش . [والظلف] إذا اختلفا لم يكن بينهما تسافد
ولا تلاقح ، فهذه فضيلة للحمام في جهة الإنسال ^(٦) والإلقاح ، واتساع
الأرحام لأصناف القبول . وعلى أن بين سائر أجناس ^(٧) الحمام من الوردانيين ،
والقباري ، والفواخت ، تسافداً وتلاقحاً ^(٨) .

(مما أشبه فيه الحمام الناس)

ومما أشبه فيه الحمام الناس ، أن ساعات الحظن أكثرها على الأنثى ،
وإنما يحظن الذكر في صدر النهار حظناً يسيراً ، والأنثى كالمرأة التي تكفل

-
- (١) زدتها ليلتم الكلام .
(٢) ط ، س : « كالزاعبي » ، وتصحيحه من ل . وانظر التنبيه الثالث من
الصفحة السابقة .
(٣) يقال ظرف ظرفاً ، بالفتح وظرافة . والظرافة هنا : حسن الهيئة .
(٤) ط ، س : « للزاعبي » ، وانظر ماسبق .
(٥) ط فقط : « في » .
(٦) نسل وأنسل : ولد . ط ، س : « الإنسان » ، صوابه في ل .
(٧) ل : « أصناف » .
(٨) ط ، س : « تسافد وتلاقح » ، والوجه ما أثبت من ل .

الصبي فَنَفَطِمَهُ وتمرّضه^(١) ، وتعهّده بالتمهيد والتّحريك . حتّى إذا ذهب الحُضْنُ وانصرم وقته ، وصارَ البيضُ فراخاً كالعيالِ في البيت ، يحتاجون إلى الطّعام والشّراب ، صار أكثرُ ساعات الرّزقِ على الذّكر كما كان أكثرُ ساعاتِ الحُضْنِ على الأنثى .

ومما أشبهه فيه الحمام النّاس [ما^(٢)] قال مثنى بن زهير (وهو إمام النّاس في البصرة^(٣)) بالحمام وكان جيّد الفِراسة ، حاذقاً بالعلاج ، عارفاً بتدبير الخارجىّ إذا ظهرت فيه مَخْبِيلةُ الخير - و [اسم] الخارجىّ عندهم : المجهول - وعالماً بتدبير العريق المنسوب إذا ظهرت فيه علاماتُ الفسولةِ وسوء الهداية^(٤) . وقد يمكن أن يخلف ابن قُرَشِيَيْن^(٥) [ويندب^(٦)] ابن خُوَزَي^(٧) من نبطيّة^(٨) . وإنما فضّلنا نتاج العليّة على نتاج السفلةِ لأنّ نتاج النّجابه فيهم أكثرُ ، والسّفوط في أولاد السفلةِ أعمُّ . فليس بواجبٍ أن يكون السفلةُ^(٩) لا تَلِدُ^(١٠) إلّا السفلةَ^(٩) والعلية لا تَلِدُ^(١٠) إلّا العلية . وقد يلد المجنون العاقِلَ ، والسخىُّ البخيلَ ، والجَميلُ القبيحَ .

٥١

- (١) التمريض : حسن القيام على المريض ، وكأنّ الفطيم في سبيل المريض . وفي س : « تمرّخه » أى تدلكه بالدهن . وربما كانوا يفعلون ذلك بالفطيم .
- (٢) زيادة يقتضيها الكلام . (٣) ط ، س : « في البصرة » ، وصوابه في ل .
- (٤) ماسياًق من الكلام استطراد من الجاحظ . وقول مثنى بن زهير سيبدأ في السطر السادس من الصفحة الآتية .
- (٥) ط ، س : « قرشيين » وهما صحبختان ، يقال قرشى وقرشى . ويخلف ، بضم اللام : يجمع .
- (٦) يندب : يكون ندبا ، أى ظريفاً نجيباً . في ل : « يندب » و س : « يندر » ولعل الصواب فيما وجهت به .
- (٧) الخوزى : المنسوب إلى خوزستان . وفي س : « حرورى » ، وهسو تحريف ما في ل .
- (٨) الزيادة من س ، ل . (٩) ط ، س : « السفلى » ، بالنسبة إلى « السفلة » .
- (١٠) ط ، س : « يلد » .

وقد زعم الأصمعيُّ أن رجلاً من العرب قال لصاحب له : إذا تزوّجت امرأة من العرب فانظر إلى أخوالها ، وأعمامها ، وإخوتها ، فإنها لا تخطئ الشبهة بواحدٍ منهم ! وإن كان هذا الموصى والحكيم (١) ، جعل ذلك حكماً عاماً ، فقد أسرف في القول ، وإن كان ذهب إلى التخويف والزجر والترهيب ، كي يختار لنفسه ، [و] لأن المتخير أكثر نجابة (٢) فقد أحسن .

وقال مثنى بن زهير (٣) : لم أر شيئاً قط في رجلٍ وامرأةٍ إلا وقد رأيت مثله في الذكر والأنثى من الحمام : رأيت حمامة لا تريد إلا ذكرها ، كالمراة لا تريد إلا زوجها وسيدها ، ورأيت حمامة لا تمنع شيئاً من الذكورة ، ورأيت امرأة لا تمنع يد لأمس ، ورأيت الحمامة لا تريف إلا بعد طرد شديد وشدة طلب (٤) ، ورأيتها تريف لأول ذكر يريد لها ساعة يقصد إليها ، ورأيت من النساء كذلك ، ورأيت حمامة لها زوج وهي تمكن ذكراً آخر لا تعدوه ، ورأيت مثل ذلك من النساء ، [و] رأيتها تريف لغير ذكرها وذكرها يراها ، ورأيتها لا تفعل ذلك إلا وذكرها يطير أو يحضن ، ورأيت الحمامة تقمط الحمام الذكور (٥) ، ورأيت الحمامة تقمط الحمامة ، ورأيت أنثى كانت لى لا تقمط [إلا (٦)] الإناث ، ورأيت أخرى تقمط الإناث فقط ، ولا تدع أنثى تقمطها .

(١) ل : « والمعلم » .

(٢) ط ، س : « نجاة » ، تحريف ما أثبت من ل .

(٣) انظر العقد ٦ : ٢٤٠ تأليف .

(٤) كذا في ل ، ونهاية الأرب . وفي ط ، س : « وكثرة » .

(٥) ل : « الذكر » .

(٦) الزيادة من س .

[قال] : ورأيتُ ذَكَرًا [يَقمُطُ الذُّكُورَةَ وتَقمطه ؛ ورأيتُ ذَكَرًا]
يَقمُطُها و [لا] يدعُها تَقمطه ^(١) ، ورأيتُ أنثى تُزيفُ للذُّكُورَةِ ولا تدعُ
شيئًا منها يَقمُطُها .

قال : ورأيتُ هذه الأَصْنَافَ كُلَّها في السَّحَاقَاتِ مِنَ المذَكَرَاتِ
والمؤنثَاتِ ، وفي الرِّجَالِ الحَلَقِيِّينَ ^(٢) واللُّوطِيِّينَ ^(٣) . وفي الرِّجَالِ مِنَ لا يريدُ
النِّسَاءَ ، وفي النِّسَاءِ مِنَ لا يريدُ الرِّجَالَ ^(٤) .

قال : وامتنعتُ على خَصلَةٍ ، فوالله لقد رأيتُ مِنَ النِّسَاءِ مِنَ تُزنى
أبدًا وتَسَاقِقُ أبدًا ولا تُتَزَوِّجُ أبدًا ، [ومن الرِّجَالِ مِنَ يَلُوطُ أبدًا ، وَيُزنى أبدًا
ولا يُتَزَوِّجُ ^(٥)] ، ورأيتُ حَامًا ذَكَرًا يَقمُطُ مَاتِي ولا يَزَوجُ . ورأيتُ حَامَةً
تَمَكِّنُ كُلَّ حَامٍ أَرَادَهَا مِنَ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وتَقمُطُ الذُّكُورَةَ وَالإِنثَاءَ ،
ولا تُزَوجُ . ورأيتُها تُزَوجُ ولا تُبَيِّضُ ، وتَبَيِّضُ فيفسدُ بَيضُهَا ؛ كالمِراةِ
تُتَزَوِّجُ وهى عَاقِرٌ ، وكالمِراةِ تَلدُ وتكونُ خِرْقَاءَ ورَّهَاءَ . ويعرضُ لها الغلظة ^(٦)
والعقوقُ لِلأولَادِ ، كما يعترى ذلك العُقَابُ .

وأما أَنَا فقد رأيتُ الجَفَاءَ لِلأولَادِ شَائِعًا في اللُّوَاتِي حَمَلِنَ مِنَ الحِرَامِ .
ولرَبِّمَا وُلِدَتِ مِنْ زَوْجِهَا ، فيكونُ عَظْفُهَا وتَحْنُنُهَا كَتَحْنُنِ ^(٧) العَفِيفَاتِ

(١) زيادة : « لا » ن س ، ل . وفي ط : « ويدعها حتى تَقمطه » ، وهو تحريف .

(٢) الحلقى : الذى فسد عضوه فانعكس ميل شهوته ، وهو من ألقاظ المولدين .
شفاه الغليل ٧٠ .

(٣) ط ، س : « اللواطين » .

(٤) ل : « من لا يريد إلا » فى الموضوعين .

(٥) ط ، س : « من تُزنى أبدًا ولا تُتَزَوِّجُ وتَسَاقِقُ أبدًا ولا تُتَزَوِّجُ أبدًا » . وإصلاح
العِبارَةِ وإِكمالِها مِنَ ل ، ونِهاية الأرب .

(٦) كذا على الصواب فى ل وفى ط ، س : « الغلظة »

(٧) ل : « وتَحْنُنُهَا كَتَحْنُنِ » . والتحنن والتحنى بمعنى ، وهو العطف .

السَّيِّرات ، فما هو^(١) إِلَّا أَنْ تَزْنِي أَوْ تَقْحُبُ فَكَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَضْرِبْ بَيْنَهَا ٥٢
وبين ذلك الولدِ [ب] شبكة رَحِمٍ ، [و] كأنَّها لم تَلِدْهُ .

قال مثنى بن زهير : ورأيتُ ذكراً له أنثيان وقد باضتا منه ، وهو
يحصنُ مع هذه ومع تلك ، ويزقُّ مع هذه ومع تلك ، ورأيتُ أنثى تبيض
بيضة ، ورأيتُ أنثى تبيض في أكثر حالاتها ثلاثَ بيضات .
وزعم أنه إنما جزمَ بذلك فيها ولم يظنه بالذكور ، لأنها قد كانت قبل
ذلك عند ذكرٍ آخر ، وكانت تبيض كذلك .

ورأيتُ أنا حمامةً في المنزل لم يعرض لها ذكرٌ إِلَّا اشتدَّت نحوهُ بجدَّةٍ
ونزقٍ^(٢) وتسرعٍ ، حتَّى تنقر أين صادفت منه ، حتَّى يصدَّ عنها^(٣) كالهارب
منها . وكان زوجها جميلاً في العين رائعاً ، وكان لها في المنزل بنون وبنو بنين
[وبنات^(٤)] وبنات بنات ، وكان في العين كأنه أشبُّ من جميعهنَّ^(٥) .
وقد بلغ من حظوته أني قدما رأيتُه أرادَ واحدةً من عرض تلك الإناث^(٦)
فامتعتُ عليه ، وقد كُنَّ يمتنعن من غيره . فبينما أنا ذاتَ يومٍ جالسٌ بحيث
أراهنَّ إذ رأيتُ تلك الأنثى قد زافت لبعض بنيتها ! فقلت لخادمي^(٧) :

(١) ل : « هي » ، وهما صحیحان في العربية ، أي فا الشأن أو فا القصة .

(٢) النزق : الطيش والتسرع . في ط ، ل : « تزق » محرفة . س : « تزف » أي
تمرع إسرعا . ولا ينسجم بها الكلام .

(٣) ل : « ينقر » محرف . ط ، س : « صادفته » وأثبت ما في ل . وفي ل :
« حتَّى يصدن » محرفة .

(٤) الزيادة من ل ، س .

(٥) ط ، س : « جميع بنيه » .

(٦) ط ، س : « تلك الحمام الإناث » .

(٧) ل : « لخادم لي » .

ما الذى غيرَها عن ذلك الخلق الكريم؟ فقال : إني رَحَلْتُ زوجها من

القاطول^(١) فذهب ، ولهذا شهر^(٢) . فقلت : هذا عذر !

قال مثنى بن زهير : وقد رأيت الحمامة تزوج هذا الحمام ، ثم تتحول

منه إلى آخر ، ورأيت ذكراً فَعَلَ^(٣) مثل ذلك فى الإناث . ورأيت الذَّكَرَ

كثيرَ النَّسْلِ قوياً على القمط ، ثمَّ يُصْنِى كما يُصْنِى الرَّجُلُ إذا أكثر من

النَّسْلِ والجماع^(٤) .

ثمَّ عدَّدَ مثنى أبواباً غيرَ ما حفظت مما يُصَابُ مثله فى الناس .

(خبرة مثنى بن زهير بالحمام)

وزعموا أن مثنى كان ينظر إلى العاتق والمخلف^(٥) ، فيظن أنه يجيء

من الغاية [فلا يكاد ظنه يخطئ*] . وكان إذا أظهرَ ابتياعَ حمامٍ أغلوه عليه ،

(١) القاطول : نهر كان فى موضع ساهرا قبل أن تعمّر ، وكان الرشيد أول من حفر

هذا النهر . معجم البلدان . وفى ل : « خلعت » مسكان « رحلت » ، وبكل

منهما يصح المعنى .

(٢) ل : « وهذا منذ شهر » .

(٣) كذا فى ل ، س . وفى ط : « يفعل » .

(٤) أصنى الرجل : نفد ما صلبه . ل : « إذا أكثر من الجماع » .

(٥) العاتق : فوق الناهض ، وذلك فى أول ما يتحمر ريشه ونبت له ريش جلدى ، أى

شديد ، والجمع عتق . المخصص ٨ : ١٢٨ . وفى ط ، ل : « القائق »

وفى س : « العايق » ، وصوابه ما أثبت . وانظر صفحة ٢٢٤ س ٧ .

والمخلف : المراد به المسن . وأصله فى الإبل مافوق البازل : الذى فى التاسعة .

وقالوا: لم يطلبْه إلا وقد رأى فيه علامةَ الحُجىء من الغاية ، وكان يدسُّ في ذلك ففطنوا له وتحفظوا منه ، فربَّما اشترى نصفَه وثلثه ، فلا يقصِّر عند الزِّجال^(١) من الغاية .

وكان له خصيٌّ يُقال [له^(٢)] خديج ، يجري مجراه ، فكانا إذا تناظرا في شأنٍ ظائرٍ لم تُخْلِف فراستهما .

(المدة التي يبيض فيها الحمام والدجاج)

قال : والحمام تبيض عشرةَ أشهرٍ من السنَّة ، فإذا صانوه وحفظوه ، وأقاموا له الكفاية وأحسنوا تعهده ، باضَ في جميع السنَّة .
قالوا : والدِّجاجة تبيض في كلِّ السنَّة خلا شهرين .

(ضروب من الدجاج)

ومن الدِّجاج ما هو عظيمُ الجثَّة ، يبيض بيضاً كبيراً ، وما أقل ما يحضن ، ومن الدِّجاج ما يبيض ستين بيضة . وأكثرُ الدِّجاج العظيم الجثَّة يبيضُ أكثرَ من الصغير الجثَّة^(٣) .

(١) الزجال : إرسال الحمام كما سبق في ص ١٤٧ . ط : « الرجل » : ل :

« الرجال » ، وصوابه ما سبق ومن صفحة ٢٢٣ .

(٢) ليست بالأصل .

(٣) ط ، س : « يبيض بيضاً كبيراً » .

قال : أما الدجاج التي نسبت إلى أبي ريانوس (١) الملك ، فهو طويلُ
البدن ويبيض في كلِّ يوم ، وهي صعبة الخلق وتقتل فراريجها .

ومن الدجاج الذي يرَبَّى في المنازل ما يبيض مرتين في اليوم ، ومن
الدجاج ما إذا باض كثيراً مات سريعاً ، لذلك العَرَضُ (٢) .

٥٣

(عدد مرات البيض عند الطيور)

قال : وأخطاف تبيض مرتين (٣) في السنة ، وتبنى بيتها في أوثق
مكانٍ وأعلاه .

فأما الحمام والفواخت ، والأطْرُغَلَات (٤) والحمام البريُّ ، فإنها تبيض
مرتين في السنة . والحمام الأهلِيُّ يبيض عشرَ مرات . وأما القَبَج والدَّرَاج
فهما يبيضان بين العُشب ، ولا سيما فيما طال شيئاً والتوى .

(خروج البيضة)

وإذا باضَ الطيرُ بيضاً لم تخرُج البيضة (٥) من حدِّ التحديد والتلطيف ،
بل يكون الذي يبدأ بالخروج الجانب الأعظم ، وكان الظنُّ يسرعُ إلى أنَّ
الرأسَ المحدد هو الذي يخرج أولاً .

(١) كذا في ط ، س . وفي ل : « ارضيانوس » . وانظر الاستدراكات
بأخر هذا الجزء .

(٢) أي ما يعرض لها من كثرة البيض . ط : « الفرض » ل ، س : « الغرض » ،
وهما تحريف ما أثبت .

(٣) كذا في ط . وفي ل : « مرة » .

(٤) ل : « والأطْرغلة » ، والوجه ما أثبت من ط ، س .

(٥) س : « لم يخرج بيضه » .

[قال] : وما كان من البيض مُستطيلاً محدد الأطراف فهو للإناث ،
وما كان مستديراً عريضاً الأطراف فهو للذكور .

قال : والبيضة عند خروجها لينة القشر ، غير جاسية^(١) ولا يابسة
ولا جامدة .

(بيض الريح والتراب)

قال : والبيض^(٢) الذى يتولد من الريح والتراب أصغر وأطف ، وهو^(٣)
حتى الطيب دون الآخر^(٤) . ويكون بيضُ الريح من الدجاج والقيح^(٥) ،
والحمام ، والطاوس ، والإوز .

(أثر حضن الطائر)

قال : وحضن الطائر وجنومه على البيض صلاح لبदन الطائر ، كما يكون
صلاحاً لبदन البيض . و [لا^(٦)] كذلك الحضن على الفراخ والفراريح^(٧)
فربما^(٨) هلك الطائر عن ذلك السبب .

(١) الجاسية : الصلبة . وفى ط : « قاسية » ، وهى صحيحة أيضاً .

(٢) فى الأصل : « والبعض » .

(٣) ط ، س : « وهى » ، والوجه ما أثبت من ل ونهاية الأرب ١٠ : ١٨٠ .

(٤) كذا فى ل ، وهو الموافق لما فى نهاية الأرب ، والدميرى حيث يقول : « وأغذى
البيض وأطفه ذوات الصفرة ، وأقله غذاء ما كان من دجاج لاديك لها » ، يعنى بذلك
البيض الترابى . وانظر عجائب المخلوقات فى الكلام على الدجاج . فى ط ، س : « أطيب من
الآخر » ، وهو خطأ .

(٥) القيج : بالتحريك : الحمل ، وهو طائر على قدر الحمام أحر المنقار والرجلين .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) جمع فروج ، وهو فرخ الدجاج خاصة . وفى ط : « الدراريح » ، وفى س :
« الدراريح » ، وكلاهما تحريف .

(٨) ط ، س : « والأوز وربما » ، ل : « وإلا فربما » ، وقد جعلت العبارة
كما ترى .

(تكوّن بيض الريح)

وزعم ناسٌ أن بيضَ الرِّيحِ إنما تسكوّن^(١) من سفادٍ متقدّم . وذلك خطأً من وجهين : أمّا أحدهما فإنّ ذلك قد عُرف^(٢) من فرّاريج لم يرينَ ديكاً قط . والوجه الآخر : أن بيضَ الرّيح لم يكن منه فرّوج^(٣) قطّ إلاّ أن يسفدَ الدجاجةَ ديكاً ، بعد أن يمضي^(٤) أيضاً خلقُ البيض .

(معارف شتى في البيض)

قال : وبيض الصَّيْفِ المحضون أسرعُ خروجاً منه في الشتاء ، ولذلك تحضنُ الدجاجةُ البيضةَ في الصَّيْفِ خمس عشرة ليلة^(٥) .

قال : وربّما عرضَ غيمٌ في الهواء أو رعدٌ ، في وقتِ حضنِ الطائر ، فيفسدُ البيض . وعلى كل حالٍ ففسادُه في الصيف أكثرُ ، والموتُ فيها في ذلك الزمان أعمّ . وأكثرُ ما يكونُ فسادُ البيض في الجنائب^(٦) ، ولذلك كان

(١) س : « يكون » .

(٢) ط : « عرض » وهي صحيحة ، وأثبت ما في س ، ل ونهاية الأرب .
١٠ : ١٨٠ .

(٣) س : « منه » . ل : « فرخ » ، نهاية الأرب : « فروخ » : جمع فرخ ، كما في القاموس .

(٤) ل : « يم » .

(٥) س : « ثمان عشرة ليلة » .

(٦) جمع جنوب بانفتح ، وهي الريح الجنوبية .

ابن الجهم^(١) لا يطلب من نسائه الولد إلا والريح شمال . [وهذا عندي
تعرض للبلاء ، وتحكك بالشر ، واستدعاء للعقوبة] .

وقال : وبعضهم^(٢) يسمي بيض الريح : البيض الجنوبي ؛ لأن
أصناف الطير تقبل الريح في أجوافها .

وربما أفرخ^(٣) بيض الريح بسفاد كان ، [و لكن لونه يكون متغيراً .
وإن سفد الأنثى طائر من غير جنسها^(٤) ، غير خلق [ذلك] المخلوق الذي
كان من الذكر المتقدم . وهو^(٥) في الديكة أعم .

ويقولون : إن البيض يكون من أربعة أشياء : فمنه ما يكون من
التراب ، و [منه ما يكون] من السفاد ، ومنه ما يكون من النسيم إذا وصل إلى
أرحامهن وفي بعض الزمان^(٦) ، ومنه شيء يعترى الحجل وما شاكله
في الطبيعة ؛ فإن الأنثى ربما كانت على سفالة الريح التي تهب من شق^(٧)
الذكر في بعض الزمان فتحتشى من ذلك بيضاً . ولم أرهم يشكون أن النخلة
المطلعة^(٨) تكون بقرب الفحال^(٩) وتحت ريجها ، فتلقح بتلك الريح وتكتفي بذلك .

(١) هو محمد بن الجهم البرمكي ، أسلفنا ترجمته في ٢ : ٢٢٦ .

(٢) ط ، س : « وقال بعضهم » .

(٣) ط : « أفرخ » ، وهو تحريف .

(٤) ل : « شكلها » .

(٥) س : « وهى » .

(٦) ل : « ومنه ما يكون من نسيم ريح إذا وصل إلى أرحامها في بعض الزمان » .

(٧) ط ، س : « جهة » وهما بمعنى .

(٨) المطعمة : التي أدركت أن تثمر . يقال : أطعمت الشجرة . وانظر الحيوان

٢ : ٢٣٨ و ٥ : ٢٠٩ والعقد ٦ : ٢٤٠ تأليف .

(٩) الفحال : ذكر النخل .

قال : ويبضُّ أبكارِ الطَّيرِ أصغر ، وكذلك أولادُ النساءِ ، إلى أن تتسع الأرحام وتنتفخ الجنوب^(١) .

(هديل الحمام)

ويكون هديلُ الحمام [الفقيُّ] ضئيلاً ، فإذا زقَّ مرَّاراً فَتَحَ الزَّقُّ جِلْدَةَ غَبِيهِ^(٢) وحوصلته ، فخرجَ الصَّوتُ أغلظَ وأجهرَ .

(حياة البكر)

وهم لا يثِقون بحياةِ البكر^(٣) من النَّاسِ^(٤) كما يثِقون بحياةِ الثَّاني^(٥) ويرون أن طبيعَةَ الشباب والابتداء لا يعطيانه^(٦) شيئاً إلاَّ أخذه تضايقُ مكانه من الرَّحم ، ويحبُّون أن تَبَكَّرَ بجارية ! وأظنُّ أن ذلك إنما هو لشِدَّةِ خوفِهم على الذَّكر . وفي الجملة لا يَتِمَّنُونَ بالبكر الذَّكر^(٧) . فإن كان البكرُ ابنَ بكرٍ تشاءموا^(٨) به ، فإن كان البكرُ ابنَ بَكْرَيْنِ فهو في الشَّومِ

(١) كذا في ل . وفي ط ، س : « إلا أن تتسع الأرحام وتنتفخ الجوانب » .

(٢) الغيب : ماتحت الحنك . وفي ط ، س : « عينه » ، وهو تحريف عجيب .

(٣) كذا في ل ، س . وفي ط : « بجيات ولد البكر » ، تحريف .

(٤) ماعدا س : « النساء » .

(٥) ط : « بجيات » ، س : « أنثى » ، تحريفان .

(٦) أي يعطيان البكر . ط ، ل : « يعطيان » .

(٧) يتيمنون : من التيمن : ضد التشاؤم . ط ، س : « لا يتمنون للبكر » ، وهو على الوجه في ل . وانظر الحيوان ٥ : ٣٣١ .

(٨) في الأصل : « تشأم » ، وإنما تقال هذه لمن انتسب إلى بلاد الشأم .

مثل قيس بن زهير، والبسوس^(١)، فإن قيساً كان أزرق^(٢) وبكراً ابن بكرين .
ولا أحفظ شأن البسوس حفظاً أجزمُ عايه .

(ما يعترى الحمام والإوز بعد السفاد)

قال : وأما الحمام فإنه إذا قَطَّ تَنَفَّشَ^(٣) وتكَبَّرَ ونَفَضَ ذَنِبَهُ^(٤)
وضَرَبَ بِجَنَاحِهِ ، وأما الإوزُ فإنه إذا سفِدَ أكثر من السباحة ، واعتراه
في الماء من المَرَحِ مثلُ ما يعترى الحمام في الهواء .

(١) هي البسوس بنت منقذ التيمية ، قالوا : استجار بها جار لها من جرم ومعه ناقة له ،
فرماها كليب بن وائل لما رآها في حماه ، فلجأ الجرى إلى البسوس ، فهيجت أهلها
للحرب ، فهاجوا واستمرت الحرب بين بكر وتغلب أربعين سنة . وسميت بحرب
البسوس - ثمار القلوب ٢٤٥ والعقد ٣ : ٣٤٧ وكامل ابن الأثير ١ : ٣١٣
وأمثال الميداني ٢ : ٣٥٩ والأغانى ٤ : ١٣٩ .

(٢) ليس المراد زرقة الجلد ، وإنما المراد زرقة العين ، يقال رجل أزرق وامرأة
زرقاء ، ويراد بذلك خضرة الحدقة . المخصص ١ : ١٠٠ . والعرب يكرهون
ذلك ويتهاجون به . قال :

لقد زرقت عينك يا ابن مكعب كذا كل ضبي من اللؤم أزرق
وجاء في القرآن : « ونحشر المجرمين يومئذ زرقا » ، أى زرق العيون . وكان
شؤم قيس بن زهير في إثارة حرب داحس والغبراء ، وكان هو صاحب داحس :
فحل من الخيل ، وكان صاحب الغبراء حمل بن بدر ، وتراهننا على السباق ، وحدث
خلاف بينهما في مستحق الرهان ، أدى إلى حروب دامت أربعين سنة . العقد
٣ : ٣١٣ . وانظر كامل ابن الأثير ١ : ٣٤٣ والأغانى ٧ : ١٤٣ ، ١٦ : ٢٣
وأمثال الميداني ٢ : ٥١ .

(٣) تنفش : نفض ريشه .

(٤) س : « ثوبه » .

قال : ويبيضُ الدجاجُ يتمُّ خلقه في عشرة أيام وأكثرَ شيئاً^(١) ، وأما بيض الحمام في أقلَّ من ذلك .

(احتباس بيض الحمامة)

والحمامة ربما احتبسَ البيضُ في جوفها بعدَ الوقتِ^(٢) لأمرٍ تعرِّضُ لها : إما لأمرٍ عرضَ لِعُشِّها [وأفحوصها] ، وإما لنتفِ [ريشها]^(٣) ، وإما لعلَّةٍ وجعٍ من أوجاعها^(٤) وإما لصوتِ رعدٍ ؛ فإنَّ الرِّعدَ إذا اشتدَّ لم يَبْقَ طائرٌ على الأرضِ واقع^(٥) إلاَّ عدداً فزعا ، وإن كان يطيرُ رمى بنفسه إلى الأرضِ^(٦) . قال علقمة بن عبدة :

رغاً فوقهم سقب السماء فداحض^٧ بشكته لم يستلب^٨ وسليب^٧
كانهم صابت عليهم سحابة صواعقها لطيرهن ديب^٨

(١) الواو هنا بمعنى أو ، كما جاء في قوله :

* كما الناس مجروم عليه وجارم *

(٢) أى بعد الوقت المقدر لتزوله .

(٣) الزيادة من ل ، س .

(٤) ل : « وإما لوجع من أوجاعها » .

(٥) ل : « واقعاً » ، فهو نصب على الحال من النكرة الموصوفة . والرفع جائز على الوصف أيضاً .

(٦) ط ، س : « وإن كان يطير إلا رمى » ، ل : « وإن يطير رمى » ، وجعلت الكلام كما ترى .

(٧) سقب السماء ، هو ولد نافقة صالح ، قالوا : لما عقرت أمه رغاً ، فنزل العذاب بقوم صالح : فجعل العرب ذلك مثلاً في الاستئصال . انظر ثمار القلوب ٢٨٢ . وفي اللسان : « دحض برجله ودحض : فحص برجله » . وروى القائل البيت في أماليه ٢ : ١٣٣ بالصاد المهملة . وقال : « وكان بعض العلماء يرويه : (فداحض) . وهذا البيت أحد ما نسب فيه إلى التحريف » . ولعله يعنى الجاحظ . والشككة : السلاح .

(٨) طير الصواعق : طيرانها ، أى سرعتها . وفي س : « للطير هن ديب » ، أى إن تلك الصواعق التى تنزل بهم تجلب الموت فتتحرك الطير لتأكل من القتلى . أى إن الصواعق سبب لديب الطير .

(تقبيل الحمام)

قال : وليس التقبيلُ إلا للحمام والإنسان ، ولا يدعُ ذلك ذكرُ الحمامِ
إلا بعد الهرم . وكان في أكثرِ الظنِّ أنه أحوجُ ما يكون [إلى] ذلك
التنهيج به عند الكبرِ والضعف .

وتزعمُ العوامُّ أن تسافدَ الغربان هو تطاعُمُها بالمناقير ، وأن إلقاها إنما
يكونُ من ذلك الوجه . ولم أرَ العلماءَ يعرفون هذا .

قال : وإناثُ الحمام إذا تسافدت أيضاً قبَّلَ بعضهنَّ بعضاً ، ويقال إنها
تبيضُ عن ذلك ، ولكن لا يكون عن ذلك البيضُ فراخ ، وإنه في سبيل
بيض الريح ^(١) .

(تكونُ الفرخ في البيضة)

قال : ويستبينُ خلقُ الفِرَاح إذا مضت لها ثلاثة أيامٍ بلياليها ،
وذلك في شباب الدجاج ، وأما في المسانِّ منها فهو أكثر . وفي ذلك الوقت
توجد الصفرةُ من الناحيةِ العليا ^(٢) من البيضة ، عند الطرفِ المحدد [و]
حيث يكون أولُ نقرها ، فثم ^(٣) يستبين في بياضِ البيضة مثلُ نقطة من
دم ، وهي تحتلج وتتحرك : والفرخ إنما يُخلق من البياض ، ويعتدَى

(١) سماه في ٢ : ٢٤١ « البيض الترابي » .

(٢) ط : « العليا » .

(٣) ل فقط : « فالقلب » ، وأراه تحريفاً .

الصُّفْرَةَ ، ويتمُّ خَلْقُهُ لعشرةِ أَيَّامٍ . والرَّأْسُ وَحْدَهُ يكونُ أكبرَ من سائرِ البدنِ .

(البيض العجيب)

قال : ومن اللدجاج ما يبيض بيضاً له صُفْرَتَانِ في بعضِ الأحيان ،
خبرني بذلك كم شئت^(١) ، من ثقاتِ أصحابنا .

وقال صاحب المنطق : وقد باضت فيما مضى دجاجةً ثمانىَ عشرةَ
بيضةً ، لكلِّ بيضةٍ مُحْتَانٍ^(٢) ، ثمَّ سخَّنت وحضنت ، فخرج من كلِّ
بيضة فرُّوجان ، ما خلا البيض الذى كان فاسداً فى الأصل . وقد يخرج من
البيضة فرُّوجان^(٣) ، ويكون أحدهما أعظمَ جثةً ، وكذلك الحمام . وما أقلُّ
ما ينادرُ الحمامُ أن يكون أحدهُ الفرَّخينِ^(٤) ذكراً ، والآخَرُ أنثى .

(معارف فى البيض)

قال : وربما باضت الحمامةُ وأشباهاها من الفواخيتِ ثلاثَ بيضاتٍ ، فأما
الأطرُغلاتِ والفواختِ^(٥) فإنها تبيضُ بيضتينِ ، وربما باضتِ ثلاثَ

(١) كذا فى ل ، س . وانظر ٣ : ٢٣١ و ٤ : ٤٦ و ٥ : ٣٧٤ وكتاب البغال ٢٦٤ .

وفى ط : « شبيث » ، تحريف .

(٢) المحة والمخ : صفرة البيض . جاء فى س : « محان » ، وهما صحيحان .

(٣) ل : « فرخان » ، والأفضل ما أثبت من ط ، س .

(٤) فى الأصل : « الفروجين » ، وإنما يكون الفروج للدجاج خاصة .

(٥) ط ، س : « الفواخت » ، ووجهه ما أثبت من ل .

بيضات ، ولكن لا يخرج منها أكثر من فرخين ، وربما كان واحداً فقط .

قال : وبعض الطير لا يبيض إلا بعد مرور الحول عليه كَمَلًا (١) ، والحمامة في أكثر أمورها يكون أحد فرخيها ذكراً والآخر أنثى ، وهى تبيض أولاً البيضة التى فيها الذكر ، ثم تقيم يوماً وليلة ، ثم تبيض الأخرى ، وتحضن ما بين السبعة عشر يوماً إلى العشرين ، على قدر اختلاف طباع الزمان ، والذي يعرض لها من العلل . والحمامة أبر بالبيض ، والحمام أبر بالفراخ .

[قال] : و [أمّا] جميع أجناس الطير مما يأكل اللحم ، فلم يظهر لنا أنه يبيض ويفرخ أكثر من مرة واحدة ، ما خلا الحطّاف فإنه يبيض مرتين .

(تربية الطيور فراخها)

والعقاب تبيض (٢) ثلاث بيضات ، فيخرج لها فرخان . واختلفوا فقال بعضهم : لأنها لا تحضن إلا بيضتين ، وقال آخرون : قد تحضن ويخرج

(١) كلا : أى كاملاً . وبالأخيرة جاءت الرواية في ط ، س .

(٢) فى الأصل : « يبيض » . والعقاب يطلق على الذكر والأنثى ، ولكنه أراد الأنثى هنا .

لها ثلاثة أفراخ ، ولكنها ترمى بواحد^(١) استئقلاً للتكسب على ثلاثة .
وقال آخرون : ليس ذلك إلا بما^(٢) يعترها من الضعف عن الصيد ، كما
يعترى النفساء من الوهن والضعف ، وقال آخرون : العقاب طائر سيء
الخلق ، ردىء التربية ، وليس يُستعان^(٣) على تربية الأولاد إلا بالصبر .
وقال آخرون : [لا ، و] لكنها شديدة النهم والشره ، وإذا لم تكن
أم الفراخ ذات أثر لها ، ضاعت .

٥٦

وكذلك قالوا في العقق ، عند إضعافها لفراخها ، حتى قالوا : « أحمق
من عقق » ، كما قالوا : « أحذر من عقق » .

وقالوا : وأما الفرخ الذي يُخرجه العتاب ، فإن المكلفة ، وهي طائر
يقال لها كاسر العظام^(٤) ، تقبله^(٥) وتربيته .

والعقاب تحضن^(٦) ثلاثين يوماً ، وكذلك كل طائر عظيم الجثة ، مثل
الإوز وأشباه ذلك ، فأما الوسط فهو يحضن عشرين يوماً . مثل الحدأ^(٧)
ومثل أصناف البراة^(٨) كالبواشق واليآئي^(٩) .

(١) ط ، س : « بواحدة » .

(٢) بما : بمعنى لما . وفي ل : « ليس ذلك لما » ، وهو كلام ناقص .

(٣) ل : « يقوى شيء » .

(٤) ل : « يقال لها قينا » .

(٥) تقبله : تكفله . والقبيل : الكفيل .

(٦) في الأصل : « يحضن » . والعقاب هنا مؤنثة .

(٧) هو جمع حدأة . وفي ط ، ل : « الحدأة » .

(٨) ط : « البرات » ، وصوابه في س ، ل . وهو جمع باز .

(٩) اليآئي : جمع يؤيؤ ، وهو طير جارح يشبه الباشق . قال أبو نواس
في طردية :

حفظ المهيمن يؤيؤى ورعاه ما في اليآئي يؤيؤى شرواه

أى شبيهه . ط : « اليآئي » . س : « اليآي » ، وهما تحريف ما أثبت
وهذه الكلمة والتي قبلها ساقطتان من ل .

والحدأة^(١) تبيضُ ببيضتين . وربما باضت ثلاثَ بيضاتٍ وخرَجَ منهن ثلاثَةٌ فراخ .

قالوا : وأما العقبانُ السودُ الألوان ، فإنَّها ترَبِّي وتحمضن^(٢) .
وجميعُ الطيرِ المعقَّفِ المخالبِ تطردُ فراخها من أعشاشها^(٣) عندَ قوتها على الطيرِ آن . وكذلك سائرُ الأصنافِ مِنَ الطيرِ^(٤) ؛ فإنَّها تطردُ للفراخِ [ثمَّ] لا تعرفُها ، ما عدا الغداف^(٥) ؛ فإنَّها لا تزالُ لولدها قابلةً ، ولحالِهِ متفقدةً .

(أجناس العقبان)

وقال قوم^(٦) : إنَّ العقبانَ والبزاةَ التامةَ ، والجهازرانك^(٧) ، والسَّمْنان^(٨) .

- (١) س : « والحدأة » ، وهو تحريف .
(٢) ل : « تبيض وتحمضن » .
(٣) ط ، س : « أعشاشها » ، ولم أر هذا الجمع ووجدتهم يجمعون العش على عشاش ، وعششة وأعشاش . انظر المصباح .
(٤) ل : « سائر أصناف الطير » .
(٥) كذا .
(٦) ل : « وزعم غيره » .
(٧) المراد بالبزاة أو العقبان التامة : التامة الأوصاف ، وهو من تعبير البزرة ، كتب بذلك إلينا حضرة العلامة الكبير الأب أنستاس ، كما كتب أيضاً : « الجهازرانك » أو « الجهازرانك » هي مركبة من « جهاز » أى أربعة ، و « رنك » أو « رانك » أى لون ، فيكون معنى الكلمة المركبة الفارسية : ذا الألوان الأربعة . وسبب تسمية هذه العقبان ، أو البزاة ذات أربعة ألوان هو وجود الأبيض والأصفر والأسود والأربد فيها . واللونان الأولان بالتصغير ، أى الضارب إلى الأبيض والضارب إلى الأصفر ؛ لأن هذين اللونين ليسا محضين في ريش تلك الطير .
وقلت : هذه الكلمة هي في الأصل محرفة في ط ، س : « الجهادانك » وفي ل : « الجهازدانك » . وقد اتضح الصواب بما تفضل به حضرة الأب .
(٨) كذا في ط ، س . وفي ل : « النيميات » . وقد تفضل حضرة المحقق الكبير =

والزَّمَاجِج^(١) والزَّرَارِقَةَ^(٢) إنها كلها عِقْبَان . وأما الشَّوَاهِينُ والصُّقُورَةُ ،
والْيَوَائِي^(٣) ، فإنها أجناسٌ أُخر .

(حَضْنُ الطَّيْرِ)

[قال : وقالوا : فراخ البزاة سَمِينَةٌ طَيِّبَةٌ جَدًّا] . وأما الإوزة فإنها
[التي] تحضن دون الذكر^(٤) ، وأما الغربانُ فعلى الإناثِ الحَضْنُ ، والذكورة
تأتي الإناثَ بالطَّعْمَةِ^(٥) .

وأما الحَجَلُ فَإِنَّ الزَّوْجَ مِنْهَا^(٦) يَهَيِّئَانِ لِلْبَيْضِ عُشَّيْنِ وَثِقَيْنِ^(٧)

= الأب أنستاس ، فكتب إلى : « والسبان من البزاة والجوارح : كل ماطن منها
في السن ، وهي جمع سمين . والعوام من العراقيين يسمونها : سمنان - كرفغان -
فهى إذا طمنت في السن ضخم جسمها وقعدت عن الصيد » . « والنيميات
منسوبة إلى نيم ، بالكسر ، الفارسية ، بمعنى نصف . ويشار به إلى تلك البزاة ،
أو العقبان الصغيرة الجسم ، وهي تكون في أغلب الأحيان أشد صيداً وجرأة من
نظائرهما الكبيرة الجسم أو الجففة . ويؤق بها من البلاد الباردة ، أو من الأرجاء
الجبلية » . وعقب حضرته على ذلك بقوله : « وكل ذلك مذكور في كتب البزرة
التي سرت منى . وكان عندي منها ثلاث نسخ مملوءة أو مشحونة اصطلاحات » .

- (١) الزمامج : جمع زمج ، بضم الزاى وتشديد الميم المفتوحة .
- (٢) الزرارقة : جمع زرق بضم الزاى وتشديد الراء المفتوحة ، والمعروف زراريق . وفي
الأصل : « الزراقة » ، وهو تحريف .
- (٣) كذا على الصواب في ل . وهو جمع يؤيؤ . ط ، س : « والبوازي » .
- (٤) كذا في ل وهو الصواب . وفي ط : « وأما الأوز فإنها تحضن دون
الذكورة » ومثله في س بزيادة « التي » بعد « فإنها » .
- (٥) في اللسان : « الطعمة » ، بالضم : شبه الرزق » . وفي ل : « بالطعم » ، ومثله
في عيون الأخبار (٢ : ٩٤) وهو بالضم : الطعام .
- (٦) ل ، ط : « منهما » ، وصوابه في س .
- (٧) الوثيق : المحكم . وبدلها في ط : « بيضتين » وفي س : « بيضين »
وهو تحريف عجيب .

مقسومين^(١) عليهما ، فيحضن أحدهما الذكر ، والآخر الأنثى^(٢) ، وكذلك هما في التربية . وكل واحد منهما يعيش خمسا وعشرين سنة ، ولا تلقح الأنثى بالبيض^(٣) ولا يلقح الذكر إلا بعد ثلاث سنين .

(الطاوس)

قال : وأما الطاوس فأول ما تبيض فإنها تبيض ثماني^(٤) بيضات . وتبيض أيضا بيض الريح . والطاوس يلقى ريشه في زمن الخريف إذا بدأ أول ورق الشجر يسقط^(٥) . وإذا بدأ الشجر يكتسى ورقا ، بدأ الطاوس فأكتسى^(٦) ريشا .

(١) ط فقط : « مقسومين » .

(٢) فصلت هذا الضبط لما جاء في نهاية الأرب نقلا عن الجاحظ : « وإذا باضت الحجلة ميز الذكر الذكور منها فيحضنها ، وميزت الأنثى الإناث فتحضنها ، وكذلك هما في التربية » . ومثل هذا الكلام عند الدميري ، مع نسبه إلى التوحيدى .

(٣) ط ، س : « البيض » ، والوجه مأثبت كما في ل ونهاية الأرب (١٠ : ٢٣٣)

(٤) كذا في ل ونهاية الأرب ، وفي ط ، س : « ثلاث » .

(٥) كذا على الصواب في س . وفي ل : « يلقى ورقه » وفي ط « فإذا بدأ » ، وكلاهما تحريف .

(٦) ط : « يكتسى » .

(ما ليس له عشٌّ من الطير)

قال : وما كان من الطَّير الثَّقِيلِ الجَثَّةِ فليس يهَيُّ لبيضِهِ عَشًّا ؛ من أَجْلِ أَنَّهُ لَا يُجِيدُ^(١) الطَّيرَانِ ، ويثقل عليه النهوض ولا يتحلَّق^(٢) ، مثل الدَّرَّاجِ والقَبَّجِ ، [وإنما يبيض على التُّراب] . وفراخ هذه الأجناس كفراريج الدَّجاج ، وكذلك فراريج البَطِّ الصَّيْنِيِّ ، فَإِنَّ هذه كُلَّهَا تَخْرُجُ من البيض كاسية [كاسية^(٣)] تَلْقَطُ من ساعتها ، وتَكْفِي نفسها .

(القبجة)

قال : [و] إذا دنا الصَّيَّادُ من عَشِّ القَبْجَةِ^(٤) ولَهَا فراخٌ ، مرَّتْ بينَ يَدَيْهِ مَرًّا غَيْرَ مُفَيْتٍ^(٥) ، وأطمعته في نفسها لِيَتَّبِعَهَا^(٦) ، فتمرُّ الفَراخُ في رجوعها إلى موضعِ عَشِّهَا^(٧) . والفراخ^(٨) ليسَ معها من الهداية مامع

(١) ط ، س : « يجيد » .

(٢) يتحلَّق : لم أجدها بمعنى حلق الطائر أي طار واستدار في طيرانه ، لكن هكذا

جاءت في ل . وانظر ٥ : ١٥٢ . وفي ط ، س : « يتحلَّق » ، وهو تحريف .

(٣) الزيادة من س .

(٤) سبق قريباً أنها ليست ذات عش . فالمراد أفحوصتها .

(٥) ط فقط : « معين » ، وهو تحريف .

(٦) ط ، س : « فيتبعها » .

(٧) ل ، س : « فتمرُّ الفَراخُ ولثلاثا تغلظ في رجوعها إلى موضعِ عَشِّهَا » .

(٨) ل : « فإنها » .

أمها . وعلى أن القَبَجَةَ سَيِّئَةُ الدَّلَالَةِ وَالهِدَايَةِ ، وكذلك كلُّ طائرٍ يَعَجَّلُ له الكَيْسُ والكِسْوَةُ ، ويعَجَّلُ له الكَسْبُ في صغره .

وهذا إنما اعترأها لقَرَابَةِ ما بينها وبين الديك .

قال : فإذا أمعن الصَّائِدُ خَلْفَهَا وقد خرجت الفَراخُ من موضِعِهَا ، طارت ٥٧ وقد نَحَّتْهُ (١) إلى حيثُ لا يَهْتَدِي الرَّجُوعَ منه إلى موضعِ عَشِّهَا (٢) ، فإذا سَقَطَتْ قريباً دَعَتْهَا بأصواتٍ لها ، حتَّى يَجْتَمِعَنَّ إليها .

قال : وإناثُ القَبَجِ تبيضُ [خَمْسَ عَشْرَةَ بيضةً إلى ستِّ عَشْرَةَ بيضةً . قال : والقَبَجُ طيرٌ منكرٌ] وهى تَفْرُ (٣) بيضها من الذَّكَرِ ؛ لأنَّ الأنثى تشتغل بالحضن عن طاعة الذَّكَرِ في طلب السَّمَادِ . والقَبَجُ الذَّكَرُ يوصفُ بالقوَّةِ على السَّمَادِ ، كما يوصفُ الديكُ والحِجْلُ والعُصفورُ .

قال : فإذا شَغِلَتْ عنه بالحضن ، طلبَ مواضعَ يبيضها حتى يفسدَهُ (٤) فلذلك ترتاد (٥) الأنثى [عَشِّهَا] في مَخَابِي (٦) إذا أَحَسَّتْ بوقْتِ البيضِ .

وإذا قاتل بعضُ ذُكُورِ القَبَجِ بعضاً فالمغلوبُ منها مسفودٌ ، والغالبُ

(١) ط : « نحت » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٢) يقال : هو لا يَهْتَدِي الطَّرِيقَ ، ولا يَهْدِي - بفتح الياء والهاء وتشديد الدال المكسورة - ، ولا يَهْدِي - بفتح الياء وكسر الهاء والدال المشددة . كل أولئك بمعنى لا يَهْتَدِي إليه . في ط : « إلى موضعها » .

(٣) س : « تشغل » .

(٤) ل : « يفسدها » ، ولها وجه .

(٥) ترتاد : تطلب . وفي ل : « توغل » ، ولا يقال أوغله .

(٦) ط ، س : « مخافي » وتصحيحه من ل .

سافد . وهذا [العرض] يعرضُ للديكة ولذكور الدَّراريح ، فإذا دَخَلَ بينَ الديكةِ (١) ديكٌ غريب ، فما أَكْثَرَ ما تجتمع عليه حتى تسفده ! .

(وثب الذكورة على الذكورة)

وسفادُ ذكورة هذه الأجناس إنما يعرض لها لهذه الأسباب ، فأما ذكورة الحمير والخنازير والحمام ، فإن ذكورها تثبُّ على بعضٍ من جهة الشهوة .

وكان عند يعقوب بن صباح (٢) الأشعبي ، هِرَانِ ضَخْمَان ، أحدهما يكومُ الآخر متى أرادهُ ، مِنْ غيرِ إكراهٍ ، وَمِنْ غيرِ أن يكونَ المسفودُ يريدُ من السَّافِدِ مِثْلَ ما يريدُ منه السَّافِدُ . وهذا البابُ شائعٌ في كثيرٍ من الأجناس ، إلاَّ أنَّه في هذه [الأجناس] (٣) أوجد .

(صيد البزاة للحمام)

ثمَّ رجَعَ بنا القولُ إلى ذِكْرِ الحمام ، من غير أن يشاب (٤) بذكر غيره .

(١) ط : « الرمكة » . ولا تصح . والصواب من ل ، س .

(٢) ل : « الصباح » .

(٣) الزيادة من ل ، س .

(٤) ط ، س : « انتساب » ويصح بـ « انتشاب » أى تعلق . وأثبت ما في ل . ويشاب : يخلط :

زعم صاحب المنطق أنَّ البُرْزاةَ عشرة أجناس ، فمنها ما يضرب الحمامة والحمامة جائئة ، ومنها ما لا يضرب الحمامَ إلَّا وهو يطير ، ومنها ما لا يضرب الحمام في حال طَيْرَانِهِ ولا في حالِ جثومِهِ ، [ولا يعرض له] إلَّا أن يجده (١) في بعض الأغصان ، أو على [بعض] الأنشاز (٢) والأشجار . فعدَّد أجناسَ صيدها ، ثمَّ ذكرَ أنَّ الحمامَ (٣) لا يخفى عليه في أوَّل ما يرى البازيَ في الهواء أيُّ البُرْزاةِ هو ، وأيُّ نوعٍ صيدهُ (٤) ، فيخالف ذلك . ولمعرفة الحمامِ بذلك من البازي أشكال : أوَّل ذلك أنَّ الحمامَ في أوَّلِ نهوضِهِ يفصلُ بين النَّسرِ والعقاب ، وبين الرَّحمةِ والبازي ، وبين الغرابِ والصَّقرِ ؛ فهو يَرى الكركيَّ والطَّبْرزين (٥) ولا يستوحشُ منهما ! ويرى الزُّرَّقَ فيتضاءل . فإن رأى الشَّاهينَ فقد رأى السَّمَّ الذعافِ الناقعِ (٦) .

(إحصاس الحيوان بعدوّه)

والتَّعجبة ترى الفيلَ والزَّنْدَبِيلَ والجاموسَ والبعيرَ ، فلا يهزُّها (٧) ذلك ، وترى السَّبَّعَ وهي لم تره قبل ذلك (٨) ، وعَضُوٌّ من أعضاء تلك البهائمِ أعظمُ

(١) ل : « يراه » .

(٢) الأنشاز : جمع نشز ، بالتحريك ، أو بالفتح ، وهو المكان المرتفع .

(٣) ط : « صاحب الحمام » ، وللوجه ما أثبت من ل ، س .

(٤) ط : « ضده » ، وصوابه من ل ، س .

(٥) كذا في ل ، س . والمعروف في الطبرزين أنه الفأر التي يعلقها الفارس

في سرج جواده . انظر معرب الجواليقي ١٩٤ والألفاظ الفارسية ١١١ . وفي

ط : « الطيران » . وانظر الاستدراكات .

(٦) ل : « فقد رأى السم الناقع » .

(٧) ل : « يهدها » .

(٨) ل : « الذي لم تره قبل فتحافه » وفيه تحريف .

وهي أهولُ في العين وأشنعُ ، ثمَّ ترى الأسدَ فتخافه . وكذلك الببْر والنمر :
فإنَّ رأْتَ الذئبِ [وحده] اعتراها منه وحدهً مثلُ ما اعتراها من تلك
الأجناسِ لو كانت مجموعةً في مكانٍ واحدٍ . وليس ذلك عن تجرِبةٍ ،
ولا لأنَّ منظره أشنعُ وأعظمُ ، وليسَ في ذلك عِلَّةٌ (١) إلا ما طُبعت عليه من
تمييز الحيوان عندها . فليس بمُسْتَنَكِرٍ أَنْ تَفْصِلَ الحمامةَ بينَ الببازي (٢)
والببازي ، كما فصلت بين الببازي والكركيِّ .

فإنَّ زعمتَ أنَّها تعرف بالمخالب (٣) فنقار الكركيِّ أشنعُ [وأعظمُ]
وأفزع (٤) ، وأطولُ وأعرض (٥) . فأما (٦) طرفُ منقار [الأبعث (٧)] فما
كانَ (٨) كلُّ سنانٍ وإن كان مذبذباً (٩) [ليبلغه .

(١) ط : « عليه » ، وهي على الصواب في ل ، س .

(٢) أي تعرف أنواع الببازة وطريقة صيدها لها ، كما فصل ذلك في الصفحة السابقة س ٦ .

ل فقط : « الرخة » تحريف .

(٣) في الأصل : « تضرب مخالب » .

(٤) ل : « وأقطع » .

(٥) ليست في ل .

(٦) ط ، س : « فا » ، وهو تحريف .

(٧) في القاموس : أن الأبعث طائر ، ولم ينعمته .

(٨) ليست بالأصل . والكلام في حاجة إليها .

(٩) مذبذباً ، بالذال المعجمة : محددأ . وفي الأصل ، وهو هنا ل :

« مذبذباً » ، تصحيف .

(بلاهة الحمام وخرقه)

قال صاحب الدِّيك : وكيفَ يكونُ للحمام من المعرفة^(١) والفطنة

ما تذكرون ، وقد جاء في الأثر^(٢) : « كُونُوا بُلْهًا^(٣) كالحمام » ؟ !

وقال صاحب الدِّيك : تقول العربُ : « أَخْرَقَ مِنْ حَمَامَةٍ » ، ومَّا يدل

على ذلك قولُ عبيد بن الأبرص :

عَيَسُوا بِأَمْرِهِمْ كَمَا عَيَّتْ بَدِيضَتَهَا الْحَمَامَةُ

جَعَلَتْ لَهَا عُودِينَ مِنْ نَشْمٍ وَآخَرَ مِنْ ثَمَامَةٍ^(٤)

(١) ط ، س « الحركة » ، ووجهه ما في ل .

(٢) كذا في ل ، س . وهو الموافق لما جاء في البيان (٢ : ٢٧٥) :

« وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : كونوا بلها كالحمام » . وفي

ط : « وقد جاء في الحديث » كما في محاضرات الراغب (٤ : ٣٠٠) . وجاء

في عيون الأخبار (٢ : ٧٢) : « وفي الإنجيل أن المسيح عليه السلام قال

للحواريين : كونوا حلهاء كالحيات ، وبلها كالحمام » . قلت : والنص في إنجيل متى

(الأصحاح العاشر : ١٦) : « هاأنا أرسلكم كغفم في وسط ذئاب فكونوا

حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام » .

(٣) في الأصل : « بلهاء » ، وإنما هي « بلها » كما في ٧ : ٢٥٩ . وهو جمع أبله . والمراد به

الغافل عن الشر المطبوع على الخير . انظر نهاية ابن الأثير (بله) .

(٤) النشم ، بالتحريك : شجر من أشجار الجبال تتخذ منه القمى . والثمامة : واحدة

الثمام ، وهو نبت قصير يضرب به المثل في الضعف . وذلك حقتها : أن تجمع بين

ضعيف وقوى : فيتكسر عشا ويقع البيض فيتكسر . انظر عيون الأخبار (٢ :

٧٢) وثمار القلوب ٣٦٩ وأمثال الميداني (١ : ٢٣٤) وأدب الكاتب (٥٥) .

فإن كان عبيدًا إنما عني حمامةً من حمامكم هذا الذي أنتم به تفخرون ،
فقد أكثرتم في ذكر^(١) تدبيرها لمواضع بيضها ، وإحكامها لصنعة
عشاشها^(٢) وأفاحيها .

وإن قلمت : إنه إنما عني بعض أجناس الحمام الوحشي والبرّي ، فقد
أخرجتم بعض الحمام من حُسن التدبير . وعبيدٌ لم يُخصَّ حماماً دون حمام .

(رغبة عثمان في ذبح الحمام)

وحدث أسامة بن زيد قال : سمعتُ بعضَ أشياخنا منذُ زمانٍ ، يحدثُ
أنَّ عثمانَ بنَ عفَّانَ - رضی اللهُ تعالى عنه - أراد أنْ يذبحَ الحمامَ ثمَّ قال :
« لولا أنَّها أُمَّةٌ من الأممِ لأمَّرتُ بذبجهن^(٣) ، ولكنَّ قُصُوهنَّ » . [فدلَّ بقوله :
قُصُوهنَّ] على أنَّها إنما تذبجُ لرغبة^(٤) مَنْ يتخذهنَّ ، ويلعبُ بهنَّ من
الفتيانِ والأحداثِ والشُّطَّارِ^(٥) ، وأصحابِ المراهنةِ والقمارِ ، والذين

(١) ل : « ذلك » ، وهو تحريف . والمراد بالإكثار التزويد والمبالغة .

(٢) كذا في ل . وفي ط ، س : « أعشمتها » وانظر التنبيه رقم ٣

ص ١٨١ .

(٣) ط ، س : « بذبجها » ، وأثبت ما في ل .

(٤) ل : « لسورعة » ! .

(٥) الشطار : جمع شاطر ، وهو الذي أعيأ أهله ومؤدبه خبثاً ، وشر عن الطريق

السوى : أي عدل عنه . وفي ل فقط : « السطار » وهو تصحيف . واللعب بالحمام

التسابق به ، على نحو ما يفعل بالخيول . انظر صورة من ذلك في أخبار

الظراف ص ٣٨ .

يَتَشَرَّفُونَ^(١) عَلَى حُرْمِ النَّاسِ وَالْجِيرَانِ ، وَيَتَخَدَّعُونَ^(٢) بِفِرَاحِ الْحَمَامِ أَوْلَادِ النَّاسِ ، وَيَرْمُونَ بِالْجَلَاهِقِ^(٣) وَمَا أَكْثَرَ مَنْ قَدْ فَقَأَ عَيْنًا وَهَشَّمَ أَنْفًا ، وَهَمَمَ فَنَاءً ، وَهُوَ لَا يَدْرِي مَا يَصْنَعُ ، وَلَا يَقِفُ عَلَى مَقْدَارِ مَا رَكِبَ بِهِ الْقَوْمَ . ثُمَّ تَذَهَبُ^(٤) جِنَايَتُهُ هَدْرًا ؛ وَيَعُودُ ذَلِكَ الدَّمُّ مَطْلُولًا بِلَا عَقْلٍ وَلَا قَوْدٍ وَلَا قِصَاصٍ وَلَا أَرْشٍ^(٥) ؛ إِذْ كَانَ صَاحِبُهُ مَجْهُولًا .

وعلى شبيهه بذلك كان عمر - رضي الله عنه - أمر بذبح الديكة^(٦) وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب .

قالوا : ففيما ذكرنا دليل على أن أكل لحوم الكلاب لم يكن من دينهم ولا أخلاقهم ، ولا من دواعي^(٧) شهواتهم . ولولا ذلك لما جاء الأثر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وعمر وعثمان - رضي الله تعالى عنهما بذبح الديكة والحمائم ، وقتل الكلاب . [ولولا أن الأمر على ما قلنا ، لقالوا : اقتلوا الذبوك والحمائم كما قال : اقتلوا الكلاب] . وفي تفريفهم بينها دليل على افتراق الحالات عندهم .

(١) التشرف : التطلع . وفي ط فقط : « يشرفون » من الإشراف : أى الاطلاع . وما أثبت أقرب وأشبه .

(٢) ط ، س : « ويتخدعون » .

(٣) الجلاهق : هو الطين المدور المدمق ، يرى به عن القوس ، فارسى ، أصله جلاجه . الجواليق ٤٢ .

(٤) كذا فى ل . وفى ط ، س : « ذهبت » .

(٥) العقل : الدية . والقود ، بالتحريك ، بمعنى القصاص ، وهو قتل النفس بالنفس . والأرش : دية الجراحات .

(٦) كذا فى ل . وكما سبق فى الجزء الأول ص ٢٩٦ س : ١١ ، ١٦ . وفى ط ، س :

« أراد عمر رضى الله عنه أن يذبح الديكة » .

(٧) ط ، س : « ولا كان فى دواعى » .

قال : حدَّثني أسامة بن زيد^(١) ، وإبراهيم بن أبي يحيى ، أن عثمان شكوا إليه الحمام ، وأنه قال : « من أخذ منهن شيئاً فهو له » . وقد علمنا أن اللفظ وإن كان قد وقع على شكايه الحمام ، فإن المعنى إنما هو على شكايه أصحاب الحمام ؛ لأنه ليس في الحمام معنى يدعو إلى شكايه^(٢) .

قال : وحدَّثنا عثمان قال : سئل الحسن عن الحمام الذي يصطاده الناس ، قال : لا تأكله ، فإنه من أموال الناس ! فجعله مالا ، ونهى عن أكله بغير إذن أهله . وكل ما كان مالا فبيعه حسن وابتاعه حسن . فكيف يجوز لشيء هذه صفته أن يُذبح ، إلا أن يكون ذلك على طريق العقاب والزجر لمن اتَّخذه لما لا يحل ! !

قال : ورووا عن الزهري عن سعيد بن المسيب قال : نهى عثمان عن اللعيب بالحمام^(٣) ، وعن رمى الجلاهدق . فهذا يدل على ما قلنا .

(أمن حمام مكة وغز لانها)

والناس يقولون : « آمن من حمام مكة » ، ومن غز لان مكة . وهذا شائع على جميع الألسنة ، لا يرد ذلك أحد ممن يعرف الأمثال والشواهد . قال عقبة الأسدي^(٤) لابن الزبير :

(١) ل : « بدر » .

(٢) ط : « شكايته » .

(٣) ل : « عن ذكر الحمام » وهو تحريف . انظر ص ١٩٠ .

(٤) عقبة بن هبيرة الأسدي : شاعر جاهلي إسلامي . الالكافي ١٤٩ . وانظر الأغاني ١٨ : ١٢٨ . وفي الأصل : « عقبة » ، تحريف .

مازلت مذ حَجَجَ بِمَكَّةَ مُحْرَمًا^(١) فِي حَيْثُ يَأْمَنُ طَائِرٌ وَحَامٌ
 فَلَتَنَّهُضَنَّ الْعَيْسُ تَنْفُخُ فِي الْبُرَا يَجْتَبِنَ عُرْضَ نَحَارِمِ الْأَعْلَامِ^(٢)
 ابْنُو الْمَغِيرَةِ مِثْلُ آلِ خُوَيْلِدٍ ؟ ! يَا لِلرَّجَالِ لِحَفَّةِ الْأَحْلَامِ^(٣) !
 وَقَالَ النَّابِغَةُ فِي الْغَزْلَانِ وَأَمْنِهَا ، كَقَوْلِ جَمِيعِ الشُّعْرَاءِ فِي الْحَامِ :
 لَا وَالَّذِي آمَنَ الْغَزْلَانُ تَمَسَّحُهَا رُكْبَانُ مَكَّةَ بَيْنَ الْغَيْلِ وَالسَّعْدِ^(٤)
 وَلَوْ أَنَّ الطَّبَاءَ ابْتَلَيْتَ مِمَّنْ يَتَّخِذُهَا بِمِثْلِ^(٥) الَّذِي ابْتَلَيْتَ بِهِ الْحَامِ
 ثُمَّ رَكَبُوا الْمُسْلِمِينَ فِي الْغَزْلَانِ بِمِثْلِ مَا رَكَبُوهُمْ بِهِ فِي الْحَامِ ، لَسَارُوا فِي ذَبْحِ
 الْغَزْلَانِ كَسِيرَتِهِمْ فِي ذَبْحِ الْحَامِ .

وَقَالُوا : إِنَّهُ كَلَيْبُغٌ مِّنْ تَعْظِيمِ الْحَامِ لِحُرْمَةِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ، أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ
 يَشْهَدُونَ عَنْ آخِرِهِمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا حَمَامًا قَطُّ مَقْطَطًا عَلَى ظَهْرِ الْكَعْبَةِ ، إِلَّا مِنْ

(١) كَذَا فِي ل ، وَهُوَ الْوَجْهُ . . وَفِي ط ، س : « مَلْحَدًا » ، مِنْ الْإِلْحَادِ بِمَعْنَى
 الظَّم فِي الْحَرَمِ . وَلَا يَصِحُّ لِأَنَّ الشَّعْرَ مَدْحٌ . وَقَدْ أَشَارَ عَقِبَةُ إِلَى مَا كَانَ مِنْ
 عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ فِي مَكَّةَ ، حَيْثُ بَوَّعَ لَهُ بِمَكَّةَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ ، وَخَلَعَ يَزِيدَ
 ابْنَ مَعَاوِيَةَ ، وَأَقَامَ بِهَا تِسْعَ سِنِينَ وَقَتْلَ فِي خِلَافَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ عَلَى يَدِ الْحِجَابِ
 بِمَكَّةَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ . انظُرْ تَارِيخَ الْإِسْحَاقِيِّ ص ٥١ .

(٢) الْعَيْسُ ، الْإِبِلُ الْبَيْضُ يَخَالِطُ بِيَاضَهَا شَقْرَةَ . وَالْبُرَا : جَمْعُ بَرَّةَ ، كَثْبَةٌ ، وَهِيَ
 الْحَافِقَةُ فِي أَنْفِ الْبَعِيرِ . يَجْتَبِنُ : يَقْطَعُنُ . وَالنَّحَارِمُ : الطَّرِيقُ فِي الْأَرْضِ الْغَلِيظَةِ .
 س : « تَجْتَبِنُ عُرْضَ نَحَارِجٍ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) بَنُو الْمَغِيرَةِ هُمُ بَنُو مَرْوَانَ ؛ لِأَنَّ أُمَّهُمْ عَائِشَةُ بِنْتُ مَعَاوِيَةَ بِنْتُ الْمَغِيرَةِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ
 ابْنِ أُمَيَّةَ . انظُرْ الْإِصَابَةَ ٧٠٩ مِنْ قِسْمِ النِّسَاءِ ، وَالْعَقْدَ ٣ : ١٤٨ . وَآلُ خُوَيْلِدٍ
 هُمُ بَنُو الزُّبَيْرِ ، وَهُوَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَامِ بْنِ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزَى . انظُرْ
 الْمَعَارِفَ ٩٦ .

(٤) ط ، س : « وَالْمُؤْمِنُ الْعَائِذَاتِ الطَّيْرِ » ، وَمَا أُثْبِتَ مِنْ لِهُوَ الْوَجْهُ ؛ لِمَا سَبَقَ
 مِنَ السِّكِّامِ . وَالغَيْلُ ، بِالْكَسْرِ ، وَالسَّعْدُ ، بِالتَّحْرِيكِ : أَجْمَتَانِ كَانَتَا بَيْنَ مَكَّةَ
 وَمَعْنَى . شَرَحَ الْمَعْلُوقَاتِ لِلتَّبْرِيزِيِّ ٣٠٠ .

(٥) كَذَا فِي ل . وَفِي ط ، س : « مِمَّنْ يَتَّخِذُهَا مِثْلًا » .

عِلَّةٌ عَرَضَتْ لَهُ . فَإِنَّ (١) كَانَتْ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ اِكْتِسَاباً مِنَ الْحَمَامِ فَالْحَمَامُ فَوْقَ
جَمِيعِ الطَّيْرِ وَكُلِّ ذِي أَرْبَعٍ . وَإِنْ كَانَ هَذَا إِتْمَاكَانَ [مِنْ] طَرِيقِ الْإِلْهَامِ ،
فَلَيْسَ مَا يُلْهَمُهُمْ كَمَا لَا يُلْهَمَهُمْ .

وَقَالَ الشَّاعِرُ (٢) فِي أَمْنِ الْحَمَامِ :

لَقَدْ عَلِمَ الْقِبَائِلُ أَنَّ بَيْتِي تَفَرَّعَ فِي الذَّوَائِبِ وَالسَّنَامِ -
وَأَذَا نَحْنُ أَوْلُ مِنْ تَبَّيُّ بِمَكَّتْهَا الْبَيْوتَ مَعَ الْحَمَامِ (٣)
وَقَالَ كَثِيرٌ - أَوْ غَيْرُهُ مِنْ (٤) بَنِي سَهْمٍ - فِي أَمْنِ الْحَمَامِ :

لَعَنَّ اللَّهُ مَنْ يَسُبُّ عَلِيًّا وَحُسَيْنًا مِنْ سُوْقَةٍ وَإِمَامِ -
أَيَسَّبُ الْمُطِيبُونَ جَدُودًا (٥)
يَأْمَنُ الظُّبِيَّ (٦) وَالْحَمَامُ وَلَا يَا
رَحْمَةَ اللَّهِ وَالسَّلَامُ عَلَيْهِمْ كَلِمًا قَامَ قَائِمٌ بِسَلَامِ (٧)

٦٠

(١) ط : « فإذا » .

(٢) هو الزبير بن عبد المطلب ، كما في المؤلف ١٣٠ - ١٣١ .

(٣) في المؤلف : « بمكنتنا » . وفي الأصل : « من الحمام » ، صوابه في المؤلف .

(٤) ط ، س : « في » وتصحيحه من ل . والسهمى هذا ، هو عبد الله بن كثير السهمى ، قال الجاحظ في البيان ٣ : ٣٥٩ : « وقال عبد الله بن كثير السهمى وكان يتشيع لولادة كانت نالته ، وسمع عمال خالد بن عبد الله القسرى يلعنون علياً والحسن والحسين على المنابر » . وأنشد الشعر الآتى . أو هو كثير ابن كثير السهمى كما في معجم المرزبانى ٣٤٨ ، قالها لما كتب هشام بن عبد الملك إلى عامله بالمدينة أن يأخذ الناس بسب على .

(٥) المطيبون : المطهرون . في ل : « أيسب المطيبين » ، وفي المعجم « أنسب المطيبين » ولكل منهما وجه . وبعد هذا البيت في المعجم وبعد البيت الذى يليه في البيان :

طبت بيتنا وطاب بيتك بيتاً أهل بيت النبى والإسلام

(٦) ط فقط : « الطير » ، والصواب ما أثبت من ل ، س والبيان .

(٧) ط س ، : « الإسلام » ، وهى رواية محرفة عما أثبت من ل والبيان والمعجم .

وذكر شأن ابن الزبير وشأن ابن الحنفية (١) ، فقال :

ومن ير هذا الشيخ بالخيف من منى (٢)

من الناس يعلم أنه غير ظالم

سمى النبي المصطفى وابن عمه (٣) وفكك أغلال ونفأ غارم-

أبي فهو لا يشري هدى بضلالة ولا يتقى في الله لومة لأم-

ونحن بحمد الله نتلو كتابه حلولا بهذا الخيف خيف المحارم (٤)

بحيث الحمائم آمانت سواكن وتلقى العدو كالوئى المسلم-

(حماسة نوح)

قال صاحب الحمام : أما العرب والأعراب والشعراء ، فقد أطبقوا على

أن الحمامة هي التي كانت دليل نوح ورائده (٥) ، وهي التي استجعلت (٦)

(١) ابن الحنفية ، هو محمد بن علي بن أبي طالب ، وهو أخو الحسن والحسين ابني علي بيد أن والدة هذين هي فاطمة الزهراء ، وأم ذلك هي خولة بنت جعفر الحنفية ، فنسب إليها تميزاً له . كان ابن الحنفية أحد أبطال صدر الإسلام ، وكان ورعاً واسع العلم . وكان المختار الثقفي يدعو الناس إلى إمامته ، ويزعم أنه المهدي ، وكانت الكيسانية تزعم أنه لم يمت وأنه مقيم برضوى . ولد بالمدينة سنة ٢١ وتوفى سنة ٨١ . وفيات الأعيان (١ : ٤٤٩) وطبقات ابن سعد (٥ : ٦٦) .

(٢) الخيف بالفتح : ناحية من منى . ومنى : بليدة على فرسخ من مكة .

(٣) ليس ابن الحنفية ابن عم الرسول لحا ، بل هو ابن ابن عمه . والعرب يتجوزون في مثل ذلك .

(٤) ط فقط : « المحارم » ، وهو تصحيف .

(٥) قالوا : أرسلها لتكشف موضعاً في الأرض يصلح مرفأ للسفينة . انظر الحيوان

(٢ : ٣٢١) .

(٦) استجعلت : طلبت الجمالة - كسحابة - وهي الرشوة . والرشوة : العطاء في مقابل نفع .

عليه الطَّوْقَ الَّذِي فِي عُنُقِهَا ، وعند ذلك أعطاه الله تعالى تلك الحليمة ؛
ومنحها تلك الزينة ، بدعاء نوح عليه السلام ، حين رجعت إليه ومعها من
السكرم ما معها ، وفي رجلها من الطين والحمة ما برجلها ، فعوضت من
ذلك الطين خضاب الرجلين ، ومن حسن الدلالة والطاعة طوق العنق .

(شعر في طوق الحمامة)

وفي طوقها يقول الفرزدق (١) :

فمن يك خائفاً لأذاة (٢) شعري فقد أمن الهجاء بنو حرام-
هم قادوا (٣) سفيهم وخافوا قلائد مثل أطواق الحمام-
وقال في ذلك بكر بن النطاح (٤) :

(١) يقول هذا الشعر في رجل من بني حرام ، كان قد هجا الفرزدق ، فخشى قومه من لسان
الفرزدق فجاهوا به يقودونه إليه ، فقال البيتين . انظر العمدة (١ : ٣٨) .
والبيتان لم أجدهما في الديوان ، وقد أثبتهما الثعالبي في الثمار ٣٦٨ .

(٢) الأذاة : الأذى ، وفي ط فقط : « لأذات » محرفة .

(٣) ط : « قادوا » ، وتصحيحه من ل ، س ، والعمدة . وبدلها في الثمار :
« منعوا » .

(٤) بكر بن النطاح : شاعر كان في زمن هارون الرشيد ، وهو بصري نزل بغداد ،
وكان يعاشر أبا المعاهية وأضرابه . وكان أبو هفان يقول : أشعر أهل الغزل من
المحدثين أربعة أولهم بكر بن النطاح . تاريخ بغداد ٥٣٢٦ . قلت : وبكر
صاحب المقطعة الرقيقة التي تغنيها في عصرنا هذا زعيمة الغناء أم كلثوم .
وأول هذه المقطعة :

أكذب نفسي عنك في كل ما أرى وأسمع أذني منك ما ليس تسمع
وهي صوت من أصوات الأغاني (١٧ : ١٥٣) .

إذا شئتُ غَنَّتني بِيَعْدَادَ قَيْنَةَ وإن شئتُ غَنَّتاني الحَمَامُ المطوَّق
لباسي الحسامُ أو إزارُ مُعصِفُرٍ ودرعُ حديدٍ أو قيصُ مَخَلَّقٍ (١)
فذكر الطوق ، ووصفها بالغناء والإطراب . وكذلك قال حميد بن ثور :
رُقودُ الضحَى لَا تعرفُ الجيرةَ (٢) القصصاً (٣)

ولا الجيرةَ الأذنينَ إِلَّا تجشُّماً (٤)

وليسَ مِنَ اللأثي يكونُ حديثُها أمامَ بيوتِ الحىِّ إنَّ وإِنَّمَا
ثمَّ قال :

وما هاجَ هذا الشوقَ إِلَّا حمامةٌ دعتُ ساقَ حرٍّ ترحةً وترتئماً (٥)

٦١

(١) يقول : هو يلبس الحسام والدرع الحديد في حال الحرب ، والإزار الممصفر والقيص المخلق في حال السلم . المخلق : المطيب بالخلوق ، وهو بفتح الخاء : ضرب من الطيب .

(٢) الجيرة : جمع جار ، مثل قاع وقيعة . وهم يمدحون المرأة الكريمة الخفرة بعدم زيارتها لجاتها أو ندره ذلك . قال أبو قيس بن الأسلت :

ويكرمها جاراتها فيزرنها وتعتل عن إتيانهن فتعذر

وليس لها أن تستهين بجارة ولكنها منهن تحيا وتخجرا

وهذان خير ما قيل في امرأة خفرة . الأغاني (٩٥ : ١٥٩) . ل : « الجيرة » تصحيف .

(٣) القصصا : جمع قصوى ، وهي البعيدة . وقد رسمت في ل : « القصى » وهي كتابة جائزة ، فا كان من المقصور ثلاثيا وكان أوله مكسوراً أو مضموماً ، جاز أن يكتب بالياء ، وإن كان أصله الواو ، كما هنا . انظر المقصور ص ٦ .

(٤) يقال : تجشم الأمر : إذا حمل نفسه عليه وتكلفه . وفي ل : « تجشماً » وهو تصحيف .

(٥) ساق حر : ذكر القمارى ، أو هو صوت الحمام . وروى في ل وكذا اللسان (حرر) : « في حمام نرما » وأثبت ما في ط ، س ، وكذا الكامل ٥٠٣ لبيسك وزهر الآداب (١ : ٢٠٢) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٦) وأدب الكتاب ٢٣ وثمار الأزهار ٧٨ والخزانة (٤ : ٢٩٩ بولاق) . والترحة : ضد الفرحة .

مطوّفةٌ خطباء^(١) تصدَحَ كلما دنا الصَّيْفُ وانجاب الربيعُ فأنجبا^(٢)

ثمَّ قال بعد ذكر الطوق :

إِذَا شئتُ غَنَّتني بأجزاعِ بيشةٍ أو النَّخْلِ مِنْ تَثْلِيثِ أوبيلملا^(٣)

عجبتُ لها ، أنِّي يكونُ غناؤها فصيحاً ولم تَفْعَرْ بمنطقها فإ

ولم أرَ محزُوناً لهُ مثلُ صوتِها ولا عَرَبِيّاً شاقَهُ صوتُ أعجبا

وقال في ذكر الطوق - وأن الحامة نواحة - عبد الله بن أبي بكر^(٤)

وهو شهيد يوم الطائف^(٥) ، وهو صاحبُ ابن صاحب^(٦) :

(١) الخطباء : التي فيها خطبة ، أي سواد وياض . وفي س فقط : « خضباء » أي حمرة الساقين ، ويعزز هذه ما ورد في الصفحة ١٩٦ س ٤ . وهي رواية العقد (٤ : ٢٨) .

(٢) انجاب الربيع : ذهب . وفي ل « وانزال » وهي صحيحة ، يقال : انزال عنه : فارقه . وأنجم : أطلع وولى . وفي س : « بأنجا » تحريف .

(٣) الأجزاء : جمع جزع بالكسر ، وهو منحى الوادى . وبيشة ، بالكسر : بلد جنوبي مكة على خمس مراحل منها . وتثليث : بلد قريب من مكة . ويلم : موضع على ليلتين جنوبي مكة . ويقال له أيضاً « ألمم » و « يرمم » . وجاء في ل : « بينهما » ولم أر هذه اللغة . وفي س : « يتلملا » وهي تحريف .

(٤) هو عبد الله بن أبي بكر الصديق ، كان عبد الله يحضر إلى رسول الله وأبي بكر وهما في الغار ومعه أخبار قریش فيبيت عندها ويخرج من السحر فيصبح مع قریش . وشهد فتح مكة ، وحنينا والطائف حيث أصابه حجر في حصارها ، فات شهيدا في خلافة أبيه في شوال سنة ١١ . قالوا : وترك سبعة دنائير فاستكثرها أبو بكر . المعارف ٧٥ والإصابة ٤٥٥٩ .

(٥) غزوة الطائف كانت إثر غزوة حنين في السنة الثامنة من الهجرة . لما انهزمت ثقيف في غزوة حنين سار إليهم الرسول وحاصرم بالطائف نيفا وعشرين يوما ثم انصرف عنهم . وفي الأصل : « يوم الطف » وليس يصح ذلك ؛ فإن هذا اليوم كان في سنة ٦١ من الهجرة وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين بن علي بعد وفاة عبد الله بنحو خمسين سنة . وانظر التنبيه السابق وعيون الأخبار ٤ : ١١٤ .

(٦) هذه العبارة ساقطة من ل .

فلم أرَ مثلي طَلَّقَ اليَوْمَ مثلها ، ولا مِثْلها في غيرِ جِرمٍ تَطَلَّقُ (١)
 أعاتكُ لا أنساكِ ما هَبَّتِ الصَّبَا ، وما نأحَ قُمرِيُّ الحِمامِ المَطوَّقُ
 وقال جَهْمُ بنِ خَلْفٍ ، وذكرها بالنُّورِ ، والغناء ، والطَّوْقِ ، ودعوةِ
 نوح ؛ وهو قولُه :

وقد شاقني نَوْحُ قُمرِيَّةٍ طرُوبِ العِشِيِّ هتوفِ الضُّحَى
 من الوُرُقِ نَوَّاحَةٍ باكرتِ عَسِيبَ أَشَاءِ بذاتِ الغُصَا (٢)
 تَغَنَّتْ (٣) عَلَيْهِ بلحنٍ لها مُهِيجٌ للصبِّ ما قد مَضَى
 مطوَّقةٍ كُسيَتْ زِينَةً بدعوةِ نوحٍ لها إذ دَعَا (٤)
 فلم أرَ با كِيَةً مِثْلها تَبَكَّى ودَمَعَتِها لا تُرَى (٥)
 أَضَلَّتْ فُرُيْحًا فَطَافَتْ لَهُ (٦) وقد عَلِقَتْه حبالُ الرَّدَى
 فلما بدا اليأسُ منه بَكَتْ عَلَيْهِ ، وما ذا يردُّ البِسْكا
 وقد صادَهُ ضَرْمٌ مُلْحِمٌ خفوقُ الجِناحِ حَثِيثُ النِّجَا (٧)

- (١) يشير بذلك إلى زوجه ، عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ، تزوجها وكانت حسناء جميلة فأولع بها وشغلته عن مغازية ، فأمره أبوه بطلاقها ، ففعل ثم تبعها نفسه وقال هذين البيتين ، فرق له أبوه وأذن له فارتجما . الإصابة ٦٩٢ قسم النساء ، والعقد ٤ : ١٧٥ - وقد عقد بابا لمن طلق امرأته ثم تبعها نفسه - وتبعه الراغب الأصفهاني في المحاضرات (٢ : ٩٩) . وانظر أخبار الظراف ٢٠ والمستطرف (٢ : ٢٢١ ، ٢٢٨) ، وعيون الأخبار (٤ : ١١٤) .
- (٢) الأشاء : صفار النخل ، أو عامته . والعسيب : الذي لم ينبت عليه الخوص من السعف .
- (٣) ل : « فغنت » ، وما أثبت أجزل .
- (٤) انظر لهذا المعنى ص ١٩٦ س ٢ .
- (٥) هذا البيت أثبت في ط بعد البيت الآتي . والوجه ما كتبت من ل ، س .
- (٦) أضلته : فقدته . ل : « فطافت به » أي من أجله أيضا .
- (٧) الضرم : الشديد الجوع . والمالحم ، بكسر الحاء : الذي يطعم صاحبه لحم الصيد ، ويفتح الحاء : الذي يطعم اللحم ، بالبناء للمفعول . والحثيث النجا : السريع الطيران . وقد عني به البازي أو الصقر .

حسيدة المسخالب عارى الوطيد ف ضار من الورق فيه قنا^(١)
ترى الطير والوحش من خوفه جوامز^(٢) منه إذا ما اغتدى

(نزاع صاحب الديك في الفخر بالطوق)

قال صاحب الديك : وأما قوله :

مطوِّقة كساها الله طوقاً ولم يخص به^(٣) طيراً سواها

٦٢

كيف لم يخص بالأطواق^(٤) غير الحمام ، والتدارج أحقُّ بالأطواق
وأحسن أطواقاً منها ، وهى فى ذكورتها أعم ؟ ! وعلى أنه لم يصف بالطوق
الحمامة التى فاخرتم بها الديك ؛ لأنَّ الحمامة ليست بمطوِّقة ، وإنما الأطواقُ
لذكورة^(٥) الوارشين [وأشباه الوارشين ، من] نوائح الطير وهواتفها
ومغنياتها . ولذلك قال شاعرُكم ، حيث يقول^(٦) :

(١) الورق : جمع أورك ، وهو ما فى لونه بياض إلى سواد . وفى ل : « الزرق »
وما جاء فى وصف الصقر بالزرقة قول ذى الرمة :

نظرت كما جلى على رأس رهوة من الطير أفى ينفض الطال أزرق

والقنا : نتو وسط قصبة الأنف وضيق المنخرين ، وهذا فى القرس عيب ،
وفى الصقر والبازى مدح . س : « قشا » تحريف .

(٢) جوامز : من جز إذا عدا .

(٣) فى الأصل : « بها » والضمير عائد إلى الطوق .

(٤) ل : « بالطوق » .

(٥) ط ، س : « للذكورة » وصوابه فى ل .

(٦) الشعر لعبد الله بن أبي بكر كما سبق فى ص ١٩٩ .

أعانتك لا أنسالك ما هبت الصبأ وما ناح قمرى الحمام المطوق^(١)
وقال الآخر^(٢) :

وقد شاقنى نوح قريية طروب العشى هتوف الضحى
ووصفها فقال :

مطوقة كسيت زينة بدعوة نوح لها إذ دعا
فإن زعمتم أن الحمام والقمرى واليمام والفواخت والدباسى^(٣) والشفانين
والوراشين حمام كلّه ، قلنا : إننا نزعم أن ذكورة التدارج وذكورة
القبج ، وذكورة الحجل ديوك كلها . فإن كان ذلك كذلك ، فالفخر
بالطوق نحن^(٤) أولى به .

قال صاحب الحمام : العرب تسمى هذه الأجناس كلها حماماً ،
فيجمعونها بالاسم العام ، وفرّقوها بالاسم الخاص ، ورأينا صورها متشابهة^(٥)
وإن كان في الأجسام بعض الاختلاف ، وفي الجثث بعض الائتلاف^(٦)
وكذلك المناقير . ووجدناها تتشابه^(٧) من طريق الزواج ، ومن طريق

(١) بدل هذا الشرط الأخير في كل من ط ، س كلمة : « البيتين » .

(٢) هو جهم بن خلف كما سبق في ص ١٩٩ . ل : « ثم قال الآخر » .

(٣) الدباسى : جمع دبسى بفتح الدال أو ضمها ، وهو من أنواع الحمام الوحشى

ط ، س : « الديسى » ل : « الدبسى » والوجه فيه ما كتبت .

(٤) ل : « ونحن » .

(٥) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٦) كذا في ل . وفي ط ، س : « وفي الجثث كذلك » .

(٧) ط فقط : « تشابه » بحذف التاء الأولى .

الدُّعاء والغناء والنَّوح ، وكذلك هي في القُدودِ وصُورِ الأعناق ، وقصب
الريش ، وصيغَةَ (١) الرُّعوس والأرجل والسُّوق والبرَّانِ (٢) . والأجناسُ
التي عددتم ليس يجمعها اسمٌ ولا بلدةٌ ، ولا صورةٌ ولا زواج . وليس بين
الدِّيكة وبين تلك الذُّكورةِ نسبٌ إلاَّ أمَّها من الطَّير الموصوفة (٣) بكثرةِ
السَّفاد ، وأنَّ فراخها وفرارِيجها تخرُج من بيضها كاسية [كاسية] . والبَطُّ
طائرٌ مثقل ، وقد ينبغي أن يجعلوا فرخَ البطةِ فرُّوجاً ، والأُنثى دجاجةٌ
والذُّكرَ ديكاً ، ونحنُ نجدُ الحَمَامَ ، ونجدُ الوراشرين ، تتسافد وتتلاقح ،
[ويحيى منها الراعيُّ والوردانيُّ ؛ ونجدُ الفَواخِيتَ والقَهاريَّ تتسافد وتتلاقح] ،
مع ما ذكرنا من التشابُه في تلك الوجوه . وهذا كلُّه يدلُّ على أنَّ بعضها
من بعضٍ كالْبُخْتِ والعرابِ ونتائج ما بينهما (٤) ، وكالبراذين والعِناق ،
وكلها خيلٌ ، وتلك كلها إبل . وليس بين التُّدارج والقَبِجِ والحَجَلِ
والدَّجاجِ هذه الأمورُ التي ذكرنا .

وعلى أنَّنا قد وجدنا الأَطواقَ عامَّةً في ذواتِ الأَوْضاحِ مِنَ الحَمَامِ ،
لأنَّ فيها من الألوان ، ولها من الشَّياتِ وأشكالِ [و] (٥) ألوانِ الريشِ
ما ليس لغيرها من الطَّير . ولو احتججنا بالتَّسافِدِ دونَ التَّلَاقِحِ ، لكان
لِقائلِ مقال ، ولكنا وجدناها تجمع (٦) الخِصْلَتين ، لأنَّنا قد نجدُ سَفْهَاءَ

٦٣

(١) الصيغَةُ ، بالكسر : الهيئة والخَلقة . وفي ط ، س : « وصفة » .

(٢) البرائن : جمع برن ، وهو بمنزلة الإصبع من الإنسان .

(٣) ل : « الموصوف » .

(٤) ل : « ونتائج بينها » تحريف .

(٥) هذا الحرف ليس بالأصل .

(٦) كذا في ل . وفي ط ، س : « وجدنا ما يجمع » .

النَّاسَ ، ومن لا يتقَدَّرُ (١) من الناس والأحداث (٢) ومن تشتدُّ غلمته عند احتلامه ، وَيَقِلُّ طَرُوقُهُ (٣) ، وتطول عُرْبَتُهُ (٤) ؛ كالمعزِب (٥) من الرِّعَاءِ (٦) فإنَّ هذه الطَّبَقَةَ من النَّاسِ ، لم يدَعُوا (٧) نَاقَةً ، ولا بقرَةً ، ولا شاةً ، ولا أتاناً ، ولا رَمَكَةً ، ولا حِجْرًا ، ولا كلبَةً ، إلَّا وقد وقعوا عليها .

ولوَّلا أنَّ في نفوسِ النَّاسِ وشهواتِهِمْ ما يدعو إلى هذه القاذورة (٨) ، لما وجدتَ هذا العملَ شائعاً في أهل هذه الصفة (٩) ، ولوَّ جمعتهُم لجمعتَ أكثرَ من أهلِ بَغْدَادَ والبصرة . ثم لم يُلقَحْ واحد (١٠) منهم شيئاً من هذه الأجناس على أنَّ بعض هذه الأجناس يتلقى (١١) ذلك بالشهوة المفرطة .

ولقد خبرتني من إخواني من لا أتهمُّ خبرَه أنَّ مملوكاً كان لبعض أهل القطيعة - أعني قطيعة الربيع (١٢) - وكان ذلك المملوكُ يَكومُ بغلةً

(١) ل ، س : « يتقزز » ، ومعناها متقاربان .

(٢) ل : « من الأحداث » .

(٣) الطروق : مصدر طرق الفحل الأثني . وفي الأصل : « تقل طروقه » والطروقة بالفتح : المرأة ، وبهذه يفسد المعنى .

(٤) العزبة ، بالضم : ألا يكون للمرء أهل .

(٥) المعزب : الذي أبعد جاشيته .

(٦) الرعاء ، بضم الراء وكسرهما : جمع راع ، ومثله الرعاة . وبهذه الأخيرة جاءت الرواية في ل .

(٧) ط ، س : « لم يدعوا » ، وليست ترعى الكلبة .

(٨) القاذورة : الفعل القبيح .

(٩) ل : « في هذه الصفة » ولعل صوابها : « في هذه الطبقة » .

(١٠) ل : « أحد » .

(١١) على بمعنى مع . وفي ط ، س : « وعلى أنها تتلقى ذلك بالشهوة المفرطة » .

(١٢) القطيعة : ما يقطعه الأمير الناس من الأرض التي لملك لأحد عليها ، ولا عمارة

توجب ملكاً لأحد . ويظهر أن أول من توسع في هذا النظام في الإسلام هو

الخليفة المنصور . معجم البلدان (قطيعة) . وقد تحدث الماوردي في الأحكام السلطانية

(١٦٨ - ١٧٥) حديثاً مسهباً في هذا النظام . والربيع هذا هو الربيع بن يونس

حاجب المنصور ومولاه ، وهو والد الفضل وزير المنصور ، وهذه القطيعة كانت

بكرخ بغداد . معجم البلدان .

وأنتها كانت تودق وتلمظ (١) وأنتها (٢) في بعض تلك الوقعات تأخرت وهو موعبٌ فيها ذكره تطلبُ الزيادة، فلم يزل المملوك يتأخرُ وتأخرُ البغلة حتى أسندته إلى زاويةٍ من زوايا الإصطبل ، فأضغطته حتى برد (٣) ، فدخل بعضٌ من دخل فرآه على تلك الحال (٤) فصاح بها [فتنحّت] وخرّ الغلام مَيْتاً (٥) .

وأخبرني صديقٌ لي قال : بلغني عن بردونٍ لزرقان (٦) المتكلم ، أنه كان يدربخ (٧) للبالغ والحمير والبراكين حتى تكومهُ ، قال : فأقبلت يوماً في ذلك الإصطبل ، فتناولت المجرفة (٨) ، فوضعتُ رأس عودِ المجرفة (٨) على

(١) تودق : تريد الفحل . ل : « تتودق » . تلمظ : تخرج لسانها كتلمظ الآكل . ط س ، : « تلمظ » .

(٢) ط : « فإنها » ووجهه في ل ، س .

(٣) « اضغطته » بقلب تاء الافتعال ضادا ، شذوذ صرفي ، قياسه : اضغطته . وحكى صاحب اللسان : « اضغط » . قال : « والقياس اضغط » . ولم أرها إلا متعدية بعلى . وبرد : مات .

(٤) ل : « فاذا هو على تلك الحال » .

(٥) ل : « فخر العبد ميتاً » . خر : سقط .

(٦) زرقان هذا هو غلام إبراهيم بن سيار النظام وتلميذه ، واسمه محمد بن شداد بن عيسى ، كما في معجم البلدان (المسامعة) . وقد حكى زرقان عن النظام أقوالاً في الفرق ٥٠ - ٥١ وقد عده المسعودي في التنبيه والإشراف ٣٤٢ . ط ، س : « لوزقان » ل : « لذرقان » وهو تحريف .

(٧) يدربخ لها : يطاوعها فيما تطلب منه ، وأصل ذلك في الحمام . وفي ط ، س : « يشمع » ومؤداهما واحد .

(٨) المجرفة : المكسمة وزنا ومعنى . ط ، س : « المجرفة » تصحيف ما في ل .

مَرَّائِهِ^(١) وَإِنَّهُ لِأَكْثَرُ مِنْ ذِرَاعٍ وَنِصْفِ^(٢) ، وَإِنَّهُ لِحَسْنٍ غَلِيظٌ غَيْرَ
مَحْكُوكٍ [الرأس] وَلَا مُمْلَسِهِ^(٣) ، فَدَفَعْتَهُ حَتَّى بَلَغَ أَقْصَى الْعُودِ ، وَامْتَنَعَ مِنَ
الدُّخُولِ بِيَدِنِ الْمِجْرَفَةِ . فَحَلَفَ أَنَّهُ مَا رَأَاهُ تَأَطَّرَ وَلَا انْتَهَى .

قال صاحب الحمام : فهذا فرق ما بيننا وبينكم .

(ما وُصِفَ بِهِ الْحَمَامُ مِنَ الْإِسْعَادِ وَحَسَنِ الْغِنَاءِ وَالنُّوحِ)

وَنَذَكَرُ^(٤) مَا وُصِفَ بِهِ الْحَمَامُ مِنَ الْإِسْعَادِ^(٥) ، وَمِنْ حُسْنِ الْغِنَاءِ وَالْإِطْرَابِ
وَالنُّوحِ وَالشَّجَا^(٦) . قَالَ الْحَسَنُ بْنُ هَانِيٍّ :

إِذَا تَذَنَّتْهُ الْغَصُونُ جَلَّتْنِي فَيَنَانُ مَا فِي أَدِيمِهِ جُوبٌ^(٧)

(١) الكلام من : « فوضعت » ساقط من ل . والمراث : مخرج الروث .

(٢) ط ، س : « وهو أكثر » الخ . وما أثبت من ل أشبه بالكلام .

(٣) ط ، س : « ولا ملين » .

(٤) في الأصل : « وذكر » .

(٥) الإسعاد : المعاونة والمشاركة في البكاء والنوح . والعرب يعرفون ذلك من الحمام ، والشعر
الآقي وما بعده ناطق به . وفي الأصل : « الأشعار » وهو تحريف خفي ،
صوابه ما أثبت .

(٦) الشجا : التطريب . ل : « الشجي » ومادته واوية .

(٧) ثنته الغصون ، يعنى ظل العنب . جللتني : غطاني . والفينان : أصله الحسن الشعر
الطويله ، وأراد به الغصون المشبهة بالشعر . والجوب : جمع جوبة بالفتح بمعنى
الفجوة . وفي ط ، س والديوان : « جرب » وما أثبت من ل أجود
وأصح . وقبل هذا الأبيات في الديوان ٢٤٢ :

قطر بل مريمى ولى بقرى الكر خ مصيف وأمى العنب
ترضفنى درها وتلحفنى بظلمها والمجير يلتهب

تَبَيْتُ فِي مَاتِمٍ حَمَائِمُهُ كَمَا تُرِنُّ الْفَوَاقِدُ السُّلْبُ (١)
يَهْبُ شَوْقِي وَشَوْقُهُنَّ مَعًا كَأَنَّمَا يَسْتَخْفِنَا طَرْبُ (٢)

وقال آخر (٣) :

لَقَدْ هَتَفْتُ فِي جُنْحِ لَيْلِ حَمَامَةٍ عَلَى فَنَنِ وَهِنًا (٤) وَإِنِّي لَنَائِمٌ
فَقَلْتُ اعْتِدَارًا عِنْدَ ذَاكَ وَإِنِّي (٥)
كَذَبْتُ وَبَيْتِ اللَّهِ لَوْ كُنْتُ عَاشِقًا لَمَا سَبَقْتَنِي بِالْبُكَاءِ الْحَمَامُ

وقال نصيب :

٦٤

وَلَوْ قَبْلَ مَبْكَاهَا بَسْكَيتُ صَبَابَةً بِسُعْدَى شَفَيْتِ النَّفْسَ قَبْلَ التَّنْدَمِ
وَلَكِنْ بَكَتْ قَبْلِي فَهَيَّجَ لِي الْبُكَاءُ فَقَلْتُ الْفَضْلُ لِلْمَتَقَدِّمِ

وقال أعرابي :

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ قَاطِعَةَ الْقَوَى (٦) عَلَى أَنَّ قَلْبِي لِلْفِرَاقِ كَلِيمٌ

(١) ترن : من الإرنان ، وهو الصياح والتصويت . وفي ل : « ترني » وهي صحيحة ، يقال رنى الميت ورثاه ، بالتشديد : بكاه وعدد محاسنه . وفي الديوان : « ترامي » وهي رواية غير مقبولة . الفواقد : جمع فاقد ، وهي التي مات زوجها أو ولدها . والسلب بمعنى الفواقد ، جمع سلوب .

(٢) كذا في ل والديوان . وفي ط ، س : « الطرب » . وهذا البيت هو الثاني في ط . وصواب الترتيب ما أثبت من ل ، س والديوان .

(٣) هو نصيب الأكبر مولد بني مروان ، كما في حاسة أبي تمام (٢ : ٩٧) .

(٤) الوهن : نحو نصف الليل ، أو بعد ساعة منه . وفي ط ، س : « تبكي » وأثبت ما في ل والحامسة .

(٥) ط : « ذا عندك » وهو تحريف مطبعي صوابه في س والحامسة . وهذا البيت ساقط من ل .

(٦) قوى الحبل : طاقاته ، جمع قوة ، . أراد أنها قطعت حبل وده .

قريحٌ بتغريدِ الحمامِ إذا بكت^(١) وإن هبَّ يوماً للجنوبِ نسيم^(٢)

[وقال] المجنونُ ، أو غيره :

ولو لم يهيجني^(٣) الرائحون لهاجني حمامٌ ورقٌ في الديارِ وقوعٌ
تجاوبنَ فاستبكينَ من كان ذا هوى نوائحُ لا^(٤) تجرى لهنَّ دموعُ

[وقال الآخر] :

ألا ياسيالاتِ الدحائلِ^(٥) باللوى^(٦)

عليكنَّ من بين السَّيالِ سلامٌ

أرى الوحشَ آجالاً^(٧) إلیكنَّ بالضحى

لهنَّ إلى أفيائكنَّ^(٨) بغم^(٩)

- (١) ل : « يقرفه نوح الحمام إذا دعا » . يقال قرف الجرح : قشره قبل أن يبرأ .
 (٢) ل : « وإن هب من ريح الجنوب نسيم » . س : « أو أن يهب للجنوب نسيم » .
 (٣) ل : « ترعنى » وصواب هذه الرواية : « يرعنى » .
 (٤) ل : « ما » .
 (٥) الدحل بالفتح : نقب في الأرض ضيق فهِ ، ثم يتسع أسفله حتى يمشى فيه ، وهو أشبه ما يكون بهذه الخبايا الصناعية التي يحتوى بها الناس وقت الحرب . والجمع أدحل وأدحال ودحال ودحول ودحلان . وجمع الجمع دحائل . والدحائل هنا في البيت لعلها اسم موضع بعينه ، كما قال ياقوت . وجاءت محرفة في الأصل ، فهي في ط : « الأحايل » و س : « الأحايل » و ل : « الدخايل » . والصواب ما أثبت من معجم البلدان حيث وردت الأبيات . والسيالات : جمع سيالة ، كسحابة ، وهى واحدة السيال ، نبات له شوك أبيض طويل إذا نزع خرج منه شبه اللبن .
 (٦) ل : « بالضحى » ووجه الرواية ما أثبت من ط ، س والمعجم .
 (٧) آجال : جمع إجل ، بالكسر ، وهو القطيع من بقر الوحش . ط ، س : « اجلالا » وهو تحريف . ورواية المعجم : « أرى العيس أحادا » .
 (٨) الأفياء : جمع فيء ، وهو الظل . ط فقط : « أفنانكن » تحريف يتهافت به البيت . ورواية المعجم : « أطلالكن » .
 (٩) البغام : التصويت . ل : « نام » وضبطت بضم النون ، ولم أرها وجها .

وإني لمجلوبٌ لى الشوقُ كلما ترنمَ فى أفنانكن^(١) حمامُ
وقال عمرو^(٢) بن الوليد :

حال من دون أن أحلَّ به النأى
فتبدلتُ من مساكينِ قَوْمى
كلَّ قصرٍ مشيدٍ ذى أواسٍ^(٤)
تنغنى على ذراه الحمامُ
وقال آخر^(٥) :

ألا يا صبا نجدٍ متى هجبتَ من نجدٍ
فقد هاج لي مسراكَ وجدَّ أعلى وجدَّ^(٦)
أأن هتفتَ ورقاءً فى رونقِ الضحى
على عُصنِ غُضِّ النَّباتِ مِنَ الرَّندِ^(٧)

(١) س : « أفنانكن » تحريف .

(٢) ل : « عمر » وصوابه ما أثبت من ط ، س والأغافى (١ : ٦) ، وكذا ذكره المرزبانى فى الشعراء ٢٤٠ فيمن اسمه « عمرو » من الشعراء . وهو عمرو ابن الوليد بن عقبة بن أبى معيط الأموى ، وقد غلب عليه لقب : « أبو قטיפه » . وكان يكثر القول فى حنينه إلى وطنه بالمدينة ، لما أخرجه ابن الزبير عنها مع من أخرج من بنى أمية ونفاهم إلى الشام . وفى ذلك يقول الأبيات الآتية . وقبلها :

ليت شعرى وأين منى ليت أعلى العهد يلبن فبرام
أم كمهدى العقيق أم غيرته بعدى الحادثات والأيام
وبأهلى بدلت عكا ولحما وجداما وأين منى جذام

(٣) ل : « أصل به النأى » محرف . والحرب العقام ، بضم العين ، وفتحها : الشديدة .

(٤) أواس : جمع آسية ، على فاعلة : وهى الدعامة أو السارية . ويروى : « أواش » قال أبو الفرج : كأنه أراد به أن هذه القصور موشية أى منقوشة .

(٥) هو عيد الله بن المدينة الخثعمى ، كما فى الحماسة (٢ : ١٠٠) . والأبيات فى ديوان ابن المدينة ٢٩ ثم ٢٨ .

(٦) الصبا ، بالفتح : الريح الشرقية . ل : « جهداً من الجهد » .

(٧) أن : أى الآن ؟ ورواية الديوان والحماسة : « على فن » . والرند : شجر طيب الرائحة .

بكِتَ كَمَا يَبْكِي الْوَلِيدُ وَلَمْ تَسْكُنْ
جَلِيداً وَأَبْدَيْتَ الَّذِي لَمْ تَسْكُنْ تَبْدَى (١)
وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْمَحَبَّ إِذَا دَنَا (٢) يُمَلُّ، وَأَنَّ النَّأْيَ يَشْفِي مِنَ الْوَجْدِ
بِكُلِّ تَدَاوَيْنَا فَلَمْ يَشْفَ مَا بَيْنَا عَلَى أَنَّ قُرْبَ الدَّارِ خَيْرٌ مِنَ الْبُعْدِ (٣)

(أنساب الحمام)

وقال صاحب الحمام : للحمام مجاهيل ، ومعروفات ، وخارجيات ،
ومنسوبات . والذي يشتمل عليه دواوين أصحاب الحمام أكثر من كتب
النسب التي تضاف إلى ابن السكبي ، والشرفي بن القطامي ، وأبي اليقظان (٤) ،
وأبي عبيدة النحوي ؛ بل إلى دغفل بن حنظلة ، وابن لسان الحمرة (٥) ،
بل إلى صحار العبدى . وإلى أبي السطاح اللخمي (٦) ، بل إلى النخار

(١) الجليد : الصبور . ط ، س : « كنت لا تبدي » وأثبت رواية ل
والحماسة والديوان .

(٢) ط ، س : « نأى » وهو تحريف يفسد المعنى ، وهو على الصواب في ل
والحماسة والديوان .

(٣) بعد هذا البيت - وكان جديراً بالجاحظ أن يثبته ؛ لأنه يتم المعنى - :

على أن قرب الدار ليس بنافع إذا كان من تهواه ليس بذى ود

(٤) في الأصل : « ابن أبي اليقظان » ، والصواب ما أثبت . وانظر ترجمة أبي لليقظان
في الجزء الثاني ص ١٠ .

(٥) سبق ترجمته في (٢ : ٢٠٠) ، وترجمة صحار في (١ : ٩٠) .

(٦) وكذا في البيان (١ : ٣٦٢) وفي بعض نسخ البيان : « أبو الشطاح » ، وفي الفهرست
١٥٦ : « ابن النطاح » ، وذكر أن اسمه محمد بن صالح .

العدري^(١) ، وصبيح^(٢) الطائي ، بل إلى مشجور^(٣) بن غيلان الضبي ، وإلى سطيح الذئبي ، بل ابن شريّة الجرهمي^(٥) ، وإلى زيد بن السكيس النمرى ؛ وإلى كلّ نسابة راوية ، وكلّ متفنّن علامة .

ووصف المذيل المازني ، مثنى بن زهير وحفظه لأنساب الحمام ، فقال : والله لو أنسب من سعيد بن المسيّب ، وقتادة بن دعامة^(٦) للناس ، بل هو أنسب من أبي بكر الصديق رضي الله عنه ! لقد دخلت على رجلٍ

(١) النخار العدري ، هو النخار بن أوس ، قال فيه صاحب القاموس : أنسب « العرب » . وكان معاصرا لجميل الشاعر ، وقد هجاه بشعر في الأغاني (٧ : ٩٥) وقد ذكر الجاحظ في البيان (١ : ١٠٥) علة تسميته بالنخار : قال : « كان إذا تكلم في الحملات ، وفي الصفح والاحتمال ، وإصلاح ذات البين ، وتخويف الفريقين من التفاني والبوار — كان ربما ردد الكلام على طريق التهويل والتخويف ، وربما حى فنخر » . وفي البيان (١ : ٢٣٧) خبر طريف له مع معاوية . وانظر تلطف معاوية معه في البيان (١ : ٣٣٣) .

(٢) ل : « صلح » وفي البيان (١ : ٣٠٤) : « صبح الحنفى » .

(٣) ط : « ميحور » س : « متجوز » وصوابه ما أثبت من ل والقاموس والبيان (١ : ٣٤١) . وفيه يقول القلاخ بن حزن المقرئ :

إذا قال بذ القائلين مقاله ويأخذ من أكفائه بالحنق
ولجير فيه هجاه . انظر ديوانه ٢٣٣ .

(٤) سطيح الذئبي ، قال ابن إسحق في السيرة ٤٧ جوتنجن : « وكانت العرب تقول لسطيح : الذئبي ؛ لأنه سطيح بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب » . وسطيح هذا هو الكاهن الجاهلي ، وهو وشق الكاهن المعاصر له ، كانا قتلوا طلبهما ربيعة ابن نصر ملك اليمن ليعبرا له رؤيا هالته — زعموا — فاتفقا في تعبير الرؤيا وبشرا برسالة الرسول الكريم ، بأسجاع تجدها في أوائل السيرة . ط ، س : « الدليل » ، وهو تحريف صوابه في السيرة والبيان (١ : ٢٩٠) . وقد ذكر في المعمرين ص ٤ .

(٥) هو عبيد بن شرية — ويقال شرية ، ويقال سارية — الجرهمي ، أحد معمرى العرب وأدرك الإسلام فأسلم ، وقدم على معاوية بن أبي سفيان ، وجرى بينهما حديث طويل طريف تجده في معجم الأدباء (١٢ : ٧٣) والمعمرين ٣٩ . وهو أول من نسب إليه كتاب في التاريخ من المسلمين . انظر الفهرست ٨٩ لبيسك ١٣٢ مصر . وشرية ، بوزن عطية ، كما في الإصابة ٦٣٩١ .

(٦) هو قتادة بن دعامة السدوسي البصري ينتهي نسبه إلى الحارث بن سدوس ، ولد =

أعرف بالأمهات المنجيات من سُحيم بن حفص^(١) ، وأعرف بما دخلها من الهجئة والإقراف ، من يونس بن حبيب .

(مما أشبه فيه الحمام الناس)

قال : ومما أشبه فيه الحمام الناس في الصور والشمايل ورقة الطباع ، وسرعة القبول والانقلاب^(٢) ، أنك إذا كنت صاحب فراسة ، فربك رجال بعضهم كوفي^٣ ، وبعضهم بصرى^٤ ، وبعضهم مدني^(٥) ، وبعضهم شامي^٦ وبعضهم يمني^٧ ، لم يخف عليك أمورهم في الصور والشمايل والقلود والنغم أيهم^(٨) بصرى^(٩) ، وأيهم كوفي^(١٠) ، وأيهم شامي^(١١) ، وأيهم يمني^(١٢) ، وأيهم مدني^(١٣) . وكذلك الحمام ؛ لا^(١٤) ترى صاحب حمام تخفى عليه نسب الحمام^(١٥) وجنسها وبلادها إذا رآها .

= أعمى ، وكان تابعيا عالما كبيرا نسابة ، وكان ذا علم في القرآن والحديث والفقہ ، أخذ عن الحسن البصرى وابن سيرين . وقد أثر عنه النسيان : قال يوما : مانسيت شيئا قط ! ثم قال : يا غلام ناولني نعلين . فقال : نعلك في رجليك !! ولد سنة ٦٠ وتوفى سنة ١١٧ في أيام هشام بن عبد الملك . وفيات الأعيان ، ومعجم الأدباء ، والمعارف .

(١) هو أبو اليقظان الذي سبقت ترجمته في (٢ : ١٠) .

(٢) ط ، س : « للألقاب » .

(٣) كذا في ط ، س وهو الوجه . جاء في معجم البلدان : « والمشهور عندنا أن النسبة إلى مدينة الرسول ، مدني ، مطلقاً . وإلى غيرها من المدن ، مدنيي ؛ للفرق لا لعلة أخرى . وربما رده بعضهم إلى الأصل فنسب إلى مدينة الرسول أيضاً مدنيي » . وفي ل : « مدنيي » .

(٤) ط ، س : « أنه » مكان « أيهم » في مواضعها الخمسة .

(٥) كذا في ل وهو الصواب . وفي ط ، س : « ألا » .

(٦) ط ، س ، « جماعته » .

(مبلغ ثمن الحمام وغيره)

وللحمام من الفضيلة والفخر ، أنَّ الحمام الواحد يباعُ بخمسة دینار ، ولا يبلغ (١) ذلك بازٍ ولا شاهين ، ولا صقرٌ ولا عُقاب ، ولا طاوس ، ولا تدرجٌ ولا ديكٌ ، ولا بعيرٌ ولا حمارٌ ، ولا بغلٌ . ولو أردنا أن نحقق الخبرَ بأنَّ بردونا أو فرساً يبيعُ بخمسة دینار ، لما قدرنا عليه إلا في حديث السمر (٢) .

وأنت إذا أردت أن تتعرف مبلغ ثمن الحمام الذي جاء من الغاية ، ثم دخلت بغداد والبصرة وجدت ذلك بلا معاناة . وفيه أنَّ الحمام إذا جاء من الغاية يبيع الفرخ الذكر من فراخه بعشرين دیناراً أو أكثر ، وبيعت الأنثى بعشرة دنانير أو أكثر ، وبيعت البيضة بخمسة دنانير . فيقوم الزوج منهما [في الغلّة] مقام ضيعة ، وحتى (٣) ينهض بمؤنة العيال ، ويقضى الدين ، وتبني من غلاته وأثمان رقابه الدور الجياد (٤) ، وتبتاع الحوانيت المغلّة . هذا ؛ وهي في ذلك الوقت ملهى عجيب ، ومنظر أنيق ، ومعتبر لمن فكر ، ودليل لمن نظر (٥) .

(١) ل : « ولم » .

(٢) السمر ، أصله الحديث ليلاً . ولكنه يراد به في مثل هذا الموضع حديث الخرافة . وقد جعل ابن النديم الخرافة والسمر مترادفين في الفهرس (المقالة الثامنة) .

(٣) ط ، س : « حتى » .

(٤) ط ، س ونهاية الأرب (١٠ : ٢٧٥) : « والجنان » ، جمع جنة ، والجنان ليست بما

يبني . وصوابه في ل ونثار الأزهار ٩٣ .

(٥) هذه الجملة ساقطة من ل .

(عناية الناس بالحمام)

ومن دخل الحَجَرَ ورأى قَصُورَهَا (١) المبنية لها بالشَّامات (٢) وكيف
 اختران (٣) تلك الغلَّات ، وحِفظ (٤) تلك المَثُونات ؛ ومن شهد أربابَ الحمام ،
 وأصحابَ الهدى (٥) وما يَحتملون فيها من الكلف الغلاظِ أَيَّامَ الزَّجْلِ ،
 في حملانها على ظهور الرِّجال ، وقبل ذلك في بَطون السفن ، وكيف تُفردُ
 ٦٦ في البيوت ، وتُجمع إذا كان الجمع أمثل ، وتُفرَّق إذا كانت التَّفْرِقَةُ أمثل (٦)
 وكيف تُنقلُ (٧) الإناثُ عن ذُكورتها ، وكيف تنقلُ الذُّكورةُ عن
 إناثها [إلى غيرها ، وكيف يُخافُ عليها الضَّوى (٨) إذا تقاربت أنسابها ،
 وكيف يُخافُ على أعراقها من دخول الخارجيات فيها ، وكيف يَحْتَاط (٩)
 في صحَّة طَرَقها ونَجْلِها (١٠) ؛ لِأَنَّهُ لَا يُؤْمَنُ (١١) أن يَقْمَطَ الأُنثى ذَكَرٌ من

-
- (١) الحجر ، بالتحريك ، هو حجر شغلان ، كسلطان : حصن في جبل اللكام قرب
 أنطاكية . والقصر : المنزل ، أو كل بيت من حجر .
 (٢) الشَّامات هي بلاد الشام ، وتشمل الثغور ، وهي المصيصة وطرسوس وأذنة
 وأنطاكية ، وجميع العواصم من مرعش والحدث وبغراس وغير ذلك . ط ،
 س : « بالسامان » محرف .
 (٣) ط ، س : « اقتران » ، ل : « أقدار » ، والوجه فيه ما أثبت .
 (٤) ل : « وخفة » تحريف .
 (٥) انظر ما أسلفت من تحقيق هذه الكلمة (٢ : ٧٩) في التنبيه الثالث .
 (٦) هذه الجملة ليست في ل .
 (٧) ط ، س : « تغفل » ، وصوابه في ل .
 (٨) الضوى : الهزال والدقة والضعف . ط ، س : « يَحْتَاط » .
 (٩) ط ، س : « يَحْتَاط » .
 (١٠) النجل : النسل وزنا وهنى .
 (١١) في الأصل : « يأمن » .

عُرْضِ الْحَمَامِ ، فَيضْرَبَ فِي النَّجْلِ بِنَصِيبٍ ، فَتَعْتَرِيهِ الْمُهْجَنَةُ - وَالْبَيْضَةُ
عِنْدَ ذَلِكَ تَنْسَبُ إِلَى طَرَقِهَا (١) . وَهُمْ لَا يَحْوَطُونَ أَرْحَامَ نَسَائِهِمْ كَمَا يَحْوَطُونَ
أَرْحَامَ الْمُنْجِبَاتِ مِنْ إِنْثِ الْحَمَامِ . [وَمِنْ شَهْدِ أَصْحَابِ الْحَمَامِ] عِنْدَ زَجْلِهَا
مِنَ الْغَايَةِ ، وَالَّذِينَ يَعْلَمُونَ (٢) الْحَمَامَ كَيْفَ يَخْتَارُونَ لِصَاحِبِ الْعَلَامَاتِ ،
وَكَيفَ يَتَخَيَّرُونَ الثِّقَةَ وَمَوْضِعَ (٣) الصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ ، وَالْبُعْدَ مِنَ الْكَذِبِ
وَالرُّشُوءِ ، وَكَيفَ يَتَوَخَّوْنَ ذَا التَّجْرِبَةِ وَالْمَعْرِفَةَ اللَّطِيفَةَ ، وَكَيفَ تَسْخُو
أَنْفُسَهُمْ بِالْجَمَاعَةِ (٤) الرَّفِيعَةِ ، وَكَيفَ يَخْتَارُونَ لِحَمَلِهَا مِنْ رِجَالِ الْأَمَانَةِ وَالْجَلْدِ
وَالشَّفَقَةِ وَالْبَصَرَ وَحُسْنَ الْمَعْرِفَةِ - لَعَلَّ عِنْدَ ذَلِكَ (٥) صَاحِبَ الدِّيكِ وَالْكَلْبِ
أَنْهُمَا لَا يَجْرِيَانِ فِي هَذِهِ الْحَلِيبَةِ ، وَلَا يَتَعَاطِيَانِ هَذِهِ الْفَضِيلَةَ (٦) .

(بعض خصائص الحمام)

قال : وللحمام من حسن الاهتداء ، وجودة الاستدلال ، وثبات
الحفظ والذكر ، وقوة النزاع إلى أربابه ، والإلف لوطنه ، [ما ليس لشيء]

(١) طرقتها : أي طارقتها ، وهو فعل الأنتى .

(٢) ل ، ط ، « يعملون » وهو تحريف ظريف ، صوابه في س .

(٣) ط ، س : « في موضع » ، ووجه ما أثبت من ل .

(٤) الجمالة ، مثلثة : ما جعل للإنسان في مقابل عمله .

(٥) لعلم : جواب : « ومن دخل الحجر . . » الخ في ص ٢١٣ . ط ، س :

« ذلك عند » وصوابه من ل .

(٦) ط ، س : « القضية » ، بمعنى الحكم .

وكفناك اهتداءً ونزاعاً أن يكون طائرٌ من بهائم الطير ، يجيء من برغمة^(١) ،
لا بَلْ من العليق ، أو من خرشنة^(٢) [أ] و من الصفصاف^(٣) ، لا بَلْ
من البغراس^(٤) ، ومن لؤلؤة^(٥) .

ثمَّ الدليلُ على أنه يستدلُّ بالعقلِ والمعرفة ، والفكرة^(٦) والعناية ،
أنه إنما يجيء من الغاية على تدرّيج وتدرّيبٍ ونزِيل^(٧) . والدليل على علم
أربابه بأن تلك المقدمات قد نجحَ فيه ، وعلمَ في طباعه ، أنه إذا بلغ الرقّة
غمزوا به بكرة^(٨) إلى الدرب وما فوق الدرب من بلاد الروم ، بل
لا يجعلون ذلك تغميراً^(٩) ؛ لمكان المقدمات والترتيبات التي قد عملت فيه
وحدّثته ومرّنته .

(١) برغمة : مدينة من بلاد الروم . ذكرها ابن بطوطة في رحلته (١ : ٢٣١) .
وضبطت بياء موحدة مفتوحة ، وراء مسكنة وغيث معجمة مفتوحة وميم مفتوحة .
ط ، س : « ركة » ل : « رعمة » . ولعل صوابهما ما أثبت .

(٢) خرشنة : بلد قرب ملطية من بلاد الروم . معجم البلدان . وفي ط ، س :
« حوساء » .

(٣) الصفصاف : كورة من ثغر المصيصة والمصيصة . من ثغور الشام ، بين أنطاكية
وبلاد الروم . والمراد ببلاد الروم ما يمر عنه اليرم بتركية آسيا .

(٤) بغراس ، بالفتح : مدينة في لطف جبل اللكام — بضم اللام — بينها وبين
أنطاكية أربعة فراسخ . وفي الأصل : « النقراس » ، وهو تحريف ما أثبت
من المعجم والقاموس . وهذه الكامة وكلمة « من » بعدها ساقطتان من ل .

(٥) لؤلؤة : قلعة قرب طرسوس .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٧) كذا في ل . وفي ط : « عن التدرّيج والتدرّب والتنزِيل » وفي س مثل
ما في ط مع إبدال كلمة : « والتدرّب » بجملها : « التدرّيب » .

(٨) غمزوا به : دفعوا به . في ط ، س : « غمزوا أنه قطرة » ، وهو تحريف
صوابه في ل .

(٩) ط ، س : « تغميزاً » ، وهو تصحيف ما في ل .

ولو كان الحمام مما يُرسل بالليل^(١) ، لكان مما يستدلُّ بالنجوم ؛
لأننا رأيناها يلزم بطنَ الفُرات ، أو بطنَ دجلة ، أو بطنَ الأودية التي قد مرَّ
بها ، وهو يرى ويُبصرُ ويفهمُ انحدارَ الماء ، ويعلمُ بعدَ طولِ الجولانِ
[و]^(٢) بعدَ^(٣) الزَّجال ، إذا هو أشرفَ على الفُراتِ أو دجلة ، أن طريقه
وطريقَ الماءِ واحد ، وأنه ينبغي أن ينحدرَ معه .

وما أكثرَ ما يستدلُّ بالجوادِّ^(٤) من الطُّرقِ إذا أعيتهُ بطونُ الأودية .
فإذا لم يدرِ أمُّصعدُ هو أمُّ منحدرٍ ، تعرَّفَ ذلكَ بالريحِ ، ومواضعِ^(٥) قُرُصِ
الشمسِ في السماء . وإنما يحتاج إلى ذلكَ كله إذا لم يكن وقعَ بعدَ على رسمِ يعملُ
عليه^(٦) . فربَّما كثر^(٧) حين يزجلُ به^(٨) [يميناً و] شمالاً ، وجنوباً وشمالاً ،
وصبأً ودبوراً - الفراسخَ الكثيرةَ وفوقَ الكثيرة .

(١) ل : « بالليل » ، وصوابه من ط ، س ونثار الأزهار ٩٣ .

(٢) زدتها حاجة الكلام إليها .

(٣) كذا في ل ، ط . وفي س : « بقدر » .

(٤) الجواد : جمع جادة ، وهي معظم الطريق . وفي ط ، س : « بالجواد
أو » ، تحريف .

(٥) كذا في ل ونثار الأزهار . وفي ط ، س : « وبموضع » .

(٦) كلمة « على » ساقطة من س . وفي الأصل : « يعمل به عليه » ، والوجه ما أثبت
من نثار الأزهار .

(٧) كثر : عطف ، أي ما في سيره . ل ، وكذا نثار الأزهار : « كسر » .

(٨) كذا في ل . وفي ط ، س : « حتى يرحل » وهذا تحريف وتصحيف .

(الغمر والمجرب من الحمام)

وفي الحمام الغمر والمجرب . وهم لا يُخاطِرون بالأغمار لوجهين : أحدهما أن يكون الغمر عريقاً^(١) فصاحبه يضمن به ، فهو يريد أن يدرّبه ويمرّنه^(٢) ثم يكلفه بعد الشيء الذي اتّخذه له ، وبسببه^(٣) أصطنعه [واتّخذه] . وإمّا أن يكون الغمر مجهولاً ، فهو لا يتعنى^(٤) ويُشقى نفسه ، ويتوقع^(٥) الهداية من الأغمار الجاهيل .

وخصلة أخرى : أن المجهول إذا رجّع مع الهدى^(٦) المعروفات ، فحمله معها إلى الغاية^(٧) فجاء سابقاً ، لم يكن له كبير ثمن حتى تتلاحق به^(٨) الأولاد . فإن أنجبَ فيهنّ صار أباً^(٩) مذكوراً ، وصار نسباً^(١٠) يرجع إليه ، وزاد ذلك في ثمنه .

(١) العريق : المعروف ، وبه سمى عريق القوم : أى رئيسهم . وأراد به المعروف النسب . وفى ل : « عريقاً » ، من قولهم : فلان عريق النسب .

(٢) ل : « وهو على أن يدرّبه أو يمرّنه » .

(٣) هذه الكلمة وكذلك كلمة « اتّخذه » قبلها ، ساقطتان من ل .

(٤) يتعنى : ينصب ، أى يتعب . ط ، س : « يبق » تحريف ما فى ل .

(٥) ط ، س : « وتتوقع » ، وهو خطأ .

(٦) انظر الجزء الثانى من الحيوان ص ٧٩ التنبيه الثالث .

(٧) فحمله ، ضمير الفاعل عائد إلى صاحب الحمام ، وضمير المفعول راجع إلى المجهول من

الحمام ، وضمير « معها » عائد إلى « الهدى » . وفى س : « معه » ويصح

فإن « الهدى » جمع هاد كما سبق فى الجزء الثانى . والأفضل ما أثبت

من ط ، ل .

(٨) ل : « له » وكلاهما جائز .

(٩) ط ، س : « أبداً » وهو تحريف ما أثبت من ل .

(١٠) ط : « نسيباً » .

فَأَمَّا الْمَجْرَبَ غِيبِ الْغَمْرِ ، فَهُوَ الَّذِي قَدْ عَرَّفُوهُ الْوُرُودَ وَالتَّحَصُّبَ (١) ؛
لأنه متى لم يقدر على أن ينقض حتى يشرب الماء من بطون الأودية (٢)
والأنهار والغدران ، ومنابع (٣) المياه ، ولم يتحصب (٤) بطلب
بُزُورِ البراري ، وجاعَ وعطش - التمسَ مواضعَ الناس . وإذا
مرَّ بالقرى والعُمران (٥) سقط ، وإذا سقط أخذ بالبائس الكبير (٦)

(١) المراد بالورود ورود الماء . وفي ط ، س « بالورود » ولا يصح ؛ لأن
« عرف » لاتعنى بالباء ، إلا في معنى آخر ، فيقال : عرفه يزيد ، أى سماه
زيد ، وعرفه بكذا : أى وسمه به . انظر اللسان . والتحصب ، بالحاء الميملة :
خروج الحمام إلى الصحراء لطلب الحب ، وإنما يريدونه على ذلك ليعتاد البعد عن
المدن حتى لا يقع في أيدي الناس . ط : « والتحصب » ، س : « والتخضب »
وصوابهما في ل .

(٢) كذا في س . وفي ط : « من بطون أوساط الأودية » . وفي ل : « من
أوساط الأودية » .

(٣) المنابع : جمع منقح كجمع ، وهو الموضع يستنقع فيه الماء . وفي ط ، س :
« مواقع » ، وليس من لغة الجاحظ .

(٤) انظر التنبيه الأول من هذه الصفحة . ط : « يتحصب » س : « يتخضب »
محرقتان عما في ل .

(٥) المراد بالعمران : المواضع العامرة بالناس . ل : « العمران » ولا وجه له .

(٦) كتب إلى حضرة المحقق الكبير الأب أنستاس ماري الكرملي ، بما يأتي :

« البابكر » بباء موحدة تحتية ، يليها ألف فياء مثناة ساكنة ، فكاف فارسية
مثلثة مكسورة ، فياء مثناة تحتية ساكنة فراء - : كلمة فارسية مركبة من : باى
وهو نوع من الطير يسمى بالعربية : بوهة ، وبالفرنسية : *Effraie naine*
وبالإلمية باوا . ومن « كير » ، ومعناها جاذب . ومحصل اللفظين : جالب البوهة
ويراد بذلك مصيدة تحبك بالخيال عيوننا كعيون شبكة صيد السمك ، وتجعل على
شكل سلة كبيرة تقلب على فها . وقد دبر فيها بابان : باب خارجي أو أصلي ،
وباب داخلي ، أو فرعي . فالباب الخارجي ، أو الأصلي ، يراه كل ناظر إليه . أما
الداخلي فيكون في مثل دهليز يمتد من الباب الخارج ، ويفتح على يمين الطائر
الداخل إليه أو على يساره . فيدخل الطائر من الباب الأول ، ثم إذا صار في =

وبالقفاعة (١) وبالملقف (٢) وبالتدبيق (٣) وبالذشاخ (٤) ؛ ورمى أيضاً بالجلاهق (٥) ، وبغير (٦) ذلك من أسباب الصيد .

والحمام طائرٌ ملقّى غير موقى (٧) ، وأعداؤه كثير ، وسباع الطير تطلبه أشدّ الطلب . وقد يترفع مع الشاهين (٨) ، وهو للشاهين أخوف . فالحمام

= الدهليز يبحث عن الباب الآخر فيجده على يمينه ، أو يساره ، حسبما دبر في أول صنع المصيدة ، فإذا وجده ولجّه ذاهباً إلى بطن السلة ليجد الطائر الذي يطلبه . فإذا دخل ، ثم حاول الخروج عائداً إلى موطنه الأول لا يهتدى إلى الباب الداخلى لأنه مزور عن الخارج ، فيقبض عليه أسيراً ، أو محاولاً التخلص من مأزقه . ووضعت البوهة لتسكون ملوحي لسائر الطير ، فإن هذا الملوحي يضطرب فتراه بعض إخوته الطير ، فتدخل لتنتذه من ورطته ، أو لترافقه في أسره ، أو لتشاطره طعامه ، أو لتصيب شيئاً من نعيمه . فيؤخذ المخدوع بهذه الحيلة اللطيفة الدقيقة على فهم الطائر ، بدون أن يجرح المصيد « اه .

(١) القفاعة كرمانة : شيء يتخذ من جريد النخل ، ثم يغدف به على الطير فيصاد . يغدف : يسبل .

(٢) آلة من آلات الصيد . ط ، س : « باللقف » .

(٣) التدبيق : الاصطياد بالدبق . والدبق ، بكسر الدال : غراء يصاد به الطير .

(٤) الذشاخ : وأكثرهم يكتبونها « الدوشاخ » كلمة فارسية مركبة من (دو) أى اثنين ، و (شاخ) أى شعبة ، أو طرف أو رأس . ومحصل معناها : ذو الشعبتين أو ذو الرأسين أو ذو الطرفين . وأكثر ما تكون هذه الآلة من حديد ، يصاد بها السمك ، في دجلة والفرات . واسمها معروف هناك إلى يومنا هذا . كتب بذلك إلى حضرة المحقق الأكبر الأب أنستاس مارى الكرملى . قلت : وهذه الكلمة هى في ط ، س : « وبالفتح » وصواب نصها من ل .

(٥) الجلاهق : البندق الذى يرمى به الصيد . فارسي معرب . ل : « وبالرمى بالجلاهق » .

(٦) ل : « وبغيره » .

(٧) ملقّى : أى يلقى عنتاً من الناس والطير . وبغير موقى : غير مصون من الأذى .

ط ، س : « والحمام أنيس » الخ .

(٨) يترفع معه : أراد يطير معه طيراً سريعاً .

أَطِيرُ مِنْهُ وَمِنْ جَمِيعِ سَبَاعِ الطَّيْرِ ، وَلَسِكِنَّهُ يُذْعَرُ فَيَجْهَلُ بَابَ الْمَخْلَصِ
وَيَعْتَرِيهِ مَا يَعْتَرِي الْحَجَارَ مِنَ الْأَسَدِ إِذَا رَأَاهُ (١) ، وَالشَّاةَ إِذَا رَأَتْ الذُّئْبَ ،
وَالْفَارَةَ إِذَا رَأَتْ السَّنَّورَ .

(سرعة طيران الحمام)

وَالْحَامُ أَشَدُّ طَيْرَانًا مِنْ [جَمِيعِ] سَبَاعِ الطَّيْرِ ، إِلَّا فِي انْقِضَاضِ
وَالْحِدَارِ (٢) ؛ فَإِنَّ تِلْكَ تَنْحَطُّ انْحِطَاطَ الصَّخُورِ . [وَ] (٣) مَتَى التَّقْتِ أُمَّةٌ (٤)
مِنْ سَبَاعِ الطَّيْرِ ، أَوْ جُفَالَةٌ (٥) مِنْ بَهَائِمِ الطَّيْرِ ، أَوْ طِرْنٌ عَلَى عَرَقَةٍ (٦) وَخَبِطٌ
مَمْدُودٌ ، فَسَكَلَهَا يَعْتَرِيهَا عِنْدَ ذَلِكَ التَّقْصِيرُ عَمَّا (٧) مَا كَانَتْ عَلَيْهِ ، إِذَا طَارَتْ (٨)
فِي غَيْرِ جَمَاعَةٍ .

(١) قالوا : إنه يفر إلى الأسد منه .

(٢) ل : « إلا في الانقضاض والانكدار » . والانكدار بمعنى الانقضاض .

(٣) هذه الزيادة الضرورية من ل ، س .

(٤) الأمة ، بالضم : الجماعة ، كما في اللسان . ل : « رامة » س : « وامة » ط :

« وامة » ، وصواب ذلك كله ما أثبت .

(٥) الجفالة ، بالجيم : الجماعة ، وفي ط ، س : « حفالة » بالحاء المهملة ،

وهي بمعنى الخثالة : الرديء من كل شيء . وليس مرادا هنا ، فهي مصحفة عما في ل .

(٦) العرقة ، بالتحريك : السطر من الطير ، جمعه عرق ، بالتحريك أيضا . وفي ط ،

س : « عرقة » ولا تصح . و « طرن » محرقة في الأصل فهي في ط ، س : « طرف »

وفي ل : « كن » ، وقد جعلتها كما ترى .

(٧) ط ، س : « عند » ، تحريف .

(٨) ل : « إذ كانت » .

ولن ترى جماعة طير أكثر طيراناً إذا كثرت من الحمام ؛ فإنهنّ كلما
التفتن وضاق موضعهنّ كان أشدّ لطيرانهنّ . وقد ذكر ذلك النابغة الذبياني
في قوله :

وَإِحْكَمَ كَحُكْمِ فَتَاةِ الْحَىٰ إِذْ نَظَرَتْ

إلى حمامٍ شرعٍ واردٍ التمد^(١)

يحفه جانبا نيقٍ ويتبعه^١

مثل الزجاجة لم تُكحل من الرمد^(٢)

قالت : ألا ليتما هذا الحمام لنا إلى حمامتا ونصفه فقد^(٣)

فحسبه فالفوه كما حسبت تسعاً وتسعين لم تنقص ولم يزد^(٤)

فكملت مائة فيها حمامتها وأسرعت حسبة في ذلك العدد^(٥)

٦٨

(١) احكم : كن حكيماً . وأراد بفتاة الحى : زرقاء اليمامة . و « شرع » هي رواية الأصمعي
كما في الخزانة (٤ : ٣٠٠ بولاق) . والشرع : التي شرعت في الماء . والرواية
المعروفة : « سراع » بالمهمله ، جمع سريعة . وهذه أوجه ؛ فإن بالأولى يكون
التكرار ؛ إذ الشرع هنّ الواردات . والتمد : الماء الثقيل . والحمام وما أشبهه
من أسماء الأجناس يجوز أن يعتبر جمعاً ومفرداً .

(٢) النيق ، بالكسر : الجبل أو أعلاه . و « يتبعه » روى فيها « تتبعه » من الإتياع
كما في الخزانة ، وشرح التبريزي للمعلقات . والفاعل في الرواية الأولى هو كلمة :
« مثل » وفي الثانية الضمير المستكن الراجع إلى « فتاة الحى » . وأراد ب « مثل
الزجاجة » عيني الزبلاء . يقول : هي صافية كما صفت الزجاجة . و « لم تكحل من
الرمد » أي لم ترمد فتكحل ، كقواه :

* على لاحب لا يهتلى بمناره *

(٣) للنحويين كلام طويل في هذا البيت ، تجده في مراجع النحو في الكلام على « ليت » .

وانظر الكلام على « ونصفه » في الخزانة . وقد بمعنى حسب .

(٤) حسبه : عدّوه .

(٥) كان الحمام الذي رأت ستا وستين ، وهو ونصفه مع حمامتها مائة .

قال الأصمعيُّ : لما أراد مَدِيحَ الحاسبِ وسرعةَ إصابته ، شَدَّدَ الأمرَ وضيَّقه عليه ؛ ليكونَ أحمدَ له إذا أصاب ؛ فجعلهُ حَزَرَ (١) طيراً ، والطيرُ أخفُّ من غيره ، ثمَّ جعله حماماً والحمامُ أسرعُ الطيرِ ، وأكثرُها اجتهاداً في السرعةِ (٢) إذا كثر عددُه ؛ وذلكَ أنه يشتدُّ (٣) طيرانُه عندَ المسابِقةِ والمنافسةِ . وقال : يحفُّه جانبا نيقٍ ويتبعه ، فأراد أنَّ الحمامَ إذا كان في مَضيقٍ من الهواءِ كان أسرعَ منه إذا اتسعَ عليه الفضاءُ .

(غايات الحمام)

وصاحب الحمام قد كان يدرب ويمرّن ويُنزل في الزّجال ، والغايةُ يومئذٍ واسط (٤) . فكيف يصنَع اليومَ بتعريفه الطّريقَ وتعريفه الورودَ والتحصُّب (٥) ، مع بُعد الغاية ؟ ! (٦) .

(١) الجزر ، بالزاي الساكنة : التقدير .

(٢) « وأكثرها اجتهاداً في السرعة » ساقط من ل .

(٣) ل : « وكثر العدد لأن الحمام » .

(٤) تسمى واسط الحجاج ، سميت بذلك لأنها توسطت بين البصرة والكوفة ، فيبناها وبين كل واحدة منهما خمسون فرسخاً . وبدلها في ط ، س : « أقصر » .

(٥) التحصّب : خروج الحمام إلى الصحراء لطلب الحب . ط : « التحصّب » ل .

س : « التحصّب » ، مصحفتان .

(٦) هذه الجملة ساقطة من ل .

(ما يختار للزجل من الحمام)

والبغداديون يختارون للزجال من الغاية الإناث ، والبصريون يختارون الذكور . فحجة البغداديين أن الذكر إذا سافر وبعد عهده بقمط الإناث ، وتاقت نفسه إلى السفاد ، ورأى أنشاه في طريقه (١) ، ترك الطلب إن كان بعد في الجولان ؛ أو ترك السير إن كان وقع على القصد ، ومال إلى الأنثى وفي ذلك الفساد (٢) كله .

وقال البصري : الذكر أحنُّ إلى بيته لسكان أنشاه ، وهو أشدُّ متناً وأقوى بدناً ، وهو أحسنُّ اهتداء . فنحنُ لاندع تقديم الشيء القائم إلى معنى قد يعرضُ وقد لا يعرضُ .

(نصيحة شدفويه في تربية الحمام)

وسمعتُ شدفويه السالحي (٣) من نحو خمسين سنة ، وهو يقول لعبد السلام بن أبي عمار (٤) : اجعل كعبة حمامك في صحن دارك ، فإنَّ الحمامَ إذا كان متى خرج من بيته إلى المعلاة لم يصل إلى معلاته إلا بجمع النفس والجناحين ، وبالنهوض ومكابدة الصعود - اشتدَّ متنه ، وقوى

(١) ل : « في طريقه ومجيئه » .

(٢) ط فقط : « السفاد » محرف .

(٣) كذا في ل . وفي ط ، س : « سرفوحة السالحي » .

(٤) كذا في ل . وفي ط ، س : « أبي العمان » .

جناحه ولحمه . ومتى أرادَ بيتهَ فاحتاج (١) إلى أن ينتكس ويحيى منقضاً -
 كان أقوى على الارتفاع في الهواء بعد أن يروى (٢) . وقد تعلمون أنَّ
 الباطنيين أشدَّ [متناً] من الظاهريين (٣) ، وأنَّ النَّقْرَسَ لا يُصِيبُ الباطنيَّ
 في رجله (٤) ليس ذلك إلاَّ لأنَّه يصعد إلى العلالى (٥) فوق السكناديج (٦)
 درجةً بعد درجة ، وكذلك نزوله . فلو درَّبتم الحمامَ [على] (٧) هذا الترتيب
 كان أصوب . ولا يعجبنى تدريب العاتق وما فوق العاتق (٨) إلاَّ من الأماكن
 القريبة ؛ لأنَّ العاتقَ كالفتاة العاتق ، وكالصبيِّ الغرير ، فهو لا يَعْدِمُهُ ضعفُ
 البدن ، وقلةُ المعرفة ، وسوءُ الإلف . ولا يُعجبنى أن تتركوا الحمامَ حتَّى

(١) ط : « فاحتاج » ، تحريف ما في س ، ل .

(٢) كلمة « الهواء » هي في ط ، س : « الهوى » محرفة . وكلمة « بعد »
 ساقطة من ل .

(٣) كذا جاءت كلمتا : « الباطنيين » و « الظاهريين » في ل . وإن كان وجهه
 في العربية : « الباطنيات » و « الظاهريات » ، إما لأن الجاحظ أراد أن ينقل كلام
 « شذويه » كما وقع ، وإما لأنه نزل الحمام منزلة العاقل ، فجمعه جمع العاقلين .
 وفي ط : س : « الباطنتين » و « الظاهرتين » وهو لا جرم تحريف .
 والباطني : نسبة إلى الباطن ، وهو الذي تكون تربته في باطن بيت مكنون قد مهدت
 له في داخله كناديج : أى درجات يصعد عليها إلى قمروصه . والظاهري : نسبة إلى
 الظاهر ، والمراد به ما كان صعوده إلى قمروصه من ظاهر البيت فيصعد إليه بالطيران
 لا بالصعود التدريجي كما يصنع الباطني .

(٤) ل : « لا يصيب الباطني في رجله » .

(٥) العلالى : جمع عليّة ، بالضم والكسر ، وهي الغرفة .

(٦) السكناديج : جمع كندجة : معرب كندة بالضم ، وهي خشبة عظيمة يستخدمها
 الباني في بناء الجدران والطيقتان ، انظر الألفاظ الفارسية ١٣٨ . وضبطت :
 « الكندجة » في القاموس بفتح الكاف والذال ، ضبط قلم . والمراد بها الدرجات
 التي يصعد عليها الحمام . وفي ط : « السكساويج » ، محرفة .

(٧) ليست بالأصل .

(٨) العاتق من الحمام : فرغه ما لم يستحكم . ل : « العتق » في الموضوعين .

إذا صار في عدد المسانِّ واكتهل ، وولّد البطونَ بَعْدَ البطونِ ، وأخذ ذلك من قوّة شبابه ، حملتموه على الرّجل ، وعلى التّمّرين ، ثمّ رميتم به أقصى غايةٍ .
لأ ، ولكنّ التّدريب مع الشباب ، وانتهاء الحِدّة^(١) ، وكمال القوّة ، ٦٩
من قبل أن تأخذ القوّة في التّقصان . فهو يلقن بقربه من الحداثة^(٢) ،
ويُعرّف بخروجه من حدّ الحداثة^(٣) . فابتدئوا به التّعليم والتّمّينَ في هذه
المنزلة الوُسطى .

(الوقت الملائم لتّمرين فراخ الحمام)

وهمّ إذا أرادوا أن يمرّنوا^(٤) الفراخَ أخرجوها وهي جائعة ، حتى إذا ألقوا إليها الحبّ أسرعّت النزول . ولا تُخرَحُ والريّح عاصف ، فتخرج قبل المغربِ وانتصافِ النهار . وحذّاقهم لا يخرجونها مع ذكورة الحمام ؛ فإنّ الذّكورة يعترها النّشاط والطّيران والتّباعدُ ومجاورة القبيلة . فإن طارت الفراخُ معها سقطت على دُور الناس . فرياضتها شديدة ، وتحتاج إلى معرفةٍ وعنايةٍ ، وإلى صبرٍ ومُطابَلة ؛ لأنّ الذي يُراد منها إذا احتيج^(٥) إليه بعد هذه المقدمات كان أيضاً من العجَب العجيب .

(١) س : « مع انتهائه الحدة والشباب » .

(٢) كذا في ل : وفي ط ، س : « بقوته مع الحداثة » .

(٣) ل : « الحلاثة » ، تحريف .

(٤) ل : « يثبتوا » .

(٥) ل : « جنن » .

(حوار يعقوب بن داود مع رجل في اختيار الحمام)

وحدثنى بعض من أتق به أن يعقوب بن داود ، قال لبعض من دخل عليه - وقد ذهب عني اسمه ونسبته ، بعد أن كنتُ عرفته - : أما ترى كيف أخلفَ ظننا وأخطأ رأينا ، حتى عمَّ ذلك ولم يخصَّ ؟ ! أما كان في جميع من اصطنعناه واخترناه ، وتفرسنا فيه الخير وأردناه (١) به - واحداً (٢) تكفيننا معرفته (٣) [مؤنة] الاحتجاج عنه ، حتى صرْتُ لا أقرِّع (٤) إلا بهم ، ولا أعابُ (٥) إلا باختيارهم ! قال : فقال له رجل إنَّ الحمام يُختارُ من جهة النَّسب ، ومن جهة الخلقة ، ثم لا يرضى له أربابه بذلك حتى ترتبه وتنزله وتدرِّجه (٦) ، ثم تحمّل الجماعة منه (٧) بعد ذلك الترتيب والتدريج إلى الغاية ، فيذهب الشطرُ ويرجع الشطر ، أو شبيهُ بذلك أو قريبٌ (٨) من ذلك . وأنت عمدت إلى حمامٍ لم تنظر في أنسابها ولم تتأمل مخيلة الخير في خلقها (٩) ثم لم ترض حتى ضربت بها بكرة (١٠) واحداً

(١) ط ، س ، « أردنا به » .

(٢) ط : « واحداً » ، وإنما هو اسم كان أو فاعلها .

(٣) ل : « معرفته » محرفة ، وبعد هذه الكلمة واو حذفها .

(٤) كذا في ل ، س . وهو الصواب . وفي ط : « أفرع » .

(٥) ط ، س : « آداب » محرف .

(٦) كذا في ط ، س ، وفي ل : « حتى يرتبه وينزلوه » .

(٧) ط ، س « معه » وتصحيحه من ل .

(٨) ط ، س : « شبيهاً » و « قريباً » والوجه الرفع كما في ل .

(٩) المخيلة : موضع الظن ، فهي كالمظنة . انظر اللسان . ط ، س : « مخيلة

موضع الخير » وفيها أيضاً : « في خلقها » .

(١٠) ط ، س : « ضربة » ، تحريف ما في ل .

إلى الغاية^(١) ، فليس بعَجَبٍ ولا مُنْكَرٍ^(٢) ألا يرجع إليك واحدٌ منها ، وإنما كان العَجَبُ في الرجوع ، فأما في الضلال فليس [في] ذلك عَجَبٌ^(٣) . وعلى أنه لو رجع منها^(٤) واحدٌ أو أكثرٌ من الواحدِ لكان خطؤك موفراً عليك ، ولم ينتقصه خطأٌ من خطأ ؛ لأنه ليس من الصواب أن يجيء طائراً من الغايةِ على غير [عَرَقٍ ، وعلى غير] تدريب .

باب

ومن كرم الحمام الإلف والأنس والنزاع والشوق . وذلك يدلُّ على ثبات العهد ، وحفظ ما ينبغي أن يُحفظ ، وصون ما ينبغي أن يصاب وإنه نُحِلِّقُ صِدْقَ^(٥) في بني آدم فكيفَ إذا كان ذلك الخلقُ^(٦) في بعض الطير .

وقد قالوا : عَمَرَ اللهُ البُلدانَ بحبِّ الأوطان^(٧) .

قال ابن الزبير : ليس النَّاسُ بشيءٍ من أقسامهم^(٨) أفنَعَ منهم

بأوطانهم !

(١) كذا في ط ، س . وفي ل : « واحدة الغايات » .

(٢) ط ، س : « فليس ذلك بعجيب ولا بمنكر » الخ .

(٣) ط ، س : « فليس ذلك بعجيب ولا بمنكر » .

(٤) ط ، س : « منهن » .

(٥) خلق صدق ، بالإضافة ، أي نعم الخلق . وبالوصف ، أي الخلق الكامل . « لحيىء صدق » ، تحريف .

(٦) ل : « فكيف بذلك الحق » .

(٧) القول في الحنين إلى الأول من رسائل الجاحظ ٢ : ٣٨٩ مع نسبته إلى عمر بن الخطاب .

(٨) أقسام : جمع قسم ، بالكسر : وهو الحظ والنصيب : ل : « لشيء » تحريف . ط ، س : « في أقسامهم » ، ووجه ما أثبت من ل .

وأخبر الله عزَّ وجلَّ عن طبائع النَّاسِ في حبِّ الأوطان ، فقال :
﴿ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ^(١) ﴾
وقال : ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ
دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ ^(٢) ﴾ .

وقال الشاعر :

وكنْتُ فيهِمْ كَمَطُورٍ بِيَلَدَتِهِ فُسِّرَ أَنَّ جَمَعَ الْأَوْطَانَ وَالْمَطْرَا ^(٣)
فتجدُهُ يُرْسَلُ مِنْ مَوْضِعٍ فِيجِيءُ ؛ ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى أَصِيقِ مَوْضِعٍ
وإلى رِخَامٍ ^(٤) وَنَقَانٍ ^(٥) فيرسل من أبعد من ذلك فيجىء . [ثم يصنع به مثلُ
ذلك المزار السكثيرة ، ويزاد في الفراسخ] ، ثم يسكون جزاؤه ^(٦) أن يغمر
به ^(٧) [من] ^(٨) الرِّقَّةَ إلى لؤلؤة ^(٩) فيجىء . ويُسترقُّ من منزل

(١) هذا القول حكاية عن بنى إسرائيل ، وكانوا طلبوا من نبي لهم - وهو يوشع ،
أو شمعون ، أو أشمويل - أن يعين لهم أميراً يتولى قيادتهم في حرب العمالقة
وكان العمالقة قد أجلوا الإسرائيليين وسبوا أولادهم . وكان النبي قال لهم :
« هل عسى إن كتب عليكم القتال أن لا تقاتلوا » - يقول ذلك متوقفاً عنهم عن
القتال - فأجابوه بما في هذه الآية . انظر التفاسير .

(٢) قال العسكري في ديوان المعاني (٢ : ١٨٧) تعقيبا على هذه الآية : « ففعل
خروجهم من ديارهم كفاء قتلهم لأنفسهم » .

(٣) أنشده في الحنين إلى الأوطان . وأخذ ابن المولى هذا المعنى فقال (ديوان المعاني
٢ : ١٩٠) :

كَمَطُورٍ بِيَلَدَتِهِ فَأُضْحِي غَنِيَا عَنِ مَطَالَعَةِ السَّحَابِ

(٤) هو اسم موضع ، ولم أحققه . وفي ط فقط : « زحام » .

(٥) نقان ، بضم النون ويكسر : اسم جبل في بلاد أرمينية . وفي ط ، س :
« قنار » : وفي ل : « قنار » وهو تحريف ما أثبت .

(٦) كذا في ل . وفي ط : « الحرارة » ! وفي س : « الجراوة » .

(٧) يغمر به : أى يدفع به . س : « يغمر » تصحيف .

(٨) التكلة من ل ، س .

(٩) لؤلؤة : قلعة قرب طرسوس .

صاحبه^(١) فيقصُّ ، وَيَغْبُرُ هناك حولاً وأكثرَ من الحول ، فحينَ يَنبِت جناحَهُ يحنُّ إلى إلفه وَيَنْزِع إلى وطنه ، وإن كان الموضعُ الثَّانِي أنفعَ له ، وأنعمَ لباله . فِيهَبُ فضلَ ما بينهما لموضعِ تربيته وسكنه ؛ كالإنسان الذي لو أصاب في غير بلادِهِ الرِّيفَ لم يقعْ ذلك في قلبه ، وهو يعالجهم^(٢) على أن يُعطَى عشرَ ما هو فيه^(٣) في وطنه .

ثمَّ رَبَّما باعه صاحبهُ ، فإذا وجدَ مَخْلُصاً رجع إليه ، حتَّى رَبَّما فَعَلَ ذلك مراراً . ورَبَّما طار دَهْرُهُ وجالَ في البلادِ ، وألفَ الطَّيرانَ والتقلُّبَ في الهواءِ ، والتَّنَظَّرَ إلى الدنيا ، فيبدو لصاحبه^(٤) فيقصُّ جناحَهُ ويُلقِيهِ في ديماس^(٥) ، فينبِت جناحَهُ ، فلا يَذْهَبُ عنه ولا يتغيَّرُ له . نَعَمَ ، حتَّى رَبَّما جَدَفَ^(٦) وهو مقصوصٌ ، فإمَّا صار إليه ، وإمَّا بلغَ عذراً .

(١) يسترق : من الاستراق ، وهو السرقة . ل : « يسرق » وفيها أيضاً « نزل » مكان « منزل » ، وهما بمعنى .

(٢) يعالجهم : يمارسهم . وفي ل : « يصلحهم » .

(٣) ل : « عشر ذلك » .

(٤) يقال بدا له في الأمر : نشأ له فيه رأى .

(٥) الديماس بالكسر : السكن .

(٦) جدف الطائر : طار وهو مقصوص الجناحين كأنه يرد جناحه إلى خلفه . وهذه

الكلمة محرفة في الأصل ، فهي في ط ، س : « جد » ، وفي ل : « حذف » .

(قص جناح الحمام)

ومتى قصَّ أحد جناحيه كان أعجزَ له عن الطيران ، ومتى قصَّهما جميعاً كان أقوى له عليه ، ولـكنه لا يُبْعِد ، لأنَّه إذا كان مقصوفاً من شقِّ واحدٍ اختلفَ خلقه ، ولم يَعتَدِلْ وزنه ، وصارَ أحدهما هوائياً والآخر أرضياً . فإذا قصَّ الجناحانِ جميعاً طار ، وإن كانَ مقصوفاً فقد بلغَ بذلك التعديل من جناحيه^(١) أكثرَ مما كانَ يبلغُ [بهما] إذا كانَ أحدهما [وافياً] والآخر مبتوراً^(٢) .

فالكلبُ الذي تدَّعون له الإلفَ وثباتَ العهد ، لا يبلغُ هذا . وصاحبُ الدِّبِكِ الذي لا يفخرُ^(٣) للدِّبِكِ بشيءٍ من الوفاءِ والحفاظِ والإلفِ ، أحقُّ بالألَّا يعرِّضُ في هذا الباب .

قال : وقد يكونُ الإنسانُ شديدَ الحُضْر ، فإذا قُطِعَتْ إحدى يديه فأراد العَدُوَّ كانَ خطؤه أقصر ، وكانَ عن ذلك القصدِ والسَّنَنِ أذهبَ ، وكانت غايةً مجهوده أقربَ^(٤) .

(١) في الأصل : « جناحه » .

(٢) ط ، س : « إذا قصَّ أحدهما وترك الآخر وافياً » .

(٣) أى لا يجد شيئاً من وفاء الدبِكِ يستطيع أن يفخر به .

(٤) ل : « أنقص » .

(حديث نبأته الأقطع)

وخبرني كم شئت^(١) ، أن نباتة الأقطع [وكان] من أشداء الفتيان^(٢) وكانت يده قطعت^(٣) من دوين المنكب ، وكان ذلك في شقه الأيسر ؛ فكان إذا صار إلى القتال وضرب بسيفه ، فإن أصاب الضريبة ثبتت ، وإن أخطأ سقط لوجهه ؛ إذ لم يكن جناحه^(٤) [الأيسر] يمسكه ويثقله حتى يعتدل بدنه .

(أجنحة الملائكة)

وقد طعن قوم في أجنحة الملائكة ، وقد قال الله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾ . وزعموا أن الجناحين كاليدين ، وإذا كان الجناح اثنين أو أربعة كانت معتدلة ، وإذا كانت ثلاثة

(١) ل ، ط : « من شئت » . وانظر ماسبق في ص ١٧٨ وكذا ٤ : ٤٦ و ٥ : ٣٧٤

وكتاب البغال من رسائل الجاحظ ٢ : ٢٦٤ .

(٢) في الأصل : « من أشداء الفتيان أن نباتة الأقطع » ، وقد رددت الكلمات الثلاث

الأولى إلى موضعها ، كما زدت « وكان » لينظم الكلام .

(٣) ل : « وكانت قطعت » .

(٤) الجناح ، ليس خاصا بالطير ، بل يقال أيضا : جناح الإنسان : أي يده ، أو عضده أو إبطه .

كان^(١) صاحبُ الثلاثةِ كالجادفِ^(٢) من الطَّيرِ ، الذي أحدُ جناحيه مقصوص ، فلا يستطيع الطَّيرَ أن لعدم التعديل . وإذا كان أحدُ جناحيه وافياً والآخرُ مقصوصاً ، اختلفَ خَلْقُهُ وصارَ بَعْضُهُ يذهب إلى أسفل والآخر إلى فوق .

وقالوا : إنّما الجناحُ مثل اليد ، ووجدنا الأيدي والأرجل في جميع الحيوان لا تسكون إلا أزواجاً . فلو جعلتمُ لسكّلٍ واحدٍ منهم مائة جناحٍ لم تُشكِرْ ذلك . وإن جعلتموها أنقصَ بواحدٍ أو أكثرَ بواحدٍ لم نجوزهُ . قيل لهم : قد رأينا من ذوات الأربع ما ليس له قرن ، ورأينا ماله قرنانِ أملسان ، ورأينا ماله قرنان لها شُعبٌ في مقاديم القرون^(٣) ، ورأينا بعضها جُمًّا ولأخواتها قرون ، ورأينا منها ما لا يقال لها جُمٌّ لأنّها ليست لها شكلُ ذوات القرون ، ورأينا لبعض الشاءِ عِدَّةً^(٤) قرونٍ نابتةٍ في عظم الرأسِ أزواجاً وأفراداً ، ورأينا قرونًا جوفاً فيها قرون ، ورأينا قرونًا لاقرون فيها ، ورأيناها مُصمّمة ، ورأينا بعضها ينصلُّ قرنته في كلِّ سنة ، كما تسلخ الحية جلدَها ، وتنفضُ الأشجارُ ورقها ، وهي قُرون الأيائل . وقد زعموا أنّ للحمار الهندي^(٥) قرنا واحداً .

(١) كذا في ط . وفي ل ، س : « صار » .

(٢) الجادف : الذي يطير وهو مقصوص . وفي ط : « كالجاذق » وفي ل ، س : « كالجاذف » ، وصوابها ما أثبت .

(٣) ط : « مقادير » وتصحيحه من ل ، س .

(٤) ط : « لبعض الساعدة » وتصحيحه من ل ، س .

(٥) الحمار الهندي هو السكركدن ، وحيد القرن . والذي سماه بالحمار الهندي هو أرسطو في كتابه (الحيوان) . قال الجاحظ في الحيوان (٧ : ٤٠) : « وقد ذكره صاحب المنطق في كتاب الحيوان ، إلا أنه سماه بالحمار الهندي » .

وقد رأينا طائراً شديداً الطيران بلا ريشٍ كالحفّاش ، ورأينا طائراً لا يطير وهو وافي الجناح ، ورأينا طائراً لا يمشي وهو الزرّزور . ونحن نؤمن بأنّ جعفرًا الطيّارَ ابنَ أبي طالب ، له جناحان يطير بهما في الجنان ، جعلاً له عوضاً من يديه اللتين قطعنا على لواء المسلمين في يوم مؤتة^(١) . وغير ذلك من أعاجيب أصناف الخلق .

فقد يستقيم - وهو سهلٌ جائزٌ شائعٌ مفهوم ، ومعقولٌ قريبٌ غيرٌ بعيد أن يكون إذا وُضع طباع الطائر على هذا الوضع الذي تراه ألا يطير^(٢) إلا بالأزواج . فإذا وُضع على غير هذا الوضع ، وركّب غيرَ هذا التركيب صارت ثلاثة أجنحة وفوق^(٣) تلك الطبيعة . ولو كان الوطواط في وضع أخلاطه^(٤) وأعضائه وامتزاجاته^(٥) كسائر الطير ، لما طار^(٦) بلا ريش .

(١) كان يوم مؤتة في الثامنة من الهجرة بين المسلمين والروم . وكان قد حمل لواء المسلمين زيد بن حارثة فقتل ، فحمله جعفر بيمينه فقطعت ، ثم بشماله فقطعت ، فاحتضنها بعضديه فقتل وخر شهيداً ، فحمل اللواء بعده عبد الله بن رواحة فقتل أيضاً . وكان جعفر أيضاً يلقب بذي الهجوتين : هجرة الحبشة والمدينة . وانظر الإصابة ٦١٦٢ وجهرة أنساب العرب لابن حزم ٦٨ - ٦٩ .

(٢) ط : « لا يسير » . س : « لا تطير » وتصحيحه من ل .

(٣) وفوق ، كرسول ، بمعنى ملائمة موافقة . ومثلها وفق ، بالفتح . انظر اللسان (وفق) ومعنى الكلام أن الأجنحة الثلاثة تكون موافقة لهذا التركيب الشاذ .

(٤) كذا في ل . وفي ط ، س : « وضع في أخلاطه » .

(٥) ط ، س : « وامتزاجه » .

(٦) كذا في ل . وفي ط ، س : « كان » .

(الطير الدائم الطيران)

وقد زعم البحريون أنهم يعرفون (١) طائرًا لم يسقط قط ، وإنما يكون سقوطه من لدن خروجه من بيضه [إلى] أن يتم (٢) قصب ريشه ، ثم يطير ٧٢ فليس له رزق إلا من بعوض الهواء وأشباه البعوض ؛ إلا أنه قصير العمر سريع الانحطام .

(بقية الحديث في أجنحة الملائكة)

وليس بمستنكر أن يُمزج (٣) الطائر ويُعجن غير عجنه الأول (٤) [فيعيش ضعف ذلك العمر] . وقد يجوز أيضاً أن يكون موضع الجناح الثالث بين (٥) الجناحين ، فيكون الثالث للثاني كالثاني للأول ، وتكون كل واحدة من ريشة عاملة في التي تليها من ذلك الجسم (٦) ، فتستوى في القوى وفي الحصص .

(١) كذا في ل . وفي ط ، س : « وقد زعم البحريون أن » . وهذا الطائر الذي حكى عنه الجاحظ ، تحدث عنه القزويني في عجائب المخلوقات ١٠٣ عند كلامه على بحر الصين ، ولم يسمه .

(٢) ط ، س : « تم » .

(٣) كذا في ل . وفي ط : « يمرح » . وفي س : « يموج » ، بحرفتان .

(٤) س : « غير عجنه الأوابد » .

(٥) ل : « من » ، تحريف .

(٦) ل : « البدن » .

ولعلَّ الجناح الذى أنكره الملحدُ الضيِّقُ العَظَنُ (١) أن يكونَ مركزُ قوادِمِهِ فى حاقِّ الصُّلبِ (٢) .

ولعلَّ ذلكَ الجناحَ أن تكونَ الريشةُ الأولى منه معينةً للجناحِ الأيمنِ والثانيةُ معينةً للجناحِ الأيسرِ . وهذا مما لا يضيِّقُ عنه الوهمُ ، ولا يعجزُ عنه الجوازُ (٣) .

فإذا كان ذلكَ ممكناً (٤) فى معرفة العبدِ بما أعاره الربُّ جلَّ وعزَّ ، كان ذلكَ فى قدرةِ الله أجوز . وما أكثرَ من يضيِّقُ صدره لقلَّةِ علمه !

(أعضاء المشى لدى الحيوان والإنسان)

وقد علموا أن كلَّ ذى أربعٍ فإنَّه إذا مشى قدَّم إحدى يديه ، ولا (٥) يجوز أن يستعمل اليدَ الأخرى ويقدمها بعدَ الأولى حتَّى يستعمل الرجلَ المخالفةَ لتلك اليد : إن كانت اليدُ المتقدِّمةُ اليمينية حركَ الرجلَ اليسرى ، وإذا حركَ الرجلَ اليسرى لم يحركَ الرجلَ اليمينية - وهى أقربُ إليها (٦) وأشبهُ بها - حتَّى يحركَ اليدَ اليسرى . وهذا كثير .

(١) الضيق العظن : الضيق الصدر ، السريع الغضب . وأصل العظن مريض الإبل والنعم حول الماء . ط ، ل : « لضييق العظن » .

(٢) حاق الصلب : وسطه .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « الجواب » .

(٤) ل : « مكيفا » ، وهو تحريف .

(٥) ل : « وقد » ، وهو تحريف يفسد المعنى .

(٦) كذا فى ل ، س . وهو الصواب . وفى ط : « اليد » .

[و (١)] في طريقٍ أخرى فقد يقال : إنَّ كلَّ إنسانٍ فإنما رُكِبَتْه
في رجله ، وجميعَ ذواتِ الأربعِ فإنما رُكِبها في أيديها . وكلُّ شيءٍ
ذو كفٍّ وبنانٍ كالإنسان ، والقرد ، والأسد ، والضَّب ، والدَّب ، فكفُّه
في يده . والطَّائرُ كفُّه في رجله .

(استعمال الإنسان رجله فيما يعمله في المادة بيديه)

وما رأيتُ أحداً ليس له يَدٌ إلَّا وهو يعمل برجله ما كان [يعمل (٢)]
بيديه ، وما أقف على شيءٍ من عمل الأيدي إلَّا وأنا قد رأيتُ قوماً
يتكلفونه بأرجلهم .

ولقد رأيتُ واحداً منهم راهنَ على أن يُفْرِغَ برجله ما في
دَسْتِجَةٍ (٣) نبيذ في قناني رِطْلِيَّاتٍ وَفُقَاعِيَّاتٍ (٤) ، فراهنوه ، وأزعجني
أمرٌ فتركته عند ثقاتٍ لا أشكُّ في خبرهم ، فزعموا أنه وَفَى وزاد . قلت :

(١) الزيادة من س .

(٢) التكلفة من ل ، س .

(٣) الدسْتِجَةُ : واحدة الدسْتِج ، وهي - كما في تاج العروس - : آنية تحول باليد
وتنقل . فارسي معرب : « دسْتِي » . وأصل « دسْت » في الفارسية بمعنى اليد .
انظر الألفاظ الفارسية ٦٣ .

(٤) رطليات ، أي تسع للواحدة منها رطلا . والفقاعيات : ضرب من القوارير صفار ،
ولم أجد لها نصاً يفمرها .

قد عرَفْتُ قولكم « وفي » فما معنى قولكم « زاد » . قالوا : هو أنه لو صبَّ
من رأس الدستيجة حوائِ أفواه القناني كما يعجز عن ضبطه جميع أصحاب
الكمال في الجوارح ، لما أنكرنا ذلك . ولقد فرغَ ما فيها في جميع القناني
فما ضيِّعَ أوقيةً واحدة .

(قيام بمض الناس بعمل دقيق في الظلام)

وخبَّرني الحزَامِيُّ^(١) عن خليل أخيه^(٢) ، أنه متى شاء أن يدخُلَ
في بيت ليلا بلا مصباح ، ويفرغ [قربة]^(٣) في قناني فلا يصبُّ إستاراً^(٤)
واحداً فعله .

و [لو] حكى لي الحزَامِيُّ هذا الصَّنِيعَ عن رجل وُلِدَ أعمى أو عمي
في صباه ، كان يعجبني منه أقلُّ . فأما من تعود أن يفعل مثل ذلك وهو
يبصر فما^(٥) أشدَّ عليه أن يفعله وهو مغمض العينين . فإن كان أخوه قد
كان يقدر على ذلك إذا غمض عينيه فهو عندي عجب . وإن كان يبصر
في الظلمة فهو قد أشبه في هذا الوجه السنور والفأر ؛ فإن هذا عندي عجبٌ

(١) هو أبو محمد عبد الله بن كاسب ، كان معاصراً للجاحظ ، وقد أفرد

له حديثاً في البخلاء ٤٧ - ٤٤ . وفي ط ، س : « الحزَامِيُّ » وفي ل :

« الحزَامِيُّ » .

(٢) ل : « مليك » .

(٣) الزيادة من س . وبدلها في ل : « قرابة » محرفة .

(٤) الإستار : ثلاثة أخماس الأوقية ؛ إذ الأوقية إستار وثلثا إستار .

(٥) ل : « يبصره » .

آخر ، وغرائب الدنيا كثيرة عند كل من كان كلفاً بتعريفها ، وكان له في العلم أصلٌ ، وكان بينه وبين التبيين^(١) نسب .

(اختلاف أحوال الناس عند سماع الغرائب)

وأكثر الناس لا يتجدد لهم إلا في حالتين : [إمّا في حال]^(٢) إعراض عن التبيين وإهمال للنفس^(٣) ، وإمّا في حال^(٤) تكذيب وإنكار وتسرع إلى أصحاب الاعتبار وتتبع الغرائب ، والرغبة في الفوائد . ثم يرى بعضهم أنّ له بذلك التكذيب فضيلة^(٥) ، وأن ذلك باب من التوقى ، وجنس من استعظام الكذب ، وأنه لم يكن كذلك إلا من حاق^(٦) الرغبة في الصدق . وبئس الشيء عادة الإقرار والقبول . والحق^(٧) الذي أمر الله تعالى به ورغب فيه ، وحث عليه [أن ننكر من الخبر ضربين : أحدهما ما تناقض واستحال ، والآخر ما امتنع في الطبيعة ، وخرج من طاقة الحلقة . فإذا خرج الخبر من هذين البابين ، وجرى عليه] حكم^(٨) الجواز ، فالتدبير^(٩) في ذلك التثبت

(١) التبين : التفهم . وفي ط س : « التبيين » ، وتوجيه من ل . و « نسب »

هي في الأصل : « نصيب » ، والوجه ما أثبت . انظر (١ : ٣ س ٤) .

(٢) الزيادة من ل ، س .

(٣) ط ، س : « النفس » .

(٤) ط : « حاله » وأثبت ما في ل ، س .

(٥) ط ، س : « فوائد » .

(٦) حاق الرغبة : شدتها . ط : « حاز الرغبة » وصوابها في ل ، س .

(٧) ط ، س : « أو تبين الشيء معاندة للإقرار وقهراً بالحق و » ، مكان :

« وبئس الشيء » . الخ ، وهو تحريف ما أثبت من ل .

(٨) ط ، س : « ذكر » .

(٩) ط ، س : « والترتيب » ، محرفة .

وأن يكون الحقُّ في ذلك هو ضالتك ، والصدق هو بُغيتك ، كائناً ما كان ، وقع منك بالموافقة ، أم وقع منك بالمكروه . ومتى لم تعلم أنّ ثوابَ الحقِّ وثمرَةَ الصدقِ أُجدي عليك من تلك الموافقة لم تقع^(١) على أن تعطى الثبُتَ حقّه .

(تشبيه رماد الأثافي بالحمام)

قال : وهم يصفون الرماد الذي بين الأثافي بالحمامة ، ويجعلون الأثافي أظناراً لها ، للأنحاء الذي في أعلى تلك الأحجار ، ولأنها كانت معطّفاتٍ عليها وحانياتٍ على أولادها . قال ذو الرُّمة :

كأنَّ الحمامَ الورقَ في الدَّارِ جثمت على خرقٍ بين الأثافي جوازله^(٢)
شبهه الرماد بالفراخ قبل أن تنهض . والجثوم في الطير^(٣) مثل الربوض في الغنم . وقال الشماخ :

وإرثِ رمادِ كالحمامةِ مائل ونويين في مظلومتين كداهما^(٤)

(١) ل : « لم تقو » .

(٢) ط : « أجم » مكان « جثمت » ، وهو تحريف صوابه في ل ، س والديوان ٤٦٥ . وروى في أمالي المرتضى ٣ : ١٢١ : « وقمت » . قال المرتضى : « شبه الأثافي بالحمام الورق ، وجعلها ظنوراً لتعطفها على الرماد . وشبه الرماد بفرخ خرق قد سقط ريشه . والجوازل : الفراخ ، واحدها جوزل » .

(٣) ل : « الخليل » ، وهو تحريف ظاهر .

(٤) إرث رماد : أى أصله . والنوى بالضم : حفيرة تحفر حول الخباء يجعل ترابه حاجزاً لمنع المطر . والمظلومة : الأرض حفرت ولم تكن حفرت قبل ذلك . والسكدي : جمع كدية بالضم ، وهى الأرض الغليظة . والرواية في ديوان الشماخ : « ونويان » . وقبل البيت :

أقامت على ربعهما جارتا صفا كيتا الأعالي جونتنا مصطلاهما

وبعده :

أقاما ليليل والرباب وزالتا بذات السلام قد عفا طلاهما

وقال أبو حية :

[مِنْ الْعَرَصَاتِ غَيْرِ مُحَمَّدٍ نُؤَيِّ كِبَابِي الْوَحْيِ خُطَّ عَلَى إِمَامٍ ^(١)
وغيرِ خِوَالِدٍ لُوْحُنٍ حَتَّى بِهِنَّ عَلَامَةٌ مِنْ غَيْرِ شَامٍ] ^(٢)
كَأَنَّ بِهَا حَمَامَاتٍ ثَلَاثًا مَثَلْنَ وَلَمْ يَطِرْنَ مَعَ الْحَمَامِ

وقال العرجي :

وَمَرِيضٌ أَفْرَاسٍ وَخَيْمٌ مُصْرَعٌ وَهَابٍ كَجُثْمَانِ الْحَمَامَةِ هَامِدٌ ^(٣)

وقال البعيث :

وَسَفْعٌ ثَوَيْنَ الْعَامَ وَالْعَامَ قَبْلَهُ وَسَحَقٌ رَمَادٍ كَالنَّصِيفِ مِنَ الْعَصَبِ ^(٤)

(بعض ما قيل من الشعر في نوح الحمام ، وفي بيوتها)

وقالوا في نوح الحمام ، قال جيران العود :

٧٤ واستقبلوا وادياً نوح الحمام به كآته صوت أنباطٍ مثا كيل ^(٥)

(١) الخد : موضع الخد ، وهو الشق . والوحى : الكتابة . والإمام : الكتاب .
وفي القرآن الكريم : « يوم ندعو كل أناس بإمامهم » أى كتابهم .

(٢) لوحن : غيرهن النار . وعنى بالخوالد الأثافي لأنهن يبقين بعد هجرة أصحابهن
ودروس ربوعهم . والشام : جمع شامة ، وهو الأثر الأسود في البدن ، أو الأرض .

(٣) الخيم : أعواد تنصب في القipzig وتجعل لها عوارض وتظلل بالشجر فتكون أبرد
من الأخبية . وقيل : هى عيدان يبنى عليها الخيام . والهابي : الرقيق الدقيق المرتفع ،
وأراد به الرماد .

وقيل البيت كما في ديوان العرجي ١١٧ :

فؤادك أن يحتاج لما بدا له رسوم المغاني والأثافي الرواكد

(٤) النصيف : ماله لوزان . والعصب : ضرب من البرود العينية ، يعصب غزلها
أى يجمع ويشد ، ثم يصنع وينسج فيأتى موشياً ، لبقاء ما عصب منه أبيض
لم يأخذه صبغ .

(٥) ط : « وديا » .

وقالوا في ارتفاع مواضع بيوتها وأعشاشها . قال الأعشى :

ألم تر أن العرُض أصبح بطنه نخيلاً وزرعاً نابتاً وفصافصاً (١)
وذا (٢) شُرُفات يقصرُ الطرفُ دونَه تَرى للحمام الورق فيه قرامصاً (٣)

وقال عمرو (٤) بن الوليد :

فبتدلتُ من مساكنِ قومي والقُصورِ التي بها الآطامُ
كلَّ قصرٍ مشيدٍ ذى أواسٍ تنغى على ذراه الحمام (٥)
والحمام أيضاً ربما سكن أجواف (٦) الرِّكايا ، ولا يكون ذلك إلا
للوحشى منها ، وفي البير التي لاتورد . قال الشاعر :

بدلو (٧) غير مُكربّة أصابت (٨) حماماً (٩) في مساكنه فطاراً

يقول : استقى بسفرتِه (١٠) من هذه البئر ، ولم يستقِ بدلو . وهذه

بئر قد سكنها الحمام لأنّها لاتوردُ .

(١) الفصافص : جمع ففصص أو ففصصة ، بكسر الفاءين من كل منهما ، وهى رطب القوت .

(٢) ط ، س : « وذى » .

(٣) القرامص : جمع قرهوص ، بضم القاف ، وهو عش الحمام . وقد حذف ياء القراميص للشعر .

(٤) ل : « عمر » ، وهو تحريف ما أثبت من ط ، س . وانظر تحقيق السابق في التنبيه الثانى ص ٢٠٨ حيث تجد ترجمته .

(٥) سبق الكلام فى شرح الشعر وأصله ص ٢٠٨ .

(٦) ط ، ل : « أجواف » جمع جرف ، والمراد به الحفرة فى جدار الركبة .

(٧) ط : « بدلو » وصوابه فى ل ، س .

(٨) كذا فى ل : وهو الصواب . وفى ط : س : « أطابت » . والمكربة :

ذات السكر بالتحريك ، وهو حبل الدلو .

(٩) ط : « حماما » وهو تطبيع .

(١٠) السفرة : ما يضع فيه المسافر طعامه ، وأكثر ما يكون ذلك جلدأ مستديراً . ط :

« بملغوة » س : « بملغوة » .

وقال جهم بن خلف^(١) :

وقد هاج شوقى أن تغنت حمامةً مطوّقةً ورقاء تصدحُ في الفجرِ
هتوفُ تبكيُّ ساقَ حرٍّ ، ولن ترى لها دَمعةً يوماً على خدِّها تجرى
تغنتُ^(٢) بلحنٍ فاستجابت لصوتها نوائحُ بالأصياف^(٣) في فنِّ السدرِ^(٤)

إذا فترتُ كرتُ بلحنٍ شجِّ لها^(٥)

يُهَيِّجُ^(٦) للصبِّ الحزينِ جوى الصِّدرِ
دعتهنَّ مطرابُ العشيَّاتِ والضُّحَى بصوتٍ يهيجُ المستهَامَ على الذِّكرِ
فلم أرَ ذا وجدٍ يزيدُ صبايةً عليها، ولا شكلي تبكيُّ على بكرِ^(٧)
فأسعدتها بالنوحِ حاءٌ كأنما شرِّبَ سُلَافاً من معتقةِ الحمرِ^(٨)
تجاوبنَ لحناً في الغُصونِ كأنها نوائحُ ميّتٍ يلتدمنُ لدى قبرِ^(٩)
بسرةٍ وادٍ من تبالةٍ مُونِقٍ كسا جانبيه الطلحُ واعتمَّ بالزهرِ^(١٠)

(١) جهم بن خلف المازني : راوية عالم بالغريب والشعر في زمان خلف والأصمعي ، وله شعر في الحشرات والجراح من الطير . الفهرست ٤٧ ليسك ٧٠ مصر . ط ، س : « بن ضابي » وأثبت ما في ل .

(٢) ل : « فغنت » والأجزل ما أثبت من ط ، س .

(٣) الأصياف : جمع صيف . ط ، س : « بالأصناف » ل : « بالأصياف » وهما تصحيف .

(٤) السدر : شجر النبق . وقد أراد بكلمة « فن » الأفنان : أى الأغصان ، أطلق المفرد وأراد الجمع وذلك كثير في كلامهم .

(٥) ط ، س : « شجونها » .

(٦) ط ، س : « يهيج » .

(٧) يزيد صباية ، أى تكون صبايته أشد وأعنف من صبايتها . ط ، س : « على وكر » والوجه ما أثبت من ل .

(٨) ل : « فأسعدتها بالهوج » ! وجعلهن قد شربن الخمر لما كان لهن من شدة الصوت ؛ فعل العريبيد .

(٩) يلتدمن ، من الالتدام ، وهو ضرب المرأة صدرها في النياحة .

(١٠) تبالة : موضع ببلاد اليمن ، حيث الشجر والنضرة . والطلح : شجر عظام . ط ، س : « الزهر » .

(استطراد لغوى)

ويقال : هدر الحمام يهدر . قال : ويقال في الحمام الوحشى من التمارى
والفواخيتِ والدَّباسى وما أشبه ذلك : قد هدل يهدل هديلاً . فإذا طرَّب
قيل غرَّد يغرد تغريداً . والتغريد يكون للحمام والإنسان ، وأصله من الطير .
وأما أصحابنا فيقولون : إنَّ الجمل يهدر ، ولا يكون باللام ، والحمام يهدل ٧٥
وربما كان بالراء .

وبعضهم يزعم أنَّ الهديلَ من أسماء الحمام الذكر . قال الراعى
وأسمه عبيد بن الحصين - :

كهداهدٍ كسَرَ الرُّماةُ جَنَاحَهُ يدعُو بقارِعَةِ الطَّرِيقِ هديلاً (١)

(ساق حُرٌّ)

وزعم الأصمعى أنَّ قوله : « هتوفُّ تبكى ساقَ حُرٍّ » إنما هو حكايةُ
صوت وحشيِّ الطير من هذه النَّوَاحَاتِ . وبعضهم يزعم أنَّ « ساق حُرٌّ »
هو الذكر ، وذهب إلى قول الطَّرِمَّاحِ في تشبيه الرَّمَادِ بالحمام ، فقال :

بين أَظَارِ بِمَظْلُومَةٍ كَسَرَاةِ السَّاقِ ساقِ الحِمَامِ (٢)

(١) الهداهد : الهدهد . وقد شبه بذلك الهدهد الذى كسر جناحه ، رجلاً أخذ
المصدق إبله . وقبل البيت :

أخذوا حولته فأصبح قاعداً لا يستطيع عن الديار حويلا
يدعو أمير المؤمنين ودونه خرق تجر به الرياح ذيولا
وهو من قصيدة طويلة عدة أبياتها تسعة وثمانون ، ذكر منها البغدادي
في الخزانة (٣ : ١٣١ سلفية) أربعة وعشرين .

(٢) الأظار : الأثافي . والمظلومة : الأرض حفرت في غير موضع حفر . والسراة :
الظهر . ط ، س : « كسرات » تحريف . والساق : الحمام . وقصيدة البيت
في ديوان الطرماح ٩٥ - ١١٠ . والبيت في ص ٩٦ . والقصيدة من بحر المديد يصح
في رويها الإسكان والكسر ، كما في تكملة الصاغاني .

(صفة فرس)

وقال آخر^(١) يصف فرساً :

يَنْجِيهِ مِنْ مِثْلِ حَمَامٍ^(٢) الْأَغْلَالَانِ رَفَعُ يَدٍ عَجَلَى وَرِجْلٍ شِمَالًا
* تَظْمًا مِنْ تَحْتُ وَتُرْوَى مِنْ عَالٍ^(٣) *

الأغلال^(٤) : جمع غلّيل ، وهو الماء الذى يجرى بين ظهري الشجر^(٥)

قال : والمعنى : أن الحمام إذا كان يريد الماء فهو أسرع لها . وقوله : شمالاً
أى خفيفة .

باب^(٦)

ليس فى الأرض جنسٌ يعتريه الأوضاح والشّيات ، ويكون فيها
المصمت والبهيم أكثر ألواناً ، [و] من أصناف التّحاسين^(٧) ما يكون
فى الحمام ، فما ما يكون أخضر مصمتاً ، [وأحمر مصمتاً] ، وأسود

(١) هو دكين الراجز ، كما فى اللسان (غلل) .

(٢) يقول : ينجى هذا الفرس من خيل سراع فى الغارة كالحمام الواردة . ل :

« حمام » تصحيف .

(٣) تظماً : أى تكون متوترة ليس فيها رهل ، وذلك محمود فى الفرس . وفى الأصل :

« يظماً » . وتروى : أى يكثر لحمها . من عال : من أعلى .

(٤) قبل هذه الكلمة فى ط ، س كلمة : « حمام » وليس يتطلبها الكلام .

(٥) بين ظهري الشجر : وسطه . ومثله بين ظهرائيه .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من ل ، وبدلها : « وقال صاحب الحمام » .

(٧) التحاسين : جمع تحسين . وفى ط : « التحاسين » ، وهو تصحيف .

مصمتا ، [وأبيض مصمتا^(١)] ، وضروبا من ذلك ، كلها مصمتة . إلا أن الهداية للخضر والنمر^(٢) . فإذا ابيض الحمام [كالفقيع] فثله من الناس الصقلابي^(٣) ، فإن الصقلابي^(٣) فطير^(٤) خام^(٥) لم تنضجه الأرحام ؛ [إذ كانت الأرحام] في البلاد التي شمسها ضعيفة .

وإن اسود^(٦) الحمام^(٦) فإنما ذلك احتراق ، ومجازة لحد النضج . ومثل [سود الحمام^(٧)] من الناس الزنج ؛ فإن أرحامهم تجاوزت حد الإنضاج إلى الإحراق ، وشيئت^(٨) الشمس شعورهم فتقبضت . والشعر إذا أدنيت^(٩) من النار تجعد ، فإن زدته تفلفل^(٩) ، فإن زدته احترق .

وكما أن عقول سودان الناس وحرايمهم دون عقول السم ، كذلك بيض الحمام وسودها دون الخضر في المعرفة والهداية .

(١) الزيادة من ل ، س . والمراد بالمصمت : الخالص .

(٢) النمر : جمع أعر ، وهو ما فيه نمرة بيضاء وأخرى سوداء .

(٣) كذا جاء . والوجه « صقلابي » ، نسبة إلى صقلاب ، وهو موضع بصقلية ، وآخر بين بلغار والقسطنطينية .

(٤) فطير : لم ينضج . وفي ط : « قطر » وتصحيحه من ل ، س .

(٥) الحمام : أصل معناه الدبس الذي لم تمسه النار ، وكذلك الجلد لم يدبغ أو لم يبالغ في دبغه ، وهي كلمة معربة . ط ، س : « خاص » تحريف .

(٦) ط : « أسود » وهو خطأ .

(٧) بدل هذه الزيادة المثبتة من ل ، كلمة « به » في ط ، س .

(٨) شيطت : أحرقت . ط : « كشتت » س : « نشطت » تحريف ما أثبت من ل .

(٩) يقال شعر مفلقل : شديد الجمودة . في الأصل : « تقلقل » وهو تصحيف .

(استطراد لغوى)

وأصل الخضرة إنما هو لون الرِّيحانِ والبقولِ (١) ، ثمَّ جعلوا بعدُ الحديدَ أخضرَ ، والسماءَ خضراءَ ، حتَّى سَمَّوا بذلك الكُحْلَ واللَّيْلَ . قال الشَّامِخُ بنُ ضرارٍ :

٧٦ ورُحْنٌ رَوَاحاً مِنْ زَرُودٍ فَنَازَعَتْ زُبَالَةَ جَلْبَابَا مِنَ اللَّيْلِ أَخْضَرَا (٢) وقال الرَّاجِزُ :

حَتَّى انْتَضَاهُ الصُّبْحُ مِنْ لَيْلٍ خَضِرٍ (٣) مثلَ انْتِضَاءِ البَطْلِ السَّيْفِ الذِّكْرَ (٤) * نَضُو هُوَى بِالِ عَلَى نِضْوٍ سَفَرٍ (٥) *

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ . مُدْهَامَتَانِ ﴾ ، قال : خضروان من الرُّى سوداوان . ويقال : إن العراقَ إنما سَمِّيَ سواداً بلون السَّعْفِ الذى فى النَّخْلِ ، ومائه .

والأسودان : الماء والتمر . والأبيضان : الماء واللبن . والماء (٦) أسودٌ إذا كان مع التَّمْرِ ، وأبيضٌ إذا كان مع اللَّبَنِ .

(١) ل : « إنما هو للريحان والبقول » .

(٢) يدل هذا البيت جميعه فى ط ، س : « فنازعت جلبابا من الليل أخضراً » ، وأثبت البيت كاملا من ل . على أن صواب روايته : « وراحت رواحا » لأنه فى صفة ناقة واحدة كما فى الديوان ص ٣١ وماقبلها وكما فى رسائل الجاحظ ٧٠ . وزرود : رمال بين الثعلبية والغزيمية . وزبالة ، بالضم : منزل بطريق مكة من الكوفة .

(٣) الرواية فى رسائل الجاحظ : « حتى انتضاني » .

(٤) السيف الذكر : الجيد الحديدية الشديدها . ل : « الليل الذكر » تحريف .

(٥) عنى بالنضو البالى : الراكب . وبالنضو الآخر : مركبه من الإبل .

(٦) ل : « فالماء » .

ويقولون : سَوْدُ البَطُونِ وَحُمْرُ السُّكْلِ^(١) ، ويقولون : سود الأكباد
يريدون العداوة ، وأن الأحقاد قد أحرقت أكبادهم^(٢) . ويقال للحافر أسود
البطن ، لأن الحافر لا يكون في بطونها شحم^(٣) .

ويقولون : نحن بجيرٍ ما رأينا سواد فلان بين أظهرنا ، يريدون شخصه .
وقالوا : بل يريدون ظلّه .

فأما خضراً محارب^(٤) ، فإنما يريدون السُّود^(٥) وكذلك : خضراً غسان .
ولذلك قال الشاعر :

إن الخضارمة الخضرة الذين غدوا أهل البريص ثمانٍ منهم الحكم^(٦)
ومن هذا المعنى قول القرشي^(٧) في مديح نفسه :

(١) الكلى : جمع كلية . وفي الأصل : « سود البطن حمر الكلا » ، وذا
تحريف وتشويه .

(٢) كذا في ل . وفي ط ، س : « كالأحقاد أحرقت الأكباد » ، تحريف .

(٣) كذا في ل ، س . وفي ط : « لأن الحوافر لا يكون في بطونها شحم » .

(٤) هم بنو محارب بن خصيفة بن قيس عيلان .

(٥) كذا في ل . وفي ط ، س : « السود » وليس مراداً ، وجاء في الرسائل
٧٢ ساسي : « وقد فخرت خضرة محارب بأنها سود ، والسود عند العرب الخضرة » .

(٦) الخضارمة : جمع خضرم ، بكسر الخاء والراء - وهو السيد الجمول . وفي الأصل :
« الخضارمة » وصوابه في رسائل الجاحظ . والبريص ، بالصاد المهملة : اسم نهر
دمشق ، حيث ملك الغساسنة . وفي الأصل : « البريص » بالصاد المعجمة ، خطأ
تصويبه من الرسائل . وفي الرسائل : « ثمان » ، أي ارتفع نسبي إليه .

(٧) هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة الخزومي كما في رسائل الجاحظ ٧١ أو الفضل
ابن العباس اللهبي ، كما في الرسائل أيضاً والكمال ١٤٣ ليسك ومعجم المرزبان
٣٠٩ وكتايبات الجرجاني ٥١ والأضداد ٣٣٥ . وهذه الأخيرة هي التسمية
الصحيحة . وابن الأنباري في الأضداد يرى أن معنى الخضرة السخاء والعتاء .

وأنا الأَخْضَرُ مَنْ يَعْرِفُنِي أُخْضِرُ الْجُلْدَةَ فِي بَيْتِ الْعَرَبِ
وإذا قالوا : فلان أخضر القفا ، فإنما يعنون به أنه قد ولدته سوداء .
وإذا قالوا : فلان أخضر البطن ، فإنما يريدون أنه حائك ، لأنَّ الحائك
بطنه لطول^(١) النزاهة بالخشبة التي يطوى عليها الثوب يسود .

(عداوة العروضي للنظام)

وكان سبب عداوة العروضي^(٢) لإبراهيم النظام ، أنه كان يسميه
الأخضر البطن ، والأسود البطن ؛ فكان يكشفُ بطنه للناس — يريدُ
بذلك تكذيبَ أبي إسحاق — حتى قال له إسماعيل بن غزوان : إنما يريد
أنك من أبناء الحاكة ! فعاداه لذلك .

(استطراد لغوى)

فإذا قيل أخضر للتواجد ، فإنما يريدون أنه من أهل القرى ، ممن
يأكل الكُرَّاث والبصل .
وإذا قيل للشور : خاضب ؛ فإنما يريدون أنَّ البقل قد خَضِبَ أظلافه
بالخضرة . وإذا قيل للظلم : خاضب ، فإنما يريدون^(٣) حمرةً وظيفيه^(٤)

(١) ل : « لأن بطن الحائك » . والحائك : النساج .
(٢) اسمه عبد الله ، كما ورد في البخلاء ص ٤٥ ، وهو من معاصري الجاحظ .
(٣) كذا في س . وفي ط ، ل : « يرون » .
(٤) الوظيف : مستدق الذراع والساق . ل : « وظيفه » . ط : « وظيفه » .
وهذه تحريف .

فإنهما يَحْمَرَانِ فِي الْقَيْظِ ، وَإِذَا قِيلَ لِلرَّجُلِ خَاضِبٌ ، فَإِنَّمَا يَرِيدُونَ الْحِنَاءَ
فَإِذَا كَانَ خَضَابُهُ بِغَيْرِ الْحِنَاءِ قَالُوا : صَبَّغَ (١) وَلَا يُقَالُ خَضِبَ .

وَيَقُولُونَ فِي شَبِيهِهِ بِالْبَابِ الْأَوَّلِ : الْأَحْمَرَانِ : الذَّهَبُ وَالزَّرْعَفْرَانُ
وَالْأَبْيَضَانِ : الْمَاءُ وَاللَّبَنُ ، وَالْأَسْوَدَانِ : الْمَاءُ وَالتَّمْرُ .

وَيَقُولُونَ : أَهْلَكَ النَّسَاءُ الْأَحْمَرَانِ (٢) : الذَّهَبُ وَالزَّرْعَفْرَانُ ، وَأَهْلَكَ
النَّاسَ الْأَحْمَارِ : الذَّهَبَ ، وَالزَّرْعَفْرَانَ ، وَاللَّحْمَ ، وَالْحَمْرَ .

وَالجَدِيدَانِ : اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، وَهُمَا الْمَلُونِ (٣) .

وَالعَصْرُ : الدَّهْرُ ، وَالعَصْرَانُ : صَلَاةُ الْفَجْرِ وَصَلَاةُ الْعِشَاءِ (٤) ،

وَالعَصْرَانُ : الْغَدَاةُ وَالْعَشِيَّةُ ، قَالَ الشَّاعِرُ (٥) :

وَأَمْطَلَهُ الْعَصْرَيْنِ حَتَّى يَمُدَّنِي

وَيَرْضَى بِنِصْفِ الدِّينِ وَالْأَنْفِ رَاغِمٌ

(١) ط ، س : « صبغ » وصوابه في ل .

(٢) كذا في ل ، وهو الصواب . وفي ط : « الأحمران » وفي س :
« الأحامر يراد » . وانظر جنى الجنتين للمجيبى ١٦ - ١٧ .

(٣) كذا في ل وهو الصواب . وفي ط ، س : « لونان » .

(٤) جاء في الحديث : « حافظ على العصرين » أي صلاة الفجر وصلاة العصر ، وسميا
العصرين لأنهما يقعان في طرفي العصرين ، وهما الليل والنهار . وجاء أيضا تفسيره
في الحديث : « قيل : وما العصران ؟ قال : صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل
غروبها » . وكلمة : « الفجر » هي في الأصل « العصر » محرفة . و « صلاة
العشي » بدلها في ط ، س : « المشاء » وهو تحريف أيضا .

(٥) هو عبيد بن الأبرص الأسدي كما في حاشية البحترى ٤١٥ . وقوله :

ألين إذا لان الغريم وألتوى إذا اشتد حتى يدرك الدين قاتلي

(٦) روى : « وأنظله » في أمالي المرتضى (٢ : ٣٨) وهي لغة . وكلمة « راغم »

هي في ط : « زاغم » وتصحيحه من ل ، س واللسان والأضداد ١٧٥

ومحاضرات الراغب (١ : ٢٢٩) حيث تجد نظائر هذا المعنى .

ويقال : « البائعان بالخيار » وإنما هو البائع والمشتري^(١) ، فدخل
المبتاع في البائع .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَالْأَبْوِيهَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا
تَرَكَ ﴾ ، دخلت الأم في اسم الأبوة ، كأنهم يجمعون على أنبه^(٢) الاسمين
وكتهولهم : ثبيرين^(٣) ، والبصرتين^(٤) . وليس ذلك بالواجب ؛ وقد قالوا :
سيرة العمرين ، وأبو بكرٍ فوقَ عمر ، قال الفرزدقُ :
أخذنا بآفاقِ السماءِ عليكم لنا قمرًاها والنجومُ الطَّوالعُ
وأما قولُ ذى الرِّمةِ :

وليلٍ كجلبابِ العروسِ ادرعته بأربعةٍ والشخصُ في العينِ واحدٌ^(٥)
فإنه ليس يريد لونَ الجلبابِ ، ولكنه يريد سُبوغه .

(١) ل : « فإتما هو بائع ومشتري » .

(٢) أنه الاسمين : أشهرهما وأعرفهما . وفي ط ، س : « ابته » وصوابه في ل .

(٣) ثبيران : هما ثبير وحراء كما في المزهري (٢ : ١٢٢) ، وهما جبلان متقابلان من
جبال مكة ، وفي ثانيهما الغار المشهور . وبدل ما أثبت من ل في كل من ط ،
س : « كالبجرين والمسلمين والزهدمين » .

(٤) البصرتان : البصرة والكوفة ، والأولى أقدم من الثانية .

(٥) ادرعته : لبسته كما يلبس الدرع . وقد فسر ذو الرمة الأربعة التي شخصها واحد
في العين ، أي التي يراها الناظر شخصاً واحداً ، بقوله بعده :

أحم علاقٍ وأبيض صارم وأعيس مهري وأروع ما جد

فالأحم العلاقي ، بكسر العين ، هو الرخل . والأحم : الأسود . والعلاقي : المنسوب
إلى علاف : رجل من الأزدي صانع للرجال . والأبيض الصارم عنى به سيفه القاطع .
والأعيس : الذي خالط بياضه شقرة . وعنى جملة . والمهري : منسوب إلى مهرة بن
حيدان . والأروع : الذي يعجبك حسنه . وعنى نفسه .

وللشمر حديث في ديوان المعاني (٢ : ٣٤٢) والعمدة (٢ : ٢٩)
والصناعتين ٢٢١ .

(جواب أعرابيّ)

قال : وكذلك قول الأعرابيّ حين قيل له : بأى شيء تعرف حملَ شاتِك ؟ قال : « إذا استفاضتُ خاصرتُها ، ودجتُ شعرَتُها (١) » . فاللداجي هاهنا اللابس .

قال الأصمعيّ ومسعود [بن فيد (٢)] الفزاريّ : ألا ترونه يقول : « كان ذلك وثوبُ الإسلامِ داجٍ » . وأما لفظ الأصمعيّ فإنه قال : كان ذلك منذُ دجا الإسلام . يعني أنه ألبس كلَّ شيء (٣) .

(شِيَاتِ الحِمَامِ)

ثمّ رجع بنا القول إلى ذكر شِيَاتِ الحِمَامِ .

وزعموا أنّ الأوضحَ كلّها ضعفٌ ، قليلها وكثيرها ، إلا أنّ ذلك بالحِصصِ على قدر الكثرة والقلة ، كذلك هي في جميع الحيوانِ سواءً مستقبلُها ومستدبرُها . وذلك ليس بالواجبِ حتى لا يغادر شيئاً ألبتة ؛ لأنّ الكلبةَ السُّلوقيّةَ البيضاءً أكرمُ وأصيدُ ، وأصبرُ من السوداءً (٤) .

والبياضُ في الناسٍ على ضروبٍ : فالمعيبُ منه بياضُ المُعْرَبِ (٥)

(١) انظر ٥ : ٤٨٢ .

(٢) هذه الزيادة المبنية من ل ، هي في الأصل « قيد » بالتفاف . وصوابه ما أثبت .

(٣) أى قوى وانتشر ، كما في اللسان (دجا) .

(٤) ط ، س : « السواد » ، وصوابه في ل .

(٥) المُعْرَبُ بضم الميم وفتح الراء : ما كل شيء منه أبيض . ط : « البياض المُعْرَب »

وتصحّحه من ل ، س .

والأشقرُّ والأحمرُّ أقلُّ في الضعف والفسادِ ، إذا (١) كان مشتقاً من بياضِ
البَهَقِ والبرَصِ والبرَّاشِ [والشيب] .

والمغربُّ عند العرب لا خير فيه ألبتَّة . والفقيع (٢) لا يُنجب ، وليس
عنده إلا حسنُ بياضه ، عند من اشتبهى ذلك .

(سوابق الخليل)

وزعم ابن سلام الجُمحى أنَّه لم يرقطُ بلقاء ولا أبلق [جاء] سابقاً .
وقال الأصمعيُّ : لم يسبق الحلبَّة أهضمُّ قطُّ ؛ لأنهم يمدحون المُجفَّرَ (٣) من
الخليل ، كما قال (٤) :

٧٨ خِيطَ عَلَى زَفْرَةٍ فَتَمَّ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَى دِقَّةٍ وَلَا هَضَمٍ (٥)
ويقولون : إنَّ الفرسَ بعُنُقِهِ وبطنِهِ .

وخبرني بعض أصحابنا ، أنَّه رأى فرساً للمأمون بلقاء سبقتِ الحلبَّة .
وهذه نادرةٌ غريبة .

(١) كذا في ل ، س . وفي ط : : « وإذا » .

(٢) الفقيع : الأبيض من الحمام .

(٣) المجفَّر ، بضم الميم وفتح الفاء : الواسع الجفرة بالضم ، وهي وسط الفرس .

(٤) هو النايفة الجملى ، كما في أدب السكاكيب ٨٩ والاقْتِضَاب ٣٣٠ .

(٥) يقول : كأنه زفر زفرة امتلأ جوفه بها ثم خيط على ذلك فلم تلحقه دقة ولا هضم .
والهضم (بالتحريك) : استقامة الضلوع وانضمام أعالي البطن . وهذا البيت ساقط
من ل . وقد أصلحته من اللسان والمصدرين السابقين . وهو في ط : س
محرف هكذا :

خِيطَ عَلَى زَفْرَةٍ قَمْ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَى دِقَّةٍ وَهَضَمٍ

(نظافة الحمام ونفع ذرقه)

والحمام طائر ألوف مألوف ومحَبَّب ، موصوفٌ بالنظافة ، حتى إن ذرقه لا يعاف^(١) ولا تنن له ، كسلاح^(٢) الدجاج والديسكة . وقد يُعالج بذرقه صاحبُ الحصة . والفلاحون يجدون فيه أكثرَ المنافع . والحبَّاز يُلقي الشيء منه في الحمير لينتفخ العجينُ ويعظمَ الرغيف ، ثم لا يستبينُ ذلك فيه . ولذرقه غلاتٌ ، يعرف ذلك أصحاب الحَجَر . وهو يصلحُ في بعض وجوه الدَّبغ .

باب (٣)

[وقال صاحبُ الديك] : الحمامُ طائرٌ لئيمٌ قاسى القلب ، وإن برَّ بزعمكم^(٤) ولدَ غيرهه ، وصنعَ به كما يصنع بفرخه ، وذلك أنهما يحضنان كلَّ بيض ، ويزقان كلَّ فرخ ، وما ذاك منهما إلا في الفَرط .

(لؤم الحمام)

فأمَّا لؤمه فن^(٥) طريق الغيرة ، فإنه يرى بعينه الذَّكَرَ الذى هو أضعف منه ، وهو يطردُ أنشاه ويكسحُ بذيَّنه حَوْ لها ، ويتطوَّس^(٦) لها

(١) لا يعاف : لا يكره .

(٢) السلاح ، بالضم : النجو .

(٣) ليست في ل .

(٤) كذا في ط ، س . وفي ل : « وإن برعم بیره » ، وليس يستقيم هذا .

(٥) كذا في ل . وبدلها في ط س : « في » وأثبت الصواب .

(٦) التطوَّس : التزيين . ويراد به هنا إبداء المحاسن في الشكل والحركة .

ويستميلها ، وهو يرى ذلك بعينه - ثم لم نر قط ذكراً واثبَ ذكراً عند مثل ذلك .

فإذا قلت : إنّه يشتدُّ عليه ويمنعه إذا جثمت^(١) له وأراد أن يعلوها ؛ فكلُّ ذكر وأنثى هنالك يفعل ذلك ، وليس ذلك من الذكر الغريب من طريق الغيرة ، ولكنّه ضربٌ من البُخل ومن النفاسة^(٢) . وإذا لم يكن من ذكرها إلاّ مثل ما يكون من جميع الحمام علم أنّ ذلك منه ليس من طريق الغيرة . [وأنا رأيت النواضح تفعل ذلك ، وتقطع على الذكر بعد أن يعلو على الأنثى] .

قال : وأمّا ما ذكرتم من أن الحمام معطوفٌ على فراخه ما دامت محتاجةً إلى الزقّ ، فإذا استغنت نُزعت منها الرحمة ، فليس ذلك كما قلت . الحمام طائرٌ ليس له عهد ؛ وذلك أنّ الذكرَ ربما كانت معه الأنثى السنين ، ثمّ تُنقلُ عنه وتُوَارَى [عنه] شهراً واحداً ، ثمّ تظهر له مع زوجٍ أضعفَ منه ، فيراها طولَ دهره وهي إلى جنب بيته وتماريده^(٣) فكأنه لا يعرفها بعد معرفتها الدهرَ الطويل^(٤) ، وإمّا غابت عنه الأيام اليسيرة . فليس يوجّه^(٥) ذلك الجهلُ الذي يُعامل به فراخه بعد أن كبرت ، إلاّ على

(١) جثمت : لزمت مكانها أو وقعت على صدرها . وبدلها في ط : « اجتمعت » .

(٢) النفاسة ، هنا ، من نفس عليه ، بكسر الفاء : حسده ، أو لم يره أهلاً .

(٣) التماريد : جمع تمارد بالكسر ، وهو بيت صغير في بيت الحمام لمبيضه . ط : « وبمراه » . س : « بمرداته » وهذه محرفة .

(٤) ل : « بعد معرفة » . ل : س : « العمر الطويل » .

(٥) كذا الصواب في ل ، س . وفي ط : « يوجد » .

الغباوة وسوء الذكر ، وأن الفرخ حين استوى ريشه وأشبهه غيره من الحمام
جهل الفصل (١) الذي بينهما .

٧٩ فإن كان يعرف أنثاه وهو يجدها مع ذكرٍ ضعيف وهو مسلمٌ لذلك
وقانعٌ به ، وقليلُ الاكتراث به ، فهو من لؤمٍ في أصل الطبيعة .

(قسوة الحمام)

قال : وبابٌ آخر من لؤمه : القسوة ، وهى أَلَمُ اللؤمِ ، وذلك أن الذكر
ربما كان فى البيت طائرٌ ذكرٌ قد اشتدَّ ضعفه ، فينقر رأسه والآخِرُ
مستخذٍ (٢) له ، قد أمكَّته من رأسه خاضعاً له ، شديدَ الاستسلام لأمره ،
فلا هو يرحمه لضعفهِ وعجزه عنه ، ولا هو يرحمه لخضوعه ، ولا هو يميلُ (٣)
وليس له عنده وتر . ثم ينقرُ يافوخه حتى ينقبَ عنه ، ثم لا يزال ينقرُ
ذلك المكانَ بعدَ النقبِ حتى يُخرجَ دماغه فيموتَ بين يديه :

فلو كان ممَّا يأكل اللحمَ واشتهى الدماغَ كان ذلك له عذراً ؛ إذ لم
يعدُ ما طبعَ الله عليه سباعَ الطير .

فإذا رأينا من بعض بهائمِ الطيرِ من القسوةِ ما لا نرى من سباعِ الطيرِ
لم يكن لنا إلا أن نقضىَ عليه من اللؤمِ على حسب مباينته لشكل

(١) الفصل بالصاد المهملة : أى الفرق . ط ، س : « الفضل » وليس بشيء .

(٢) مستخذ ، بالذال : خاضع . س فقط : « مستخز » ، وهو تصحيف .

(٣) ل : « ولا يميل » .

البهيمة ، ويزيد^(١) في ذلك على ما في جوارح الطير من^(٢) السَّبْعِيَّة .

(أقوال لصاحب الديك في الحمام)

وقال صاحب الديك^(٣) :

زعم أبو الأصبع بن ربيعي^(٤) قال : كان رَوْحُ أبو همام صاحب المعتمى ، عند منثى بن زهير ، فبينما هو يوماً وهو معه في السطح إذ جاء جماعة فصعدوا . فلم يلبث أن جاء آخرون ، ثم لم يلبث أن جاء مثلهم ، فأقبل عليهم فقال : أي شيء جاء بكم ؟ وما الذي جمعكم اليوم ؟ قالوا : هذا اليوم الذي يرجع فيه مزاجيل الحمام من الغاية . قال : ثم ماذا ؟ قالوا : ثم نتمتع بالنظر إليها إذا أقبلت . قال : لكنني أتمتع بتغميض العين إذا أقبلت ، وترك النظر إليها !! ثم نزل وجلس وحده .

(التلهي بالحمام)

وقال منثى بن زهير ذات يوم : ما تلهي الناس بشيء مثل الحمام ، ولا وجدنا شيئاً مما يتخذة الناس ويلعب به ويلهي به ، يخرج من أبواب

(١) ل : « وزيده » .

(٢) ط ، س : « مثل » وصوابه في ل .

(٣) هذه الجملة ليست في ط ، س . وبدلها كلمة « باب » .

(٤) ماعدال : « أبو الأصبع بن ربيعي » . وانظر ص ١٠٩ .

الهزل إلى أبواب الجِدِّ - كالحمام - وأبو إسحاق^(١) حاضر - فغاظه ذلك ،
وكظم على غيظه . فلمَّا رأى مَثْيًى سكوته عن الردِّ عليه طمع فيه فقال :
يبلغ والله من كرم الحمام ووفائه ، وثبات عهده ، وحنينه إلى أهله ، أنِّي
ربَّما قصصتُ الطَّائر^(٢) بعد أن طار عندي دهراً ، فتى نبت جناحه
كنباته الأوَّل ، لم يدعه سوء صنعي إليه إلى الذَّهاب عني . ولربَّما بعته
فيقصه المتباع حيناً ، فما هو إلاَّ أن يجد في جناحه قوَّةً على النهوض
[حتى أراه^(٣)] أتاني جادفاً أو غير جادف^(٤) . وربَّما فعلتُ ذلك به مراراً
كثيرة ، كلَّ ذلك لايزداد إلاَّ وفاء .

٨٠

قال أبو إسحاق : أمَّا أنت فأراك دائماً تحمده وتذمُّ نفسك . ولئن
كان رجوعه إليك من الكرم إنَّ إخراجك له من اللؤم ! وما يُعجبني
من الرِّجال من يقطع نفسه لصلاة طائر ، وينسى ما عليه في جنب ماللهيمة .
ثم قال : خبرني عنك حين تقول : رجعتُ إلى مرةً بعد مرةً ، وكلما زهدتُ
فيه كان فيَّ أرغب ، وكلَّما باعدته كان لي أطلب ؛ إليك جاء ، وإليك حنَّ
أم إلى عشه الذي درج منه ، وإلى وكره الذي رُبِّي فيه ؟ ! أرايت أن لو
رجعتُ إلى وكره وبيته ثمَّ لم يجدك ، وألفاك غائباً أو ميبَّتاً ، أكان يرجعُ
إلى موضعه الذي خلفه ؟ ! وعلى أنك تتعجب من هدايته ، وما لك فيه

(١) هو إبراهيم بن سيار النظام شيخ الجاحظ .

(٢) في الأصل : « قصصت الطائر دهرا » . وكلمة : « دهرا » مقحمة بلا ويب .

(٣) ليست بالأصل ، وزدتها تكلمة للكلام .

(٤) جدف الطائر جدوفا : طار وهو مقصوص .

مقالٌ غيره . فأماً شكركُ على إرادته لك ، فقد تبينَ خطأؤك^(١) فيه ،
وإنما بقي الآن حسنُ الاهداء ، والحنينُ إلى الوطن .

(مشابهة هداية الحمام لهداية الرخم)

وقد أجمعوا على أن الرِّخْمَ من لثام الطير وبغائها ، وليست من عتاقها
وأحرارها ، وهي من قواطع الطير ، ومن موضع مَقَطَعِهَا إلينا^(٢) [ثمَّ]
مرجعها إليه من عندنا ، أكثرُ وأطولُ من مقدارِ أبعدِ غايات حمامكم . فإن
كانتْ وقتَ خُروجها من أوطانها إلينا خرجتْ تقطعُ الصَّحارىَ والبرارىَ
والجزائرَ والغياضَ والبحارَ والجبالَ ، حتَّى تصيرَ إلينا في كلِّ عامٍ فإن قلت
إنها ليستْ تخرجُ إلينا على سمِّ ولا على هدايةٍ ولا دلالةٍ ، ولا على أمانةٍ
وعلامَةٍ ، وإنما هربتْ من الثَّوَجِ والبَرْدِ الشديدِ ، وعلمتْ أنها تحتاجُ إلى
الطَّعمِ ، وأنَّ الثلجَ قد ألبسَ ذلك العالمَ ، فخرجتْ هاربةً فلا تزالُ في هربها
إلى أن تصادفَ أرضاً خصباً^(٣) دفتاً ، فتقيمُ عندَ أدنى ماتجدُ - فما تقولُ فيها
عند رجوعها ومعرفتها بأحسارِ الثلوجِ عن بلادها ؟ ! أليست قد اهتدت^(٤)
طريقَ الرجوعِ ؟ ! ومعلوم عند أهل تلك الأطراف ، وعند أصحاب التَّجاربِ

(١) الخطاء ، كسحاب ، مثل الخطأ .

(٢) ط ، س : « إلى » ، وصوابه في ل .

(٣) يقال : أرض خصب وخصبة بكسرهما ، وخصبة بالفتح . بدلها في ل :

« بيضاء » وليس بشيء .

(٤) يقال هو يهدي الطريق ويهتدى الطريق بمعنى يعرفه .

وعند القانص ، أن طَيْرَ كُلِّ جَهَةٍ إِذَا قَطَعَتْ رَجَعَتْ إِلَى بِلَادِهَا وَجِبَالِهَا وَأَوْكَارِهَا ، وَإِلَى غِيَاضِهَا وَأَعْشِنِهَا (١) . فتجد هذه الصِّفَةَ فِي جَمِيعِ الْقَوَاطِعِ مِنَ الطَّيْرِ ، كَرَامِهَا كِلْتَامِهَا (٢) ، وَبِهَاتِمِهَا كِسْبَاعِهَا . ثُمَّ لَا يَكُونُ اهْتِدَاؤُهَا عَلَى تَمْرِينٍ وَتَوَطِينٍ ، وَلَا عَنِ تَدْرِيبٍ وَتَجْرِبٍ ، وَلَمْ تَلْقَنَّ (٣) بِالتَّعْلِيمِ ، وَلَمْ تُثَبِّتْ بِالتَّدْبِيرِ وَالتَّقْوِيمِ . فَالْقَوَاطِعُ لِأَنْفُسِهَا تَصِيرُ إِلَيْنَا ، وَلِأَنْفُسِهَا تَعُودُ إِلَى أَوْكَارِهَا . وَكَذَلِكَ الْأَوَابِدُ مِنَ الْحَمَامِ ، لِأَنْفُسِهَا تَرْجِعُ . وَإِلَيْهَا لِلْوَطَنِ إِفٌّ مُشْتَرَكٌ مَقْسُومٌ عَلَى جَمِيعِ الطَّيْرِ . فَقَدْ بَطَلَ جَمِيعُ مَا ذَكَرْتُ .

(قواطع السمك)

ثم قال : وأعجبُ من جميعِ قواطعِ الطَّيْرِ قواطعُ السَّمَكِ ، كالأَسْبُورِ (٤) وَالْجُؤَافِ (٥) وَالْبَرَسْتُوجِ (٦) ، فَإِنَّ هَذِهِ الْأَنْوَاعَ تَأْتِي دِجْلَةَ الْبَصْرَةِ مِنْ

(١) لم أر هذا الجمع لغير الجاحظ . والمعروف عشاش وعششة وأعشاش .

(٢) ط ، س : « ولثامها » وصوابه ما أثبت من ل .

(٣) كذا في ط ، س . وفي ل : « ولم تعلِّ » .

(٤) فصيلة الأسبور ، أسماك بحرية مشهورة ، منها المرجان ، والسرغوس ، والسرب والكحلاء ، ونحوها . معجم المعلوم ٢٣٢ . ولم أهد إلى ضبطه لأنه ليس من ألفاظ المعاجم المشهورة . وبدل هذه الكلمة في ط ، س : « الأشبور » وبدون إلحاق كاف التشبيه في أوله ، وهو تحريف . وجاء الكلام عليه في عجائب المخلوقات ١١٤ .

(٥) الجواف بالواو ، بوزن غراب ، كما في القاموس : ضرب من السمك . وقال صاحب عجائب المخلوقات : « ووصفه مثل وصف الأسبور » . وهذه الكلمة جاءت محرفة في س وعجائب المخلوقات بلفظ « الجراف » . وفي ط بلفظ « الجوان » وصوابه في القاموس و ل .

(٦) البرستوج ، هو في القاموس : « البرشتوك كسقتنقور : سمك بحري » قلت : هو =

٨٦ أقصى البحار ، تستعذبُ الماء في ذلك الإِبَّان ، كأنها ، تتحمَّضُ بِحلاوة الماء وعذوبتِه ، بعدَ مُلوحةِ البحر ؛ كما تتحمَّضُ الإِبْلُ فتطلب الحمضَ - وهو ملحٌ - بعدَ الخَلَّة - وهو ماحلاً وعذب .

(طلب الأَسَد للملح)

والأَسَدُ إِذَا أَكثَرَتْ مِنْ حَسْوِ الدِّمَاءِ - والدِّمَاءُ حَلْوَةٌ - وَأَكَلِ اللَّحْمِ وَاللَّحْمُ حَلْوٌ - طلبتِ المِلْحَ لتتملِّحَ^(١) به ، وتجعله كالحمض بعد الخَلَّة .
ولولا حُسْنُ مَوْجِ المِلْحِ لم يُدخِله النَّاسُ فِي أَكثَرِ طَعَامِهِمْ .
والأَسَدُ يَخْرُجُ لِلتَّمَلِّحِ ، فَلَا يَزَالُ يَسِيرُ حَتَّى يَجِدَ مَلاحةً^(٢) . وربَّما اعتادَ الأَسَدُ مَكَانًا فيجده ممنوعاً ، فلا يَزَالُ يَقطَعُ الفِراسِخَ الكَثِيرَةَ بَعْدَ ذَلِكَ^(٣) فإذا تَمَلَّحَ رَجِعَ^(٤) إِلَى مَوْضِعِهِ وَغَيْضَتِهِ وَعَرِينِهِ ، وَغَابَهُ وَعَرِيستِهِ^(٥) ، وَإِنْ كانَ الَّذِي قَطَعَ خَمْسِينَ فَرَسِحًا .

= معرب « پرستوك » ، وهو لفظ فارسي معناه الخطاف واحد الخطاطيف ، ولعل سبب تسميته بذلك أنه يشبه الخطاف في أنه من القواطع كما أن الخطاف من القواطع . وفي عجائب المخلوقات ١١٤ : « وحاله كحال الخطاطيف وغيرها من الطيور ينتقل من مكان إلى مكان » . وذكر البحريون أن البرستوج في الوقت الذي يوجد في البصرة لا يوجد بالزنج ، وفي الوقت الذي يوجد في الزنج لا يوجد في البصرة » . ط : « البرستوج » تصحيف .

- (١) كذا في ل . وفي ط ، س : « تستملح » .
- (٢) الملاحظة : منبت الملح أي معدنه . وأفعال هذه الجملة في س مبدوءة بالتاء ، فتقرأ « الأسد » بهذه جمعاً ، أي بضم الهمزة وإسكان السين .
- (٣) كذا في ل ، س . وفي ط : « وبعد ذاك » والواو مقحمة .
- (٤) س : « عاد » .
- (٥) الغاب : جمع غابة ، وهي الأجمة . والأوفق في هذه الكلمة أن تكون « وغابته »

(مجيء قواطع السمك إلى البصرة)

ونحن بالبصرة نعرف الأثْمُر التي يقبل إلينا فيها هذه الأصناف^(١) وهي تقبلُ مرتين في كلِّ سنة ، ثمَّ نجدُها في إحداهما أَسْمَنَ^(٢) الجنس فيقيم كلُّ جنس منها عندنا شهرين إلى ثلاثة أشهر ، فإذا مضى ذلك الأجلُ ، وانقضتْ عِدَّةُ^(٣) ذلك الجنس ، أقبل^(٤) الجنسُ الآخر . فهم^(٥) في جميع أقسام شهور السنَّة من الشتاء والرَّبيع ، والصَّيف والخريف ، في نوعٍ من السَّمك غيرِ النوع الآخر . إلاَّ أن البرَسْتُوجَ^(٦) يُقبِلُ إلينا قاطعاً من بلاد الزَّنْج ، يستعذب الماء من دجلةِ البَصْرَةِ ، يعرفُ ذلك جميعُ الزَّنْج والبَحْرِيَّين .

= بالإفراد ليتساقط الكلام ، ولكن هكذا وردت في ل . وفي ط ، س : « محرابه » ، وهو تحريف ظاهر . والعريسة ، بكسر العين وتشديد الراء المكسورة : مأوى الأسد ، ومثلها « العريس » بالضبط المتقدم ، وجاءت بهذه في ط ، س .

(١) كذا في ل . وبدل الكلمتين الأخيرتين في ط ، س : « الأشبور وأصناف

السمك » ، وكلمة « الأشبور » مصحفة سبق الكلام فيها ص ٢٥٩ .

(٢) بعد هذا اللفظ في ط فقط كلمة « الجنس » ، وليس لها وجه .

(٣) عدته أي عدد أيامه . وفي الكتاب العزيز : « ولتكلوا العدة » ط ، س :

« مدة » .

(٤) ط : « قبيل » صوابه في ل ، س .

(٥) فهم : أي فأهل البصرة . س « فيهم » تحريف .

(٦) ط : « البرسبوج » ، وهو تصحيف نهبت عليه ص ٢٥٩ - ٢٦٠ .

(٧) بلاد الزنج ، يراد بها ما يعرف الآن ببلاد الصومال الإيطالي وما جاورها من الجنوب

وأكبر بلادهم هي (مقدشو) كما ورد في معجم البلدان برسم (بحر الزنج) .

ولا تزال هذه المدينة عامرة إلى وقتنا هذا . وهي عاصمة بلاد الصومال .

(بَعْدُ بِلَادِ الزَّنْجِ وَالصِّينِ عَنِ البَصْرَةِ)

وهم يزعمون أنّ الذي بين البصرة والزنج ، أبعَدُ مما بين الصّين وبينها^(١)

وإنما غلظ ناسٌ فزعموا أنّ الصّين أبعَدُ ، لأن بحرَ الزنج^(٢) حفرةٌ واحدة عميقة^(٣) واسعة ، وأمواجها عظام ، ولذلك البحرُ ريحٌ تهبُّ من عُمان إلى جهة الزنج شهرين ، وريحٌ تهبُّ من بلاد الزنج تريدُ جهة عُمان شهرين ، على مقدّارٍ واحدٍ فيما بين الشدّة واللين ، إلا أنّها إلى الشدّة أقرب ، فلما كان البحرُ عميقاً والريحُ قويّةً ، والأمواجُ عظيمةً ، وكان الشراعُ لا يحطُّ ، وكان سيرهم مع الوتر ولم يكن مع القوس^(٤) ، ولا يعرفون الخبّ والمكلاً^(٥) ، صارت الأيامُ التي تسير فيها السفنُ إلى الزنجِ أقلّ .

(١) أى وبين البصرة . ط ، س : « بينهما » ، وصوابه في ل .

(٢) بحر الزنج ، هو الجانب الغربى من المحيط الهندى ، المجاور لبلاد الزنج . وانظر ٢٦١ .

(٣) ل : « عميمة » وصوابه في ط ، س .

(٤) المراد بالوتر الوتر الهندسى ، وهو الخط الذى يصل بين طرفى القوس . والوتر

أبدأ أقل من قوسه .

(٥) الخب ، بالكسر : اضطراب أمواج البحر . والمكلاً ، كمعظم : المرفأ .

يقول : لا يضطرب بهم الموج فيلجئهم إلى الرسو بجوار الساحل . ط : س :

« الجيب الميل » ، وهما على الصواب للذى أثبت في ل .

(البرستوج)

قال : والبرستوج^(١) سمكٌ يقطعُ أمواجَ الماء ، ويسبح^(٢) إلى البصرة
من الزنج ، ثم يعودُ مافصلَ عن صيدِ الناسِ إلى بلاده وبحره . وذلك أبعدُ
مما بين البصرة إلى العليق^(٣) المرارَ الكثيرة . وهم [لا]^(٤) يصيدون من
البحر فيما بين البصرة إلى الزنج^(٥) من البرستوج^(٦) شيئاً [إلا] في إبانِ
حجبتها إلينا ورجوعِها عنا^(٧) ، وإلا فالبحر منها فارغٌ خال .
فعامة الطيرِ أعجبُ من حمامكم ، وعامةُ السمكِ أعجبُ من الطيرِ .

(هداية السمك والحمام)

والطيرُ ذو جناحين ، يخلقُ في الهواء ، فله سرعةُ الدركِ وبلوغُ الغاية
بالطيران^(٨) ، وله إدراكُ العالمِ بما فيهِ بعلاماتِ وأماراتِ^(٩) إذا هو ٨٢

(١) ط : « والبرستوج » وصوابه في ل ، س . وانظر العقيقي في ص ٢٥٩ - ٢٦٠ .

(٢) كذا في ل ، ط . وفي س : « يسبح » بالموحدة .

(٣) كذا في ل ، ، وانظر ماسبق في ص ٢١٥ . ط : « العين » س : « العلين » .

(٤) الزيادة من ل ، س .

(٥) في ط فقط بعد هذه الكلمة : « ولا ترى » .

(٦) ط : « البرستوج » وهو تصحيف أنظر له ص ٢٥٩ - ٢٦٠ .

(٧) ل : « عنها » تحريف .

(٨) ط ، س : « والطيران » .

(٩) ل : « بعلاماته وأماراته » .

حَلَقٌ^(١) في الهواء ، وعلا^(٢) فوق كل شيء . والسَّمَكَةُ تَسْبِحُ في غَمْرِ البَحْرِ
والماء^(٣) ، ولا تَسْبِحُ في أعلاه . ونَسِيمُ الهواء الذي^(٤) يعيشُ به الطيرُ لو
دامَ على السمكِ ساعةً منَ نهارٍ لقتله^(٥)

وقال أبو العنبر^(٦) : قال أبو نخيلة الراجز^(٧) وذَكَرَ السمك :

تَغْمُهُ النَشْرَةَ^(٨) والنَسِيمِ فَلَإِ يَزَالُ مُغْرَقًا^(٩) يَعُومُ
فِي البَحْرِ والبَحْرُ لَهُ تَخْمِيمٌ^(١٠) وَأُمُّهُ الوَالِدَةُ الرَّءُومُ
* تَلْهَمُهُ جَهْلًا وَمَا يَرِيمُ *

(١) تحليق الطائر : ارتفاعه في طيرانه . ل : « تحلق » ، ولم أجد هذه إلا في تحلق
القمر : صارت حوله دوارة ، وتحلق القوم : جلسوا حلقة حلقة .

(٢) علا : ارتفع . ط : « على » تحريف .

(٣) ل : « غمر الماء » . وتجذ أنى ضبطت « تسبح » من التسيح ، وهو مراد
الجاحظ ، جاء في نقل الدميري : « قال الجاحظ : السمك يسبح الله في غمر الماء »
وانظر ما نقله عن صفوة الصفوة .

(٤) ط : « والذي » وصوابه في ل ، س والدميري .

(٥) قال الدميري معترضاً : « وما ذكره الجاحظ من كون النسيم يضر بالسمك فليس
على إطلاقه ، فإن الغزالي قد استثنى منه نوعاً لا يضره النسيم فقال : ومن السمك
نوع يطير على وجه البحر مسافة طويلة ثم ينزل » .

(٦) ط ، س : « ابن أبي العنبر » ل : « أبو العس » . وجاء في معجم المرزباني ٥١٣ :
« أبو العنبر بن أبي نخيلة ، ويقال هو أبو العبير » .

(٧) أبو نخيلة الراجز سبقت ترجمته في (٢ : ١٠٠) . في الأصل : « بن أبي نخيلة
الراجز » ، وقد أبدلته بما ترى .

(٨) ط : « النشرة » وصوابه في ل ، س واللسان (نشر) .

(٩) س : « معرقاً » وتصحيحه من ط ، ل واللسان .

(١٠) ط ، س والدميري : « حميم » ، وصوابه في ل واللسان .

يقول : النشرة والنسيم الذي يُجبي جميع الحيوانات ، إذا طال عليه
الْحُمُومُ^(١) وَاللَّخْنُ وَالْعَفَنُ ، والرُّطوباتُ الغليظة ، فذلك يغمُّ السَّمَكُ
ويكربُّه ، وأُمُّه التي ولدته تأكله ؛ لأنَّ السَّمَكَ يأكلُ بعضه بعضاً ، وهو
في ذلك لا يَرِيمُ هذا الموضع^(٢) .

وقال رؤبة^(٣) :

والحوت^(٤) لا يَكْفِيهِ شَيْءٌ يَلْهَمُهُ يُصْبِحُ عَطْشَانَ فِي الْمَاءِ فَهُ^(٥)
يصف طباعه واتصاله بالماء ، وأنه شديد الحاجة إليه ، وإن كان
غَرِقًا [فيه^(٦)] أبدا .

(١) الحُموم : العفن . ط ، س : « الحموم » وتصحيحه من ل واللسان .

(٢) رام الموضع يريمه : تركه .

(٣) في محاضرات الراغب (١ : ٣٠٤) نسبة الرجز إلى جرير والصواب ما هنا .
والبيتان من أرجوزة طويلة لرؤبة أولها كما في ديوانه ١٤٩ ، وشرح شواهد المغني ١٢٠ :

* قلت لزيير لم تصله مريمه *

(٤) الرواية الصحيحة : « كالحوت » . انظر المحاضرات وشرح شواهد المغني . وقد
روى البكري الأرجوزة في أراجيز العرب ١٣٩ - ١٥٥ . وقبل هذا البيت :

* أنك لم يخطئ به ترسمه *

يعني نفسه . ويخاطب أبا جعفر المنصور مادحاً .

(٥) استشهد به ابن سيده في المخصص (١ : ١٣٦) على أنه اضطر فقال « فه » وقال :
« وهذا الإبدال إنما هو في الأفراد » ، أي إبدال عين الكلمة بميم ، وكان ينبغي
أن يقول : « فوه » ، ولا يصح النطق بكلمة « فم » إلا حين إفرادها
عن الإضافة . قال البكري : « يقول : إنه لا يروى حتى يلتق المملوح » .

(٦) الزيادة من ل ، س .

(شعر في الهجاء)

وأنشدني محمد بن يسير لبعض المدنيين^(١) ، يهجو رجلا ، وهو قوله :
لو رأى في السقف فرجاً لنزاً حتى يموتاً^(٢)
أو رآه وسط بحرٍ صار فيه الدهر حوتاً^(٣)
قال : يقول في الغوص في البحر ، وفي طول اللبث فيه .^(٤)

(شعر في الضفدع)

وقال الذكواني ، وهو يصف الضفدع :
يدخل في الأشداق^(٥) ماءً ينصفه كما^(٦) ينق والنقيق يتلفه
قال : يقول : الضفدع لا يصبوت ، ولا يتهياً له ذلك حتى يكون في فيه
ماء ، وإذا أراد ذلك أدخل فكه الأسفل في الماء ، وترك الأعلى حتى
يبلغ الماء نصفه .

(١) الصواب أن الشعر لأبي نواس ، وليس في هجاء رجل ، بل في غرض آخر .
انظر الكنايات للجرجاني ٣٧ ومعاهد التنخيص (١ : ٣٤) وأخبار
أبي نواس ٣٥ .

(٢) نزا : وثب . وفي الأصل : « لنزا » وصوابه في أخبار أبي نواس . وفي المعاهد :
« لنزى » تحريف كتابي . وفي الكنايات : « لرق » .

(٣) ل : « صار للتغطاط » ، وصوابها « للتعاظ » . المعاهد : « صار للإنعاط » .

(٤) هذا التفسير ساقط من ل .

(٥) في الأصل « الأشدق » ، ولم أر هذا الجمع ، وأثبت ما في الدهيري وعيون الأخبار

(٢ : ٩٧) .

(٦) ط ، س ، « كما » ، تحريف . وانظر ٥ : ٥٣٢ .

والمثل الذي يَتَمَثَّلُ بِهِ النَّاسُ : « فَلَانٌ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُجِيبَ خُصْمَهُ
لَأَنَّ فَاهُ مَلَانَ مَاءً » . وقال شاعرهم^(١) :

وما نسيت مكان الأميرِكِ بذا يامنٌ هو بيتٌ ولكن في في ماء^(٢)
ولأنما جعلوا ذلك مثلاً^(٣) ، حينَ وجدوا الإنسانَ إذا كان في فيه ماءٌ
على الحقيقة لم يَسْتَطِعْ^(٤) الكلام . فهو تأويلٌ قولِ الذَّكْوَانِي :

* يُدْخِلُ فِي الْأَشْدَاقِ مَاءً يَنْصُفُهُ *

بفتح الباءِ وضمُّ الصَّادِ ، فإنه ذهبَ إلى قولِ الشاعرِ^(٥) :

وكنْتُ إذا جارى دَعَا لمُصَوِّفَةٍ أَشْمَرٌ حَتَّى يَنْصُفَ السَّاقَ مِزْرِي^(٦) ٨٣
[المصوفة : الأمر الذي يشفقُ منه] .

وكقول الآخر^(٧) :

* فَإِنَّ الظَّنَّ يَنْصُفُ أَوْ يَزِيدُ *

وهذا ليس من الإنصاف الذي هو العَدْلُ ، وإنما هو من بلوغ

نِصْفِ السَّاقِ .

(١) هو أبو نواس من أبيات في الديوان ٣٥٩ .

(٢) كذا في ط ، س . وفي ل : « بذا * من الوشاة » . وفي الديوان : « وما جهلت
مكان لاشريك به * من الوشاة » .

(٣) كذا في ل وهو الصواب . وفي ط ، س : « مثله » .

(٤) ط : « يستطيع » ، وهو خطأ .

(٥) هو أبو جنبد الهذلي ، كما في اللسان (نصف) .

(٦) تسكلم في هذا البيت ابن الأنباري في الأضداد ١١٣ وابن سيده في المخصص

(١٢ : ١٢٥) والبغدادى في الخزانة (٣ : ٣٢١ بولاق) .

(٧) هو أبو الفضة قاتل أحرر بن شميظ ، كما سبق في ٦٠ . وصدده :

* فإلا يأتكم خبر يقين *

وَأَمَّا قَوْلُهُ :

* كَيْمَا (١) يَنْقَى وَالنَّقِيقُ يُتْلِفُهُ *

فَإِنَّهُ ذَهَبَ إِلَى قَوْلِ الشَّاعِرِ (٢) :

ضَفَادِعُ فِي ظِلْمَاءِ لَيْلٍ تَجَاوَبَتْ فَدَلَّ عَلَيَّهَا صَوْتَهَا حَيَّةَ الْبَحْرِ

(معرفة العرب والأعراب بالحيوان)

وقلَّ معني سَمِعْنَاهُ فِي بَابِ مَعْرِفَةِ الْحَيْوَانِ مِنَ الْفَلَسْفَةِ ، وَقَرَأْنَاهُ فِي كِتَابِ الْأَطْبَاءِ وَالتَّكْلِمِينَ - إِلَّا وَنَحْنُ قَدْ وَجَدْنَاهُ (٣) [أَوْ] قَرِيبًا مِنْهُ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَالأَعْرَابِ ، وَفِي (٤) مَعْرِفَةِ أَهْلِ لَغَتِنَا وَمِلَّتِنَا . وَلَوْلَا أَنْ يَطُولَ الْكِتَابُ لَذَكَرْتُ ذَلِكَ أَجْمَعًا (٥) . وَعَلَى أَنِّي قَدْ تَرَكْتُ تَفْسِيرَ أَشْعَارٍ كَثِيرَةٍ ، وَشَوَاهِدٍ عَدِيدَةٍ (٦) مِمَّا لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا الرَّأْيِيَّةُ النَّحْرِيُّرُ (٧) ؛ مِنْ خَوْفِ التَّطْوِيلِ .

(١) ط ، س : « كَمَا » ، وَصَوَابُهُ فِي ل .

(٢) هُوَ الْأَخْطَلُ كَمَا فِي الْبَيَانِ (١ : ٢٧٠) وَالحَيْوَانِ (٥ : ١٥٤) . وَلِلْبَيْتِ قِصَّةٌ

طَرِيفَةٌ فِي الْعَقْدِ (٢ : ١٤) وَمَعَاهِدِ التَّنْصِيفِ (٢ : ١٩٩) وَالكِنَايَاتِ ٧٢ .

(٣) ط ، س : « وَجَدْنَا » .

(٤) ل : « فِي » وَالْوَجْهَ مَا أَثْبَتَ مِنْ ط ، س .

(٥) ط ، س : « لَذَكَرْتُ لَكَ الْجَمِيعَ » .

(٦) كَذَا فِي ل . وَفِي ط ، س : « مَعَ شَوَاهِدٍ كَثِيرَةٍ » .

(٧) النَّحْرِيُّرُ : الْحَاذِقُ الْفَطْنُ الْبَصِيرُ بِكُلِّ شَيْءٍ . ط ، س : « إِلَّا الرَّوَاةَ لِلتَّحْرِزِ »

تَحْرِيفٌ مَا أَثْبَتَ مِنْ ل .

(حمام النساء وحمام الفراخ)

وقال أفليمون^(١) صاحبُ الفِراسة : اجعل حمامَ النساءِ المسرَّولاتِ العِظامَ الحِسانَ ، ذواتِ الاختيالِ والتَّبَخترِ والمُديرِ ؛ واجعل حمامَ الفِراخِ ذواتِ الأنسابِ الشريفة^(٢) والأعراقِ الكريمة ، فإنَّ الفِراخَ إنما تكثُرُ عن حُسْنِ التعهّدِ ، ونظافةِ القراميصِ^(٣) والبُرُوجِ . واتَّخِذْ لهنَّ بيتاً محفوراً على خِلقَةِ الصَّومعةِ ، محفوفاً من أسفلهِ^(٤) إلى مقدارِ ثلثي حِيطانِهِ بالتماريدِ^(٥) ، ولتكنَّ واسعةً وليكنَ بينها حِجاز^(٦) . وأجودُ ذلكُ أنْ تكونَ تماريدُها محفورةً في الحائطِ^(٧) على ذلكِ المثالِ ، وتعهدَ البُرُجِ بالكُنسِ والرَّشِّ^(٨) [في زمانِ الرَّشِّ] ، وليكنَ مخرَجُهنَّ من كَوِّ^(٩) في أعلى

(١) ط ، س : « أفليمون » بالقاف ، تصحيف ما في ل .

(٢) ط ، س : « من غير ذوات الأنساب » وكلمة « غير » تفسد الكلام . ولفظ « الشريفة » ساقط من ل .

(٣) القرموص : العش يبيض فيه الحمام . قال الأب أنستاس ماري : هي يونانية بلا أدنى ريب ، من : Kheramos,ou ومعناه الحفرة والأفحوص والقلت والوجار وهي مشتقة من فعل أصله عندهم Kha .

(٤) ط ، س : « أوله » .

(٥) التماريد : جمع تمراد بالكسر ، وهو بيت صغير في بيت الحمام لمبيضه .

(٦) حِجاز ، بالكسر : حاجز . ط فقط : « أحجاز » وهو تحريف .

(٧) كذا في ل وهو الصواب . وفي ط ، س : « والحائط » .

(٨) ل : « بالكسح » وهو بمعنى الكنس . وكلمة « الرش » هي في ط : « الريش » وصوابها في ل ، س .

(٩) الكو : الخرق في الحائط ، ومثله الكوة بضم الكاف وفتحها ، جمعه كوى وكواء . ط : « من كون » ولا يستقيم الجمع مع سياق الكلام .

الصَّومعة ، وليكن مقتصدًا في السَّعةِ والضَّيقِ ، بقدر ما يدخل منه ويخرج [مند] الواحد [بعد الواحد] . وإن استطعت أن يكون البيتُ بقربِ مزرعةٍ فافعلْ . فإن أعجزكَ المنسوبُ منها فالتمسْ ذلك بالفِراسةِ التي لا تخطئُ .
وقلِّمًا يُخطئُ المتفرِّسُ .

قال : وليس كلُّ الهدى (١) تقوى على الرجعة من حيثُ أرسلتُ ؛ لأنَّ منها ما تفضل قوتهُ على هدايته ، ومنها البطيء وإن كان قويًا ، ومنها السريع وإن كان ضعيفًا ، على قدر الحنين والاعتزام (٢) . ولا بدَّ لجميعها من الصَّرامةِ ، ومن التَّعليمِ أولًا والتَّوطينِ آخرًا .

(انتخاب الحمام)

وقال : جماع الفِراسةِ لا يخرج (٣) من أربعة أوجه : أولها التقطيع ، والثاني المحسَّة ، والثالث الشمائل ، والرابع (٤) الحركة .

فالتقطيع : انتصاب العنق والحلقة ، واستدارة الرأس من غير عظمٍ ولا صِغَر ، مع عظم القرطمتين (٥) ، واتِّساع المنخرين ، وانهرات الشدقين

(١) الهدى سبق الكلام عليها في (٢ : ٧٩) . ط ، س : « وقال ليس » الخ .

(٢) ط ، س : « على قدر التحقيق والاعتزام » والوجه ما أثبت من ل .

(٣) الجماع ، كرمان : مجتمع أصل الشيء . ط ، س : « جميع الفراسة لا يخرج »

(٤) في الأصل : « والرابعة » وهو خطأ . وفي س أيضًا : « والثانية »

« والثالثة » وليس بشيء .

(٥) القرطمتان بكسر القاف والطاء : نقطتان على أصل منقار الحمامة .

وهذان من أعلام الكرم في الخيل ؛ للاسترواح^(١) وغير ذلك . ثم حسن^{٨٤}
خلقة العينين ، وقصر المنقار في غير دقة^(٢) ثم اتساع الصدر وامتلاء
الجؤجؤ ، وطول العنق ، وإشراف المنكبين ، وطول القوادم في غير إفراط ،
ولحوق بعض الخوافي ببعض ، وصلابة العصب^(٣) في غير انتفاخ ولا يبس
واجتماع الخلق في^(٤) غير الجعودة والكزازة ، وعظم الفخذين ، وقصر
الساقين والوظيفين ، [وافتراق^(٥) الأصابع] ، وقصر الذنب وخفته ، من
غير تفنين وتفرق^(٦) . ثم توقد الحذقتين ، وصفاء اللون . فهذه أعلام
الفراسة في التقطيع .

وأما أعلام الجسة ، فوثاقة الخلق ، وشدة اللحم ، ومثانة العصب ،
وصلابة القصب ، ولين الريش في غير رقة^(٧) وصلابة المنقار
في غير دقة .

وأما أعلام الشائل ، فقلة الاختيال ، وصفاء البصر^(٨) وثبات النظر

(١) الاسترواح : التشمم . ل : « وهذان من أعلام الكرم في الاسترواح » تحريف .

(٢) ط ، س : « رقة » بالراء . وأثبت ماني ل ونهاية الأرب ١٠ : ٢٧٠
والمخصص ٨ : ١٧٠ .

(٣) ط ، س : « القصب » وتصحيحه من ل ونهاية الأرب .

(٤) ل : « من » .

(٥) في الأصل - وهو هنا ل - : « اقتدار » وتصحيحه من نهاية الأرب .

(٦) التفنين أصله في الثوب أن يبلى فيتقزز بعضه من بعض . ل : « تفنين » وأثبت
صوابه من ط ، س : والمصدرين السابقين .

(٧) في الأصل : « دقة » بالبدال ، وأثبت ماني المخصص والنهاية .

(٨) ط ، س : « البطن » وصوابه من ل والمرجعين السابقين .

وشدة الحذر ، وحسن التلّفت (١) ، وقلة الرعدة عند الفرع ، وخفة النهوض
إذا طار ، وترك المبادرة إذا لقط .

وأما أعلام الحركة ، فالطيران (٢) في علو ، ومد العنق في سمو ، وقلة
الاضطراب في جو السماء ، وضم الجناحين في الهواء (٣) ، وتدافع الركض
في غير اختلاط ، وحسن القصد في غير دوران ، وشدة المد في الطيران .
فإذا أصبته جاعاً لهذه الخصال (٤) فهو الطائر الكامل . وإلا فبقدر ما فيه
من المحاسن تكون هدايته وفرأته .

(أدواء الحمام وعلاجها)

قال : فاعلموا أنّ الحمام من الطير الرقيق ، الذي تسرع إليه الآفة ،
وتعروه الأدوية (٥) ، وطبيعته الحرارة واليبس . وأكثر أدوائه الخنان
والسكباد ، والعطاش ، والسل ، والقمل (٦) . فهو يحتاج إلى المسكان البارد

(١) في الأصل : « التقلب » وهو تحريف عجيب ، صوابه في المخصص والنهاية . وقد زاد
المخصص في أعلام الحجة خصالاً أخرى كثيرة فانظرها .

(٢) س : « فبالطيران » تحريف .

(٣) في الأصل : « في جو السماء » ، فيكون تكراراً ركيكاً . وأثبت ما في
المخصص والنهاية .

(٤) ل : « الصفة » . المخصص والنهاية : « الصفات » .

(٥) ل : « تتوره » .

(٦) الخنان : داء في الخلق . والسكباد ، كغراب : وجع السكباد . والعطاش ،
كغراب أيضاً وبالشين المعجمة : داء لا يروى صاحبه . وهى في ط ، س : « العطاس »
مصحفة . والقمل ، بالتحريك : كثرة القمل .

وَالنَّظِيفُ ، وَإِلَى الْحَبُوبِ الْبَارِدَةِ كَالْعَدَسِ وَالْمَاشِ^(١) وَالشَّعِيرِ الْمَنْخُولِ .
وَالقُرْطُمُ لَهُ بِمَنْزِلَةِ اللَّحْمِ لِلإِنْسَانِ ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ قُوَّةِ الدَّسَمِ .

فَمَّا يُعَالَجُ بِهِ السَّكْبَادُ : الزَّعْفَرَانُ وَالسُّكَّرُ الطَّبْرَزْدُ^(٢) ، وَمَاءُ الْهِنْدِيَا ،
يَجْعَلُ فِي سُكَّرِجَةٍ^(٣) ، ثُمَّ يُوجَرُ^(٤) ذَلِكَ أَوْ يَمِجُّ فِي حَلْقِهِ مِجًّا وَهُوَ
عَلَى الرِّيْقِ .

وَمَّا يُعَالَجُ بِهِ الْخُنَانُ أَنْ يَلِينَنَّ لِسَانَهُ يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ بَدُنَهُ الْبَنْفَسِجَ ،
ثُمَّ بِالرَّمَادِ وَالْمَلْحِ ، يُدْلَكُ بِهَا^(٥) حَتَّى تَنْسَلَخَ الْجِلْدَةُ الْعَلِيَا^(٦) الَّتِي غَشِيَتْ
لِسَانَهُ^(٧) . ثُمَّ يَطْلَى بِعَسَلٍ وَدُهْنٍ وَرَدِّ^(٨) ، حَتَّى يَبْرَأَ .

وَمَّا يُعَالَجُ بِهِ السَّلُّ أَنْ يُطْعَمَ الْمَاشَ الْمَقْشُورَ ، وَيَمِجُّ فِي حَلْقِهِ مِنْ
الْأَبْنِ الْحَلِيبِ ، وَيُقَطَّعَ مِنْ وَظِيفِيهِ عِرْقَانِ ظَاهِرَانِ فِي أَسْفَلِ ذَلِكَ ، مِمَّا
يَلِي الْمَفْصَلَ [مِنْ بَاطِنِ] .

(١) الماش : حب صغير أخضر اللون براق له عين كعين اللوبيا ، وشجرته كشجرة اللوبيا . المعتمد ٣٢٦ .

(٢) السكر الطبرزد : الأبيض الصلب ، معرب تبرزد ، تبر بمعنى الفأس ، وزد بمعنى ضرب ، لأنه كان يدقق بالفأس . الألفاظ الفارسية ١١١ . ط : « والطرزد » تحريف .

(٣) السكرجة : الإناء الصغير . وأكثر ما يوضح فيه الكوامخ ونحوها .

(٤) يوجر ذلك : أى يصب في حلقة ليلعه . ط : « يوجر » ، تحريف .

(٥) عيون الأخبار : « هما » .

(٦) ط : « الجلدة العليا » ، وصوابه في ل ، س و عيون الأخبار ٢ : ٩١ .

(٧) ط ، س : « عشت على لسانه » ، وتصحيحه من ل و عيون الأخبار .

(٨) كذا في ل : و عيون الأخبار . وفي ط ، س : « الورد » .

وَمَا يَعَالَجُ بِهِ الْقَمَلُ أَنْ يُطْلَى أَصُولُ رَيْشِهِ بِالزَّبْدِ الْخَلَّلِ (١) بَدَهْنِ
الْبِنْفَسِجِ ، يَفْعَلُ بِهِ ذَلِكَ مَرَّاتٍ حَتَّى يَسْقُطَ قَلْبُهُ ؛ وَيُكْنَسُ مَكَانَهُ
الَّذِي يَكُونُ فِيهِ كَنْسًا نَظِيفًا .

(تعليم الحمام وتدريبه)

وقال : اعلم أن الحمامَ والطيرَ كلُّهما لا يصلحُ التَّغْمِيرُ (٢) به من البُعدِ .
وهدايته على قَدْرِ التَّعْلِيمِ ، وعلى قدر التَّوطينِ . فأوَّلُ ذلك أن يخرج إلى (٣)
ظهر سطحِ يعلو عليه ، ويُنْصَبَ عليه عِلْمٌ يَعْرِفُهُ ، ويكونَ طيرانه لا يجاوز
مَحَلَّتَهُ ، وأن يكونَ عِلْفُهُ (٤) بالغدادة والعِشِيَّ ، يُلقَى له فوقَ ذلك السَّطْحِ ، قريباً
من عِلْمِهِ المنصوبِ له ، حتَّى يألفَ المكانَ ويتعوَّدَ الرَّجُوعَ إليه . ولكن

٨٥

(١) في مفاتيح العلوم ١٤٩ : « التحليل أن تجعل المنعقدات مثل الماء » . وهذه
الكلمة جاءت في ل : « المنحسل » . وجاء في عيون الأخبار : « ودواء
القمل أن تطلَى أصول ريشه بالزبد المخلوط بدهن البنفسج » . وكلمة « الزبد »
محرقة صوابها « الزبد » كما ورد في النسخة الألمانية من عيون الأخبار ، يؤيد
ذلك ماورد في المعتمد ١٢٨ في الكلام على الزبد : « وإذا قتل كان جيداً
للجرب والقمل » ، وما جاء في تذكرة داود في الكلام عليه أيضاً : « ويقتل القمل
إذا جعل في الزيت والحناء ودهن به » .

(٢) التغمير : مصدر غمر به تغميراً : دفعه وأرسله .

(٣) كذا في ل . وفي ط ، س : « وأولى ذلك أن يخرج على » ، وما أثبت أشبه .

(٤) العلف ، أصله طعام الدواب ، ولم يعهد استعماله للطير . ل : « غلفه » تصحيف ،

كما أن كلمة « أن » ساقطة من ل .

لَيَنْظُرُ^(١) مِنْ أَىِّ شَيْءٍ يَتَّخِذُ الْعِلْمَ؟ فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ أَسْوَدَ ، وَلَا يَكُونَ شَيْئاً تَرَاهُ مِنَ الْبُعْدِ أَسْوَدَ . وَكَلِمَا^(٢) كَانَ أَعْظَمَ كَانَ أَدَلَّ .

وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَطِيرَهُ وَزَوْجَتَهُ مَعاً ، وَلَكِنْ يَنْتَفِئُ أَحَدُهُمَا وَيَطِيرُ الْآخَرَ ، وَيُخْرِجَانِ إِلَى السَّطْحِ جَمِيعاً ، ثُمَّ يَطِيرُ الْوَاقِي الْجِنَاحَ ؛ فَإِنَّهُ يَنْزِعُ إِلَى زَوْجَتِهِ . وَإِذَا عَرَفَ الْمَسْكَانَ ، وَدَارَ^(٣) وَرَجَعَ ، وَأَلِفَ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ ، وَنَبَتَ رَيْشُ الْآخَرِ ، صَنَعَ بِهِ كَذَلِكَ .

وَأَجُودُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يُخْرِجَا إِلَى السَّطْحِ وَهُمَا مَقْصُوصَانِ ، حَتَّى يَأْلِفَا ذَلِكَ الْمَوْضِعَ ، ثُمَّ يَطِيرَ أَحَدُهُمَا قَبْلَ صَاحِبِهِ ، وَيُصْنَعُ بِالثَّانِي كَمَا صَنَعَ بِالْأَوَّلِ .

وَمَا أَشْبَهَ قَوْلَهُ هَذَا بِقَوْلِ مَاسْرُجِيهِ ؛ فَإِنَّهُ وَصَفَ فِي كِتَابِهِ ، طَبَاعَ جَمِيعِ الْأَلْبَانِ ، وَشَرَّبَهَا لِلدَّوَاءِ^(٤) ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنَ الصِّفَةِ قَالَ : وَقَدْ وَصَفْتُ لَكَ حَالَ^(٥) الْأَلْبَانِ فِي أَنْفُسِهَا ، وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى مَنْ يَسْقِيكَ اللَّبْنَ ؛ فَإِنَّكَ بَدَأَ^(٦) تَحْتَاجُ إِلَى تَنْظِيفِ جَوْفِكَ^(٧) ، وَتَحْتَاجُ إِلَى مَنْ يَعْرِفُ مَقْدَارَ عِلَّتِكَ مِنْ قَدْرِ اللَّبَنِ ، وَجِنْسِ عِلَّتِكَ مِنْ جِنْسِ اللَّبَنِ^(٨) .

(١) ط ، س : « ينظر » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَكَلِمَا » وَهُوَ خَطَأٌ .

(٣) ط ، س : « وَدَارَهُ » ، وَوَجْهَهُ فِي ل .

(٤) الْمُرَادُ بِكَلِمَةِ : « الدَّوَاءِ » التَّدَاوِي .

(٥) ل : « وَصَفْتُ لِلرِّجَالِ » ، تَحْرِيفٌ مَا أَثْبِتَ مِنْ ط ، س .

(٦) بَدَأَ : أَى أَوْلَا . ل : « بَدَيْتَا » . ط : « أَبْدَأَ » وَهَذِهِ مَحْرَقَةٌ تَفْسِدُ الْمَعْنَى .

(٧) ط ، س : « ثَوْبِكَ » ، وَصَوَابُهُ فِي ل .

(٨) كَذَا فِي ل . وَفِي ط ، س : « مَنْ يَعْرِفُ مَقْدَارَ عِلَّتِكَ مِنْ جِنْسِ اللَّبَنِ ، وَجِنْسِ اللَّبَنِ مِنْ جِنْسِ عِلَّتِكَ » .

(حوار مع نجار)

ومثل ذلك قول نجارٍ كان عندي ، دعوته لتعليقِ بابٍ ثمينٍ كريمٍ
فقلت له : إنَّ إحكامَ تعليقِ البابِ شديدٌ ، ولا يحسنه من مائةِ نجارٍ نجارٌ
واحد . وقد يُذكرُ بالخذقِ في نجارةِ السَّقُوفِ (١) والقِبابِ ، وهو لا يكملُ
لتعليقِ (٢) بابٍ على تمامِ الإحكامِ [فيه . والسَّقُوفِ] ، والقِبابِ عند
العامةِ أصعبُ :

ولهذا أمثال : فمن ذلك أن الغلامَ والجاريةَ يشويانِ الجدَىَ والحملَ
ويحكما الشئَ (٣) ، وهما لا يُحكما شئً جنبٍ . ومن لا علمَ له يظنُّ أنَّ شئً
البعضُ أهونُ من شئٍ الجميعِ !

فقال لي : قد أحسنتَ حينَ أعلمتني أنك تبصِرُ العملَ ، فإنَّ معرفتي
بمعرفتك تمنعني من التشفيقِ (٤) . فعلمته فأحكمَ تعليقه ، ثم لم يكنْ عندي
حلقةٌ لوجهِ البابِ إذا أردتُ إصفاقه ، فقلت له : أكره أن أحبسك (٥) إلى

(١) ط ، س : « السيوف » ، وهو تحريف .

(٢) تعليقِ البابِ : نصبه وتركيبه ، كما في اللسان . ط ، س : « لا يكمل تعليق »
وما أثبت من ل أجزل .

(٣) ط ، س : « وهما يحكما الشئ » وأثبت ما في ل .

(٤) كذا في ل ؛ بالفاء ثم التقاف بينهما ياء . وهو من شفقِ النساجِ الملاحفة تشفيقا : جعلها
شفقا - بالتحريك - في النسج . وشفقِ النسج : رديته . وفي ط ، س :
« التشفيق » بقافين بينهما ياء ، وليس بشيء . وفيهما أيضا : « تمنع » .

(٥) ل : « أكره حبسك » ط ، س : « أكره أن أجلسك » ، وجعلت
القول كما ترى .

أن يذهب الغلام إلى السوق ويرجع . ولكن انقلب لي موضعها^(١) . فلما ثقبه وأخذ حقه ولأني ظهره للانصراف ، والتفت إلى فقال : قد جودتُ الثقب ، ولكن انظر أيُّ نجارٍ يدقُّ فيه الزرَّة^(٢) ؛ فإنه إن أخطأ بضربة واحدة شقَّ الباب [والشق عيب] - فعلمتُ أنه يفهمُ صناعتهُ فهماً تاماً .

(قص الحمام وفتفه)

وبعض الناس إذا أراد أن يعلم زوجاً قصصهما ولم ينتفهما^(٣) . وبين النتفِ والقصِّ بونٌ بعيد . والقصُّ [كثير القصِّ] لا يُوجعُ ولا يُقرِّحُ مُغارِزَ قصب الرِّيش^(٤) ، والنتفُ يُوهن المنكبين^(٥) . فإذا نتف الطائرُ مراراً لم يقوَ على الغاية ، ولم يزلْ واهنَ المنكبين . ومتى أبطأ^(٦) عليه فتفه وقد جفت أصوله وقربت من الطرح كان أهونَ عليه ، وكلما كان النباتُ أطراً^(٧) كان أضرَّ

(١) كذا في ط . وفي ل : « موضعه » تحريف ؛ فالضمير عائذ إلى الحلقة . س : « في موضعها » .

(٢) في الأصل : « الرزة » . وجاء في لسان العرب (زرر) : « ويقال للحديدة التي تجعل فيها الحلقة التي تضرب على وجه الباب لإصفاقه : الزرة ، قاله عمرو بن بحر » .

(٣) كذا في ط ، س ، وهو الصواب . وفي ل : « إذا أراد أن يلقى زوجا يعلبهما كتفهما » .

(٤) بدل هذا في ط ، س : « لا يرجع بالنتف » ، تحريف ونقص ظاهر .

(٥) ط ، س : « لا يوهن المنكبين » ، وهو عكس المعنى المراد لاجرم .

(٦) في الأصل : « أخطأ » ، والوجه فيه ما أثبت .

(٧) أطراً : من الطرء ، وهو ظهور الشيء فجأة . وفي ل : « أطرا » بدون همز =

عليه . وإنه ليلبغ من مضرته ، أن الذكْرَ لا يجيدُ الإلقاحَ ، والأنثى لا تجيدُ القبول . وربما نضغت الأنثى وقد احتشت بيضاً ، وقد قاربت أن تبيض ، فتبطنُ بعدَ وقتها الأيامَ ؛ وربما أضرت ذلك بالبيض .

(زجل الحمام)

قال : وإذا بلغ الثاني مبلغ الأول في استواء الريش ، والاهتداء إلى العلم ، طيراً جميعاً ، ومُنِعاً من الاستقرار ؛ إلا أن يظن بهما الإعياء والكلال . ثم يُوطَّنُ^(١) لهما المزاجلُ برّاً وبحراً ، من حيث يبصران إذا هما ارتفعا في [الهواء] السمتَ ونفسَ العلم ، وأقصى ما كانا يريانهُ^(٢) منها عند التباعد في الدورانِ والجولان . فإذا رجعا من ذلك المكانِ مرّاتٍ زُجلا^(٣) من أبعدَ منه - وقد كانوا مرّةً يعجبهم أن يزجلا من جميع التوطنات ، مالم تبعُدْ ، مرتين [مرتين] - فلا يزالان كذلك حتى يبلغا الغاية ، ويكون أحدهما محتسباً إذا أرسل صاحبه ؛ ليتذكّره فيرجعَ إليه . فإن^(٤) خيفَ عليه أن

= من طرا يطرو طروا بالمعنى المتقدم ، أو من طرى كفرح : أى صار طريا غصا .

وتسكون صواب كتابة ما في ل : « أطرى » .

(١) كذا في ل . وفي ط ، س : « وتوطن » .

(٢) ط ، س : « يريا » وصوابه في ل .

(٣) زجلا : أى أرسل على بعد . ط ، س : « رجعا » ، وهو تحريف ما في ل .

(٤) ط ، س : « وإن » .

يكون قدمل زوجته ، عرضت عليه زوجة أخرى [قبل الزَّجَل] ؛ فإذا تسنمها (١) مرّة حيل بينه وبينها يومه ذلك ، ثمّ عرضوها عليه قبل أن يُحمَل (٢) ، فإذا أطاف (٣) بها مُخِّت عنه ، ثمّ جمل إلى الزَّجَل ؛ فإنّ ذلك أسرع له .

وقال : اعلموا أنّ أشدّ المَزَاجِلِ ماقلّت أعلامه ، كالصَّحارى والبحار .

قال : والطير تختلفُ في الطَّبَاعِ اختلافاً شديداً : فمنها القويُّ ، ومنها الضعيف ، ومنها البطيء ، ومنها السريع ، ومنها اللّهُولُ ، ومنها الذّكُورُ ، ومنها القليل الصّبرِ على العطش ، ومنها الصّبورُ . وذلك لاينحى فيهنّ عند التّعلّمِ والتّوطينِ ، في سرعة الإجابة والإبطاء . فلا تُبعَدَنَّ (٤) غايّة الضّعيفِ واللّهُولِ والقليلِ الصّبرِ على العطش ، ولا تزجلنّ ماكان منشؤه في بلاد الحرّ في بلاد البرد ، ولا ماكان منشؤه في بلاد البرد في بلاد الحرّ ؛ إلّا ما كان بعد الاعتیاد . ولا يصبرُ على طول الطيران في غير هوائه [وأجوائه حائرٌ] إلا بطول الإقامة في ذلك المسكان ، ولا تستوى حاله وحال من لايعدو هوائه (٥) والهوائ الذى يقربُ من طباع هوائه .

(١) تسنمها : علاها . وفى ل : « تجثمها » ، وهى صحيحة وبمعنى الأولى . ومنه

الحديث « فلزمها حتى تجثمها » .

(٢) أى يحمل على الزجل . ل : « يمل » س : « تحمل » وهما تحريف ما فى ط .

(٣) « أطاف بها : قاربها . ط ، س : « طاف » بمعنى دار . وما أثبت من ل أشبه .

(٤) ط : « تبعدون » ، صوابه فى ل ، س .

(٥) كذا فى ل وهو الصواب . وفى س : « يفلدو دواء » و ط :

« يفلدو دواء » .

(تعليم الحمام ورود الماء)

قال : ولا بدَّ أن يُعَلَّمَ الورودَ ، فإذا أَرَدتَ به ذلك فأوْرِدْهُ العيونَ
والغُدْرانَ والأَنْهارَ ، ثمَّ حُلْ^(١) بينه وبين النَّظَرِ إلى الماء ، حتى تكفَّ
بصرَه بأصابعِكَ عن جهة الماء واتَّساع المورِد ، إلَّا بقدر ما كان يشربُ
فيه من المساقى ، ثمَّ أوسِعْ له إذا عَبَّ قليلاً بقدر ما لا يرُوعه ذلك المنظر^(٢)
وليكن معطشاً ؛ فإنَّه أجدرُّ أن يشرب . تفعلُ به ذلك مراراً ، ثمَّ تفسحُ
له المنظرَ أوْلاً أوْلاً ، حتَّى لا يُنكِر ما هو فيه . فلا تزالُ به حتَّى يعتادَ
الشربَ بغيرِ سترة^(٣) .

(امتناسه واستيحاشه)

قال : واعلم أنَّ الحمامَ الأهلِيَّ الذي عايشَ النَّاسَ ، وشربَ من المساقى
ولقَطَ في البيوتِ يَخْتَلُ^(٤) بالوَحْدَةِ ، وَيَسْتَوْحِشُ^(٥) بِالْغُرْبَةِ .

٨٧

(١) ط : « خل » وهو عكس المعنى المراد . وأثبت ما في ل ، س .

(٢) كذا في ل . وفي ط ، س : « النظر » . وفي س أيضاً : « يردعه »

مكان : « يروى » وهو تحريف .

(٣) كذا في ط ، س ؛ وهى صحيحة . والسترة ، بالضم ، بمعنى الستارة ، وهو

ما يستر به . وفي ل : « ستر » .

(٤) يَخْتَلُ : يضعف . ط ، س : « يَخِيل » ، تصحيف ما في ل .

(٥) ط ، س : « ومستوحش » ، صوابه في ل .

قال : واعلم أنّ الوحشيَّ يستأنس ، والأهلي يستوحش^(١) .
قال : واعلم أنّه ينسى التّأديبَ إذا أهملَ ، كما يتأدّب بعد الإهمال .

(ترتيب الزجل)

وإذا زَجَلتَ فلا تُحْطِرِفْ به^(٢) من نصف الغاية إلى الغاية ، ولكن
رتّب ذلك ؛ فإنّه ربّما اعتادَ المجيء من ذلك البُعد ، فتي^(٣) أرسلته من
أقربَ منه تحيّر ، وأرادَ أن يبتدئَ أمره ابتداءً . وهم اليوم لا يفعلون ذلك ؛
لأنّه إذا بلغ الرّقّة أو فوقَ ذلك شيئاً [فقدُ] صار عُقْدَةً^(٤) ، وصار له ثمنٌ
وغلّة . فهو لا يرى أن يُخاطر بشيءٍ له قدر . ولكنّه إن جاء من هيتَ
أدربَ^(٥) [به] ؛ لأنّه إن ذهب لم يذهب شيءٌ له ثمن ، ولا طائرٌ له رياسة ؛

(١) ط ، س : « يستوحش بالغبرة » ، والكلمة الأخيرة مقحمة .

(٢) خطرف : أسرع . ومثله « تخطرف » . وفي ل : « تتخطرف » .

(٣) كذا في ل . وفي ط ، س : « وإن » .

(٤) العقدة ، أصلها : الضيعة والمقار الذي اعتقده صاحبه ملكاً .

(٥) هيت ، بالكسر : بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار . وبدلها في

ط ، س : « حيث » ، وهو تحريف . و « أدرب » هو من أدرب القوم : إذا

دخلوا الدرب . والدرب هنا كل مدخل إلى بلاد الروم ، وإلى تلك الدروب كان

يزجل الحمام من البصرة . يريد أنه متى عرف منه الهداية من المكان القريب

أمكن أن يزجل إلى المكان للبعيد . جاء في ط ، س : « درب » . وهو

نقص وتشويه صوابه في ل .

وليس له اسم ولا ذكر ؛ وإن جاء جاء شيء كبير وخطير^(١) ، وإن جاء من الغاية فَمَقْدُ حَوَى به ماسكاً . على هذا [هم] اليوم^(٢) .

وقال : لا ترسل الزَّاق^(٣) حتى تستأنف [به] الرِّياضة^(٤) ولا تدعْ ماتِعِدُهُ للزَّجال^(٥) أن يحصن بيضاً ، ولا يجثم عليه ، فإن ذلك مما ينقُضه^(٦) ويُفْتَحُه^(٧) ، ويعظم له رأسه ، لأنه عند ذلك يسمن وتكثر رطوبته ، فتقدف الحرارة تلك الرطوبة الحادة العارضة إلى رأسه ، فإن ثقب^(٨) البيضَ وزقَّ وحصن ، احتجت إلى تضميره واستئناف^(٩) سياسته . ولكن إن بدا لك أن تستفرخه^(١٠) فانقل بيضه إلى غيره ، بعد أن تعلمه بعلامة تعرفه بها إذا انصدع .

- (١) خطير : ذو خطر وشرف . ل : « فإن ذهب ذهب شيء ليس له كبير خطر » ، فيكون تكراراً لما سبق . والوجه ما أثبت من ط ، س .
- (٢) ط : « على هذا اليوم » س : « على هذا هو اليوم » . ل : « على هدهم اليوم » وصحته بما ترى .
- (٣) الزاق : الذي يزق فراخه ، أي يطعمها بمنقاره . ط ، س : « المزاق » وليس لها وجه هنا . والوجه ما أثبت من ل .
- (٤) ط ، س : « حتى تستأنف الرياضة له » .
- (٥) للزجال : للزجل . وجاء في ل : « للزجل » .
- (٦) ينقضه : بمعنى يضعف قوته . ط ، س : « ينقضه » وليست من لغة الجاحظ .
- (٧) كذا في ل . وهو بمعنى يسمنه . روى عن ابن السكيت : ناقة مفاتيح ، وأينق مفاتيح : سمان . وفي ط ، س : « يقبحه » ولست أثبتها .
- (٨) كذا في ل . وفي ط ، س : « ثقب » وها بمعنى .
- (٩) ل : « استينان » وليس بشيء .
- (١٠) تستفرخه : تطلب منه الفراخ ، يقال : استفرخ الحمام : اتخذها للفراخ . ط ، س : « تستفرغه » وصوابه في ل .

(علاج الحمام الفزع)

وإن أصاب الحمام أيضاً فزَعٌ وذُعْرٌ ؛ عن طلب شيءٍ من الجوارح له ، فَإِيَّاكَ أَنْ تُعِيدَهُ إِلَى الزَّجْلِ حَتَّى تَرْضَمَهُ وَتَسْتَفْرِخَهُ^(١) ؛ فَإِنْ ذَلِكَ الذُّعْرَ لَا يَفَارِقُهُ وَلَا يَسْكُنُ حَتَّى تَسْتَأْنِفَ بِهِ التَّوطينَ .

(طريقة امتهـكثار الحمام)

وإن أردتَ أَنْ تَسْتَكْثِرَ مِنَ الْفِرَاحِ فَاعْزِلِ الذُّكُورَةَ عَنِ الْإِنَاثِ شَهْرًا أَوْ نَحْوَهُ ، حَتَّى يَصُولَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ ، ثُمَّ اجْمَعْ بَيْنَهُمَا ؛ فَإِنَّ بَيْضَهَا سَيَكْثُرُ وَيَقِلُّ سَقَطُهُ وَمُرُوقُهُ . وَكَذَلِكَ كُلُّ أَرْضٍ أُثْبِرَتْ ، وَكَذَلِكَ الْحِيَالُ^(٢) لِمَا كَانَ مِنَ الْحَيَوَانِ حَائِلًا . قَالَ الْأَعْمَشِيُّ :

مِنْ سَرَاةِ الْمَهْجَانِ صَلَّبَهَا الْعُضُّ وَرَعَى الْحِمَى وَطُولَ الْحِيَالِ^(٣)

(١) ترضمه ، هكذا وردت في ط ، س . وفي القاموس : « رضمت الطير : ثبتت » فلعلها بمعنى تثبته وتقربه . وبدلها في ل : « تريجه » . و « تستفرخه » هي في ط ، س : « تستفرغه » . وانظر التنبيه الأخير من الصفحة السابقة .

(٢) الحِيَالُ : مصدر حالت الناقاة تحييل : لم تحمل . ل : « وكذلك الحِيَالُ من الحيوان » .

(٣) يقول : هي من خيار الإبل البيض ، قد شددها رعى العض — بضم العين ، وهو النوى المرضوخ ، أو القت — وكذلك رعيها في الحمى — وهو مكان في نجد — وخلوها من الحمل زمنًا طويلًا . وكلمة « العض » هي في الأصل : « العرض » محرفة ، وصوابها في ديوانه ٦ والمعلقات بشرح الزوزني ١٨٨ وكذا في اللسان (مادق : عضض ، حيل) .

وقال الحارث بن عبادٍ وجعل ذلك مثلاً :

قَرَّبًا مَرِيْطَ النَّعَامَةِ مِنِّي لَقِيْحَتْ حَرْبٌ وَاثِلٌ عَنِ حِيَالِ (١)

(حديث أفليمون عن نفع الحمام)

وقال أفليمون (٢) صاحب الفراسة ، لصاحبه : وأنا محدثك عن نفع

الحمام بحديث يزيدك رغبةً فيها : وذلك أن مَلِكَيْنِ طلب أحدهما مُلْكَ

صاحبه ، وكان المطلوبُ أكثرَ مالاً وأقلَّ رجالاً ، وأخصب بلاداً ، وكانت

بينهما مسافةٌ من الأرض بعيدة ، فلما بلغه ذلك دعا خاصته فشاوَرَهُمْ ٨٨

في أمره وشكا إليهم خوفه على مُلْكِهِ ، فقال له بعضهم : دامت لك أيُّها

الملكُ السلامة ، ووُقيتَ المسكروه ! إنَّ الذي تآقتَ له نفسك قد يُحتالُ له

بالدَّسِيرِ من الطمع ، وليسَ مِنْ شَأْنِ العاقلِ التَّغْيِيرُ ، وليس بعد المناجزة

بقيّة ، والمناجزُ لا يدري لمن تكون الغلبة ، والتمسكُ بالثقة خيرٌ من الإقدام

على الغرر .

(١) النعامه : فرس الحارث بن عباد . وعنى بحرب وائل تلك الحروب الكثيرة التي

كانت أبداً مشتعلة بين ابني وائل وهما تغلب وبكر . وقد قال الحارث الشعر الآتي

لما قتل ابنه بيجر ، قتله مهلهل التغلبي ، فلما قالوا له : إن ابنك قتل ! قال : إن

ابني لأعظم قتيل بركة ؛ إذ أصلح الله به بين ابني وائل . فقيل له : إنه لما قتل

قال مهلهل : يؤ بشسع نعل كليب ! فعند ذلك أدخل الحارث يده في الحرب .

وقال الشعر . انظر الكامل ٣٧١ لبيسك والعقد (٣ : ٣٥٢) . واليوم الذي

شهده الحارث بن عباد البكري هو (يوم قضة) . انظر خبره في العقد

ومعجم البلدان .

(٢) كذا في ل . وفي ط ، س : « أفليمون » وهو تصحيف .

وقال بعضهم : دامَ لك العزُّ ، ومُدَّ لك في البقاء ! ليسَ في الذلِّ دَرَكٌ ولا في الرِّضا بالضمِّ بَقِيَّةٌ ، فالرَّأىُ اتِّخاذاً الحِصونِ وإذكاءَ العُيونِ ، والاستعدادُ للقتالِ ؛ فَإِنَّ الموتَ في عزٍّ خَيْرٌ من الحياةِ في ذلٍّ (١) ! .

وقال بعضهم : وُقِيَتْ وَكُفِّيَتْ ، وأُعْطِيَتْ فَضْلَ المَزِيدِ ! الرَّأىُ طَلِبُ المِصَاهِرَةِ له (٢) وَالخِطْبَةُ إِلَيْهِ ؛ فَإِنَّ الصَّهْرَ سَبَبُ أَلْفَةٍ تَقَعُ بِهِ الحُرْمَةُ ، وتَثْبِتُ بِهِ المَوَدَّةَ ، وَيَحِلُّ بِهِ صَاحِبُهُ المَحَلَّ الأَدْنَى (٣) . وَمَنْ حَلَّ مِنْ صَاحِبِهِ هَذَا المَحَلَّ لَمْ يَحِلَّهُ مِمَّا عَرَاهُ (٤) ، وَلَمْ يَمْتَنِعْ مِنْ مَنَاوَأَةٍ مِنْ نَاوَاهُ (٥) . فَالْتَمَسَ خِلَاطَتَهُ ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَعْدَ الخِلَاطَةِ عِدَاوَةٌ ، وَلَا مَعَ الشَّرْكَاءِ مَبَايِنَةٌ !

فَقَالَ لَهُمُ (٦) المَلِكُ : كُلُّ قَدْ أَشَارَ بِرَأْيِي ، وَلِكُلِّ مَدَّةً ، وَأَنَا نَاطِرٌ فِي قَوْلِكُمْ ، وَبِاللَّهِ العِصْمَةِ ، وَبِشُكْرِهِ تَمَّ النِّعْمَةُ . وَأظْهَرَ الخِطْبَةَ إِلَى المَلِكِ الَّذِي فَوْقَهُ ، وَأرْسَلَ رُسُلًا ، وَأَهْدَى هَدَايَا ، وَأَمَرَهُمْ بِمِصَانَعَةٍ جَمِيعٍ مَنْ يَصِلُ إِلَيْهِ ، وَدَسَّ رِجَالًا مِنْ ثِقَاتِهِ ، وَأَمَرَهُمْ بِاتِّخَاذِ الحِمَامِ فِي بِلَادِهِ وَتَوَطُّيْنِهِنَّ وَاتِّخَاذِ أَيْضًا عِنْدَ نَفْسِهِ مِثْلَهُنَّ ، فَرفَعَهُنَّ مِنْ غَايَةِ إِلَى غَايَةِ . فَجَعَلَ هؤُلاءِ يَرْسَلُونَ مِنْ بِلَادِ صَاحِبِهِمْ ، وَجَعَلَ مَنْ عِنْدَ المَلِكِ يَرْسَلُونَ مِنْ بِلَادِ (٧)

(١) ل : « فإن الحماسة عن العز خير من الحياة في ذل » .

(٢) كذا في ل . وفي ط ، س : « الرأى أن تطلب مصاهرته » .

(٣) ط ، س : « محل الأولياء » .

(٤) عراه : اعتراه . والمراد أنه يخبره بكل ما يعروه ويطلعه على دخيلته . ط :

« لم يحل ما عراه » س : « لم يحل مما عراه » وأثبت ما في ل .

(٥) كذا في ل . وناواه : تسهيل ناواه . والمناوأة : المعادة . ط ، س :

« ولم يمتنع منه بشيء امتنع منه » .

(٦) في الأصل : « له » . والوجه ما أثبت .

(٧) كذا في ل . وهو ما تقتضيه المقابلة . وفي ط ، س : « عند » .

الملك ، وأمرهم^(١) بمكاتبتِهِ بنخبِرِ كلِّ يوم ، وتعليقِ الكُتُبِ في أصولِ
أجنحة الحمام^(٢) . فصار لا يخفى عليه شيءٌ من أمره . وأطمعهُ المَلِكُ في التزويجِ
واستفردَهُ^(٣) وطاوله ، وتابَعَ [بين الهدايا ، ودسَّ لحرسِهِ رجالاً يلاطفونَهُمْ
حتى صاروا يبيتون بأبوابه معهم . فلَمَّا كُتِبَ أصحابُهُ إليه بغرَّتِهم وصل الخبر
إليه من يومه ، فسار إليه في جندٍ قد انتخبهم ، حتى إذا كان على ليلةٍ أو بَعْضِ
ليلة ، أخذ بمجامع الطُّرُق ، ثمَّ بَيْتَهُمْ^(٤) ووثبَ أصحابُهُ من داخلِ المدينةِ
وهو وجنده من خارج^(٥) ، ففتحوا الأبوابَ وقتلوا المَلِكَ . وأصبحَ قد غَلَبَ
على تلكِ المدينة ، وعلى تلكِ المملكة ، فَعَظُمَ شأنُهُ ، وأعظَمَتَهُ الملوكُ ،
وذَكَرَ فيهم بالحزْمِ والسكِّيدِ .

وإنما كان سبب ذلك كله الحمام ! .

(١) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « وأمره » .

(٢) هذا الصواب من ل . وفي ط ، س : « في أول أذنان الحمام ! » .

(٣) ل : « استفزه » ط : « استغره » وصوابه في س . واستفرده : أراد

أرسل إليه رسلا ، وفي القاموس : « وأفرده : عزله ، وإليه رسولا : جهزه » .

وفي اللسان : « وأفردته : عزلته ، وأفردت إليه رسولا » .

(٤) بيتهم : أوقع بهم ليلا .

(٥) كذا في ل . وفي ط : « وهو من خارج وجنده » س : « وهو

من الخارج وجنده » .

(حديث آخر له في نفع الحمام)

قال : وأحدثك عن الحمام أيضاً بحديث آخر في أمر النساء والرجال وما يصاب من اللدنة فيهن ، والصواب في معاملتهن . قال : وذلك أن رجلاً أتاني مرة فشكا إليّ حاله في فتاة علّقها فتزوّجها (١) ، وكانت جارية [غراً] حسناء ، وكانت بكرأ ذات عقلٍ وحياء ، وكانت غريرةً فيما يحسن ٨٩ النساء من استمالة أهواء الرجال ، وحين أخذها بنصيبها من لذة النساء فلما دخل بها (٢) امتنعت عليه ، ودافعته (٣) عن نفسها ، فزاولها بكلّ ضربٍ كان يحسنه من لطفٍ ، وأدخل عليها من نساءها ونساءها من ظنّ (٤) أنّها تقبلُ منهنّ ، فأعيتهنّ ، حتى همّ (٥) برفضها مع شدة وجدّه بها ، فأتاني فشكا ذلك إليّ مرةً ، فأمرته أن يُفردَها ويخلّيها من الناس ، فلا يصلَ إليها أحدٌ ، وأن يُضعفَ لها الكرامة في اللطف والإقامة لما يصلحها من مطعمٍ ومشربٍ وملبسٍ وطيبٍ وغير ذلك ، مما تلهو به امرأة (٦) وتُعجبُ به ، وأن يجعلَ خادمها أعجميةً لاتفهمُ عنها ، وهي في ذلك عاقلة ، ولا تفهمُها إلا

(١) ل : « فزوجه إياها » .

(٢) ط ، س : « عليها » .

(٣) ل : « ودفعت » .

(٤) ط ، س : « يظن » .

(٥) كذا في ل . أى عزم على ذلك . وفي ط ، س : « اهتم » ، أى أحزنه رفضها إياه .

(٦) كذا في س ، وفيه جزالة . وفي ط ، ل : « تلهو المرأة به » .

بالإيماء^(١) ؛ حتى^(٢) تستوحشَ إليها وإلى كل من يصل^(٣) إليها من النساء
 [و^(٤)] حتى تشتهيَ أن تجِدَ مَنْ يراجعها الكلامَ وتشكو إليه وحشةَ
 الوحدة ، وأن يدخلَ عليها أزواجاً من الحمام ، ذواتِ^(٥) صورةٍ حسنة ،
 وتخيّل وهدير^(٦) فيصيرُهنَّ في بيتٍ نظيف ، ويجعلُ هنَّ في البيتِ تماريد^(٧)
 وبين يَدَي البيتِ حجرةً نظيفة ، ويفتحُ لها من بيتها باباً فيصِرْنَ نُصبَ
 عينها فتلهو بهن وتنظرُ إليهنَّ ، ويجعلُ دخوله^(٨) عليها في اليومِ دَفْعَةً
 لا يزيدُها^(٩) فيه على النظرِ إلى تلك^(١٠) الحمام ، والتسليّ بهنَّ ، والاستدعاء
 لهنَّ إلى الهدير ساعةً ، ثم يخرج^(١١) ، فإنها لاتلبثُ أن تتفكّر في صنيعهنَّ
 إذا رأتُ حالهنَّ ؛ فإنَّ الطَّبيعةَ لاتلبثُ حتى تحركها ، ويكون أوفقُ
 المقاعد لها الدنوّ^(١٢) منهنَّ ، وأغلبُ الملامى عليها النظرَ إليهنَّ ؛ لأنَّ الحواسَّ
 لا تؤدى إلى النفس شيئاً من قبيل السمعِ ، والبصرِ ، والذوقِ ، والشمِّ

(١) ط ، س : « بالإشارة » وهما بمعنى .

(٢) ط ، س : « ولا » وهو خطأ .

(٣) ل : « يقبل » .

(٤) ليست بالأصل . والكلام في حاجة إليها .

(٥) ط ، س : « ذات » .

(٦) التخيل هنا من الخلاء . وفي ط ، س : « تخيل » ، وهى هنا بمعنى الحدق
 في الاستمالة .

(٧) ط ، س : « ويحمل لهن » ، وصوابه في ل . والتماريد : جمع تمراد بالكسر
 وهو بيت صغير في بيت الحمام لمبيضه .

(٨) ط ، س : « وتجعل دخوله » .

(٩) ط ، س : « لا تزيدها » .

(١٠) كذا في ل . وفي ط ، س : « ذلك » وهما صحیحتان . والحمام يذكر ويؤنث .

(١١) ط ، س : « تخرج » .

(١٢) س : « لهن » .

والمجسّة (١) إلا تحرك من العقل في قبول ذلك أو رده ، والاحتياي في إصابته أو دفعه ، والكراهية (٢) له أو الشرور به بقدر ماحرك النفس منه . فإذا رأيت الغالب عليها الدنوّ منهنّ ، والتأمل لهنّ ، فأدخل عليها امرأة مجرّبة غزلة تأنسُ بها ، وتفطنها (٣) لصنيعهنّ ، وتعجبها منهنّ ، وتستميلُ ففكرتها إليهنّ ، وتصف لها موقع اللذة على قدر ماترى من تحريك الشهوة . ثم أخرج المرأة عنها ، وحاوِلِ الدنوّ منها ، فإن رأيت كراهية (٤) أمسكت وأعدت المرأة إليها ، فإنها لا تلبث أن تمسكك . فإن فعلت ماتحبُّ وأمكنتك بعض الإمكان ، ولم تبلغ ما تريد فأخبرني بذلك .

قال : وقلت له : مر المرأة فلنساءلها عن حالها في نفسها ، وحالك . عندها ، فلعلَّ فيها طبيعة من الحياء تمنعها (٥) من الانبساط ، ولعلها [غرُّ] لا يلمس ما قبلها من الخرق (٦) . [ففعل ، وأمر المرأة أن تكشفها عن ذات نفسها ، فشكت إليها الخرق] ، فأشارت (٧) عليها بالمتابعة ، وقالت : اعتبرى ٩٠ بما ترين من هذا الحمام ؛ فقد ترين الزوجين كيف يصنعان ! قالت : قد

(١) ل : « من قبل سمع ، أو بصر ، أو ذوق ، أو شم ، أو مجسة » .

(٢) ط ، س : « الكراهية » ، وهما بمعنى .

(٣) تفطنها : تجعلها تفطن . ط ، س : « توقظها » .

(٤) ط ، س : « كراهة » .

(٥) ط ، س : « منعها » .

(٦) ط : « لا تلمس ما قبلها على ما قبلها من الخرق » س : « لا تلمس ما قبلها من الخرق »

ل : « لا يلمس ما قبلها بالخرق » ، وجعلت الكلام كما ترى . والخرق ، بالتحريك : الحياء .

(٧) ط ، س : « وأشارت » .

تَأَمَّاتُ ذَلِكَ فَعَجِبْتُ مِنْهُ ، وَلَسْتُ أَحْسِنُهُ ! فَقَالَتْ لَهَا : لَا تَمْنَعِي يَدَهُ
وَلَا تَحْمِلِي عَلَى نَفْسِكَ الْهَيْبَةَ (١) ، وَإِنْ وَجَدْتِ مِنْ نَفْسِكَ شَيْئاً تَدْعُوكِ إِلَيْهِ
لِدَّةً فَاصْنَعِيهِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَأْخُذُ بَقَلْبِهِ ، وَيَزِيدُ فِي مَحَبَّتِكَ ، وَيَحْرُكُ ذَلِكَ مِنْهُ
أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَاكَ . فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ نَالَ حَاجَتَهُ وَذَهَبَتْ الْحِشْمَةُ ، وَسَقَطَتِ الْمَدَارَاةُ (٢)
فَكَانَ سَبَبُ الصُّنْعِ لَهَا ، وَالخُرُوجُ مِنَ الْوَحْشَةِ إِلَى الْأَنْسِ (٣) ، وَمِنَ الْحَالِ
الذَّاعِيَةِ إِلَى مَفَارِقَتِهَا إِلَى الْحَالِ الذَّاعِيَةِ إِلَى مَلَازِمَتِهَا ، وَالضَّنُّ بِهَا (٤) - الْحَمَامُ (٥) .

(الخوف على النساء من الحمام)

وما أكثرَ مِنَ الرِّجَالِ ، مِنْ لَيْسَ يَمْنَعُهُ مِنْ إِدْخَالِ الْحَمَامِ إِلَى نِسَائِهِ
إِلَّا هَذَا الشَّيْءُ الَّذِي حَثَّ عَلَيْهِ صَاحِبُ الْفِرَاسَةِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ تِلْكَ الرَّؤْيِيَّةَ
قَدْ تَذَكَّرَ وَتَشَهَّنَى وَتَمَحَّنَ (٧) . وَأَكْثَرُ النِّسَاءِ بَيْنَ ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ : إِمَاءُ
امْرَأَةٍ قَدْ مَاتَ زَوْجُهَا ، فَتَحْرِيكُ طِبَاعِهَا خِطَارَ (٨) بِأَمَانَتِهَا وَعَنْهَا فِيهَا . وَالْمُغْيِبَةُ (٩)

(١) ل : « له » .

(٢) ل : « وسقطت الحشمة ، وذهبت المداراة » .

(٣) ل : « الأنسة » ، وهى بالتحريك بمعنى الأنس . والأنس : ضد الوحشة .

(٤) بدل هذه العبارة الطويلة فى ط ، س : « ومن حال الفرقة إلى حال الاتفاق » .

(٥) بعد هذا اللفظ فى س كلمة : « باب » ، وأراها مقحمة .

(٦) س : « وتشهني » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٧) تمحن : تصيب بالحنّة ، أى البلية . ل : « تحن » .

(٨) الخطار ، بالكسر : مصدر خاطر : إذا ركب الخطر . ط : « خطر » ل ، :

« إخطار » .

(٩) امرأة مغيب ومغيبة ومغيب بضم الميمات ، وكسر الغين فى الأوليين وإسكانها

فى الثالثة : غاب عنها زوجها .

في مثل هذا المعنى . والثالثة : امرأة قد طال لُبُّها مع زوجها ؛ فقد ذهب الاستطراف ، وماتت الشهوة . وإذا رأته (١) ذلك تحرك منها كلُّ ساكن وذكّرت ما كانت عنه بمندوحة .

والمرأة سليمة الدين والعرض والقلب (٢) ، ما لم تهجس في صدرها الخواطر ، ولم تتوهم حالات اللذة وتحرك (٣) الشهوة . فأما إذا وقع ذلك فعزُّمها أضعف العزم ، وعزُّمها على ركوب الهوى (٤) أقوى العزم .
فأما الأبيكارُ الغريرات فهنَّ إلى أن يؤخذنَّ بالقراءة في المصحف (٥) ، ويُحتالَ لهنَّ حتى (٦) يصرنَّ إلى حال التشبيخ (٧) والجبن والكرّازة (٨) ، وحتى لا يسمعن من أحاديث الباه والغزل قليلاً ولا كثيراً - أحوجُّ .

(١) ل « أرادت » ولا تصح . والمراد : رأته فعل الحمام .

(٢) ل : « والصدر » .

(٣) ل : « وتخير » ، وليس بشيء .

(٤) ط : « ركوبها لهوى » .

(٥) س : « مصحف » .

(٦) كذا الصواب في ط ، س . وفي ل : « إلا أن » .

(٧) التشبيخ : مصدر شبخ : صار شيخاً . والمراد أن تطرأ عليهن طباع الشيخوخة

وما لها من ركانة وتزمت . ل : « الشح » .

(٨) الكرزاة : البخل . ط ، س : « الغرارة » ، وهي بالفتح بمعنى الغفلة

وقلة التجربة .

(نادرة لمجوز سنديّة)

ولقد ركبت عجوزٌ سنديّةً ظهرَ بعيرٍ ، فلما أقبلَ بها [هذا] البعيرُ
وأدبرَ وطمرَ (١) ، فمخضها مرّةً مخضَ السقاء (٢) ، وجعلها مرّةً كأنّها ترهزُ (٣)
فقالَت بلسانها - وهي سنديّةٌ أعجميّةٌ - أخزى الله هذا الدّمل (٤) ؛ فإنّه
يذكرُ بالسرِّ (٥) ! تريد : أخزى الله هذا الجمل ، فإنّه يذكرُ بالشر . حدثنا
بهذه النادرة (٦) محمّد بن عبّاد بن كاسب .

(نادرة لمجوز من الأعراب)

وحدثنا ربّيعيُّ الأنصاريُّ : أن عجوزاً من الأعرابِ جَلستُ في طريق
مكة إلى فتيانٍ يشربون نبيذاً [لهم] ، فسقوها قدحاً فطابت نفسها ،

(١) طمر : وثب .

(٢) المخض : التحريك الشديد . كلمة « مرّة » ساقطة من ل . وكلمة : « مخض » جاءت
في ط ، س : بالخاء المهملة ، وتصحيحها من ل .

(٣) رهزها : حركها فارتهزت هي .

(٤) في الأصل : « الزمل » وصوابه بالذال ، كما صرح بذلك الجاحظ في البيان
(١ : ٧٤) .

(٥) ط ، س ؛ « بالشر » بالشين ، وصوابه بالمهملة كما في ل والبيان . جاء
في البيان : « فجعلت الشين سيناً والجيم ذالاً » . وانظر نظائر هذه اللسنة
في البيان (١ : ٧١ - ٧٤) .

(٦) ط ، س : « بهذا النادر » .

وتبسمت ؛ ثمَّ سَقَوْهَا قَدْحًا آخَرَ فَأَحْمَرَ وَجْهَهَا وَضَحِكَتْ ، فسَقَوْهَا قَدْحًا
ثالثًا فقالت : خَبَّرُونِي عن نَسَائِكُمْ بالعراق ، أَيَسْرَبَنَّ من هذا الشراب ؟ فقالوا :
نعم . فقالت : زَيْنَ وَرَبِّ الكعبة !

(عقاب خصيّ)

وزعمَ إبراهيم الأنصاريُّ المعتزليُّ أنَّ عباسَ بنَ يزيدَ بنَ جريرٍ دَخَلَ
مقصورةً لبعضِ جواريه ، فأبصرَ حمامًا قد قَطَّ حمامةً ، ثمَّ كَسَحَ بِذَنبِهِ
ونَفَسَ ريشه ، فقال : لمن هذا الحمام ؟ فقالوا : لفلانٍ خادِمِك - يَعْنُونَ (١)
حَصِيًّا له - فقدمه فضرَبَ عنقه .

٩١

(قول الحطيئة في الغناء)

و [قد] قال الحطيئةُ لفتيانٍ من بني قُرَيْعٍ (٢) - و [قد] كانوا ربَّما
جَلَسُوا بِقُرْبِ خَيْمَتِهِ ، فتَغَنَّى (٣) بعضهمُ غِنَاءَ الرَّكبانِ - فقال : يا بني قُرَيْعِ !
إِيَّايَ وَالغِنَاءَ ؛ فَإِنَّهُ دَاعِيَةُ الزَّيْنِي (٤) !

(١) ط ، س : « يريدون » .

(٢) بنو قريع كانوا من مدحهم الحطيئة ، فرفع شأنهم . كان يقال لهم بنو أنف الناقة
فيخضبون ، حتى قال الحطيئة :

قوم هم الأنف والأذنان غيرهم ومن يسوى بأنف الناقة الدنيا

فصارا يتباهون بهذه النسبة . العمدة (١ : ٢٥ - ٢٦) . ط : « قريع » ،

تحريف ما في ل ، س .

(٣) ط ، س . « فيغني » .

(٤) ط ، س : « إلى الزنا » .

(أبو أحمد التمار وصاحب حمام)

وأما أبو أحمد التمار المتكلم ، فإنه شاهد صاحب حمام في يوم مجي حمامه من واسط ، وكانت واسط يومئذ الغاية ، فرآه كلما أقبل طائر من حمامه نعر^(١) ورقص ، فقال له : والله إني لأرى^(٢) منك عجبا ؛ أراك تفرح بأن جاءك^(٣) حمام من واسط ، وهو ذلك الذي كان ، وهو الذي جاء ، وهو الذي اهتدى ؛ وأنت لم تجي ولم تهتد ؛ وحين جاء من واسط ، لم يجي معه بشيء من خبر أبي حمزة ، ولا بشيء من مقاريض^(٤) واسط ، وبزبون^(٥) واسط ، ولا جاء معه أيضاً بشيء من خطمي^(٦) ، ولا بشيء من جوز

(١) نعر نعيراً ونعازا : صاح . ط ، س : « سر » .

(٢) في الأصل : « لا أرى » .

(٣) ط ، س : « بأزجال » ، وصوابه من ل .

(٤) لم أر واحد هذه الكلمة . وفي القاموس : المقارض : أوعية الخمر ، والجرار الكبار .

(٥) في القاموس : « البزبون كجردحل وعصفور : السندس » . والسندس : ضرب من

رقيق اللبياج . وهو مركب من « بز » و « يون » أي يشبه « البز » . و « يون »

لغة في « كون » بالفارسية . الألفاظ الفارسية ٢٢ . ط « بزبون » س :

« بزبوه » وهي على الصواب الذي أثبت في ل .

(٦) الخطمي بكسر الخاء وفتحها : نبت له زهر شبيه بالورد ، وتسمى شجرته

« كثيرة المنافع » . المعتمد ٩١ . واسمه العلمي Malvarotundifolia ويعرف

أيضا بالخبازي البرية . وكتب الفقه الإسلامي تردد ذكر هذا النبت في باب الجنائز ؛

إذ أن من خواصه جودة تنظيف الشعر ، وهو بمنزلة الصابون . انظر مثلا مسكين

٤٩ - ٥٠ . ل « خطمي » مع حذف كلمة « واسط » قبلها .

ولا بشيء من زبيب^(١) . وقد مرَّ بكسكر ، فأين كان عن جداء كسكر ،
ودجاج كسكر^(٢) ، وسمك كسكر ، وصحناة^(٣) كسكر ، ورَبِيثاء^(٤) كسكر
[وشعير كسكر؟!] ذهب صحيحاً نشيطاً، ورجع مريضاً كسلان، وقد غرمت
ما غرمت^(٥) !! فقل لي : ما وجه فرحك ؟ فقال : فرحى أنى أرجو أن أبيعته
بخمسين ديناراً . قال : ومن يشتريه منك بخمسين ديناراً؟ قال : فلان ، وفلان .
فقام ومضى إلى فلان^(٦) فقال : زعم فلان أنك تشتري منه^(٧) حماماً جاء
من واسط بخمسين ديناراً؟ قال : صدق . قال : فقل لي^(٨) لم تشتريه

(١) ل : « وشيء من جوز ، وشيء من زبيب » .

(٢) دجاج كسكر سبق الكلام فيه (٢ : ٢٤٨) . وقد أبدت عجبى هناك من تقدير
تمنه ، لكن وجدت ياقوتاً يؤيد ما ذكره في كسكر بما ذكره في (واسط)
أيضاً حيث قال : « رأيت فيها — معنى واسطاً — كوز زبد بدرهمين
واثنى عشرة دجاجة بدرهم ، وأربعة وعشرين فروجاً بدرهم » . ط ، س :
« عن دجاجها » .

(٣) الصحناء والصحناء ، ويمدان ويكسران : إدام يتخذ من السمك الصغار والملح .
القاموس والمعتمد ١٩٧ . قال داود : « لاتعرف إلا بالعراق ، ويقرب منها ما يعمل
بمصر ويسمى : الملوحة » . ط : « وصحناءها » تحريف وأثبت ما في ل .
وفي س : « وصحناء كسكر » . وانظر ٦ : ٨٤ — ٨٥ .

(٤) في مفاتيح العلوم ١٠٠ : « الربيثاء ، والصحناء ، والصير : السميكات تعمل
من السمك الصغار والملح » . وبدل هذه الكلمة في ط ، س : « ستر »
وهو نبت طيب الرائحة .

(٥) ط ، س : « وقد عرفت ما عرفت » .

(٦) ط ، س : « إلى فلان وفلان » وصوابه ما أثبت من ل .

(٧) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٨) س : « قال فقل له » ، وصوابه ما أثبت من ل . وفي ط : « فقال له » .

بِخَمْسِينَ دِينَارًا؟ قَالَ : لِأَنَّهُ جَاءَ مِنْ وَاسِطٍ . قَالَ : فَإِذَا جَاءَ مِنْ وَاسِطٍ فَلَمْ تَشْتَرِهِ بِخَمْسِينَ دِينَارًا؟ قَالَ : لِأَنِّي أَبِيعُ الْفَرَّخَ مِنْهُ بِثَلَاثَةِ دَنَانِيرَ ، وَالْبَيْضَةَ بِدَيْنَارَيْنِ . قَالَ : وَمَنْ يَشْتَرِي مِنْكَ؟ قَالَ : مِثْلُ فُلَانٍ وَفُلَانٍ . فَأَخَذَ نَعْلَهُ وَمَضَى إِلَى فُلَانٍ ، فَقَالَ : زَعِمَ فُلَانٌ أَنَّكَ تَشْتَرِي مِنْهُ فَرَّخًا مِنْ طَائِرٍ جَاءَ مِنْ وَاسِطٍ بِثَلَاثَةِ دَنَانِيرَ ، وَالْبَيْضَةَ بِدَيْنَارَيْنِ . قَالَ : صَدَقَ . قَالَ : فَقُلْ لِي : لِمَ تَشْتَرِي فَرَّخَةَ بِثَلَاثَةِ دَنَانِيرَ؟ قَالَ : لِأَنَّ أَبَاهُ جَاءَ مِنْ وَاسِطٍ . قَالَ : وَلِمَ تَشْتَرِيهِ بِثَلَاثَةِ دَنَانِيرَ إِذَا جَاءَ أَبُوهُ مِنْ وَاسِطٍ؟ قَالَ : لِأَنِّي أَرْجُو أَنْ يَجِيءَ مِنْ وَاسِطٍ . قَالَ : وَإِذَا جَاءَ مِنْ وَاسِطٍ فَأَيُّ شَيْءٍ يَكُونُ؟ قَالَ : [يَكُونُ أَنْ] أَبِيعَهُ بِخَمْسِينَ دِينَارًا . قَالَ : وَمَنْ يَشْتَرِيهِ مِنْكَ بِخَمْسِينَ دِينَارًا؟ قَالَ : فُلَانٌ . فَتَرَكَهُ وَمَضَى إِلَى فُلَانٍ ، فَقَالَ : زَعِمَ فُلَانٌ أَنَّ فَرَّخًا مِنْ فَرَاخِهِ إِذَا جَاءَ أَبُوهُ مِنْ وَاسِطٍ اشْتَرِيته أَنتَ مِنْهُ بِخَمْسِينَ دِينَارًا^(١) . قَالَ : صَدَقَ . قَالَ : وَلِمَ تَشْتَرِيهِ بِخَمْسِينَ دِينَارًا؟ [قَالَ : لِأَنَّهُ جَاءَ مِنْ وَاسِطٍ . قَالَ : وَإِذَا جَاءَ مِنْ وَاسِطٍ لَمْ تَشْتَرِهِ بِخَمْسِينَ دِينَارًا؟] قَالَ : فَأَعَادَ عَلَيْهِ مِثْلَ قَوْلِ الْأَوَّلِ^(٢) . فَقَالَ : لَارْزُقِ اللَّهُ مَنْ يَشْتَرِي حَمَامًا جَاءَ مِنْ وَاسِطٍ بِخَمْسِينَ دِينَارًا ، وَلَا رِزْقَ اللَّهُ [إِلَّا] مَنْ لَا يَشْتَرِيهِ بِقَلِيلٍ وَلَا بِكَثِيرٍ^(٣) .

(١) كلمة « أبوه » ساقطة من ل . وكذا « أنت منه بخمسين دينارًا » .

(٢) ل : « مثل قوله الأول » ، وصوابه في ط ، س .

(٣) كلمة « دينارًا » ساقطة من ل . و « يشتره » هي في ط : « يشريه »

وشرى تكون بمعنى اشترى .

(نوادر لأبي أحمد التمار)

٩٢ وأبو أحمد هذا هو الذى قال - وهو يعظ بعض المسرفين - لو أن رجلاً كانت عنده ألف ألف دينار ثم أنفقها كلها لذهبت [كلها] . وإنما سمع قول القائل : لو أن رجلاً عنده ألف ألف دينار فأخذ منها ولم يصع عليها لكان خليقاً أن يأتي عليها^(١) .

وهو القائل فى قصصه : ولقد عظم [رسول الله صلى] الله [عليه وسلم] حق الجار ، وقال فيه قولاً أستحى والله من ذكره !

وهو الذى قال لبعضهم^(٢) : بلغنى أن فى بستانك أشياء تهمنى ، فأحب أن تهب لى منه أمراً من أمر الله عظيم^(٣) .
وكان زجاجاً^(٤) قبل أن يكون تماراً .

وزعم سليمان الزجال^(٥) وأخوه ثابت ، أنه قبل أن يكون تماراً^(٦) قال يوماً - وذكر الحمام ، حين زهد فى بيع الحمام ؛ وذكر بعض الملوك - فقال :
أمّا فلان فإنه لما بلغنى أنه يلعب بالحمام سقط من عينى !

(١) ط ، س : « على أكثرها » .

(٢) ل : « للهفتى » .

(٣) ل : « بلغنى أن فى أرضك أشياء تهمننا فهب لى منه أمراً من أمر الله عظيماً » .

(٤) الزجال هنا : الذى يتاجر فى حمام الزاجل ، كما يظهر من الكلام . ل : « جدالاً » تحريف .

(٥) ل : « الجدال » . وما كتبت من ط ، س أوفق ؛ لما سأتى من الكلام .

(٦) التمار : بائع التمر . والكلام من مبدأ « قبل » ساقط من ل

والله سبحانه وتعالى أعلم (١) .

[تمّ القول في الحمام ، والحمد لله وحده .]

باب

القول في أجناس الذَّبَّانِ (٢)

بسم الله ، وبالله [والحمد لله] ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بالله ، وصَلَّى اللهُ
على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الأَمِيِّ وعلى آله وصحبه وسلّم ، وعلى أبرار عِتْرَتِهِ (٣)
الطَّيِّبِينَ الأَخْيَارِ (٤) .

أوصيك أيها القارئ المتفهم ، وأيها المستمع المنصت المصيخ (٥) ، ألا تحقرَ
شيئاً أبداً لصغر جثته ، ولا تستصغر قدره لقلّة ثمنٍ .

(١) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٢) كلمة « باب » وكذا « أجناس » ساقطتان من ل .

(٣) العترة ، بالكسر : نسل الرجل ، ورهطه ، وعشيرته الأذنون من مضي وغير .
ل ، ط : « عشيرته » .

(٤) يبدو أن الفقرة من أولها دخيلة على الكتاب ، فليست من أسلوب صاحبنا .

(٥) المصيخ : المستمع . وبدلها في ط ، س : « المتصفح » . وكيف يكون
المستمع متصفحاً ؟ ! .

(دلالة الدقيق من الخلق على الله)

ثمَّ اعلمْ أنَّ الجبلَ ليس بأدلَّ على الله من الحصاة ، ولا الفلَّك المشتمل على عالمنا هذا بأدلَّ على الله من بدن الإنسان . وأنَّ صغيرَ ذلك ودقيقه كعظيمه وجليله . ولم تفرقِ الأمورُ في حقائقها ، وإنما افرقَ المفكِّرونَ فيا ، ومن أهملَ النَّظَرَ ، وأغفلَ مواضعَ الفِرْق ، وفُصُولَ الحدود .

فإنَّ قِبَلَ تَرْكِ النَّظَرِ ، ومن قِبَلَ قَطْعِ النَّظَرِ ، ومن قِبَلَ النَّظَرِ من غير وجه النَّظَرِ ، ومن قِبَلَ الإِخْلَالِ ببعض المقدمات ، ومن قِبَلَ ابتداء النَّظَرِ من جهة النَّظَرِ ، واستتمام النَّظَرِ مع انتظام المقدمات - اختلفوا .

فهذه الخصالُ هي جَمَاعُ هذا الباب ، إلا ما لم نذكره من باب العجز والنقص ؛ فإنَّ الذي امتنع من المعرفة من قِبَلَ النُّقْصَانِ الذي في الخِلْقَةِ (١) يابُّ على حدة .

وإنما ذكرنا بابَ الخطأ والصَّواب ، والتَّصْصِيرِ والتَّسْكِيلِ . فإياك أن تسيء الظَّنَّ بشيءٍ من الحيوان لأضطراب الخلق ، ولتفاوت التركيب ، ولأنَّه مشنوءٌ في العين ، أو لأنَّه قليلُ النَّفْعِ والرَّدِّ ؛ فإنَّ الذي تظُنُّ (٢) أنَّه أقلُّها نفعا لعله أن يكون أكثرها رداً . فلا يكون (٤) ذلك من جهة عاجلِ أمرِ الدنيا ،

(١) ط ، س : « الذي يابيه في الخِلْقَةِ » . وكلمة « يابيه » مقحمة .

(٢) ط ، س : « يظن » ، وتقرأ بالبناء للمفعول .

(٣) ط : « إن لا يكون » س : « ألا يكون » وتصحيحه وفق ما في ل .

٩٣ كان ذلك في آجل أمر^(١) الدين . [وثوابُ الدين] وعقابهُ باقيان ، ومنافعُ الدنيا فانية زائلة ؛ فلذلك قدّمت الآخرة على الأولى .

فإذا رأيتَ شيئاً من الحيوانِ بعيداً من المعاونة ، وجاهلاً بسبب^(٢) المسكائفة^(٣) ، أو كان مما يشتدُّ ضرره ، وتشتدُّ الحراسة منه ، كذوات الأنياب من الحيات والذئاب^(٤) وذوات الخالب من الأسد والثور ، وذوات الإبر والشعر من العقارب والدبّر ، فاعلم أنّ مواقع^(٥) منافعها من جهة الامتحان ، والبلوى . ومن جهة ما أعد الله عزّ وجلّ للصابرين ، ولمن فهم عنه ، و [لمن]^(٦) علم أنّ الاختيار والاختبار [لا]^(٧) يكونان والدنيا كلها شرٌّ صرفٌ أو خيرٌ مخض ؛ فإنّ ذلك لا يكون إلا بالمزاوجة بين المكروه والمحبوب ، والمؤلم والملدّد ، والمحقر والمعظّم ، والمأمون والخوف . فإذا كان الحظّ الأوفرّ في الاختبار والاختيار^(٨) ، وبهما يُتوسل إلى ولاية الله عزّ وجلّ ، وآيد^(٩) كرامته ، وكان ذلك إنما^(١٠) يكون في الدار المزوجة من

(١) ط ، س : « ثواب » .

(٢) س : « بسبيل » ط : « لسبيل » وهذه تحريف الأولى . وأثبت ما في ل .

(٣) المسكائفة ، بالنون : المعاونة . كائفه : عاونه . ل : « المسكائفة » بالناء . ولم أجدها .

(٤) ط : « الذبان » ، وهو تحريف عجيب ، صوابه في ل ، س .

(٥) ليست في ل ، س .

(٦) الزيادة من ل ، س .

(٧) الزيادة من س . والكلام بعده إلى كلمة « ذلك » ساقط من ل .

(٨) ط ، س : « والاعتبار » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٩) الآيد : الدائم . وبدلها في ط ، س : « وإلى » .

(١٠) ل : « لا » ، وهو تحريف يفسد المعنى .

الخير والشر ، والمشاركة والمركبة بالنفع^(١) والضر ، المشوبة باليسر والعسر -
فليعلم موضع النفع في خلق العقرب ، ومكان الصنع في خلق الحية ، فلا
يحقرن الجرجس^(٢) والفرأش والذرة والذبان^(٣) ولتقف حتى تنفكر في الباب
الذي رميت إليك بجملته ، فإنك ستكثر حمد الله عز وجل ، على
خلق الهمج والحشرات ، وذوات السموم والأنياب ، كما حمده على خلق
الأغذية من الماء والنسيم .

فإن أردت الزراية والتحقير ، والعداوة والتصغير ، فاصرف ذلك كله
إلى الجن والإنس ، واحقر منهم كل من عمل عملاً من جهة الاختيار^(٤)
يستوجب به الاحتقار ، ويستحق به غاية المقت من وجه ، والتصغير
من وجه .

فإن أنت أبغضت من جهة الطبيعة^(٥) ، واستثقلت من جهة الفطرة
ضربين من الحيوان : ضرباً يقتلك بسمه ، وضرباً يقتلك بشدة أسره^(٦) لم
تلم . إلا أن عليك أن تعلم أن خالقهما لم يخلقهما لأذاك^(٧) ، وإنما خلقهما لتصبر
على أذاهما ، ولأن تنال بالصبر الدرجة التي يستحيل أن تنالها [إلا] بالصبر^(٨) .

(١) ل : « ومكان النفع في صنع الحية » .

(٢) الجرجس ، بكسر الجيمين : البعوض الصغار . ويقال أيضاً : القرقس ، بوزنه .

(٣) الذر : صغار النمل . و « الذبان » بالكسر : جمع « الذباب » . وبهذه جاءت
في ط ، س .

(٤) ط ، س : « الاختيار » وهو تحريف ما في ل .

(٥) ل : « فإن أنت بنية الطبيعة » وهو كلام مشوه .

(٦) الأسر : شدة الخلق والخلق . ط : « أسره » تحريف .

(٧) ط : « لذلك » . وما أثبت من س ، ل أوفق .

(٨) ط ، س : « التي تستحق أن تنالها بالصبر » ، ومؤدى العبارتين واحد .

والصبرُ لا يكونُ إلاَّ علىَّ حالٍ^(١) مكروه . فسواءُ عليك [أ] كان المكروه سبُعًا وثأبًا ، أو كان مَرَضًا قاتلًا . وعلىَّ أنْكَ لا تدرى ، لعلَّ النزَع ، والعلزَّ والحشْرَجَة^(٢) ، أن يكون أشدَّ من لذغ^(٣) حيَّة ، وضغمة سبيع^(٤) . فلاَّ تسكُنْ له حرقة كحرق النار^(٥) وألم كالم الدهق^(٦) ، فلعلَّ هناك من السكرب ما يكون موقعه من النَّفس فوق ذلك .

وقد علمنا أنَّ النَّاس يُسمَّون^(٧) الانتظار لوقع السيف على [صليفا^(٨)] العنق جهْدُ البلاء ؛ وليس ذلك الجهد من شكل لذع النار ، ولا من شكل ألم الضرب بالعصا . فافهم فهَمَّكَ اللهُ مواقع النفع كما يعرفها أهل الحكمة ، وأصحاب الأحساس الصحيحة .

ولا تذهب في الأمور مذهبَ العامَّةِ ، وقد جعلَكَ اللهُ تعالى من الخاصة ، فإنَّكَ مسؤلٌ عن هذه الفضيلة ؛ لأنَّها لم تجعلْ لعبا^(٩) ، ولم تتركْ

(١) حال ، أى حاضر . ل : « عاجل » .

(٢) النزع : قلع الحياة . والعلز بالتحريك : هلع يصيب المحتضر . والحشرجة : الغرغرة عند الموت .

(٣) ط ، س : « لذغ » وصوابه في ل .

(٤) هاتان ساقطتان من ل . والضغمة : العضة . وسمى الأسد ضيغما لذلك .

(٥) كذا في ل . وفي ط : « فلا يكون حرقة كحرق اللسع » وفي س : « فلا يكون لك حرقة كحرق اللسع » ، محرفتان .

(٦) الدهق ، بالتحريك : خشبتان يغمز بهما الساق ، فارسيته : أشكنجه .

(٧) ل : « لا يسمون » ، وكلمة « لا » تفسد المعنى .

(٨) الصليفا ، كأبير : عرض العنق .

(٩) ل : « لغوا » .

هَمَلًا . وَاصْرِفْ بُغْضَكَ إِلَى مُرِيدِ ظَلَمِكَ (١) ، لَا يَرِاقِبُ فِيكَ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً ،
وَلَا مَوَدَّةً ، وَلَا كِتَابًا وَلَا سُنَّةً . وَكَلِمَا زَادَكَ اللَّهُ عِزًّا وَجَلَّ نِعْمَةً أَزْدَادًا (٢)
عَلَيْكَ حَقًّا ، وَلَكَ بُغْضًا . وَفِرَّ كُلَّ الْفِرَارِ وَاهْرُبْ كُلَّ الْهَرَبِ ، وَاحْتَرَسْ
كُلَّ الْاِحْتِرَاسِ ، مَنْ لَا يَرِاقِبَ اللَّهُ عِزًّا وَجَلَّ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَخْلُو مِنْ أَحَدٍ أَمْرِينَ ،
إِمَّا أَنْ يَكُونَ لَا يَعْرِفُ رَبَّهُ مَعَ ظُهُورِ آيَاتِهِ وَدَلَالَاتِهِ ، وَسُبُوغِ آيَاتِهِ ، وَتَتَابُعِ
نِعْمَاتِهِ ، وَمَعَ بَرَهَانَاتِ رُسُلِهِ ، وَبَيَانِ كِتَابِهِ ؛ وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ بِهِ عَارِفًا وَبَدِينَهُ (٣)
مَوْقِنًا ، وَعَلَيْهِ مَجْتَرِئًا ، وَبُحْرَمَاتِهِ مُسْتَخْفًا . فَإِنْ كَانَ بِحَقِّهِ جَاهِلًا فَهُوَ بِحَقِّكَ
أَجْهَلٌ ، وَلَهُ أَنْ تَكْفُرَ . وَإِنْ كَانَ بِهِ عَارِفًا وَعَلَيْهِ مَجْتَرِئًا فَهُوَ عَلَيْكَ أَجْرًا ، وَلِحَقُوقِكَ
أَضْيَعٌ (٤) وَلَا يَأْدِيكَ أَكْفَرُ .

فَأَمَّا خَلْقَ الْبَعُوضَةِ وَالنَّمْلَةِ وَالْفَرَاشَةِ وَالذَّرَّةَ وَالذَّبَّانَ (٥) وَالْجَمْعَانَ ،
وَالْيَعَاسِيْبَ وَالْجِرَادَ - فَيَاكَ أَنْ تَهَانُونَ بِشَأْنِ هَذَا الْجُنْدِ ، وَتَسْتَخْفُونَ (٦) بِالْآلَةِ
الَّتِي فِي هَذَا الذَّرَّةِ (٧) ؛ فَارَبَّتْ أُمَّةٌ قَدْ أَجْلَاهَا عَنْ بِلَادِهَا (٨) النَّمْلُ ، وَنَقَلَهَا

(١) س : « لمن يريد ظلما » .

(٢) ط فقط : « ازدادوا » .

(٣) س : « وبدنيه » وهو تحريف .

(٤) ط ، س : « وخلقك » . و « أضيغ » تفضيل من أضع . وفي التفضيل
من أفعال مذاهب ثلاثة : المنع مطلقا ، والجواز مطلقا ، والمنع إن كانت المهمة
لغير النقل .

(٥) الذبان : جمع ذباب . ط ، س : « والذباب » .

(٦) ط : « تستخفف » تحريف صوابه في ل ، س .

(٧) الذرة : الخلق . وفي الأصل : « الذر » .

(٨) ل : « مساكنها » .

عن مساقطِ رَعُوسِهَا الذَّرُّ ، وَأَهْلِكَتِ بِالْفَأْرِ (١) ، وَجُرِدَتْ بِالْجَرَادِ ، وَعُذِّبَتْ
بِالْبَعُوضِ ، وَأَفْسَدَ عَيْشَهَا الذَّبَّانُ ؛ فَهِيَ جُنْدٌ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَهْلِكَ
بِهَا قَوْمًا بَعْدَ طُغْيَانِهِمْ وَتَجَبُّرِهِمْ وَعُتُوِّهِمْ ؛ لِيَعْرِفُوا أَوْ لِيَعْرِفَ بِهِمْ أَنَّ كَثِيرَ
أَمْرِهِمْ ، لَا يَقُومُ بِالْقَلِيلِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَفِيهَا بَعْدُ مُعْتَبَرٌ لِمَنْ اعْتَبَرَ ،
وَمَوْعِظَةٌ لِمَنْ فَكَّرَ ، وَصَلَاحٌ لِمَنْ اسْتَبَصَرَ (٢) ، وَبَلَوَى وَمُخَنَّةٌ ، وَعَذَابٌ
وَنِقْمَةٌ ، وَحُجَّةٌ صَادِقَةٌ ، وَآيَةٌ وَاضِحَةٌ (٣) ، وَسَبَبٌ إِلَى الصَّبْرِ وَالْفِكْرَةِ . وَهِيَ
جِمَاعُ الْخَيْرِ فِي بَابِ الْمَعْرِفَةِ وَالِاسْتِبَانَةِ (٤) ، وَفِي بَابِ الْأَجْرِ وَعِظْمِ الْمُثُوبَةِ (٥) .
وَسَنَدٌ كَرَّ جَمَلَةً مِنْ حَالِ الذَّبَّانِ ، ثُمَّ نَقُولُ فِي جَمَلَةٍ مَا يَحْضُرُنَا مِنْ
شَأْنِ الْغُرَبَانِ وَالْجَمْعَانِ .

(أمثال في الفراش والذباب)

ويقال (٦) في موضع الذمِّ والهجاء : « مَا هُمْ إِلَّا فَرَّاشٌ نَارٍ وَذِبَّانٌ
طَمَعٍ » . وَيَقَالُ : « أَطْيِشٌ مِنْ فَرَّاشَةٍ ، وَأَزْهَى مِنْ ذِبَّانٍ » .

(١) إشارة إلى حادثة سيل العرم . زعموا أن السبب فيه فأرة ، قال الجاحظ : « لا يشك
الناس في أن أرض سبأ وجنتها إنما خربت حين دخلها سيل العرم ، وأن الذي
فجر المياه فأرة » . ثمار القلوب ٣٢٨ . ط ، س : « بالقراد » وليس بشيء .

(٢) ل : « معتبر وموعظة وصلاح » .

(٣) سقط الكلام من ل ، من مبدأ : « وحجة » .

(٤) ط : « والإبانة » .

(٥) « وعظم المثوبة » ساقطة من ل .

(٦) ل : « قالوا : يقال » .

وقال الشاعر :

كَأَنَّ بَنِي ذُوْبِيَّةِ رَهْطَ سَلَمَى فَرَاشٌ حَوْلَ نَارِ يَصْطَلِينَا

يُطْفِنَ بَحْرَهَا وَيَقَعْنَ فِيهَا وَلَا يَدْرِينَ مَاذَا يَتَّقِينَا

والعرب تجعل الفراش والنحل والزنابير والدبر كلها من الذبان .

وأما قولهم (١) : « أَزْهَى مِنْ ذُبَابٍ » فَلَانَ الذَّبَابَ يَسْقُطُ عَلَى أَنْفِ الْمَلِكِ (٢)

الجبار ، وعلى موق عينيه (٣) ليأكله ، ثم يطرده فلا ينطرد (٤) .

(معانٍ وأمثلة في الأنف)

والأنف هو النخوة وموضع التجبر .

وكان من شأن البطارقة (٥) وقواد الملوك إذا أنفوا [من شيء] أن ينخروا

كما ينخِر الثور عند الذبح ، والبرذون عند النشاط .

(١) ل : « قوله » .

(٢) ل : « الملوك » ، وهو تحريف .

(٣) موق العين : طرفها مما يلي الأنف . وللمعين موقان . ولكنه أفرد ، وذلك

جائز في العربية . ومنه قوله تعالى : « بدت لها سواتهما » بالإفراد ، في قراءة

الحسن . انظر هم الهوامع (١ : ٥١) .

(٤) كذا في ل . وفي ثمار القلوب ٣٩٥ : « ثم يطرد فلا ينطرد » . وفي ط ، س

« فيطرده ولا ينطرد » .

(٥) البطريق ، ككبريت : القائد من قواد الروم تحت يده عشرة آلاف رجل .

وهو معرب من الرومي : Patricius .

والأنف هو موضع الخنزروانة والشعرة^(١) . وإذا تكبرت الناقة بعد أن تلحق فإنها^(٢) تزم بأنفها .

والأصيد : الملك الذى تراه أبداً من كبره مائل الوجه . وشبهه بالأسد فقيل أصيد ؛ لأن عُنق الأسد من عظم واحد ، فهو لا يلتفت إلا بكُله ، فلذلك يقال للمتكبر : « إنما أنفه فى أسلوب » ، ويقال : أرغم الله أنفه وأذل معطسه ! و [يقال] : ستفعل ذلك وأنفك راغم ! والرغام : الرباب . ولولا كذا وكذا^(٣) هُشمت أنفك . فإنما يخصون بذلك الأنف ؛ لأن الكبر إليه يضاف^(٤) : قال الشاعر^(٥) :

يَا رَبِّ مَنْ يُبْغِضُ أَذْوَادَنَا رُحْنَ عَلَى بَعْضَائِهِ وَاغْتَدَيْنَ^(٦)
لَوْ نَبَتَ الْبَقْلُ عَلَى أَنْفِهِ لَرُحْنَ مِنْهُ أَصْلًا قَدْ أَبِينِ^(٧)

(١) الخنزروانة ، بالخاء والزاي مضمومتين بينهما نون ساكنة : الكبر ، ومثله الشعرة ، كهزمة ، وبالتحريك .

(٢) ل : « فإنما » .

(٣) ل : « ولولا كذا » .

(٤) كذا الوجه فى ل ، س . وفى ط : « يضاف إليه » .

(٥) هو عمرو بن قيثة ، كما فى أمالى ابن الشجرى (٢ : ٣١١) .

(٦) الأذواد : جمع ذود ، وهو القطيع من الإبل . وأراد بقوله : « على بعضائه » أنهم يرعين ويرتوون ، ولا يستطيع العدو منعهن لقدرة صاحبهن وعزته . وكلمة « بعضائه » هى فى ط : « بعضائه » وفى س : « بعضائه » ، وصوابها من ل وأمالى ابن الشجرى ، والمحاضرات الراغب (٢ : ٦٣) .

(٧) الأصل ، بضمين : الأصيل ، وهو العشى أى آخر النهار . وبعضهم قال : إن الأصل جمع أصيل . وليس بشيء . وأبين ، يقول : قد أبين الطعام من كثرة مارعين فأشبهن شهواتهن . ط ، س : « أتين » وصوابه فى ل . والرواية فى المحاضرات : « رعين » . وجاء فى ط ، س : « رحن إليه » وتصحيحه من ل والمحاضرات .

ويقال « بعير مذبوب » إذا عرض له ما يدعو^(١) الذَّبَّانَ إلى السَّقُوطِ عليه . وهم يعرفون الغُدَّةَ^(٢) إذا فشت أو أصابت بعيراً بسَّقُوطِ الذَّبَّانِ عليه .

(احتيال الجمالين على السلطان)

وبسقوط^(٣) الذَّبَّانِ على البعير يحتمل الجَمَّالُ للسلطان ، إذا كان قد تسخَّرَ إِبِلَهُ^(٤) وهو لذلك كاره ، وإذا كان في جماله الجملُ النفيسُ أو الناقةُ السكريمة^(٥) ؛ فإنه يعمد إلى الخَضْخاضِ^(٦) فيصبُّ فيه شيئاً من دِيسٍ^(٧) ثم يَطْلِي به ذلك البعير ، فإذا^(٨) وجد الذَّبَّانَ ريحَ الدِّبْسِ تساقطنَ عليه ، فيدعى عند ذلك أن به غُدَّةً^(٩) ويجعلُ الشاهدَ له عندَ السلطانِ^(١٠) ما يوجد عليه من الذَّبَّانِ ! فما أكثر ما يتخلصون بكرائم أموالهم^(١١) بالحيلِ من أيدي

(١) ل : « داء يدعو » .

(٢) الغدة بالضم : طاعون الإبل . ط ، س : « العرة » ، وهي بالضم بمعنى الجرب . ولا تستقيم هذه مع بقية الكلام .

(٣) كذا في ل وهو الصواب . وفي ط ، س : « ولسقوط » .

(٤) يقال سخره تسخيراً ، وتسخره كذلك : كلفه عملاً بلا أجره . ط ، س : « يسخر إبله » وأثبت ما في ل .

(٥) ل : « فإذا كان فيها جمل نفيس أو ناقة كريمة » .

(٦) الخضخاض : نفض أسود رقيق تهنأ به الإبل الجربي .

(٧) الدبس ، بالكسر وبكسرتين : عسل التمر ، وعسل النحل . والأول المعنى .

(٨) ط ، س : « وإذا » .

(٩) كذا في ل . وفي ط ، س : « عرة » . وانظر التنبيه الثاني من هذه الصفحة

وفي ل : « فتدعى عند ذلك أنه » . وفيه تحريف .

(١٠) كلمة : « له » ساقطة من ل .

(١١) يتخلصون : ينجون . ل : « يتخلصون » وهما بمعنى ل ، س :

السُّلْطَانُ ، ولا يظنُّ ذلك السُّلْطَانُ إِلَّا أَنَّهُ متى شاء أَنْ يبيعَ مائةَ
أعرابيٍّ بدرهمٍ فَعَلَّ . والغُدَّةُ (١) عندهمُ تُعَدُّ ، وطِباعُ الإبلِ أَقبلُ شَيْءٍ
للأَدْوَاءِ التي تُعَدُّ ، فيقولُ الجمالُ عندَ ذلكَ للسُّلْطَانِ : لو لم أخفِ على
[الإبلِ إِلَّا] بعيرى هذا المغدِّ أن يُعَدِّىَ لم أبال (٢) ، وليكنِّي أخافُ إعدادَ
الغُدَّةِ ومضرَّتها في سائرِ مالى ! فلا يزالُ يستعطفُه بذلك ، ويحتالُ له به (٣)
حتى يَحُلِّيَ سَيْلَهُ .

(نفور الذِّبَّانِ من بعض الأشياء)

ويقالُ إِنَّ الذِّبَّانَ لا يَقْرُبُ قِدْرًا فيه كَمَاءٌ ، كما لا يَدْخُلُ ساءٌ أُبرَصٌ (٤)
بيتاً فيه زعفران .

(الخوف على المكلوب من الذِّبَّانِ)

ومن أصابه عضَّ الكلبِ الكَلْبِ حَمَوا وجهه من سقوطِ الذِّبَّانِ عليه .
قالوا : وهو أشدُّ عليه من ديبِ الدِّبِّ (٥) على البعير .

= « من كرائم » والوجه ما أثبت من ط .

(١) ط ، س : « والعرة » . وانظر التنبيه الثاني من الصفحة السابقة .

(٢) المغد ، هو من أغد البعير : أصابته الغدة ، أى الطاعون . ط ، س : « المعر »
ولم أجد لها وجهها تصح به وكلمة « يعدى » هى فى س : « يعر » وليست
مرادة . ل : « لم أبل » وهما صحيحتان .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « ويحتال له ويميله » .

(٤) ل : « كما لا تدخل » ، والوجه ما أثبت من ط ، س .

(٥) الدبيب : المشى الخفيف . ل : « سقوط » . والنبر ، بالكسر ، سيفسره
الجاحظ بعد هذا .

(النَّبْر)

والتَّبْرُ دَوْبَةٌ إِذَا دَبَّتْ عَلَى الْبَعِيرِ ، تَوَرَّمٌ ، وَرَبَّمَا كَانَ ذَلِكَ سَبَبَ هَلَاكِهِ .

قال الشاعرُ وهو يصف (١) سِمْنَ إبله ، وَعِظَمَ أبدانها :
حمر تحقنت النجيل كأنما بجلودهنَّ مدارجُ الأنبارِ (٢)

(مميزات خلقية لبعض الحيوان)

وليس في الأرض ذبابٌ إلَّا وهو أقرح (٣) ، ولا في الأرض بعيرٌ إلَّا ٩٦
وهو أعلم (٤) ، كما أنه ليس في الأرض ثورٌ إلَّا وهو أفطس .

وفي أن كلَّ بعيرٍ أعلمُ يقولُ عنتره :

وحليلٍ غانيةٍ تركتُ مجدلاً تمكو فريصته كشدقِ الأعمى (٥)

(١) ل : « يذكر » .

(٢) « حمر » في اللسان : « جردا » . وتحقنت النجيل : امتلأت أجوافها به . ط ، س : « تحقنت الخيل » ، وتصحيحه من ل واللسان . والنجيل : خير الحمض كله وألينة على السائمة . والحمض : ما ملح وأمر من النبات : والأنبار : جمع نبر بالكسر وقد مر تفسيره . ومدارجه : مواضع دروجه ، أي مشيه .

(٣) « أقرح » ، وهو من القرحة . وكل ذباب في وجهه قرحة . انظر أمثال الميداني (٢ : ٤٠٣) . ط ، ل : « أقدح » والوجه ما أثبت ؛ إذ هو الصفة الخلقية التي تسير السياق . وانظر عيون الأخبار ٢ : ٧٥ وفيه « كل ذباب أقرح » . وانظر كذلك العقد ٦ : ٢٣٦ تأليف .

(٤) الأعمى : مشقوق الشفة العليا .

(٥) حليل : بمعنى زوج . ط ، س : « جليل » والصواب في ل ، مجدلا : ملقيا على الجدالة وهي الأرض . تمكو فريصته : تصفر . والفريصة : لحمة في وسط الجنب عند منبض القلب ، وهي ترتعد عند الفزع . قال التبريزي : « كأن هذه الطعنة في سمها شدة الأعمى » . وكان الجاحظ يفهم هذا المعنى كما سيأتي بعد سطر . وأنا أقول : إنه في هذا البيت ما شبهها بشدة الأعمى في السمعة ، بل أراد أن صوت الدم الدافق من هذه الطعنة ، يحكي الصوت الصادر من شدة البعير . وهذا لا يمنع أن بعض الشعراء أراد في شعره هذا المعنى الذي أدركه التبريزي والجاحظ .

كأنه^(١) قال : كشدق البعير ؛ إذ كان كل بعير أعلم .
والشعراء يشبهون الضربة بشدق البعير ، ولذلك قال الشاعر^(٢) :
كم ضربة لك تحمكي فأقراسية من المصاعب في أشداقه شنع^(٣)
وقال الكميث :

* مَشَافِرَ قَرَحَى أَكَلْنَ الْبَرِيرَا^(٤) *

وإذا قيل الأعم ، علم أنه البعير ، كما أنه إذا قيل الأقرح^(٥) علم أنه
الذبان . قال الشاعر :

ولأنت أطيّش ، حين تغدو سادراً حذر الطعان ، من القدوح الأقرح^(٦)
يعني الذبان لأنه أقرح^(٧) ، ولأنه أبدا يحك بإحدى ذراعيه على

(١) كذا في ل ، وهو الوجه . وفي ط ، س : « كما أنه » .

(٢) هو النمر بن تولب ، كما في البيان (١ : ٥٥) .

(٣) تحكي فاه : تماثله . والقراسية : الضخم الشديد من الإبل ، ذكراً كان أو أنثى ،
وهو في الذكور أغلب . والمصاعب ، واحداً مصعب ، وهو الفحل . في
أشداقه : أراد في شدقيه ، ومثل هذا جائز . في الأصل : « في أشداقها » ، والوجه
ما أثبت من البيان ؛ إذ أن المراد بالقراسية هنا الفحل .

(٤) قرحى : جمع قريح ، وهو هنا المصاب بالقرحة في فيه ، فيبدل لذلك مشفره . والبرير :

الأول من ثمر الأراك . وهذا عجز بيت ، صدره كما في الحيوان ٥ : ٦٠٢ :

* تشبه في الهام آثارها *

(٥) في الأصل : « الأقدح » .

(٦) السادر : الراكب رأسه . و « حذر الطعان » كذا في ط ، س ، وفي ل

« حذر العظام » ، والرواية المعروفة : « رعش الجنان » كما في أمثال الميداني (١ :

٤٠٣) وثمار القلوب ٣٩٥ واللسان والتاج (قدح) . والجنان : القلب . والقدوح : الذي

يحك ذراعاً بذراع ، يحكي فعل القساح الذي يطلب النار . والأقرح : الذي

في وجهه قرحة . وفي الأصل وكذا اللسان : « الأقدح » ، خطأ ، صوابه

في الثمار وأمثال الميداني .

(٧) في الأصل : « أقدح » . وانظر التنبيه السائف .

الأخرى كأنه يقدر بعودى مَرخٍ وِعَفار^(١) ، أو عرجون ، أو غير ذلك مما يقدر به .

(أخذ الشعراء بعضهم معاني بعض)

ولا يعلم في الأرض شاعرٌ تقدّم في تشبيهه مُصيب تامّ ، وفي معني غريب عجيب ، أو في معني شريف كريم ، أو في بديع مُخترع ، إلا وكلُّ مَنْ جاء من الشعراء من بعده أو معه ، إن هو لم يعد^(٢) على لفظه فيسرق بعضه أو يدعيه بأسره ، فإنه لا يدع أن يستعين بالمعني ، ويجعل نفسه شريكاً فيه ؛ كالمعني^(٣) الذي تنازعه الشعراء فتختلف ألفاظهم ، وأعاريض أشعارهم ، ولا يكون أحدٌ منهم أحقّ بذلك المعني من صاحبه . أو لعله [أن] يجحد أنه سمع بذلك المعني قطّ ، وقال إنه خطر على بالي من غير سماع ، كما خطر على بال الأوّل . هذا إذا قرّعه به . إلا ما كان من عنتره في صفة الذباب ؛ فإنه وصفه فأجاد صفته^(٤) فتحامى معناه جميع الشعراء

(١) المرخ ، بالفتح : شجر من العضاء خشبه كثير الوري سريمه . والعفار ، كسحاب : شجر خوار . ومن المرخ يتخذ الزندة ، وهي السفلى ، ومن العفار يتخذ الزند وهو الأعلى ، ويقترح بهما . قال :

إذا المرخ لم يور تحت العفار وذن بقدر فلم تعقب

ط : « بعود من مرخ ، أو عفار » ، س « بعود في مرخ أو عفار » وتصحيحه من ل .

(٢) كذا الصواب في ل . وفي ط ، س : « يقدر » .

(٣) ل : « وكالمعني » .

(٤) ط ، س : « وصفه » .

فلم يعرض له أحد منهم^(١) . ولقد عرّض له بعضُ المحدثين ممن كان يحسنُ القول ، فبلغ من استكراهه لذلك المعنى ، ومن اضطرابه فيه ، أنه صار دليلاً على سوء طبعه في الشعر^(٢) . قال عنتره :

جَادَتْ عَلَيْهَا كُلُّ عَيْنٍ ثَرَّةٌ فَتَرَكَنَ كُلَّ حَدِيقَةٍ كَالدَّرْهِمِ^(٣)
فَتَرَى الذُّبَابَ بِهَا يَغْنَى وَحَدَهُ هَزِجًا كَفِعْلِ الشَّارِبِ الْمَتْرَمِ
غَرْدًا يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ فِعْلَ الْمَكْبِ عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْذَمِ
قال : يريد فعل الأقطعِ المكبُّ على الزَّنَادِ . والأجزم : المقطوع

٩٧ اليدين . فوصف الذباب إذا كان واقعاً ثمَّ حكَّ إحدى يديه بالأخرى ، فشَبَّهَهُ عند ذلك برجلٍ مقطوع اليدين ، يقدحُ بعودين . ومتى سقط الذبابُ فهو يفعل ذلك .

ولم أسمع في هذا المعنى بشعر أرضاه غير شعر عنتره .

(قولٌ في حديث)

وقد كان عندنا في بني العلوِيَّةِ^(٤) شيخٌ منهم مُنْكَرٌ^(٥) ، شديد العارضة [فيه توضيح] ، فسمعتني أقول : قد جاء في الحديث : « إِنَّ تَحْتَ جَنَاحِ

- (١) ط ، س : « فلم يعرضوا له » .
- (٢) لست أدري الآن من عني الجاحظ بقوله ، ولم أجد الشعر الذي أشار إليه .
- (٣) أراد بالعين الثرة : السحابة الغزيرة المطر ، وجعل الحديقة كالدَّهْمِ في استدارته لا قدره .
- (٤) ط : « العروبة » والأشبه ما أثبت من ل ، س .
- (٥) هذه الكلمة ساقطة من ل .
- (٦) التوضيح : التخنيث . وفي الحديث : « إن رجلاً من خزاعة يقال له هيت ، فيه توضيح » أى تخنيث .

الدُّبَابُ اليمِينِ شِفَاءٌ وَتَحْتَ جَنَاحِهِ الْأَيْسَرُ (١) سَمًّا . فَإِذَا سَقَطَ فِي إِنَاءٍ أَوْ فِي شَرَابٍ أَوْ فِي مَرَقٍ فَاعْمَسُوهُ فِيهِ ؛ فَإِنَّهُ يَرْفَعُ عِنْدَ ذَلِكَ الْجَنَاحَ الَّذِي تَحْتَهُ (٢) الشِّفَاءَ ، وَيَحِطُّ [الْجَنَاحَ] الَّذِي تَحْتَهُ السَّمَّ . فقَالَ : بَأبَى أَنْتَ وَأُمِّي هَذَا يَجْمَعُ الْعِدَاوَةَ وَالْمَكِيدَةَ !

(قِصَّةٌ لِتَيْمِيٍّ مَعَ أَنَاسٍ مِنَ الْأَزْدِ)

وَقَدْ كَانَ عِنْدَنَا أَنَاسٌ مِنَ الْأَزْدِ ، وَمَعَهُمْ ابْنُ حَزْنٍ (٣) ، وَابْنُ حَزْنٍ هَذَا عَدُوٌّ مِنْ آلِ عَمُوجٍ (٤) ، وَكَانَ يَتَعَصَّبُ (٥) لِأَصْحَابِهِ مِنْ بَنِي تَيْمِيٍّ وَكَانُوا عَلَى نَبِيذٍ ، فَسَقَطَ ذَبَابٌ فِي قَدَحٍ بَعْضِهِمْ ، فَقَالَ لَهُ الْآخَرُ : غَطُّ التَّيْمِيِّ ، ثُمَّ سَقَطَ آخَرَ فِي قَدَحٍ بَعْضِهِمْ ، فَقَالَ الْبَاقُونَ (٦) : غَطُّ التَّيْمِيِّ ! فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّلَاثَةِ قَالَ ابْنُ حَزْنٍ : غَطُّهُ فَإِنَّ كَانَ تَيْمِيًّا رَسَبَ ، وَإِنْ كَانَ أَزْدِيًّا طَفَا . فَقَالَ صَاحِبُ (٧) الْمَنْزِلِ : مَا يَسُرُّنِي أَنَّهُ كَانَ نَقَصَكُمْ حَرْفًا (٨) . وَإِنَّمَا عَنَى أَنْ أَزْدٌ عُمَانٌ مَلَّاحُونَ .

(١) س : « اليميني » و « اليسرى » . والجناح مذكر .

(٢) ل : « فيه » .

(٣) ط ، س : « حذر » في المواضع الثلاثة . وأثبت ما في ل .

(٤) ط ، س « عدولي » : نسبة إلى عدولي ، بفتح أوله وثانيه وفتح اللام والقصر ، وهي قرية بالبحرين تنسب إليها السفن . وأثبت ما في ل . وهو منسوب إلى بني العدوية السالف ذكرهم ، وهم من تميم ، كما في المعارف ٣٥ . و « آل عموج » هي في ط ، س : « أهل تنوخ » .

(٥) في الأصل : « يتعصب » .

(٦) ل : « بعضهم » .

(٧) ل : « رب » .

(٨) كذا في ل . وفي ط : « كان قال بعضهم مرقا » ، محرف . وفي س : « كان قال بعضكم حرفا » .

(ضروب الذبّان)

والذبّان^(١) ضروبٌ سوى ما ذكرناه^(٢) من الفَرَّاشِ والنَّحْلِ والزَّنَابِيرِ .
ففيها الشَّعْرَاءُ^(٣) ، وقال الراجز :

* ذبّان شَعْرَاءٌ وَبَيْتِ مَازِلِ^(٤) *

وللكلاب ذبابٌ على حِدَّةٍ يَتَخَلَّقُ مِنْهَا وَلَا يُرِيدُ سِوَاهَا^(٥) . ومنها
ذبّان^(٦) الكلابِ والرِّيَاضِ . وكلُّ نوعٍ مِنْهَا يَأْلَفُ مَا خَلَقَ مِنْهُ . قال
أبو النَّجْمِ :

مُسْتَأْسِدُ ذَبَّانِهِ فِي غَيْطَلٍ يَقْلَنَ لِلرَّائِدِ أَعَشِبْتَ انزِلِ^(٧)

(١) الذبان بالكسر : جمع ذباب . ط ، س : « والذباب » .

(٢) ل : « ما ذكر » .

(٣) الشعراء ، بفتح الشين وكسرهما ، وبالعين المهملة الساكنة : ذباب أزرق ،
أو أحر ، يقع على الإبل ، والحمير ، والكلاب ، فيؤذيها أذى شديداً ، واسمه العلمي :

. Hippodoscidae

(٤) « بيت مازل » كذا في الأصل وسيأتي في ص ٣٩٠ : « وصيف مازل » . وفي
نهاية الأرب (١٠ : ٢٩٩) : « ونبت مائل » . وقبلة :

* تذب عنها بأثيث ذائل *

(٥) ط ، س : « يخلق منها ولا يريد سواها » .

(٦) ط ، س : « ذباب » .

(٧) مستأسد : هو من استأسد النبات : إذا بلغ وقوى والتف ، أراد كثرت وتكاثفه .

ويروى : « مستأسداً » . والغيطل : الشجر الكثير الملتف ، وكذلك العشب . وأرجوزة

أبي النجم هذه طويلة نادرة ، عدة أشطارها ١٩١ شطرا .

وقد نشرت في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (٨ : ٤٧٢ - ٤٧٩)

سنة ١٩٢٨ . وكان رؤبة يسميها : أم الرجز .

(شعرٌ ومثلٌ في طنين الذباب)

والعربُ تسمي طنينَ الذَّبَّانِ والبَعوضِ غِنَاءً . وقال الأخطلُ
في صفة الثَّور :

فَرَدًّا تَغْنِيهِ ذَبَّانُ الرِّيَاضِ كَمَا غَنَى الغَوَاةُ بِصَنْجٍ عِنْدَ أُسْوَارِ (١)
وقال حَضْرَمِيُّ بنِ عامِرٍ في طنينِ الذباب :

مَازَالَ إِهْدَاءَ القَصَائِدِ بَيْنَنَا شَتَمَ الصَّدِيقِ وكَثْرَةَ الألقَابِ
حَتَّى تَرَكْتُ كَأَنَّ أَمْرَكَ بَيْنَهُمْ فِي كُلِّ مَجْمَعَةٍ طِينُ ذُبَابِ (٢)
ويقال : « ما قولى هذا عندك إلا طنينُ ذُبَابِ (٣) » .

(سفاد الذباب وأعمارها)

وللذباب وقتٌ تهيج فيه للسَّفَادِ (٤) ، مع قصر أعمارها . وفي الحديث :
« أَنَّ مُعَمَّرَ الذبابِ أربعونَ يوماً » ، ولها أيضاً وقتٌ هيجُ في (٥) أَكَلِ النَّاسِ

(١) ط : « فرد » . والصنج ، بالفتح : آلة موسيقية وترية . ط ، س :
« بصيح » ، وهى تصحيف ما أثبت من ل . والأسوار : واحد الأساورة ، وهم
قواد الفرس ، أو قوم من العجم نزلوا بالبصرة قديماً .

(٢) ط وثمار القلوب ٣٩٧ : « في كل مجتمع » .

(٣) طنين الذباب ، يضرب المثل به للسكلام يستهان ولا يبالي به . ثمار القلوب . في ل :
« كطين ذباب » .

(٤) ل : « وقت هيج للسفاد » .

(٥) ل : « على » .

وعضهم ، وشرب دمائهم . و [إنما يعرض هذا] الذَّبَّانُ في (١) [البيوت عند قرب أيَّامها ؛ فإنَّ هلاكها يكون بعد ذلك وشيكاً . والذَّبَّانُ] في وقتٍ من الأوقات من حتوف الإبل والدوابِّ .

(علة شدة عضّ الذباب)

والذَّبَّابُ والبَعُوضُ من ذوات الخراطيم ؛ ولذلك اشتدَّ عضُّها وقويتْ على خرقِ الجلودِ الغِلاظِ . وقال الراجز [في وصف البعوضة] :
٩٨ مثل السِّفَاةِ دَائِمٌ طَنِينُهَا (٢) رَكَّبَ في خُرطومِها سَكِينُهَا

(ذوات الخراطيم)

وقالوا : ذوات الخراطيم من كلِّ شيءٍ أقوى عضًّا ونابًا وفكًّا ؛ كالذئب والخنزير ، والكلب . وأمَّا الفيل فإنَّ خرطومَه هو أنفه ، كما أنَّ لكلِّ شيءٍ من الحيوان أنفًا ، وهو يده ، ومنه يُعْنَى (٣) وفيه يجرى الصَّوتُ ، كما يُجرى الزَّامرُ الصَّوتَ في القصبَةِ بالنَّفخِ . ومتى تضاعطَ الهواءُ صَوْتًا على قدر الضَّغَطِ ، أو على قدر الثَّقَبِ (٤) .

(١) زدت هذه الكلمة لحاجة الكلام إليها .

(٢) السِّفَاةُ : واحدة السفا ، وهو شوك البهي والسنبُل ، أو كل الشوك . والرجز

رواه أبو علي في الأمل (٣ : ١٢٩) . وجاءت روايته عند الدميري : « مثل

السفاة دائماً طنينها » . وانظر ٥ : ٤٠٢ .

(٣) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « يضيئ » .

(٤) ل : « السبب » ، وصوابه في ط ، س .

(أمثال من الشعر في الذباب)

والذباب : اسم الواحد ، والذَّبَّان : اسم الجماعة . وإذا أَرَادُوا التَّصْغِيرَ
والتقليلَ ضربوا بالذَّبَّانِ المثل . قال الشاعر (١) :
رَأَيْتُ الخُبْزَ عَزَّ لَدَيْكَ حَتَّى حَسِبْتُ الخُبْزَ فِي جَوِّ السَّحَابِ
وما رَوَّحْتَنَا لِنَذِبِّ عَنَّا وَلَكِنْ خِفْتَ مَرْزِيَةَ الذُّبَابِ (٢)
وقال آخر (٣) :

لما رأيت القصر أُغْلِقَ بابُهُ وتعلَّقتُ هَمْدَانُ بالأسباب (٤)
أيقنتُ أنْ إمارة (٥) ابن مضراب (٦)

لم يبق منها قيسُ أير (٧) ذباب

(١) هو أبو الشمتمق كما في عيون الأخبار (٢ : ٣٦ و ٣ : ٣٤٧) . وجاء في البخلاء
٥٩ : « وكان أبو الشمتمق يميم في طعام جعفر بن أبي زهير ، وكان له ضيفا ، وهو
مع ذلك يقول ، « وأنشد البيتين ، كما أعادهما في ١٠٦ . وقد نسب البيت الثاني مع سابق
له غير المروى هنا ، إلى أبي الشيص . انظر محاضرات الراغب (١ : ٣١٨) . وإلى
أبي نواس كما في المحاسن والأضداد ٥٠ والمحاسن والمساوي (٢ : ٢٠٣) . وهو بدون
نسبة في العقد (٦ : ١٩١) تأليف .

(٢) المرزقة ، بفتح الميم والراء الساكنة بعدها زاي مكسورة ؛ من رزاه : أى أصاب
منه شيئا . سهلت الهزمة هنا ، وجاءت بالهمز في البخلاء وديوان المعاني (١ :
١٨٧) . ورويت في العقد (٤ : ٢٢٥) : « بن دب الذباب » . والدب
بالفتح : مصدر دب : مشى على هيئته .

(٣) هو عبد الله بن همام السلولى ، كما سيأتى في (٦ : ٧٦) .

(٤) همدان : قبيلة يمنية . ط ، س : « بالأسلاب » وأثبت مائى ل والجزء
السادس وثمّار القلوب ٣٩٨ .

(٥) ط ، س : « إثارة » ، وتصحيحه من ل والجزء السادس وثمّار القلوب .

(٦) كذا في ل والجزء السادس . ط ، س : « مجرب » وفي الثمّار : « ابنى مقرب » .

(٧) قيس ، بالكسر : قدر . والكلمة التى بعدها هى في ط : « بن » س :
« ابن » وتصحيحه من ل والجزء السادس والثمّار .

قال بعضهم : لم يذهب إلى مقدار أيّره^(١) ، وإنما ذهب إلى مثل

قول ابن أحر :

ما كنت عن قومي بمهتضم^(٢) لو أن معصياً له أمرٌ
كلّفتني مَخَّ^(٣) البعوضِ فقد أقصرت لأُنجحُ ولا عُذْرُ^(٤)

(ما يَلْغُ من الحيوان وما لا يَلْغُ)

قال : وليس شيءٌ مما يطيرُ يَلْغُ في الدّم ، وإنما يَلْغُ في الدماء من

السّباع ذوات الأربع . وأمّا الطّيرُ فإنّها تشربُ حَسَوًا ، أو عِبَّةً بعد عِبَّةً .

ونُعْبَةٌ بعد نُعْبَةٍ . وسباع الطّيرِ قليلةُ الشُّربِ للماء ، والأسد كذلك . قال

أبو زبيد الطائي^(٥) :

تذبُّ عنه كَفُّ بها رَمَقٌ طيراً عكوفاً كزورِ العرسِ^(٦)

(١) ط ، س : « أيره » ، وصوابه في ل والثمار .

(٢) ل : « بذاهلة » .

(٣) ط ، س : « متح » وصوابه من ل والثمار . و « كلّفتني مخ البعوض » مثل

يضرب لمن يكلفك الأمور الشاقة . أمثال الميداني (٢ : ٨٤) .

(٤) النجح ، بالضم : النجاح : ط : « ولا عُذْر » وتصحيحه من ل والثمار .

(٥) تقدمت ترجمته في (٢ : ٢٧٤) .

(٦) يقول : إن كفه التي بها بقية من حياة ، تدفع الذباب التي تحاول أن تظل عاكفة

عليه مقيمة ؛ لتأكل منه . وهي في تجمعها كأنه زور العرس قد اجتمعوا له .

والعرس : وليمة الزواج ، وقد ضم الراء للشعر . والزور : جمع زائر . وهذا تمثيل

جيد بارع . ط : « كذود » وأراها تصحيفاً ، والبيتان في صفة أسد صريع ،

كما في الأغاني (١١ : ٢٦) حيث تجد القصيدة . وأنشدتها ابن الشجري في

حماسته ص ٢٧٣ .

إذا ونى ونيّة دَلَفَنَّ له فهنَّ مِنْ والغِ ومُنْتَهَسِ (١)
قال : والطَّير لا تَلْع ، وإنما يَلْع الذباب . وجعله من الطَّير ، وهو وإن
كان يطير فليس ذلك من أسمائه . فإذا قد جاز أن يستعير له اسم الطائر ،
جاز أن يستعير للطير ولَع السَّبَاع فيجعلَ حَسُوها ولَعًا ، وقال الشاعر :
سراع إلى ولَعِ الدماءِ رماحهم وفي الحرب والهيجاءِ أُسْدُضِرْ اغمُّ (٢)

(خصلتان محمودتان في الذباب)

قال وفي الذباب خصلتان من الخصال المحمودة : أمّا إحداهما فقرب الحيلة
لصرف أذاها ودفع مكروها (٣) ؛ فمن (٤) أراد إخراجها من البيت فليس بينه
وبين أن يكون البيت على المقدار الأول من الضياء والسكن (٥) [بعد
إخراجها] مع السلامة من التأذي بالذبان - إلا أن يُغلق الباب ، فإنَّ
يتبادرن إلى الخروج ، ويتسابقن في طلب الضوء والهرب من الظلمة ، فإذا
أرخبى السترُ وفتح الباب عاد الضوء وسلم أهله من مكروه الذباب . فإن
كان في الباب شق (٦) ، وإلا جافى المغلق أحد البابين عن صاحبه (٧)

(١) ونى : أبطأ ، أى عن ذب تلك الطيور ودفعها . دلف : مشى مشية المقيد .

(٢) ل : « سريع » س : « سود ضراغم » ويصح إذا قصرت « الهيجاء »
وتكون صحة كتابتها على هذا الوجه : « والهيجاء أسود ضراغم » .

(٣) ط : « مكروها » وصوابه في ل ، س .

(٤) ل : « لمن » .

(٥) الكن بالكسر : الستر . ط ، س : « ولكن » ، والوجه ما أثبت من ل

(٦) لم يذكر الجواب .

(٧) ط ، س : « وإلا جاء في المغلق أحد - س : إحدى - البابين من صاحبه »
وتصحيحه من ل . وجافى : أبعد .

ولم يطبقه [عليه ^(١)] إطباقاً . وربما خرجن من الفتح الذى يكون بين أسفل الباب والعتبة . والحيلة فى إخراجها والسلامة من أذاها يسيرة ^(٢) ، وليس كذلك البعوض ؛ لأن البعوض إنما يشتد أذاه ، ويقوى سلطانه ، ويشتد كلبه ^(٣) فى الظلمة ، كما يقوى سلطان الذبان ^(٤) فى الضياء ، وليس يمكن الناس أن يدخلوا منازلهم من الضياء ما يمنع عمل البعوض ؛ لأن ذلك لا يكون إلا بإدخال الشمس ، والبعوض لا يكون إلا فى الصيف ، وشمس الصيف لا صبر عليها . وليس فى الأرض ضياء انفصل من الشمس إلا ومعه نصيبه من الحر ، وقد يفارق الحر الضياء ^(٥) فى بعض المواضع ، والضياء لا يفارق الحر فى مكان من الأماكن .

فإمكان الحيلة فى الذباب يسير ، وفى البعوض عسير !

والفضيلة الأخرى : أنه لولا أن الذبابة تأكل البعوضة [و] تطلبها وتلتمسها

على وجوه حيطان البيوت ، وفى الزوايا ، لما كان لأهلها فيها قرار !

(الحكمة فى الذباب)

وذكر محمد بن الجهم - فيما خبرنى عنه بعض الثقات - أنه قال لهم

ذات يوم : هل تعرفون الحكمة التى استفدناها فى الذباب ^(٦) ؟ قالوا : لا .

(١) الزيادة من س .

(٢) ط ، س : « يسير » وتصحيحه من ل .

(٣) كلبه ، بالتحريك : شدة رغبته فى العوض .

(٤) كذا فى ل ، س . وفى ط : « الذباب » .

(٥) ط : « أيضاً » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٦) ل « الخبر الذى استفدناه فى الذباب » .

قال : بلى ، إنها تأكل البعوض وتصيده وتلقطه وتفنيه^(١) : وذلك
أنى كنت أريد القائلة^(٢) ، فأمرت بإخراج الذباب وطرح الستر وإغلاق
الباب^(٣) قبل ذلك بساعة . فإذا خرجن حصل في البيت البعوض ، في سلطان
البعوض^(٤) و [موضع] قوته . فكنت أدخل إلى القائلة فياً كلنى
البعوض أكلاً شديداً . فأثبت ذات يوم المنزل في وقت القائلة ، فإذا
ذلك البيت مفتوح ، والستر مرفوع ، وقد كان الغلمان أغفلوا ذلك
في يومهم ، فلما اضطجعت للقائلة لم أجد من البعوض شيئاً^(٥) وقد كان
غضبي اشتد على الغلمان^(٦) ، فنمت في عافية . فلما كان من الغد عادوا
إلى إغلاق الباب وإخراج الذباب ، فدخلت ألتبس القائلة ، فإذا البعوض
كثير . ثم أغفلوا^(٧) إغلاق الباب يوماً آخر ، فلما رأيت مفتوحاً شتمتهم
فلما صرت إلى القائلة لم أجد بعوضة واحدة ، فقلت في نفسى [عند ذلك] : ١٠٠
أراني قد نمت في يومي [الإغفال و] التضييع ، وامتنع منى النوم في أيام
التحفظ والاحتراس . فلم لا أجرب ترك إغلاق الباب في يومي هذا . فإن نمت^(٨)

(١) كذا في ل ، س . وفي ط : « وتصيدها وتلقطها وتفنيها » ، وهما صحيحتان .

(٢) القائلة : النوم في القائلة ، وهو نصف النهار .

(٣) ط : « فأغلاق الباب » ، وهو تحريف . والإشارة بكلمة « ذلك » الآية إلى القائلة .

(٤) ط ، س : « وقوى سلطانه » .

(٥) ل : « لم أجد البعوض كثيراً » .

(٦) ط ، س : « وقد كان الغضب يشتد على الغلمان » .

(٧) في الأصل « أغلقوا » ، والوجه ما أثبت . وانظر ماسياًق بعد سطر .

(٨) كذا على الصواب في ل ، س . وفي ط : « نمت » .

ثلاثة أيام^(١) لا ألتى من البعوضِ أذى مع فتح الباب ، علمتُ أنَّ الصَّواب في الجمع بين الذَّبَّانِ و [بين^(٢)] البعوض ؛ فَإِنَّ الذَّبَّانِ [هى التى] تُفنيه^(٣) ، وأنَّ صلاحَ أمرنا فى تقريبِ ما كُنَّا نباعد . ففعلتُ ذلك ، فإذا الأمر قد تمَّ . فصرنا إذا^(٤) أردنا إخراجَ الذَّبَّانِ أخرجناها بأيسرِ حيلة ، وإذا أردنا إفناء البعوضِ أفينهاها [على أيدى الذَّبَّانِ بأيسرِ حيلة] .
فهاتانِ خصلتانِ من مناقبِ الذَّبَّانِ .

(طبَّ القوابلِ والعجائزِ)

وكان محمد بن الجهم^(٥) يقول : لانتهاونوا بكثيرٍ ممَّا ترُونَ^(٦) من علاجِ القوابلِ والعجائزِ ، فَإِنَّ كثيراً من ذلك إنما وقع إليهنَّ^(٧) من قدماءِ الأطباءِ ؛ كالذَّبَّانِ يُلتقى فى الإئمِدِ ويسحقُ معه ، فيزيدُ [ذلك^(٨)] فى نورِ البصرِ ، ونفاذِ^(٩) النظرِ ، وفى تشديدِ^(١٠) مراكزِ [شعرِ^(١١)] الأشْفارِ^(١٢) فى حافاتِ الجُفونِ .

(١) ل : « يومين » .

(٢) من س .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « يفنيه » .

(٤) ط ، س : « إن » .

(٥) ل : « وكان ابن الجهم » .

(٦) ط : « تريدون » وتصحيحه من ل ، س وعيون الأخبار (٢ : ١٠٤)

والعقد (٦ : ٢٤٥) .

(٧) ط ، س : « إليهم » ، وهى على الصواب فى ل وعيون الأخبار .

(٨) من ل وعيون الأخبار .

(٩) كذا فى ل وعيون الأخبار . وفى ط ، س : « ويقوى » .

(١٠) ط ، س : « ويشد » .

(١١) من ل ، س .

(١٢) الأشْفار جمع شفر بالضم ، ويفتح ، وهو أصل منبت الشعر فى الجفن .

(نفع دوام النظر إلى الخضره)

وقلت له مرّة : قيل لماسرجويه : ما بال الأكرة^(١) وسكّان
اللساتين ، مع أكلهم الكراث والتمر ، وشربهم ماء السّواقي على المالح^(٢)
أقلّ النَّاس خُفْشَانَا [وعميانا] وعُشَانَا^(٣) وعورا؟ قال : إني فكّرت في ذلك
فلم أجد له علّة إلا طول وقوع أبصارهم على الخضره .

(من لا يتقرّز من الذّبان والزناير والدود)

قال ابن الجهم : ومن أهل السّفالة^(٤) ناسٌ يأكلون الذّبان ، [وهم]
لا يرمدون . وليس لذلك أكلوه^(٥) وإنما هم كأهل خراسان الذين يأكلون فراخ
الزّناير ، والزّناير ذبان ، وأصحاب الجبن الرّطب يأخذون الجينة التي قد
نغلت^(٦) دوداً ، فينسكتها [أحدهم^(٧)] حتّى يخرج ما فيها من الدّود في راحته ،
ثمّ يقمّحها كما يقمّح السّويق^(٨) . وكان الفرزدق يقول : ليت أنّهم دفعوا إلى

(١) الأكرة : جمع أكار ، وهو الحراث .

(٢) كذا . وفي عيون الأخبار (٢ : ١٠٨) : « وشربهم الماء الحار على
السيك المالح » .

(٣) الأخفش : الضيق العينين ، أو الذي ضعف بصره خلقه ، أو الذي فسد جفنه
بلا وجم . ط ، س : « خفشانا وعشيانا » . والأعشى : الذي لا يبصر ليلاً .

(٤) السّفالة ، بالضم من بلاد الزنج .

(٥) ط : « أكلوا » .

(٦) نغلت : فسدت .

(٧) ليست بالأصل ، والكلام في حاجة إليها .

(٨) قح السويق ، كفرح : استفه . والكلام من : « يأخذون » إلى هنا ، ساقط من ل .

نصيبى من الذبان ضربة واحدة ، بشرط أن آكله لراحة الأبد منها^(١) . وكان كما زعموا^(٢) شديد التقذر لها [والتقرُّز]^(٣) منها .

(دعوتان طريفتان لأحد القصاص)

وقال ثمامة : تساقط^(٤) الذبان فى مرق بعض القصاص وعلى وجهه فقال : كثر الله بكن القبور !
وحكى ثمامة عن هذا القاص أنه سمعه بعبدان^(٥) يقول فى قصصه :
اللهم من علينا بالشهادة ، وعلى جميع المسلمين !

(قصة فى عمر الذباب)

وقال لى المسكى مرة : إنما عمر الذبان أربعون يوماً . قلت^(٦) : هكذا جاء فى الأثر . وكنا يومئذ بواسطة فى أيام العسكر^(٧) وليس بعد أرض

(١) ضمير « آكله » للنصيب ، وضمير « منها » للذبان . ل : « منه » والتذكير والتأنيث جائزان .

(٢) ل : « وكان زعموا » .

(٣) هذه من س . وكلمة « لها » ساقطة من ل .

(٤) كذا فى ل والبيان (٢ : ٣١٧) وفى ط ، س والعقد (٤ : ٢٠٠) :
« وقع » .

(٥) عبادان : جزيرة فى دجلة ، قرب مصبها . وفى العقد : « ببغداد » .

(٦) كذا فى ل . وفى ط ، س : « أربعين » ، ولا تصح هذه إلا بجعل
« عمر » فعلا .

(٧) ل : « العساكر » . وانظر ماورد فى ص ٣٤٧ .

الهند أكثرُ ذباباً من واسط ، ولرّما رأيتَ الحائطَ وكانَ عليه مِسْحاً^(١)
شديدَ السّواد من كثرة ما عليه من^(٢) الذبّان . فقلت للمكّي : أحسب الذبّان
يموت^(٣) في كل أربعين يوماً ، وإن شئتَ في^(٤) أكثر ، وإن شئتَ في أقلّ .
ونحنُ كما ترى ندوسُها بأرجلنا ، ونحنُ ها هنا مقيمون من أكثر من أربعين
يوماً^(٥) ، بل منذ أشهر [وأشهر] ، وما رأينا ذباباً واحداً ميتاً . فلو كان ١٠١
الأمر على ذلك لرأينا الموتى كما رأينا الأحياء . قال : إن الذبابة إذا أرادت أن
تموت ذهبَتْ إلى بعض الخربات^(٦) . قلت : فإننا قد دخلنا كلَّ خربةٍ^(٧)
في الدُّنيا ، ما رأينا فيها قط ذباباً ميتاً .

(المكّي)

وكان المكّي طيباً^(٨) طيب الحُجج ، ظريف الحيل^(٩) ، عجيب العلل
وكان يدعى كلَّ شيءٍ على غاية الإحكام ، ولم يُحكّم شيئاً قطُّ ، [لا] من

(١) المسح ، بالكسر : الكساء من الشعر ، جمه أمساح ومسوح . قال أبو ذؤيب :

ثم شربن بنيط والجمال كأ
ن الرشح منهن بالآباط أمساح

(٢) ط ، س : « من كثرة الذبان الذي عليه » .

(٣) ل : « أحسب أن الذبابة تموت » .

(٤) ط ، س : « في » .

(٥) ط ، س : « منذ أربعين يوماً » .

(٦) الخربات : جمع خربة ، كقفرحة ، وهي موضع الخراب . ط ، س : « الخرايب »

وصوابه ما أثبت . ل : « الخرابات » ، ولم أر هذا الجمع ولا مفرده .

(٧) ط ، س : « خربة » ، وهي على الصواب في ل .

(٨) طيباً ، أي ظريفاً فكها . وانظر هذا الجزء ص ٦ س : « طيبياً » .

(٩) ل : « كثير الحيل » .

الجليل ولا من الدقيق . وإذ قد جرى ذكره فسأحدثك ببعض أحاديثه ،
وأخبرك عن بعض عله ؛ لتلتهى^(١) بها ساعة ، ثم نعود إلى [بقية]
ذكر الذبان .

(نَوَادِرُ لِلْمَكِّيِّ)

ادعى هذا المكِّيُّ البَصَرَ بالبراذين ، ونظرَ إلى برذونٍ واقف ، قد
ألقى صاحبه [في] فيه اللجام ، فرأى فأسَ اللجام^(٢) وأين بلغَ منه ، فقال
لى: العجب ! كيف لا يذرعُه التيء ، وأنا لو أدخلت إصبعي [الصغرى]
في حلقى لما بقيَ في جوفى شيءٌ إلا خرج ؟ ! قلت : الآنَ علمتُ أنك
تُبصر^(٣) ! ثم مكث البرذون ساعةً يلوكُ لجامه ، فأقبل علىَّ فقال لى :
كيف لا يبرُدُ أسنانه ؟ ! قلت : إنما يكون [علم هذا] عند البصراءِ مثلك !
ثم رأى البرذونَ كلِّما لآك اللجامَ والحديدة^(٤) سال لعابُه على الأرض
فأقبل علىَّ وقال : لولا أن البرذونَ أفسدُ الخلق عقلاً لكان ذهنه قد
صفا^(٥) ! قلت له : قد كنت أشكُ في بصرك بالدوابِّ ، فأما بعدَ هذا فلستُ
أشكُ فيه !

(١) ل : « لتلتهى » ، وحذف التاء في مثل هذا جائز .

(٢) فأس اللجام : الحديدة القائمة في الحنك .

(٣) ل : « بصير » .

(٤) لآكه يلوكه لوكا : عضه . ل : « كلها لآك الحديدة » .

(٥) كذا في ل . وفي ط ، س : « فقال لى إن البرذون أفسد الخلق عقلاً ، ولولا

ذلك لكان ذهنه قد صفى » .

وقلت له مرّة ونحن في طريق بغداد: ما بالُ الفرسخِ في هذه الطريق يكون
فرسخين ، والفرسخ يكون أقلّ من مقدار نصف فرسخ ؟ ! ففكّر طويلاً ثمّ
قال : كان كِسرى يُقَطِّعُ للنّاس الفراسخ ، فإذا صانعَ صاحبَ القطيعة
زادوه ، وإذا لم يصانعَ نقصوه !

وقلت له مرّة : علمتُ أنّ الشاري (١) حدّثني أنّ الخلوع (٢) بعث إلى
المأمونِ بجرابٍ فيه سمسم ، كأنّه يخبرُ أنّ عنده من الجند بعددِ ذلك [الحبّ]
وأنّ المأمونَ بعث إليه بديكٍ أعور ، يريد أنّ طاهر بن الحسين (٣) يقتلُ هؤلاء
كلّهم ، كما يلقط الدّيك الحبّ ! قال : فإنّ هذا الحديثُ أنا ولّدته . ولكن
انظر كيف سار في الآفاق ؟ !
وأحاديثه وأعاجيبه كثيرة .

(١) ل : « السيارى » .

(٢) الخلوع هو محمد الأمين بن هارون الرشيد ، وهو أخو المأمون .

(٣) طاهر بن الحسين ، كان الساعد الأمين للمأمون . ولما خلع المأمون بيعة أخيه
الأمين أرسل طاهراً إلى محاربته ، فوجه الأمين على بن عيسى لملاقاة طاهر ، فلقيه
بالرى فقتله طاهر سنة ١٩٥ . وتقدم طاهر إلى بغداد وأخذ ما في طريقه من البلاد
وحاصر بغداد والأمين بها ، فقتله سنة ١٩٨ ، وحل رأسه إلى خراسان ووضع
بين يدي المأمون ، وعقد للمأمون على الخلافة . ولد طاهر سنة ١٥٩ وتوفى سنة
٢٠٧ . وكانت له عين واحدة ، ففى ذلك يقول عمرو بن بانة :

ياذا اليمينين وعين واحده نقصان عين ويمين زائده

(معارف في الذباب)

ثمَّ رجع بنا القولُ إلى صلةِ كلامنا في الإخبار عن الذَّبَّانِ .

فأمَّا سكَانُ بلادِ الهندِ فإنَّهم لا يطأُبُخونَ قِدْرًا ، ولا يعملونَ حَلْوَى (١) ولا يكادونَ يأكلونَ إلَّا ليلًا ؛ لِما يتهافت من الذَّبَّانِ في طعامهم . وهذا يدلُّ على عَفْنِ التُّرْبَةِ وَنَحْنِ الهِوَاءِ .

وللذَّبَّانِ يَعَاسِبُ وَجِحْلَانٌ (٢) ، ولكن ليس لها قائدٌ ولا أمير . ولو كانت هذه الأصناف التي يحرسُ بعضها بعضاً ، وتتخذ رئيساً يدبِّرها ويحوطها ، إثمًا أخرج (٣) ذلك منها العقلُ دونَ الطَّبْعِ ، وكالشيءِ ينخصُّ به البعض دون الكل (٤) — لكان الذَّرُّ [وَالتَّمْلُ] أَحَقَّ بذلك من الكراكيِّ والغرائيقِ (٥) والثَّيرانِ ، ولسكان الفيلِ أَحَقَّ به من البعيرِ ؛ لأنه ليس للذَّرِّ قائدٌ ولا حارسٌ ، ولا يعسوبٌ يجمعها ويحميها بعضَ المواضعِ ، ويوردها بعضاً .

١٠٢

(١) في الأصل: « الحلوا » ، وإنما هي « الحلوى » تقصير وتمتد .

(٢) الجحلان ، بتقديم الجيم المكسورة على الحاء : جمع جحل بالفتح ، وهو العظيم من العاسيب . والعاسيب هي كبار الذباب كما نقل الدميري عن الجاحظ . ونلفظ « الجحلان » جاء في الأصل بتقديم الحاء ، وهو تصحيف .

(٣) ل ، س : « خرج » .

(٤) ل : « دون البعض » ، ومؤدى العبارتين واحد .

(٥) الغرائيق : جمع غرنيق ، بضم الغين وفتح النون ، وهو طائر أبيض طويل العنق من طير الماء . ويطلق في العراق على ما يسمى بالإوز العراقي .

وكلُّ قائِدٍ فهو يعسوبٌ ذلك الجنس المَقْوَد . وهذا الاسم مستعارٌ من
فحل النَّحل وأمير العَسَّالات (١) .

وقال الشاعر (٢) وهو يعنى الثَّور :

كما ضُربَ اليعسوبُ إذ عافَ باقِرُّ وما ذنبُه إذ عافتِ الماءَ باقِرُّ

وكما قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، فى صلاح الزَّمان (٣) وفساده :

« فإذا كان ذلك ضُربَ يعسوبُ الدِّينِ بَدَنِيهِ (٤) » .

وعلى ذلك المعنى قال حين مرَّ بعبد الرحمن بن عتَّاب [بن أسيد] (٥)

قتيلا يوم الجمل : « لهُنى عليكَ يَعْسوبُ قريش ! جدَعْتَ أنْفِي وشَفَيْتَ

نفسى ! » .

قالوا : وعلى هذا المعنى قيل : « يعسوب الطُّفاوة (٦) » .

(١) العسالات : النحل التى تخرج العسل .

(٢) هو الهيبان للفهمى ، كما سبق فى (١ : ١٩) .

(٣) ط ، س : « الذبان » ، وهو تحريف طيب ، صوابه فى ل .

(٤) يعسوب الدين : سيد الناس ورئيسهم فى الدين . وضرب ، أى ضرب فى الأرض
مسافرا أو مجاهدا . وبذنبه أى أتباعه الذين يتبعونه على رأيه . وللعبارة معان آخر
تكفل بها صاحب اللسان .

(٥) عبد الرحمن بن عتَّاب ، أحد الرواة الذين ولدوا فى آخر عهد الرسول . وقد شهد

وقعة الجمل مع عائشة ، والتقى هو والأشتر فقتله الأشتر ، وقيل قتله جندب بن زهير

ورآه على وهو قتيلى فقال ما قال . الإصابة ٦٢٢٠ والمعارف ١٢٣ . و « أسيد » ضبط

فى الإصابة ٥٠٣٨٣ . والاشتقاق ٧٨ بتحقيقنا بفتح الهَمْزة . قال ابن دريد : « وأسيد : فعيل من

قولهم أسد يأسد أسدا إذا صار كالأسد . وفى اللسان (عسب) بضمها على هيئة التصغير ، تحريف .

(٦) الطفاوة ، بالضم ؛ حى من قيس عيلان . وليت شعرى من سمى بهذا اللقب .

(أقدر الحيوان)

وزعم بعض الحكماء أنه لا ينبغي أن يكون في الأرض شيء من الأشياء أنتن من العذرة ، فكذلك لا شيء أقدر من الذبّان والقمل . وأمّا العذرة فلولا أنها كذلك لكان الإنسان مع طول رؤيته لها ، وكثرة شمّه لها من نفسه في كلّ يوم صباحاً ومساءً ، لقد كان ينبغي أن يكون قد ذهب تقدره له على الأيام (١) ، أو تمحق (٢) ، أو دخله (٣) النقص . فبئسها ستين عامّاً وأكثر وأقلّ على مقدار واحد [من النتن] في أنف الرجل ومنهم من وجدناه بعد مائة عام كذلك (٤) ، وقد رأينا المران (٥) والعادات وصنيعها في الطبائع ، وكيف تهون الشديد ، وتقلل الكثير . فلولا أنها فوق كلّ شيء من النتن ، لما ثبتت هذا الثبات ، ولعرض لها ما يعرض لسائر النتن . ويعدّ فلو كان إنما يشم شيئاً خرج من جوف غيره ولم

(١) ط ، س « أن يكون ذلك قد أذهب تقدره له على الأيام » . ل : « أن يكون

ذلك قد ذهب على الأيام » ، وقد عدلت القول بما ترى

(٢) تمحق : امحى وذهب . ط ، س : « يمحق » ، وأثبت ما في ل .

(٣) ط ، س : « يدخله » .

(٤) ل : « في أنف من وجدته ألف عام كذلك » .

(٥) لم أر المران بمعنى التعود والإلف . ووجدته مصدراً لما رنت الناقة مرانا ، إذا ظهر

أنها قد لقت ولم يكن بها لقاح . وأما المعنى الأول فلفظه المرون والمرونة والمرانة .

ط ، س : « المران » تحريف .

يخرج من جوف نفسه ، لكان ذلك أشبهه . فإذا قد ثبت في أنفه على هذا المقدار (١) ، وهو منه دون غيره ، وحتى صار يجده أنتن من رجيع [جميع] الأجناس - فليس ذلك إلا لما قد خصّ به من المكروه .

وكذلك القول في القمل الذي إنمّا يُخلق من عرق الانسان ، ومن رائحته ، ووسخ جلده ، وبخار بدنه . وكذلك الذبّان المخالطة لهم في جميع الحالات ، والملايسة لهم دون جميع الهوامّ والهَمَجِ والطيرِ والبهايمِ والسباعِ حتى تكون ألزم من كلّ ملازم ، وأقرب من كلّ قريب ؛ حتى ما يمتنع عليه شيء من بدن الإنسان ، ولا من ثوبه ، ولا من طعامه ، ولا من شرابه ، [حتى لزمه لزوماً] لم يلزمه شيء (٢) قطُّ كلزومه ، حتى إنه يسافر السّفَرَ البعيدَ من مواضع الحِصْبِ ، فيقطع البراريّ والقفار التي ليس فيها ولا بقرها نباتٌ ولا ماءٌ ولا حيوان ، ثمّ مع ذلك يتوخى عند الحاجة إلى الغائط في تلك البريّة أن يفارق أصحابه ، فيتباعد في الأرض ، وفي صحراء ١٠٣ خلقاء (٣) ، فإذا تبرّز فتى وقع بصره على برازهِ رأى الذبّان ساقطاً عليه . فقَبَلَ ذلك ما كان يراه . فإن كان الذبّابُ شيئاً يتخلّق له في تلك الساعة فهذه أعجبُ مما رآه وما أردنا (٤) ، وأكثرُ ممّا قلنا . وإن كان قد كان ساقطاً على الصُّخورِ المُلسِ ، والبِقاعِ الجُرْدِ ، في اليوم القائِظِ ، وفي الهاجرة

(١) ط ، س : « على هذا المقدار من التّن » .

(٢) ط ، س : « ولا من شرابه لم يلزم شيئاً » وله وجه .

(٣) الخلقاء : المصيبة التي لا نيات فيها ، الملساء . ل : « صخرة ملساء » .

(٤) ط فقط : « أردناه » . ل : « أعجب مما أردنا » .

التي تشوي كل شيء ، وينتظر مجيئه - فهذا أعجب مما قلنا . وإن كانت قد تبعته من الأمصار ، إما طائرة^(١) معه ، وإما ساقطة عليه ، فلما تبرز انتقلت عنه إلى برازه ، فهذا تحقيق لقولنا إنه لا يلزم الإنسان شيء لزوم الذباب ؛ لأن العصافير ، والخطاطيف ، والزرارير ، والسنانير ، والكلاب وكل شيء يألف الناس ، فهو يقيم مع الناس . فإذا مضى الإنسان في سفره ، فصار كالمستوحش^(٢) ، وكالتازل بالفقار ، فكل شيء أهلي يألف الناس فإنما هو مقيم على [مثل] ما كان من إلفه لهم ، لا يتبعهم من دور الناس إلى منازل الوحش ؛ إلا الذبان .

قال : فإذا كان الإنسان يستقدر الذبان في مرقة وفي طعامه هذا الاستقدار ، ويستقدر القمل مع محله من القرابة والنسبة هذا الاستقدار فعلم أن ذلك لم يكن إلا لما خص به من القدر . وإلا فبدون هذه القرابة وهذه الملايسة ، تطيب الأنفس عن كثير من المحبوب .

(إلحاح الذباب)

قال : وفي الذبان خبر آخر : وذلك أنهم ربما تعودن المبيت على حوص فسيلة وأقلاها^(٣) من فسائل الدور ، أو شجرة ، أو كلة^(٤) ، [أو]

(١) ط ، س : « سائرة » والوجه ما أثبت من ل .

(٢) المستوحش : ضد المستأنس . ط س : « كالمستوحش » .

(٣) الفسيلة ككريمة : النخلة الصغيرة . والأقلاها : جمع قلب ، بالضم ، وهو شحمة النخلة أو أجود حوصها .

(٤) الكلة ، بالكسر : الستر الرقيق ، والغشاء الرقيق يتوق به من البعوض .

ط ، س : « أو بلة » .

باب ، أو سقف بيت ، فَيُطْرَدْنَ إِذَا اجتمعن لوقتهنَّ عند المساء^(١) ليلتين أو ثلاث ليال ، فيتفرقنَ أو يهجرنَ ذلك المكان في المُسْتَقْبَلِ ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ الْمَكَانَ قَرِيبًا ، وهو لهنَّ معرَّضٌ ، ثمَّ لا يدعُنَ أن يلمسُنَّ مبيتاً غيره . ولا يعرض لهنَّ من اللجاجِ في مثل ذلك ، مثل الذي يعرض لهنَّ من كثرة الرجوع إلى العينين والأنف بعد الذبِّ والطرد ، وبعد الاجتهاد في ذلك .

(أذى الذباب ونحوها)

وقال محمد بن حرب^(٢) : ينبغي أن يكون الذبَّانُ سُماً نَاقِعاً ؛ لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَشْتَدُّ إِذَا هُ أذاه باللمس من غيره ، فهو بالمداخلة والملابسة أجدرُّ أن يؤذى . وهذه الأفاعى والثعابينُ والجرارات^(٣) قد تمسُّ جلودها ناساً فلا تضرُّهم^(٤) إِلَّا بَأَن تَلَابَسَ إِبْرَةُ الْعَقْرَبِ وَنَابُ الْأَفْعَى الدَّم . [ونحن] قد نجد الرجلَ يَدْخُلُ فِي خَرَقٍ أَنْفِهِ ذَبَابٌ ، فيجولُ في أوله من غير أن يجاوزَ [ما حاذى]

(١) ط ، س : « العشاء » .

(٢) هو أبو علي محمد بن حرب اللدلي ، كان من أعلام متكلمي الخوارج ، وكان من البلغاء الأبيناء ، وكتب للأمين . انظر الفهرست ٢٥٨ ، ١٨٢ . وقد روى عنه الجاحظ في غير ما موضع من البيان .

(٣) الجرارات : ضرب من العقارب صغار تجرر أذناها ، وهن أشد العقارب فتكا . ط ، س : « والجرار » ، وهى على الصواب في ل .

(٤) ط : « ولا تضرهم » محرفة .

روثة أنفه وأرنبته (١) فيخرجه الإنسان من جوف أنفه بالنفخ وشدة النفس ولم يكن له هنالك لبث ، ولا كان منه عضو ، وليس إلا ما مس (٢) بقوامه ١٠٤ وأطراف جناحيه ، فيقع [في (٣)] ذلك المكان من أنفه ، من الدغدغة والأكال (٤) والحكة ، ما لا يصنع الحردل (٥) وبصل الترجس ، ولبن التين . فليس يكون ذلك منه إلا وفي طبعه من مضادة طباع الإنسان ما لا يبلغه مضادة شيء وإن أفرط .

قال : وليس الشأن في أنه لم ينخس (٦) ، ولم يجرح ، ولم يخز (٧) ولم يعرض ، ولم [يغمز] ، ولم يחדش . وإنما هو على قدر منافرة الطباع للطباع ، وعلى قدر القرابة والمشاكلة .

(١) روثة الأنف : طرف الأرنبة . والأرنبة : طرف الأنف . ط ، س : « روث أنفه » ، وصحته في ل .

(٢) ط : « بما » ، وهذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من س .

(٣) الزيادة من ل ، س .

(٤) الأكال ، بالضم : الحكة .

(٥) الحردل : نبت يسمى بمصر (الكبر) بالتحريك ، يخرج كثيراً مع البرسيم ، وله بذر حار . ومن طريق ماروي داود ، أن أهل مصر يأكلونه مع الشواء في عيد الأضحى . وبديل هذه الكلمة في ل : « الحرب » ، صوابها « الحرف » كقفل ، وهو حب الرشاد .

(٦) كذا في ل . وفي ط ، س : « يخمش » .

(٧) ط ، س : « يغمز » .

(الأصوات المكروهة)

[و] قد نجدُ الإنسانَ يغمُ بِتَنَقُّضٍ^(١) الفتيلة وصوتها عندَ قربِ انطفاءِ النارِ ، [أ] ولبعضِ البلبَلِ يكونُ قد خالطَ الفتيلة ، ولا يكونُ الصوتُ بالشَّديدِ^(٢) ، ولكنَّ الاغتمامَ به ، والتكرُّهَ له ، يكونُ في مقدارٍ ما يعتريه من أشدِّ الأصواتِ . ومنَ ذلكِ المكروهُ الذي يدخلُ على الإنسانِ من غَطِيطِ النَّأَمِ ، وليست تلكُ الكراهةُ لعلَّةِ الشُّدَّةِ والصَّلابةِ ، ولكن من قِبَلِ الصُّورَةِ والمقدارِ ، وإن لم يكن من قِبَلِ الجنسِ^(٣) . وكذلك صوتُ احتكاكِ الآجُرِّ الجديدِ بعضه ببعضِ ، وكذلك شجرِ الآجَامِ على الأجرافِ^(٤) ؛ فَإِنَّ النَّفْسَ تَكْرَهُهُ كما تَكْرَهُهُ صوتَ الصَّاعِقَةِ . ولو كان على ثِقَةٍ من السَّلَامَةِ من الاحتراقِ ، كما احتفلَ بالصَّاعِقَةِ ذلكَ الاحتفالَ . ولعلَّ ذلكَ الصوتُ وحدهُ أَلَّا يَقْتُلَهُ^(٥) . فَأَمَّا الذي نشاهدُ اليومَ الأمرَ عليه ، فإنه متى قُرِبَ منه قتله . ولعلَّ ذلكَ إنما هو لأنَّ الشَّيْءَ إذا اشتدَّ صَدْمُهُ^(٦) فَسَخَّ القُوَّةَ

(١) تنقضت الفتيلة : صوتت . وهذه الكلمة محرفة في الأصل ، فهي في ط :

« بتنقض » ، وفي س ، ل : « بتنفض » .

(٢) ط : « بالشر » وتصحيحه من ل ، س .

(٣) ط : « إذا لم يكن من قبل الجنس » .

(٤) الآجام : جمع أجمة ، وهي الشجر الكثير الملتف . والأجراف : جمع جرف بالضم

وبضمين ، وهو ما أكل السيل من أسفل شق الوادي والنهر .

(٥) ل : « ولعل ذلك الصوت أن لو خالطه لم يقتله » .

(٦) ط ، س : « صوته » .

أو لعلَّ الهواء الذي فيه ^(١) الإنسان والمحيط [به] أن يحمى ويستحيل ناراً ^(٢) ؛
للذي قد شارك ذلك الصوت من النار . وهم لم يجدوا الصوت ^(٣) شديداً جداً
إلا ما خالط منه النار .

(ما يقتات بالذباب)

وقال ابن حرب : الذبَّان قوتُ خلقٍ كثيرٍ من خلق الله عزَّ وجلَّ ،
وهو قوتُ الفراريج ، والخفافيش ، والعنكبوت ، والخلد ^(٤) ، وضروب
كثيرة من الهمج ، همج الطير ، وحشرات السباع ^(٥) . فأما الطير والسودانيات ^(٦) ،
والحصانيات ^(٧) ، والشاهمركات ^(٨) ، وغير ذلك من أصناف الطير ؛ وأما
الضباع - فإنها تأكل الجيف ، وتدع في أفواها فضولاً ، وتفتح أفواها

(١) ل : « في » .

(٢) كذا في ل واللسان (صق ٦٧) . وفي س : « يستخر » وفي ط : « ويستخر » .

(٣) ط ، س : « وهم لم يجدوا الصوت من النار » . والوجه ما أثبت من ل .

(٤) الخلد ، بالضم ويفتح : دابة عمياء صماء ، سيتحدث عنها الجاحظ في (٦ : ٤١١)

(٥) كذا .

(٦) السودانيات : الزرايزر . ل : « وكالسودانيات » تحريف .

(٧) في القاموس : « الحصانيات : طير » . ط س : « الحصانيات » ، تصحيف

صوابه في ل .

(٨) الشاهمرك ، ويقال الشاهمريج كما ورد في المخصص (٨ : ١٥٢) : كل طائر طويل

الساقين . إذا فسره شيخ المحققين الأب أنستاس ماري في رسالة إلى . وقال : « هو بالفرنسية :

Echassier ، وبالمعنى المتقدم في الفارسية » . قلت : قد ضبطت هذه الكلمة

وفسرت خطأ في (١ : ٢٨) . وقد عده الجاحظ من الحيوان آكل الحيات

(١ : ٢٨ ، ٦ : ١٢٤) .

للذَّبَّانِ ، فإذا احتشَّتْ ضَمَّتْ عليها . فهذه إمَّا تصيد الذَّبَّانَ بنوعٍ واحدٍ ، وهو الاختطافُ والاختلاسُ ، وإعجالها عن الوثوبِ إذا تَلَقَّطته بأطرافِ المناقيرِ ، أو كبعض ما ذكرنا من إطباقِ الفمِ عليها .

(صيد اللَّيْثِ للذَّبَّابِ)

فَأَمَّا الصَّيْدُ الَّذِي لَيْسَ لِلْكَلْبِ ، وَلَا لِعَنَاقِ الْأَرْضِ ^(١) ، وَلَا لِلْفَهْدِ ، وَلَا لَشَيْءٍ مِنْ ذَوَاتِ الْأَرْبَعِ مِثْلُهُ فِي الْحَذَقِ وَالْخِتْلِ وَالْمَدَارَاةِ ، وَفِي صَوَابِ الْمُوثَبَةِ ، وَفِي التَّسَدُّدِ وَسُرْعَةِ الْخَطْفِ ، [فليس ^(٢)] مِثْلَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ اللَّيْثُ وَهُوَ الصَّنْفُ الْمَعْرُوفُ مِنَ الْعِنَاكِبِ بِصَيْدِ الذَّبَّانِ ^(٣) ؛ فَإِنَّكَ تَجِدُهُ إِذَا عَيْنَ الذَّبَّانَ سَاقِطاً ، كَيْفَ يَلْطَأُ ^(٤) بِالْأَرْضِ ، وَكَيْفَ يَسْكُنُ جَمِيعَ جَوَارِحِهِ لِلْمُوثَبَةِ ، وَكَيْفَ يُؤَخَّرُ ذَلِكَ إِلَى وَقْتِ الْغِرَّةِ ، وَكَيْفَ يَرِيهَا أَنَّهُ عَنْهَا لَاهٍ ؛ ١٠٥ فَإِنَّكَ تَرَى مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً لَمْ تَرِ مِثْلَهُ مِنْ فَهْدٍ قَطُّ ، وَإِنْ كَانَ الْفَهْدُ مَوْصُوفاً مَنْعُوتاً .

-
- (١) عناق الأرض : دابة نحو الكلب الصغير تصيد صيداً حسناً . الحيوان (٦ : ٣٥٢)
في الأصل : « لعناق » بالناء ، وهو خطأ .
(٢) ليست بالأصل . والكلام في حاجة إليها .
(٣) ل : « وهو صنف من العناكب » .
(٤) لطاء بالأرض ، كنعج وفرح : لصق . ط ، س : « يلتطى » .

واعلم أنه قد ينبغي ألا يكون في الأرض شيء أصيد منه ؛ لأنه لا يطير ،
ولا يصيد إلا ما يطير ! ويصيد طائراً شديداً الحذر ، ثم يصيد صياداً ! لأن
الذباب يصيد البعوض . وخديعتك للخداع أعجب ، ومكرك بالماكر أغرب !
فكذلك يكون صيد هذا الفن ^(١) من العنكبوت .

(صيد الوزغ والزناير للذباب)

وزعم الجرداني ^(٢) أن الوزغ تختل الذبان ، وتصيدها صيداً حسناً
شبيهاً بصيد الليث .

قال : والزنبور حريص على صيد الذبان ، ولكنه لا يطعم فيها إلا أن
تكون ساقطة على خرء ، دون كل تمر وعسل ؛ لشدة عجبها بالخرء ، وتشاغلها
به ! فعند ذلك يطعم فيه الزنبور ويصيده .

وزعم الجرداني ^(٣) وتابعه كيسان : أن الفهد إنما أخذ ذلك عن الليث . ومتى
راه ^(٤) الفهد يصيد الذبان حتى تعلم منه ؟ ! فظننت أنهما قلداً في ذلك بعض
من إذا مدح شيئاً أسرف فيه .

(١) الفن : الضرب والنوع . ل : « الفز » ، وهو تحريف .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من ل . وبدلاً في س : « الجرذاني » .

(٣) س : « الجرذاني » . ل : « الجرادى » .

(٤) ل : « وحتى » ، وهو تحريف .

(تقليد الحيوان للحيوان وتعلمه منه)

ويزعمون أنّ السَّبَّعَ الصَّيُودَ إذا كان مع سبَعٍ هو أصبَدُ منه ، تعلمَ منه وأخذَ عنه . وهذا لم أحقّه . فأما الذي لا أشكُّ فيه فإنَّ الطَّائِرَ الحَسَنَ الصَّوْتِ المَلْحَنَ ، إذا كان مع نوائِحِ [الطَّيْرِ] ^(١) ومغنيَّاتها ، فكان بقربِ الطَّائِرِ ^(٢) من شكله ، وهو أحذقُ منه [وأكرز] ^(٣) وأمهر ، جاوبه وحكاه ، وتعلمَ منه ، أو صنعَ شيئاً يقوم مقامَ التعلُّمِ .

(تعليم البراذين والطيير)

والبرِذَوْنُ يُراضُ فيعرفُ مايراد منه ، فيعين على نفسه . وربما استأجروا للطَّيْرَ رجلاً يعلمها . فأما الذي رأيتُه أنا في البلابل ، فقد رأيتُ رجلاً يدعى لها فيطارحُها من شكل أصواتها .

(ما يَخترع الأصوات واللحون من الطيير)

وفي الطَّيْرِ ما يَخترع الأصوات واللحون التي لم يُسمعَ بمثُلها قطُّ من المؤلِّفِ للُحُونِ مِنَ النَّاسِ ؛ فإنَّه ربَّما أنشأ لحناً لم يمرَّ على أَسْمَاعِ ^(٤) المغنِّين قطُّ .

(١) ليست بالأصل .

(٢) ط : « يقرب » .

(٣) أكرز بمعنى أحذق .

(٤) ط : « سماع » .

وأكثرُ ما يجدون ذلك من الطَّيرِ في القهاريِّ ، وفي السُّودانيات^(١) ، ثمَّ في الكرارِزة^(٢) . وهي تأكل الذِّبَّانَ أَكْلاً ذريعاً .

(اللَّجوج من الحيوان)

ويقال إن اللَّجاج في ثلاثةِ أجناسٍ من بين جميع الحيوان : الخنفساء ، والذُّباب ، والدُّودة الحمراء ؛ فإنَّها في إِبَّانِ ذلك ترومُّ الصُّعودَ إلى السَّقْفِ ، وتمرُّ على الحائطِ الأملس شيئاً قليلاً فتسقطُ وتعود ، ثمَّ لا تزال تزداد شيئاً ثمَّ تسقط ، إلى أن تمضىَ إلى باطن السَّقْفِ ، فربما سقطت ولمَّ يبق عليها إلَّا مقدارُ إصبع ، ثمَّ تعود .

(لجج الخنفساء واعتقاد المغاليس فيها)

والخنفساء تُقبِلُ قبِلَ الإنسانِ فيدفعُها ، فتبعدُ بقدر تلك الطُّردة والدَّفعة ثمَّ تعود أيضاً ، فيصنع بها أشدَّ من تلك ثمَّ تعود ، حتَّى ربما كان ذلك سبباً لغضبه ، ويكون غضبُه سبباً لقتلها .

(١) السُّودانيات : الزرازير .

(٢) الكرارِزة : جمع كرز ، كقبر ، وهو البازي . ط ، س : « الكرارِة » وهو تحريف .

وما زالوا كذلك ، وما زالت كذلك ، حتى سقط إلى المفاليس ^(١) أن ١٠٦
الحنافس تجلب الرزق . وأن دنوَّها دليلٌ على رزقٍ حاضر : من صِلَةٍ
أو جائزة ، أو ربحٍ ، أو هديَّةٍ ، أو حظٍّ . فصارت الحنافسُ إن دخلتْ
في قَمُصهم ثمَّ نفذتْ إلى سراويلاتهم لم يقولوا لها قليلاً ولا كثيراً . وأكثرُ
ما عندهم اليومَ الدَّفْعُ لها ببعض الرِّفق . ويظنُّ بعضهم أنه إذا دفعها ^(٢)
فعدتْ ، ثمَّ دفعها ، فعدتْ ، ثمَّ دفعها فعدتْ - أن ذلك كلما كان
أكثرَ ، كان حظُّه من المال الذي يؤمِّله عند مجيئها أجزَلَ ^(٣) .

فانظرْ ، آية واقيةٍ ، وآية حافظة ^(٤) ، وأى حارسٍ ، وأى حصنٍ أنشأه
لها هذا القول ^(٥) ! وأى حظُّ [كان] لها حين صدَّقوا [بهذا الخبر]
هذا التصديق ^(٦) ! والطَّمعُ هو الذي أثارَ هذا الأمرَ من مدافنه ^(٧) ، والفقر
هو الذي اجتذب ^(٨) هذا الطَّمعَ واجتلبه . ولكن الويل لها إن ألحَّتْ على
عَنِّي عالمٍ ، وخاصَّةً إن كان مع جدِّته وعلمه حديداً عجولاً ^(٩) .

(١) المفاليس : جمع مفلس . ط ، س : « المفاليس » ولا تصح .

(٢) ل : « دفعها » في مواضعها الثلاثة .

(٣) كذا في ل . وفي ط ، س « أكثر » .

(٤) كذا في ل ، س . وفي ط : « آية واقية دائمة حافظة » .

(٥) القول هنا بمعنى الاعتقاد . ط ، س : « وأى حصن إن شاء الله تعالى لها بهذا القول » ، ووجهه من ل .

(٦) كذا في ل . س : « بهذا القول ذلك التصديق » .

(٧) ل : « مواقيه » .

(٨) كذا في ل . وفي ط ، س : « سبب » .

(٩) هذه العبارة ساقطة من ل . والحدة ، كعدة : الغنى واليسار . وفي الأصل :
« مع حلوته » .

(اعتقاد العامة في أمير الذبّان)

وقد كانوا يقتلون الذبابَ الكبيرَ الشديدَ الطنين (١) الملحَّ في ذلك ،
الجهيرَ الصوت ، الذي تسميه العوامُّ : « أمير الذبّان » ، فكانوا يحتالون
في صرفه (٢) وطرده [وقتله] ، إذا أكرههم بكثرةِ ظنينه وزجله وهماهمه (٣)
فإنه لا يفتقر (٤) . فلما سقط إليهم أنه مبشّرٌ بقدمِ غائبٍ وُبرءٍ سقيم ، صاروا (٥)
إذا دخل المنزلَ وأوسعهم شراً ، لم يهجه أحدٌ منهم .

وإذا أرادَ الله عزَّ وجلَّ أن يُنسىَ في أجلٍ شيءٍ من الحيوان هيباً لذلك
سبباً ، كما أنه إذا أراد أن يقصُرَ عمره [ويحينَ يومه] هيباً لذلك (٦) سبباً .
فتعالى الله علواً كبيراً !

ثمَّ رجَّع بنا القولُ إلى إلحاحِ الذبّانِ .

(١) كلمة « الكبير » ساقطة من ل . ولفظ « الطنين » هي في ط ، س :

« البطش » وتصحيحه من ل .

(٢) ل : « ضربه » وليس بشيء .

(٣) هاهم : جمع هممة ، والمراد بها الطنين .

(٤) أي لا يسكن ولا ينقطع عن الطنين . ط : « يغير » وصوابه في ل ، س .

(٥) ل : « صار » .

(٦) ط ، س : « له » .

(عبد الله بن سوّار وإلحاح الذّباب)

كان لنا بالبصرة قاض يقال له عبدُ الله بنُ سوّار^(١) ، لم يرَ النَّاسُ حاكماً قطُّ ولا زميئاً ولا ركيناً^(٢) ، ولا وقوراً حليماً ، ضبط من نفسه ومملك من حركته مثل الذي ضبط ومملك . كان يصليّ الغداة في منزله ، وهو قريب الدّار من مسجده ، فيأتي مجلسه فيحتبي ولا يتسكى ، فلا يزالُ منتصباً لا يتحرّك له عضوٌ ، ولا يلتفت ، ولا يحلُّ حُبوتَه^(٣) ولا يحولُ رجلاً عن رجل^(٤) ، ولا يعتمد على أحدٍ شقيقه ، حتّى كأنه بناءٌ مبنىٌ ، أو صخرةٌ منصوبة . فلا يزال كذلك ، حتّى يقوم إلى صلاة الظهر ثمّ يعودُ إلى مجلسه فلا يزال كذلك^(٥) حتّى يقوم إلى العصر ، ثمّ يرجع لمجلسه ، فلا يزال كذلك حتّى يقوم لصلاة المغرب ، ثمّ رُبما عاد إلى محلّه ، بل كثيراً ما كان يكون ذلك إذا بقى عليه من قراءة العهود والشُّروط والوثائق ، ثمّ يُصليّ العشاء [الأخيرة^(٦)] وينصرف . فالحق يقال : لم يقم

(١) هو عبد الله بن سوّار (بالتشديد) بن عبد الله بن قدامة العبدي البصري . وسبقت ترجمة ولده سوّار بن عبد الله بن سوّار في ٢ : ١٨٧ . والقصة رواها المرتضى في في أماليه ٤ : ٢٢ .

(٢) كلمة : « قط » ساقطة من ل ، كما سقطت « ولا » من ط ، س . والزيمت كسكيت : العظيم الوقار . والركين الرزين .

(٣) الحبوّة ، بالفتح وتضم : أن يجمع الرجل بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها .

(٤) ط ، س : « ولا يحلُّ رجلاً على رجل » وأثبت ما في ل وثمار القلوب ٣٩٦ .

(٥) الكلام من مبدأ « حتّى يقوم » ساقط من ل ، وثمار .

(٦) الزيادة من ثمار القلوب . والعشاء الأخيرة خلاف الأولى ، والأولى هي المغرب .

١٠٧ في طول تلك المدّة والولاية مرّةً واحدةً إلى الوضوء ، ولا احتاجَ إليه ، ولا شربَ ماءً ولا غيره من الشراب . كذلك كان شأنه في طوال الأيام وفي قصارها ، وفي صيفها وفي شتائها^(١) . وكان مع ذلك لا يحرك يده ، ولا يُشيرُ برأسه . وليس إلا أن يتكلمَ [ثمَّ يوجز ، ويبلغ بالكلام اليسير المعاني السكثيرة] ^(٢) . فبينما هو كذلك ذاتَ يومٍ وأصحابه حواليه ، وفي السّماطين^(٣) بينَ يديه ، إذ سقطَ على أنفه ذبابٌ فأطال المكث ، ثمَّ تحوّل إلى مؤقِّ عينه^(٤) ، فرام^(٥) الصّبر في سقوطه على المؤقِّ ، وعلى عضّه ونفاذِ خرطومه كما رام^(٦) من الصبر على سقوطه على أنفه من غير أن يحرك أرنبته ، أو يغضنَ^(٧) وجهه ، أو يذبّ بإصبعه . فلمّا طال ذلك عليه من الذباب وشغله وأوجعه وأحرقه ، وقصدَ إلى مكانٍ لا يحتمل التغافل ، أطبقَ جفنه الأعلى على جفنيه الأسفل فلم ينهض ، فدعاه ذلك إلى أن والى^(٨) بين الإطباق والفتح ، فتنحّى ريثماً سكنَ جفنه ، ثمَّ عاد إلى مؤقه بأشدّ من مرّته الأولى فغمسَ خرطومه في مكان كان قد أوهاه قبلَ ذلك ، فكان احتمالُه له

(١) كلمة : « في » ساقطة من ل في الموضعين .

(٢) الزيادة من ل ، وثمار القلوب .

(٣) السباط ، بالكسر : الصف .

(٤) في الأصل : « عينيه » ، وأثبت ما في النثر . والمؤق : طرف العين مما ييل الأنف .

(٥) ل فقط : « فدام » ، وبكل من العبارتين يتجه المعنى .

(٦) ل فقط : « ودام » وانظر التبييه السابق .

(٧) غضن وجهه : جعل به غضونا ، وذلك بأن يقبض جلده . ط ، س : « يغض »

بمعنى يخفض . وفي النثر : « بعض » .

(٨) والى : تابع . ط ، س : « يوالى » وأثبت ما في ل والنثر .

أضعف ، وعجزه عن الصبر في الثانية أقوى^(١) ، فحرك أجنانه وزاد في شدة الحركة وفي فتح العين^(٢) ، وفي تتابع الفتح والإطباق ، فتنحى عنه بقدر ما سكنت حركته ثم عاد إلى موضعه ، فما زال يلح عليه حتى استفرغ صبره وبلغ مجهوده . فلم يجد بداً من أن يذب عن عينيه بيده ، ففعل ، وعيون القوم إليه ترمقه ، وكأهم لا يرونه^(٣) ، فتنحى عنه بقدر ما رد يده وسكنت حركته ثم عاد إلى موضعه ، ثم ألجأه إلى أن ذب عن وجهه بطرف كفه ، ثم ألجأه إلى أن تابع بين ذلك ، وعلم أن فعله كلفه بعين من حضره من أمنائه وجلسائه . فلما نظروا إليه قال : أشد أن الذباب ألح^(٤) من الخنفساء ، وأزهى من الغراب ! وأستغفر الله ! فما أكثر من أعجبتة نفسه فأراد الله عز وجل أن يعرفه من ضعفه ما كان عنه مستوراً ! وقد علمت أنني عند الناس من أزمتم الناس^(٥) ، فقد غلبني وفضحني أضعف خلقه ! ثم تلا قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذَّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴾ .

- (١) ط ، س : « وعجزه عن الصبر عليه في الثانية أقل » ، وصوابه في ل . ونحو منه ما في الثمار .
- (٢) ط ، س : « وألح في فتح العين »
- (٣) كلمة : « إليه » ليست في الثمار . وليس ما يمنع بقاءها . و « يرونه » هي في الأصل « يريدونه » ، وتصحيحه من الثمار .
- (٤) كذا في الأصل : « ألح » بالحاء كما في أمثال الميداني ٢ : ١٨٠ . ويروى بالجيم ، كما في الثمار وكما سيأتي في ص ٥٠٠ .
- (٥) أزمتم الناس : أى أشدهم وقاراً وسكوناً . ط : « أضعف » ووجهه في س ، ل . وفي الثمار : « أرزن » ، وكلمة « الناس » الأولى هي في ط ، س فقط : « نفس » . كما أن كلمة « من » ساقطة من س .

وكان بين اللسان ، قليلَ فضولِ الكلام ، وكان مهيباً في أصحابه ،
وكان أحدَ من لم يطعنَ عليه في نفسه ، ولا في تعريض أصحابه للمنالة (١) .

(قصة في إلحاح الذباب)

فأما الذي أصابني أنا من الذَّبَّانِ ، فإنِّي خرَّجتُ أمشي في المبارك (٢)
أريد دَيْرَ الربيع ، ولم أقدرْ على دَابَّةٍ ، فررتُ في عَشْبٍ [أَشْبٍ] (٣)
ونباتٍ ملتفٍّ كثيرِ الذَّبَّانِ ، فسقط ذبابٌ من تلك (٤) الذَّبَّانِ على أنفي ،
فطردته ، فتحولَ إلى عيني (٥) [فطردته ، فعاد إلى موقِ عيني] ، فزدتُ
في تحريكِ يديَّ ففتحتي عني بقدرِ شدةِ حركتي (٦) وذبي عن عيني - وليذبان
الكلا والغياضِ والرباضِ وقعٌ ليس لغيرها - ثمَّ عادَ إلى فعدتُ عليه ، ثمَّ
١٠٨ عادَ [إلى] فعدتُ بأشدُّ من ذلك ، فلما عاد استعملتُ كُمِّي فذبتت به عن
وجهي ، ثمَّ عاد ، وأنا في ذلك أحثُّ السيرِ ، أوَمَّلُ بسرعتي انقطاعه عني (٧)
فلما عاد نزعْتُ طَيْلَسَانِي (٨) من عُنُقِي فذبتت به عني بدلَ كُمِّي ، فلما

(١) المنالة : مصدر نلت أنال .

(٢) المبارك : اسم نهر بالبصرة احتفروه خالد بن عبد الله القسري . ويمشى فيه :

أى في شاطئه . ط ، س : « من عند ابن المبارك » .

(٣) أشب : أى ملتف . وكلمة « عشب » ساقطة من ل .

(٤) ط ، س : « ذلك » .

(٥) كذا في ل . وفي ط ، س : « فطردته فلم أقدر فتحول إلى عيني » .

(٦) ل : « فتحتي على قدر شدة حركتي » .

(٧) ل : « أحث السير » وقد سقط منها « أوَمَّلُ بسرعتي » .

(٨) الطيلسان : كساء مدور أخضر ، لحمته أو سسدها من صوف ، يليسه
الخواص من العلماء والمشايخ ، وهو من لباس العجم ، وهو لفظ معرب
من تالسان الفارسية .

عاوَدَ ولم أجد له حيلةً استعملتُ العدوَّ ، فعدوتُ منه شوطاً [تاماً] لم
أتكلفُ مثله مذ كنتُ صبيّاً ، فتلقاني الأندلسيُّ فقال لي : مالك يا أبا عثمان !
هل منْ حادثةٌ ؟ قلتُ : نعم ، [أكبر الحوادث] ، أريد أن أخرجَ من موضعٍ
للذَّبَّانِ عَلَيَّ فيه سلطانٌ ! فضحك حتى جالس . وانقطع عني ، وما صدقتُ
بانقطاعه عني حتى تباعد (١) جدّاً .

(ذبَّان العساكر)

والعساكر أبدأ كثيرة الذَّبَّانِ . فإذا ارتحلوا لم يرَ المقيمُ بعدَ الظَّاعنِ
منها إلا اليسير .

وزعم بعضُ النَّاسِ أنَّهم يتبعن العساكرَ ، ويسقطنَ على المتاع ، وعلى
جِلالِ (٢) الدَّوابِّ ، وأعجاز البراذين التي عليها [أسبابها (٣)] حتى تؤدِّي إلى
المنزل الآخِر .

[و] قال المكيُّ : يتبعوننا ليؤذونا ، ثمَّ لا يركبون إلا أعناقنا
ودوابنا (٤) !

(١) ل : « تباعدت » .

(٢) الجلال : جمع جل بالضم وبالفتح ، وهو ما تلبسه الدابة لتصان به .

(٣) كذا في س . وبدلها في ل : « أربابها » .

(٤) هذا حكاية من الجاحظ للفظ المكي . وفيه استعمال ضمير العاقل لغيره .

(تَخْلُقُ الذَّبَابَ - ١ -)

ويقول بعضهم: بل إنما يتخلَّق من تلك العُفوناتِ والأبجُرةِ والأنفاسِ ،
فإذا ذهبَت فَنيتُ مع ذهابها^(١) ويزعمون أنهم يعرفون ذلك بكثرتها
في الجنائبِ ، وبقلتها في الشَّمالِ^(٢) .

قالوا : ورَبَّما سدَدْنَا فَمَ الآنِيَةِ الَّتِي فِيهَا الشَّرَابُ بِالصَّمَامَةِ ، فَإِذَا
نَزَعْنَاهَا وَجَدْنَا [هُنَاكَ] ذَبَابًا صَغَارًا .
وقال ذو الرِّمَّةِ^(٣) :

وَأَيُّقَنَّ أَنَّ القِنْعَ صَارَتْ نِظَافُهُ^(٤) فَرَأَشًا وَأَنَّ البَقْلَ ذَاوٍ وَيَابَسُ
[القِنْعِ : المَوْضِعُ الَّذِي يَجْتَمِعُ فِيهِ نَقْرَانِ المَاءِ^(٥) . والفراشُ : المَاءُ الرقيقُ
الَّذِي يَبْقَى فِي أَسْفَلِ الحِيَاضِ] .

وأخبرني رجلٌ من ثَقِيفٍ ، من أصحابِ النَّبِيِّ أَنَّهُمْ [رُبَّمَا] فَلَاقُوا السَّفَرَجِلَةَ
أَيَّامَ السَّفَرِ جَلَّ لِلنَّقْلِ^(٦) وَالْأَكْلِ ، وَلَيْسَ هُنَاكَ مِنْ صَغَارِ الذَّبَابِ شَيْءٌ أَلْبَتَّةَ

(١) كذا في ل . وفي ط ، س : « فإذا ذهب ذلك خف » .

(٢) الجنائب : جمع جنوب . وهي الرياح الجنوبية . والشمال : جمع شمال ، بالفتح ، وهي
الرياح الشمالية . ل : « في الشمال » .

(٣) يصف الحمر الوحشية . ديوانه ٣١٣ .

(٤) النظاف : جمع نطفة ، وهي هنا الماء الكثير . وتقال أيضاً للماء القليل ،
بل هو الأكثر . ط ، س : « نطفة » ووجهه في ل .

(٥) النقران : جمع نقر . و « يجتمع » هي في الأصل : « يجمع » ، والتفسير بعده مخالف
للاستشهاد . وانظر ماسياتي في ٥ : ٤٠٤ .

(٦) النقل بالفتح : ما يتنقل به على الشراب ، وهو ما يعمد به الشارب على شرابه .

ولا يُعَدُّهُمْ أَنْ يَرَوْا عَلَى مَقَاطِعِ السَّقْرِجْلِ ذُبَابًا صَغَارًا . وَرَبَّمَا رَصَدُوهَا
وَتَأَمَّلُوهَا ، فَيَجِدُونَهَا تَعْظُمُ حَتَّى تَلْحَقَ بِالْكِبَارِ فِي السَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ .

(حَيَاةُ الذُّبَابِ بَعْدَ مَوْتِهِ)

قال : وفي الذُّبَابِ طَبْعُ كَطَبْعِ الْجِعْلَانِ ، فَهُوَ طَبْعٌ غَرِيبٌ عَجِيبٌ . وَلَوْلَا
أَنَّ الْعِيَانَ قَهَرَ أَهْلَهُ لَسَكَانُوا خَلْقَاءَ أَنْ يَدْفَعُوا الْخَبَرَ عَنْهُ ؛ فَإِنَّ الْجُعْلَلَ إِذَا دُفِنَ
فِي الْوَرْدِ^(١) مَاتَ فِي الْعَيْنِ ، وَفَنِيَتْ حَرَكَاتُهُ كُلُّهَا ، وَعَادَ جَامِدًا تَارِزًا^(٢) .
وَلَمْ يَفْصِلِ النَّاطِرُ إِلَيْهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُعْلَلَ الْمَيِّتِ ، مَا أَقَامَ عَلَى تَأْمَلِهِ^(٣) . فَإِذَا
أَعِيدَ إِلَى الرُّوثِ عَادَتْ إِلَيْهِ حَرَكَةُ الْحَيَاةِ مِنْ سَاعَتِهِ^(٤) .

وَجَرَّبْتُ أَنَا [مِثْلَ] ذَلِكَ فِي الْخَنَفَسَاءِ ، فَوَجَدْتُ الْأَمْرَ فِيهَا قَرِيبًا مِنْ
صِفَةِ الْجُعْلَلَ ، وَلَمْ يَبْلُغْ كُلَّ ذَلِكَ [إِلَّا^(٥)] لِقَرَابَةِ [مَا] بَيْنَ الْخَنَفَسَاءِ وَالْجُعْلَلَ .
وَدَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى ابْنِ أَبِي كَرِيمَةَ ، وَإِذَا هُوَ قَدْ أَخْرَجَ إِبْجَانَةً^(٦)
كَانَ فِيهَا مَاءٌ مِنْ غَسَالَةِ أَوْسَاخِ الثِّيَابِ ، وَإِذَا ذِبَّانٌ كَثِيرَةٌ قَدْ تَسَاقَطْنَ
فِيهِ مِنَ اللَّيْلِ فَهَوَّتْنَ^(٧) . هَكَذَا كُنَّ^(٨) فِي رَأْيِ الْعَيْنِ . فَغَبَّرْنَا كَذَلِكَ

(١) ط : « المورد » وصوابه في ل ، س . وانظر ما سبق في (٢ : ١١٢) .

(٢) التارز : اليابس الذي لا روح فيه .

(٣) ل : « تأملها » ، ولكل وجه .

(٤) ل : « عاد إليه حركة الحيوان من ساعته » .

(٥) ليست بالأصل ، وبها يستقيم الكلام .

(٦) الإبجانة : الوعاء يغسل فيه الثياب . في الأصل : « من إبجانة » ، والوجه حذف

« من » .

(٧) يقال موتت الدواب تمويتا : كثر فيها الموت . انظر اللسان . ط ، س :

« فتن » .

(٨) كذا في ل ، س . وفي ط : « كان » أي كان الأمر .

١٠٩ عَشِيَّتَهُنَّ وَلَيْلَتَهُنَّ ، وَالغَدَّ إِلَى انْتِصَافِ النَّهَارِ ، حَتَّى انْتَفَخْنَ وَعَفِنَ (١)
وَاسْتَرْخَيْنَ ؛ وَإِذَا ابْنُ أَبِي كَرِيمَةَ قَدْ أَعَدَّ آجُرَةً جَدِيدَةً (٢) ، وَفُتَاتَ آجُرٍ
جَدِيدٍ ، وَإِذَا هُوَ يَأْخُذُ الْخَمْسَ مِنْهُنَّ (٣) وَاللَّسْتَ ، ثُمَّ يَضَعُهُنَّ عَلَى ظَهْرِ الْآجُرَةِ
الْجَدِيدَةِ ، وَيَذَرُهُنَّ عَلَيْهِنَّ مِنْ ذِقَاقِ ذَلِكَ الْآجُرِ الْجَدِيدِ الْمَدْقُوقِ بِقَدْرِ مَا يَغْمُرُهَا
فَلَا تَلْبِثُ أَنْ يَرَاهَا (٤) قَدْ تَحَرَّكَتْ ، ثُمَّ مَشَتْ ، ثُمَّ طَارَتْ ؛ إِلَّا أَنَّهُ
طَرَّ أَنْ ضَعِيفٌ .

(ابن أبي كريمة وعود الحياة إلى غلامه)

وكان ابنُ أبي كريمة يقول : [لا] والله ، لادفنتُ ميتاً أبداً حَتَّى يَنْتِنَ !
قلت : وكيف [ذاك] قال : إنَّ غلامي هذا نُصِيراً ماتَ ، فَأَخْرَجْتُ دَفْنَهُ
لبعضِ الأمرِ ، فقدم أخوه تلك اللَّيْلَةَ فقال : ما أظنُّ أخى ماتَ ! ثمَّ أخذ
فتيلتين ضخمتين ، فروأهما دهنًا ثمَّ أشعل فيهما النَّارَ ، ثمَّ أطفأهما وقرَّبهما
إلى منخريه ، فلم يلبثْ أَنْ تَحَرَّكَ . وها هو ذا قد تراه ! قلت له : إن أصحاب
الحروب [والذين يغسلون الموتى] والأطباء ، عندهم في هذا دَلالاتٌ وعلاماتٌ
فلا تحمل على نفسك في واحدٍ من أولئك ألا تسترهُ بالدفن حتى يَبيف .

(١) ل : « وغضن » .

(٢) ل : « أجراً جديداً » .

(٣) ل : « منها » .

(٤) س : « تراها » ل : « تراها » .

والمجوس يقربون الميت من أنف الكلب ، ويستدلون بذلك على أمره .
فعلمت أن الذي عايناه (١) من الذبان قد زاد في عزمه .

(النُعر)

والنُعر : ضربٌ من الذبان ، والواحدة نُعرة . وربما دخلت في أنف
البعير أو السبع ، فيزُمُ بأنفه (٢) ؛ للذي يلتقي من المكروه بسببه . فالعربُ
تشبهه ذا الكبر من الرجال إذا صعرَّ خده ، وزمَّ بأنفه - بذلك البعير في تلك
الحال . فيقال عند ذلك : « فلان في أنفه نُعرة ، وفي أنفه خنزوانة » .
وقال عمر (٣) : « والله لا أقلعُ عنه أو أطيرُّ (٤) نُعرتَه » .

ومنها القمَّع ، وهو ضربٌ من ذبان الكلا . وقال أوس (٥) :
ألم ترَ أن الله أنزلَ مُزَنَه (٦) وعقرُ الظباءِ في الكناسِ تَقمَّعُ (٧)
وذلك مما يكون في الصيف وفي الحرِّ .

-
- (١) ل : « عاينه » .
(٢) زم البعير بأنفه : رفع رأسه لأم به . ط ، س : « فتورم أنفه »
وليس هناك .
(٣) هذه الكلمة ساقطة من ل .
(٤) لا أقلع عنه : لا أتركه . س : « اطر » وصوابه في ط ، ل ونهاية ابن الأثير .
(٥) هو أوس بن حجر . ديوانه ١١ .
(٦) المزن بالضم : السحاب ، أو أبيضه ، أو ذو المساء منه . والقطعة منه مزنة . وبهذه
الأخيرة جاءت الرواية في الديوان .
(٧) العقر : جمع أعقر ، وهو الظبي يعلو بياضه حمرة . والكناس مأواه . والتقمع :
أن تحرك رءوسها لتطرد القمَّع .

(أذى الذبّان للدوابّ)

والذبّان جنْدٌ من جند الله شديد الأذى. وربما كان أضرَّ من الدبّر (١) في بعض الزمان ، وربما أتت على القافلة بما فيها ؛ وذلك أنّها تغشى (٢) الدوابّ حتّى تضربَ بأنفسها الأرض - وهي في المفاوز - وتسقط ، فهلك أهل القافلة ؛ لأنهم لا يخرجون من تلك المفاوز على دوابهم . وكذلك تُضرب الرعاء (٣) بإبلهم ، والجمالون بجمالهم عن تلك الناحية ، ولا يسدّكها (٤) صاحب دابة ، ويقول بعضهم لبعض : بادروا قبل حركة الذبّان ، وقبل أن تتحرك ذبّان (٥) الرياض والكلا !

والزنابير لا تكادُ تدبّ (٦) إذا لسعت بأذنانها . والذبّان تغمس خراطيمها في جوف لحوم الدوابّ ، وتخرق الجلود الغلاظ حتى تنزف الدّم نزفا . ولها مع شدّة الرقع سمومٌ . وكذلك البعوضة ذات سمّ ، ولو زيد ١١٠ في بدن البعوضة وزيد في حرقة لسعها إلى أن يصير بدنها كبدين الجرّارة (٧) - فإنها أصغر العقارب (٨) - لما قام له شيء ، وكان أعظم بليّة من الجرّارة

(١) الدبّر ، بالفتح : جماعة النحل والزنابير . ويقال بالكسر أيضاً .

(٢) س : « تعش » محرفة .

(٣) ل : « ولذلك ينصرف الرعاة » .

(٤) س : « يستلكها » .

(٥) جاء في ط ، س : « الذباب » و « ذباب » .

(٦) ط ، س « ترمي » وصوابه في ل .

(٧) الجرّارة سبق تفسيرها في ص ٣٣٣ . ط : « الجرّادة » وصوابها في ل ، س .

(٨) كذا الصواب في ل . وفي ط ، س : « أصغر من العقارب » .

النصيبية^(١) أضعافاً كثيرة . وربما رأيت الحمار وكأنه مُمغَّر^(٢) أو معصفر .
ولأنهم^(٣) مع ذلك ليجلِّلون حمرهم ويبرقعونها ، وما يدعون موضعاً إلا
ستروه بجهدهم ، فربما رأيت الحمير وعليها الرِّجال [فيما بين عبدسى^(٤)
والمذار^(٥)] بأيديهم المناخس والمذاب^(٦) ، وقد ضربت بأنفسها الأرض^(٧)
واستسلمت للموت . وربما رأيت صاحبَ الحمير^(٨) إذا كان أجيراً يضربها
بالعصا بكلِّ جهده ، فلا تنبعث .

وليس لجلد البقرة والحمار والبعير عنده خطر . ولقد رأيتُ ذباباً سقط
على سالفة^(٩) حمار كان تحتي ، فضرب بأذنيه ، وحرك رأسه بكلِّ

(١) ط : « الجراة النصيبية » ، وتصحيحها من ل ، س . والنصيبية : نسبة إلى نصيبين ، وهي مدينة من بلاد الجزيرة ، كما ذكر ياقوت . قالوا : وسبب كثرة العقارب بها أن كسرى أنوشروان كان حاصرها فاستعصت عليه ، فأمر أن تجمع له العقارب من قرية تسمى طيرانشاه ، فرماهم بها في العرادات والقوارير ، فتملاً القارورة وتدفع بالعرادة ، فإذا وقعت انكسرت فتخرج العقارب ، حتى ضج أهلها وأسلموا له الأمر .

(٢) منغر : مصبوغ بالمغرة ، وهي بالفتح وبالتحريك : صيغ أحر طيني ، وأجوده ما كان من مصر . ط ، س : « منعر » ، ل : « منغر » وصوابه ما أثبت .

(٣) ط : س : « فإنهم » .

(٤) عيسى ، كما في معجم البلدان : اسم مصنعة كانت برستاق كسكرك ، خر بها العرب وبقى اسمها على ما كان حولها من العمارة .

(٥) المذار ، بالذال : مدينة بين واسط والبصرة .

(٦) ما بعد المعقفين ساقط من ل .

(٧) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٨) ل : « المسكارى » . والمسكارى : الذى يكريك دابته . والكراء : الأجرة .

(٩) السالفة : ماتقدم من العنق .

جهده^(١) ، [و^(٢)] أنا أتأمله وما يقلع عنه ، فعمدت بالسوط لأخيه به^(٣) ،
فزاعته ، ورأيت مع نزوه عنه الدم^(٤) وقد انفجر ؛ كأنه كان يشرب
الدم وقد سدَّ المخرج بفيه ، فلما نحاها طلع .

(ونيم الذباب)

وتزعمُ العامةُ أنَّ الذَّبَّانَ يَحْرَأُ [عَلَى] ماشاء^(٥) قالوا : لأننا نراه يخرأ
على الشيء الأسود أبيضاً ، وعلى الأبيض أسود .

ويقال قد ونمَّ الذَّبَابُ - في معنى خرى الإنسان - وعراً الطائر^(٦) ،
وصام النعام ، وذرق الحمام . قال الشاعر^(٧) :

وَقَدْ وَنَمَّ الذَّبَابُ عَلَيْهِ حَتَّى كَأَنَّ وَنِيمَهُ نَقَطُ الْمِدَادِ^(٨)
وليس طولُ كَوْمِ البعير إذا ركب الناقة ، والخنزير إذا ركب الخنزيرة ،
بأطول ساعةٍ من لبثِ ذكورةٍ^(٩) الذَّبَّانِ عَلَى ظهور الإناثِ عند السَّفَادِ .

-
- (١) كذا في ل . وفي ط ، س : « وحك رأسه بكل جهة » .
(٢) الزيادة من ل ، س .
(٣) ل : « وما يقلع عنه الذباب فلما طراد ذلك يطرده عنه قصدت بالسوط لأخيه » .
(٤) كذا في ط ، س . وبدله في ل : « فغ نزوعه عنه نزا الدم » .
نزا : وثب .
(٥) ل : « على ماشاء » ، فتكون « ما » مصدرية .
(٦) كذا على الصواب في ل ، س . وفي ط « عرا » .
(٧) هو الفرزدق ، ذكر ذلك أبو العباس المبرد . الاقتضاب ٣٤٩ .
(٨) يروى : « لقد ونم » كما في المخصص (٨ : ١٨٦) ، وأدب الكاتب
١٣٤ والاقتضاب .
(٩) الذكورة : الذكور . ط : « ذكور » .

(تخلق الذباب - ٢ -)

والذباب من الخلق الذى يكون مرة من السّفاد والولاد^(١) ، ومرة من تعفن الأجسام والفساد الحادث فى الأجرام .

والباقلاء^(٢) إذا عتق شيتا فى الأنبار^(٣) استحال كله ذباباً^(٤) ، فرّ بما أغفلوه فى تلك الأنبار فيعودون إلى الأنبار وقد تطاير من الكوى والحروق فلا يجدون فى الأنبار إلا القشور .

والذباب الذى يخلق من الباقلاء يكون دوداً ، ثم يعود ذباباً . وما أكثر ما ترى الباقلاء مثقبا فى داخله شئ كأنه مسحوق ، إذا كان الله قد خلق منه الذبان وصيره^(٥) . وما أكثر ما تجده فيه تام الخلق . ولو^(٦) تم جناحاه لقد كان طار .

(١) الولاد - بالكسر - أحد مصادر ولد يلد . ط ، س : « والولادة » .

(٢) الباقلى ، بكسر القاف وتشديد اللام وتخفيف ، والباقلاء مخففة بمدودة هى الفول . هذه هى الباقلاء النبطية ، وأما الباقلاء المصرية فهى الترمس . والأولى هى المرادة ؛ لارتباط العراقيين بالأنباط .

(٣) الأنبار : بيوت الطعام التى يخترن فيها ، واحدها نبر بالفتح ؛ سميت بذلك لأن الطعام إذا وضع فيها انتبر : أى ارتفع . ومنه المنبر لارتفاعه . ط ، س : « الأقباء » فى كل موضع ترد فيه هذه الكلمة .

(٤) ل : « ذباناً » .

(٥) كذا فى ل . وفى ط ، س : « خلق فيه الذباب وطيره منه » .

(٦) ل : « ولم » تحريف .

(حديث شيخ عن تخلق الذباب)

وحدثني بعض أصحابنا عن شيخٍ من أهل الحريية^(١) قال : كنت أحبُّ الباقلاء ، وأردت ، إمَّا البصرة وإما بغداد - ذهب عني حفظه - فصرتُ في سفينةٍ حملها باقلاء ، فقلت في نفسي : هذا والله من الحظِّ وسعادة الجَدِّ ، ومن التوفيق والتسديد ، ولقد أربيع من وقعَ له مثل هذا^(٢) الذي [قد] وقع لي : أجلسُ في هذه السفينة على هذا الباقلاء ، فأكلُ منه نبيًّا^(٣) ومطبوخًا ، ومقلوًّا ، وأرضُ بعضه وأطحنه^(٤) ، وأجعلُه مرقًا^(٥) وإدامًا ، وهو يغذو^(٦) غذاءً صالحًا ، ويُسمِنُ ، ويزيدُ في الباه^(٧) . فابتدأتُ فيما أملتُه ، ودفعنا السفينة ، فأنكرتُ كثرةَ الذَّبَانِ . فلما كان الغدُ جاء منه ما لم أقدِرُ معه على الأكلِ والشربِ . وذهبت القائلة وذهب الحديث ، وشُغِلت بالذَّبِّ . على أنهم لم يكن يبرحن بالذَّبِّ ، وكن^(٨)

(١) الحريية بالتصغير : موضع بالبصرة . ط ، س : « الجزيرة » وليس بشيء .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من ل . وأربيع : أخصب . ط ، س : « ربح » .

(٣) مسهل « نيشا » . واليؤء ، بالكسر : الذي لم ينضج .

(٤) الررض : الدق . س : « أصحنه » موضع « أطحنه » ، ولم أجده بمعنى الطحن ، وإن كان معروفًا في عاميتنا المصرية بمعنى الطحن .

(٥) س : « مذاق » .

(٦) كذا في س . وفي ل ، ط : « يغذي » .

(٧) يقال الباه والباية : وفي الحديث : « من استطاع منكم الباهة فليزوج » . جاء

في س : « الباهة » ، وفي ل : « يزيدني الماء » .

(٨) ط : « ولن » وتصحيحه من ل ، س .

أَكْثَرَ مِنْ أَنْ أَكُونَ أَقْوَى عَلَيْهِنَّ ؛ لِأَنِّي كُنْتُ لَا أُطْرُدُ مَائَةَ حَتَّى يَخْلِفَهَا مَائَةٌ
مَكَانَهَا . وَهُنَّ فِي أَوَّلِ مَا يَخْرُجْنَ مِنَ الْبَاقِلَاءِ كَأَنَّ بَهَنَ زَمَانَةً^(١) فَلَمَّا كَانَ طَيْرَانَهُنَّ
أَسْوَأَ [كَانَ أَسْوَأَ]^(٢) لِحَالِي ، فَقُلْتُ لِلْمَلَّاحِ : وَيْلَكَ ! أَيُّ شَيْءٍ مَعَكَ حَتَّى
صَارَ الذَّبَابُ يَتَّبِعُكَ ! قَدْ وَاللَّهِ أَكَلْتُ وَشَرِبْتُ ! قَالَ : [أ] وَلَيْسَ تَعْرِفُ
الْقِصَّةَ ؟ قُلْتُ : لَا وَاللَّهِ ! قَالَ : [هِيَ وَاللَّهِ] مِنْ هَذِهِ الْبَاقِلَاءِ ، وَلَوْلَا هَذِهِ
الْبَلِيَّةُ لَجَاءَنَا^(٣) مِنَ الرُّكَّابِ كَمَا يَجِيئُونَ إِلَى جَمِيعِ أَصْحَابِ الْحَمُولَاتِ^(٤) .
وَمَا ظَنَنْتَهُ^(٥) إِلَّا مِنْ قَدْ اغْتَضَرَ [هَذَا] لِلَّيْنِ الْكِرَاءِ ، وَحَبُّ التَّفَرُّدِ بِالسَّفِينَةِ .
فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَقْرِبَنِي إِلَى بَعْضِ الْفُرُصِ^(٦) ، حَتَّى أَكْتَرِيَ مِنْ هُنَاكَ إِلَى حَيْثُ
أُرِيدُ ، فَقَالَ لِي : أَتَحِبُّ أَنْ أُرَوِّدَكَ مِنْهُ ؟ قُلْتُ : مَا أَحَبُّ أَنْ أَلْتَقِيَ أَنَا وَالْبَاقِلَاءَ
فِي طَرِيقٍ أَبَدًا !

(مِنْ كَرِهِ الْبَاقِلَاءِ)

وَلِذَلِكَ كَانَ أَبُو شَمْرٍ^(٧) لَا يَأْكُلُ الْبَاقِلَاءَ ، وَكَانَ أَخَذَ ذَلِكَ عَنْ مَعْلَمِهِ
مَعْمَرِ أَبِي الْأَشْعَثِ^(٨) . وَكَذَلِكَ كَانَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْلَمَةَ بْنِ مَحَارِبٍ وَالْوَكَيْعِيُّ ،
وَمَعْمَرٌ ، وَأَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ ، بِرَهَةٍ مِنْ دَهْرِهِمْ .

(١) الزمالة ، بالفتح : العاهة والآفة .

(٢) التكاة من ل ، س .

(٣) ط : « لجأنا » وصوابه في ل ، س .

(٤) كذا في ل . وفي ط ، س : « إلى أصحابنا » .

(٥) ظ ، ل : « وما أظنك » .

(٦) الفرص : جمع فرصة بالضم ، وهي محط السفينة . ل : « القرى » .

(٧) أبو شمر هذا أحد أئمة القدرية المرجئة . وآراؤه في الفرق بين الفرق ١٩٠ - ١٩٤ .

قال فيه الجاحظ : « وكان شيخاً وقوراً وزميتاً ركيناً ، وكان إذا تصرف في العلم ،

ومذكوراً بالفهم والحلم . البيان (١ : ٩١) . وضبطه السمعاني ٣٣٨ بكسر الشين وسكون

الميم ، ومرة أخرى بكسر الشين وتشديد الميم المفتوحة .

(٨) معمر هذا أحد أئمة الاعتزال ، وكان من تلاميذه أبو الحسن المدائني ، وحفص الفرد =

وكان يقول : لولا أن الباقلاء عفين فاسد الطبع ، ردى يختر الدم
ويغلظه ويورث السوداء وكل بلاء - لما ولد الذبان . والذبان أفذر ما طار
ومشى ! وكان يقول : كل شيء ينبت منكوساً فهو ردى للذهن ، كالباقلاء
والباذنجان .

وكان يزعم أن رجلاً هرب من غرمائه فدخل في غابة باقلاء ، فتستر
عنه بها ، فأراد بعضهم إخراجهم والدخول فيها لطلبه ، فقال : أحكمهم
وأعلمهم : كفاكم له بموضعه شراً !

وكان يقول : سمعت ناساً من أهل التجربة يحلفون بالله : إنه (١)
ما أقام أحد أربعين يوماً في منبت باقلاء وخرج منه إلا وقد أسقمه سُقماً
لا يزال جسمه .

وزعم أن الذى منع أصحاب الأذهان (٢) والتربية بالسهم من أن يربوا
السمام (٣) بنور الباقلاء ، الذى (٤) يعرفون من فساد طبعه (٥) ، وأنه (٦) غير

= ومعر ، وأبو بشر ، وأبو بكر الأصم ، وأبو عامر عبد الكريم بن روح . فهرست
ابن النديم ١٤٧ مصر ١٠٠ ليسك . وذكر فيه باسم معمر بن الأشعث . لكن اتفاق
نسخ الحيوان على أنه أبو الأشعث ، ووروده ثلاث مرات في الجزء الأول من البيان
برسم أبي الأشعث ، يرجح كتابته كما أثبت .

(١) هذه ساقطة من ل .

(٢) ط ، س : « الأذهان » . والذهن بكسر الذا والمجمة : الشحم .

(٣) السمام ضبط في نسخ القاموس بضم السين ، وفسره بأنه طائر . قال شارحه :
« كذا هو بالضم في النسخ وصوابه بالفتح » . قلت : يظهر أنها هي « السمام »
واحدته سامة ، وهو طائر من الخطاطيف ، ومن أسمائه عصفور الجنة . انظر معجم
المعلوف ٢٤١ .

(٤) س : « الذين » ، تحريف .

(٥) ل : « طباعه » والطباع والطبع بمعنى ، يقال : هو ذو طباع حسن .

(٦) س : « فانه » .

مأمون على الدماغ وعلى الخيشوم والسماخ^(١) ، ويزعمون أن عمله [الذى عمله هو^(٢)] القصد إلى الأذهان بالفساد^(٣) .

وكان يزعم أن كلَّ شيء^(٤) يكون رديئا^(٥) للعصب فإنه يكون رديئا للدَّهن ، ، وأن البصل [إنما كان] يفسد الذهن ؛ إذ كان رديئا للعصب ، [وأن البلادر^(٦)] إنما صار يُصلح العقل ويورث الحفظ ؛ لأنه صالح للعصب [.

وكان يقول : سواءً علىَّ أكلت الذَّبان أو أكلت شيئا لا يولِّد إلا الذَّبان ، وهو لا يولِّده [إلا هو] . والشئ يولِّد الشيء إلا وهو أولى الأشياء ١١٢ به ، وأقربها إلى طبعه^(٧) ، وكذلك جميع الأرحام ، وفيما ينتج أرحام الأرض^(٨) وأرحام الحيوان ، وأرحام الأشجار ، وأرحام الثَّمار ، فيما يتولِّد منها وفيها^(٩) .

(١) السماخ بالكسر : خرق الأذن ه جاء في ط : « السماخ » ، وهما لفتان .

(٢) الزيادة من س .

(٣) ل : « القصد » بدل « القصد » ، وهو تصحيف . وفيها أيضا : « إلى الذهن بالإفساد له » .

(٤) كذا في ل . وفي ط ، س : « أن كل شيء ردىء » .

(٥) ط ، س : « رديا » بالتسهيل .

(٦) البلادر ، ويقال البلاذر ، لفظه هندي . وهو ثمرة لونها إلى السواد على لون القلب

وفي داخلها مادة إسفنجية بها شئ شبيه بالدم . ومن أسمائه : تمر الفؤاد ، وحب الفهم ، وثمر الفهم . وذكروا أنه يقوى الحفظ ، ولكن الإكثار منه يؤدي إلى الجنون . وانظر قصة تتعلق به في الألفاظ الفارسية لأدى شير ص ٢٥ .

(٧) ل : « من طبعه » .

(٨) ل : « فيما تنتج من أرحام الأرض » .

(٩) « وأرحام الثمار . . الخ ساقط من ل .

(حديث أبي سيف المروور)

وبينما أنا جالسٌ يوماً في المسجد مع فتّيانٍ من المسجديّين^(١) مما يلي أبواب بني سليم ، وأنا يومئذٍ حدّث السنن^(٢) إذ أقبلَ أبو سيف^(٣) المروور - وكان لا يؤذى أحداً ، وكان كثير الظرفِ من قومِ سراة - حتى وقف علينا ، ونحن نرى في وجهه أثر الجِدِّ ، ثمّ قال مجتهداً : والله الذي لا إله إلا هو إن الخِرءَ حلّو . ثمّ والله الذي لا إله إلا هو [إنَّ الخِرءَ حلّو . ثمّ والله الذي لا إله إلا هو إنَّ الخِرءَ حلّو] ، يميناً بآتة^(٤) يسألني الله عنها يوم القيامة ! فقلت له : أشهد أنّك لا تأكله ولا تذوقه ، فمن أين علمت ذلك ؟ فإن كنت علمت أمراً فعلمنا ممّا علمك الله . قال : رأيت الذبّان يسقط على النبيذ^(٥) الحلّو ، ولا يسقط على الحازر^(٦) ، ويقع على العسل ولا يقع^(٧) على الخلل ، وأراه على الخِرء أكثر منه على التّمّر . أفتريدون حُجّةً أبين من

(١) المسجديون : طائفة كانت تلزم المسجد الجامع بالبصرة والكوفة . انظر حواشي البيان

١ : ٢٤٣ .

(٢) ل : « وأنا يومئذٍ حدّث » .

(٣) ل ، س : « أبو يوسف » ، وما أثبت من ط أشبه بأنباز المروورين .

(٤) باآة : قاطعة . ط ، س : « ثانية » ، وهو تحريف .

(٥) ط : « النبيذ » ، وتصحيحه من ل ، س . وفي س : « تسقط » في هذه

الجملة ولاحتقها .

(٦) الحازر : الخامض الشديد الطعم . ط ، س : « الحاز » محرف .

(٧) س : « تقع » ، في الموضوعين .

هذه (١) ؟ فقلت : يا أبا سَيْفٍ (٢) بهذا وشبهه يُعرفُ فضلُ الشَّيْخِ
عَلَى الشَّابِّ .

(تخلق بمض الحيوان من غير ذكر وأنى)

ثُمَّ رَجَعَ بنا القول إلى (٣) ذكر خلق الذُّبَانِ من الباقلاء . وقد أنكر ناسٌ
من العوامِّ وأشباهِ العوامِّ أن يكونَ شيءٌ من الخلق كانَ من غيرِ (٤) ذكرٍ
وأنى . وهذا جهلٌ بشأنِ العالمِ ، وبأقسامِ الحيوانِ . وهم يظنُّونَ أنَّ على الدِّينِ
من الإقرارِ بهذا القولِ مضرَّةٌ . وليس الأمرُ (٥) كما قالوا . وكلُّ قولٍ
يكذِّبُه العِيَانُ فهو أفحشُ (٦) خطأً ، وأسخَفُ مذهباً ، وأدلُّ على معاندةٍ
شديدةٍ أو غفلةٍ مفرطةٍ .

وإنْ ذهبَ الدَّاهِبُ إلى أن يقيسَ ذلكَ (٧) على مجازِ ظاهرِ الرأى ،

(١) ل : « هذا » .

(٢) كذا في س ، ط . وانظر التنبيه الثالث من الصفحة السابقة . وفي ل :

« أبا يوسف » .

(٣) ط : س : « في » .

(٤) ل : « نحن » ، وهو تحريف .

(٥) ط ، س : « القول » .

(٦) كلمة : « فهو » ساقطة من ل . و « أفحش » هي في ط ، س :

« فحش » تحريف .

(٧) س : « على أن يقيس ذلك » . ط : « إلى أن لا يقيس ذلك » ،

والأخيرة محرقة .

دونَ القَطْعِ على غيبِ حقائقِ العِللِ ، فأجْرَاهُ في كلِّ شيءٍ - قالَ قولاً^(١) يدفعه العِيانُ أيضاً ، مع إنكارِ الدِّينِ له .

وقد علمنا أنَّ الإنسانَ يأكلُ الطَّعامَ ويشربُ الشَّرابَ ، وليسَ فيهما حَيَّةٌ ولا دودةٌ ، فيُخْلَقُ منها^(٢) في جوفِهِ ألوانٌ مِنَ الحَيَّاتِ ، وأشكالٌ مِنَ الدِّيدانِ من غيرِ ذَكَرٍ ولا أنثى . ولكنَّ لابدَّ لذلكِ الوِلادِ واللِّقاحِ من أن يكونَ عن تناكحِ طِبَاعِ^(٣) ، وملاقاةِ أشياءٍ تشبهُ بطباعها الأرحامَ ، وأشياءٍ تشبهُ في طبائعها ملقَّحات^(٤) الأرحامِ .

(استطراد لغوي بشواهد من الشعر)

وقد قال الشاعر :

فَأَسْتَنْكَحَ اللَّيْلَ البَهِيمَ فَأُلْقِيَتْ^(٥) عَنْ هَيْجِهِ وَاسْتُنْتِجَتْ أَحْلَامًا^(٦)

وقال الآخر :

وَإِذَا الأُمُورُ تَنَاقَحَتْ فَالجُودُ أَكْرَمُهَا نِتَاجًا

(١) « قال قولاً » هو جواب الشرط . وفي ط ، س : « وقال قولاً » ، والوجه حذف الواو .

(٢) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « منها » .

(٣) ل : « طبائع » .

(٤) ط : « ملاقات » محرفة . ل : « في طباعها » .

(٥) الليل البهيم : الشديد الظلمة . ل ، س : « وألقحت » .

(٦) ل : « واستفتحت » ، والوجه ما أثبت من ط ، س . والمراد بالأحلام الرؤى .

وقال ذو الرِّمَّة :

وإني لمِ دلاجٌ إذا ماتنا كَحَتْ مَعَ اللَّيْلِ أَحْلَامُ الْهِدَانِ الْمُثْقَلِ (١) ١١٣

وقال عليُّ بنُ مُعَاذٍ (٢) :

لَلْبُدْرُ طِفْلٌ فِي حِصَانِ (٣) الْهَوَا مُسْتَزَلِقٌ مِنْ رَحِمِ الشَّمْسِ (٤)

وقال دُكَيْنُ الرَّاجِزِ (٥) ، [أو أبو محمد الفتحسيُّ] :

وقد تعلتُ ذميلُ العنُسِ (٦) بالسَّوْطِ فِي دَيْمُومَةٍ كَالْتَرَسِ (٧)

* إِذْ عَرَجَ اللَّيْلَ بَرُوجُ الشَّمْسِ (٨) *

وقال أمية بن أبي الصِّلتِ :

وَالْأَرْضُ نُوحِهَا إِلَاهُ طَرُوقَةٌ لِلْمَاءِ حَتَّى كُلُّ زَنْدٍ مُسْفَدٌ (٩)

(١) الهدان ، بالكسر : الأحمق الثقيل .

(٢) علي بن معاذ : أحد شعراء الدولة العباسية ، وروى عنه الجاحظ في البيان والتبيين .

(٣) الحصان : مصدر حَضَنَ الطائر بيضه . ط ، ل ، : « حصان » بالمهملة ، صوابه في س . والهُوَا أصله الهواء وقصر للشعر . وكتب في الأصل بالياء ، « الهوى » وصواب كتابته بالألف .

(٤) مستزلق : من أزلقت الفرس : إذا ألقت ولدها تاما . ط : « متزلق » س : « مسترق » .

(٥) تقدمت ترجمته في ٧٤ من هذا الجزء .

(٦) س : « تغللت » ! وانظر تحقيق هذا البيت في ص ٧٤ .

(٧) الديمومة : الفلاة الواسعة . ط : « كالتندس » وصوابه في ل ، س . والترس هو ذلك الذي يتوقى به المحارب . وجعل الفلاة كالترس في صلابتها .

(٨) انظر ما سبق في ص ٧٤ .

(٩) نوحها : أي أبركها . والطروقة ، بالفتح : أنثى الفحل . والزند : هو قرين الزندة ، ومنهما تفتدح النار . فالأول لافجوة فيه ، وفي الزندة فجوة يدار فيها الزند فيظهر الشرر . والمسفد بفتح الفاء : الذي طلب السفاد فنال . وضبطت في اللسان بكسر الفاء ، وصوابه ما ذكرت . يقول : إن نظام التلاحح ليس خاصا =

والأَرْضُ مَعْقِلَنَا وَكَانَتْ أَمَّنًا فِيهَا مَقَابِرُنَا وَفِيهَا نَوْلِدُ^(١)
وذكر أمية الأَرْضِ فقال :

وَالطُّوْطُ نَزْرَعُهُ فِيهَا فَنَلْبِسُهُ وَالصُّوْفُ نَجْتَرُهُ مَا أُرْدِفُ الْوَبْرُ^(٢)
هِيَ الْقَرَارُ فَمَا نَبْغِي بِهَا بَدَلًا مَا أَرْحَمَ الْأَرْضَ إِلَّا أَتْنَا كُفْرُ^(٣)
وَطَعْنَةَ اللَّهِ فِي الْأَعْدَاءِ نَافِذَةٌ تُعْبِي الْأَطِبَاءَ لَا تَشْوِي لَهَا السُّبْرُ^(٤)
ثمَّ رَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَ :

مِنْهَا خُلِقْنَا وَكَانَتْ أَمَّنًا خُلِقْتَ وَنَحْنُ أَبْنَاؤُهَا لَوْ أَتْنَا شُكْرُ^(٥)

= بالأحياء ، بل نراه أيضاً بين الأرض والماء حيث يتغلغل فيها ، ونجده أيضاً بين
الزند والزندة اليابسين . وهو معنى شعري بارع . ط ، س : « زبد » تصحيف .
س : « مفسد » ، تحريف . وهذا البيت في ل هو الثاني في الترتيب .
(١) كذا في ل والجزء الخامس ص ٤٣٧ والمخصص (١٣ : ١٨٠) . وفي ط ،
س : « نوء » .

(٢) الطوط ، بالضم : القطن ، أو قطن البردى خاصة . وأردف الوبر : توالى وتتابع
ط ، س : « أدفا » . ورواية البيت في اللسان هكذا :

وَالطُّوْطُ نَزْرَعُهُ أَغْنَى جِرَاؤُهُ فِيهِ اللَّيْسُ لِكُلِّ حَوْلٍ يَمْعُدُ
(٣) الكفر ، بضمين : جمع كفور بمعنى كافر ، وهو يقال للمذكر والمؤنث . ط :
« لها بدلا » .

(٤) السبر : جمع سبار بالكسر ، وهو ما يقدر به غور الجراحات ، وهو أيضاً الفتيمة
تجعل في الجرح . والمعنى يتجه بكل منهما . وتثوى : تقيم وتستقر . ط ، س :
« يلوى » يقال لوى يلوى : انتظر وتحبس . وكل منهما متجه ؛ فإن المعنى
أن تلك الطعنة لشدة ما يتدفق منها من دم تدفع بما يوضع فيها دفعا . ومثله
قول الآخر :

* ترد على السابري السباوا *

وقوله :

* نرد السبار على السابر *

(٥) الشكر بضمين : جمع شكور بالفتح .

(ما تستنكره العامة من القول)

وتقول العرب : الشمسُ أرحمُ^(١) بنا ! فإذا سمع السامعُ منهم أنَّ جالينوسَ قال : عليكم بالبقلةِ الرحيمة - السَّلْقِ^(٢) - استشنعه السامع ، وإذا سمع قولَ العرب : الشمسُ أرحمُ بنا ، وقولَ أميَّة :
* ما أَرْحَمَ الأرضَ إلا أُنَّا كُفْرُ *

لم يستشنعه ، وهما سواء . فإذا سمع أهل الكتاب يقولون : إنَّ عيسى ابن مريم أخذَ في يده النبيَّ غَرْفَةً^(٣) ، وفي اليسرى كِسْرَةَ خبز^(٤) ، ثم قال : هذا أبي ، للماء ، وهذه أمي ، لكسرة الخبز^(٥) . استشنعه ، فإذا سمع قولَ أميَّة^(٦) :

والأرضُ نَوَّحَهَا الإله طَرُوقَةً للماء حتى كل زَنْدٌ مُسْفَدٌ لم يستشنعه . والأصل في ذلك أنَّ الزَّنَادِقَةَ أصحابُ ألفاظٍ في كتبهم ، وأصحابُ تهويل ؛ لأنهم حينَ عَدِمُوا المعاني ولم يكن عندهم فيها طائل ، مألوا إلى تكلف ما هو أخْصَرُّ وأيسرُ وأوجزُ كثيرًا .

(١) انظر الحيوان ٥ : ١٠٢ .

(٢) ط ، س : « السلقة » .

(٣) الغرفة ، بالضم : مقدار ما يفترف المرء بيده . ل : « أخذ في يده كسرة خبز » .

(٤) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٥) ط ، س : « هذا أبي وهذه أمي لكسرة الخبز والماء » .

(٦) انظر ما سبق من الكلام على هذا البيت ، في ص ٣٦٣ .

(حُظُوة طوائفَ من الألفاظ لَدَى طوائف من الناس)

ولكلِّ قَوْمٍ أَلْفَاظٌ حَظِيَّتْ عِنْدَهُمْ . وكذلك كلُّ بليغٍ في الأرض
١١٤ وصاحبِ كلامٍ منشور ، وكلُّ شاعِرٍ [في الأرض ^(١)] وصاحبِ كلامٍ
موزون ؛ فلا بد من أن يكون قد لهجَ وألفَ أَلْفَاظاً بأعيانها ؛ ليديرَها في كلامه
وإن كان واسعَ العلمِ غزيرَ المعاني ، كثيرَ اللَّفْظِ . فصارَ حظُّ الزَّنَادِقَةِ من
الألفاظ التي سبقتُ إلى قلوبهم ، واتَّصلت بطبائعهم ، وجرتُ على ألسنتهم
التناكحَ ، والتناجِجَ ^(٢) ، والمزاجَ ، والثُّورَ والظلمةَ ، والدِّقَّاعَ والمَنَاعَ ^(٣) ،
والساترَ والغامرَ ، والمنحلَّ ^(٤) ، والبُطلانَ ، والوَجْدانَ ، والأثيرَ والصَّدِيقَ ^(٥)
وعمودَ السَّبْحِ ^(٦) ، وأشكالاً من هذا الكلام . فَصَارَ ^(٧) وإن كان غريباً

(١) الزيادة من ل ، س . وانظر لنحو هذا البحث سر الفصاحة ٩٨ - ٩٩ .

(٢) ل : « والتناجج » .

(٣) ط ، س : « والبقاع » .

(٤) هذه ساقطة من ل .

(٥) الصديق يعنون به المؤمن الخالص الإيمان ، وفي اعتقاد المانوية أن الصديق حين
يحتضر تحضره أربعة آلهة ، ومعهم ركوة ولباس وعصابة وتاج وإكليل النور ،
فيلبسونه التاج والإكليل ويعطونه الركوة بيده ، ويعرجون به في عمود السج
إلى فلك القمر . وانظر بقية الكلام في الفهرست ٤٦٩ مصر ٣٣٥ لبيسك .
ط : « الصداق » س : « الصدا » وصوابهما ما أثبت . وهذه الكلمة وسابقتها
ساقطتان من ل . وسبق في الجزء الأول ، ص ٧٥ برسم « الصنديه » وهذه
أيضاً من كلمات الزنادقة . انظر لها الفهرس ٤٦٣ مصر ، ٣٣١ لبيسك .

(٦) السبح : يراد به العروج والصعود إلى السماء . وفي ذلك العمود الوهي ترتفع
التسابيح والتقاديس والكلام الطيب وأعمال البر . ذلك ما قاله ماني . انظر الفهرست
٤٦١ مصر ٣٣٠ لبيسك . في الأصل : « الصبح » وسبقت في الجزء الأول ص ٥٧
برسم « السنخ » ، وصوابه ما أثبت .

(٧) ط ، س : « نصا » وتصحيحه من ل .

مرفوضاً^(١) مهجوراً عند أهل ملتنا ودعوتنا ، وكذلك هو عند عوامنا
وجمهورنا ، ولا يستعمله إلا الخواص^(٢) وإلا المتكلمون .

(اختيار الألفاظ وصوغ الكلام)

وأنا أقول في هذا قولاً ، وأرجو أن يكون مرضياً . ولم أقل « أرجو »
لأنني أعلم فيه خللاً^(٣) ، ولكنني أخذتُ بأدابِ وجوهِ أهلِ دعوتي وملتي ،
ولغتي ، وجزيرتي ، وجيرتي ؛ وهم العرب . وذلك أنه قيل لصُحَّارٍ^(٤) العبدى :
الرجل يقول لصاحبه ، عند تذكيره أياديته وإحسانه^(٥) : أما نحنُ فإننا نرجو
أن نكونَ قد بلغنا من أداءِ ما يجبُ علينا مبلغاً مرضياً . وهو يعلم أنه قد
وفاه حقه الواجب ، وتفضل [عليه] بما لا يجب . قال صحَّار : كانوا يستحبون
أن يدعوا للقول متنفساً ، وأن يتركوا فيه فضلاً ، وأن يتجافوا عن حقِّ إن^(٦)
أرادوه لم يمنعوا منه .

فلذلك قلت « أرجو » . فافهم ففهمك الله تعالى .

(١) ط : « من فوضى » ، وصوابه في ل ، س .

(٢) ط ، س : « والخاص » . والكلام من كلمة « عند » الأولى ، إلى « هو »
ساقط من ل .

(٣) ل : « لأنني لا أعلم » .

(٤) صحَّار العبدى تقدمت ترجمته في (١ : ٩٠) .

(٥) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « ما يقول الرجل لصاحبه
عند تذكيره أياديته وإحسانه قال » .

(٦) ل ، « متى » .

فإن رأيت في هذا الضرب من هذا اللفظ ، أن أكون ما دمت في المعاني التي هي عبارتها ، والعادة^(١) فيها ، أن اللفظ بالشئ العتيد^(٢) الموجود ، وأدع التكلف^(٣) لما عسى ألا يسلس ولا يسهل إلا بعد الرياضة الطويلة .

وأرى أن اللفظ بألفاظ المتكلمين ما دمت خائضاً في صناعة الكلام مع خواص^(٤) أهل الكلام ؛ فإن ذلك أفهم [لهم] عنى^(٥) ، وأخف لمؤنهم^(٦) على .

ولكل صناعة ألفاظ قد حصلت لأهلها بعد امتحان سواها ، فلم تلتزم بصناعتهم إلا بعد أن كانت مُشاكلاً بينها وبين تلك الصناعة .

وقبيح بالمتكلم أن يفتقر إلى ألفاظ المتكلمين في خطبة ، أو رسالة ، أو في مخاطبة العوام والتجار^(٩) ، أو في مخاطبة أهله وعبيده وأمه ، أو في حديثه إذا تحدث^(١٠) ، أو خبره إذا أخبر .

(١) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « والعبادة » .

(٢) العتيد : الحاضر المهيأ .

(٣) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « التكليف » .

(٤) ط ، س : « خاص » .

(٥) كذا على الصواب في س ، ل . وفي ط : « عندي » .

(٦) ط ، ل : « لمؤنهم » .

(٧) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « بضاعتهم » .

(٨) ط : « وبين تلك المعاني الصناعة » ، والوجه حذف « المعاني » كما في ل ، س .

(٩) ط : « الجار » تحريف .

(١٠) ط : « حدث » . ل : « أو في مجاوبة أهله » .

وكذلك [فإنه] ^(١) من الخطأ أن يجلب ^(٢) ألفاظ الأعراب ، وألفاظ العوام وهو في صناعة الكلام داخل . ولكلّ مقامٍ مقال ، ولكلّ صناعة شكل .

(خلق بعض الحيوان من غير ذكر وأنثى)

ثم رجع بنا القول إلى ما يحدث الله عزّ وجلّ من خلقه من غير ذكرٍ ولا أنثى . فقلنا : إنه لا بدّ في ذلك من تلاقى أمرين يقومان مقام الذكر والأنثى ، ومقام الأرض والمطر . وقد تقرب الطّبائع من الطّبائع ، وإن لم ١١٥ تتحوّل في جميع معانيها ، كالنطفة ^(٣) والدّم ، وكاللبن والدّم .
وقد قال صاحب المنطق : أقول بقول عامّ : لا بدّ لجميع الحيوان من دم ، أو من شيء ^(٤) يشاكل الدّم .
ونحن قد نجد الجيفَ يخلق ^(٥) منها الدّيدان ، وكذلك العذرة .
ولذلك المجوسى كلما تبرّز ذرّاً على برازه شيئاً من التراب ؛ لئلا يخلق منها

(١) الزيادة من ل ، س .

(٢) ط ، س : « يجلب » .

(٣) النطفة : ماء الرجل . ط ، س : « كالنطفة » ، وصوابه في ل .

(٤) ط ، س : « شكل » .

(٥) ل : « تخلق » .

ديدان^(١) . والمجوسى^(٢) لا يتغوّط في الآبار والبلاليع لأنه بزعمه يُسكرم
بطن الأرض عن ذلك ، ويزعم أن الأرضَ أحدَ الأركان التي بُنيتِ
العوالمُ الخمسةُ عليها^(٣) بزعمهم : أبرسارس^(٤) وأبرمارس^(٥) وأبردس^(٦)
وكارس^(٧) وحريرة أمنة^(٨) . وبعضهم يجعل العوالم ستة ويزيد أسرس^(٩) ،
ولذلك لا يدفنون موتاهم ولا يحفرون لهم القبور ، ويضعونهم في التّواويس
وضعا . قالوا: ولو استطعنا أن نخرج تلك الجيف من ظهور الأرضين وأجواف
الأحراز ، كما أخرجناها من بطون الأرضين^(١٠) لفعلنا . وهم يسمّون يوم القيامة
روز رستهار^(١١) ، كأنه يوم تقوم الجيف .

فمن بغيرهم لأبدان الموتى سمّوها بأسمج أسمائهم^(١٢) . قالوا: وعلى هذا
المثال أعظمنا النار والماء^(١٣) ، وليسا بأحقّ بالتعظيم من الأرض .

(١) « ولذلك المجوسى » . الخ ، ساقط من س . وفي ط : « وكذلك » .

(٢) ل : « ولذلك المجوسى » .

(٣) كذا في س . وفي ط : « تنبت » محرفة . ل : « عليها يثبت
العوالم الخمسة » .

(٤) ط : « البرسارس » وفي رسائل الجاحظ ١٠٨ ساسى : « ابرشارش » .

(٥) ط : « البرمارس » وفي رسائل الجاحظ : « ابربارش » .

(٦) ابردس هي في الرسائل : « ايددش » :

(٧) س : « كاومرة » .

(٨) كذا .

(٩) الكلام من مبدأ « ابرسارس » ساقط من ل . وانظر الاستدراكات .

(١٠) الأرضين : جمع أرض . ط ، س : « الأرض » في الموضوعين . والأحراز :

جمع حرز ، وهو المكان الحصين . ط . « الأحراز » س : « الأحرا »
ل : « الأجواء » ، ولعل الوجه فيه ما أثبت .

(١١) س : « روز سرهار » ، ط : « روز سهرهار » .

(١٢) ل : « أسمائها » .

(١٣) ل : « عظمنا الماء فالنار » .

وبعد فنحن ننزع الصّامة من رءوس الآنية التي يكون فيها بعضُ
الشراب ، فنجد هنالك من الفراش ما لم يكن عن (١) ذكر ولا أنثى ، وإعما
ذلك لاستحالة بعضِ أجزاءِ الهواءِ وذلك الشرابِ إذا انضمَّ عليه ذلك
الوعاء (٢) . وهذا قولُ ذى الرِّمةِ وتأويلُ شعره ، حيث يقول :

وأبصرن أن القينع صارت نطافه فَرَأشاً وأنَّ البقلَ ذاوٍ ويابِسُ (٣)
وكذلك كلُّ ما تخلق من بُجَّارِ النَّخلةِ وفيها (٤) ، من ضروب الخلقِ
والطَّيرِ ، وأشباه [الطير] ، وأشباه (٥) بناتِ وِردان ، والذي يسمَّى بالفارسية
فازو (٦) ، وكالسُّوس ، والقوادح (٧) ، والأرَّضة ، [وبناتِ وِردانِ اللاتي
يخلقن من الأجداعِ والخشبِ والحشوش (٨) . وقد نجد الأَزجَ (٩) الذي
يكبس فيه اليسخ (١٠) بخراسان ، كيف يستحيل كله ضفادِعَ . وما الضفدعُ
بأدلَّ على الله من الفَراشِ .

- (١) ط ، س : « عند » والوجه ما أثبت من ل .
(٢) ل : « وإنما ذلك استحالة » . ط : « إذا انضم » ، وصواب الأخيرة
في ل ، س .
(٣) سبق شرح البيت في ص ٣٤٨ من هذا الجزء . وصدر البيت محرف في ط هكذا :
* وأبصرت أن النقع صارت لطافة *
(٤) ل : « وكذلك ما يخلق » . الخ .
(٥) ط ، س : « وأشباه ذلك » .
(٦) ط ، س : « وأن الذي » ، والوجه حذف « أن » كما في ل . و « فازو »
هي في ط ، س : « تارداد » .
(٧) القوادح : جمع قادحة ، وهي الدودة . ل : « القوارح » محرفة .
(٨) الحشوش : جمع حش بالضم ، وهو بيت الخلاء .
(٩) الأزج . بالتحريك : بيت يبنى طولاً .
(١٠) اليخ : الثلج بالفارسية .

وإنما يستحيل ذلك الثلجُ إذا انفتح فيه كقدر منخر الثور ، حتى
تَدْخُلَهُ الرِّيحُ التي هي اللاقحة ، كما قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ
لِوَاقِحَ ﴾ ، فجعلها لاقحةً ولم يجعلها ملقحة .

ونجد وسط الدهناء - وهي أوسع من الدوِّ ومن الصَّمان (١) - وعلى
ظهر مسجد الجامع (٢) في غبِّ المطر من الضَّفادِعِ ما لا يُحصى عدده . وليس
أَنَّ ذلك كان عن ذكرٍ وأنثى ، ولكنَّ اللهَ خَلَقَهَا تلك الساعةَ من طِبَاعِ
تلك التُّربةِ وذلك المطرِ وذلك الهواءِ المحيطِ بهما ، وتلك الرِّيحِ المتحرِّكةِ .
وإنَّ زعموا أنَّ تلك الضَّفادِعَ كانت في السَّحابِ ، فالذي أقرُّوا به أعجبُ
من الذي أنكروه . وإنما تقيم الضَّفادِعُ وتربِّي وتتوالَّدُ في مناقع المياه ،
وفي أرض تلاقى ماءً . والسَّحابُ لا يوصف بهذه الصفة . قد نجد الماء يزيد
في دِجْلَةَ والفُراتِ فتنزُّ البطون والحفائر التي تليها من الأرض ، فيُخْلَقُ
من ذلك الماءِ السَّمكُ الكثير ، ولم يكن في تلك الحفائر الحدث (٣) ، ولا
في بحر تلك الأرضين شيءٌ من بيض السَّمكِ .

ولم نجد أهلَ القاطول (٤) يشكُّون في أنَّ الفأرَ تخلَّقُ من أرضهم ، وأنَّهم
رَبَّمَا أَبصروا الفأرةَ من قبل أن يتم خَلْقُهَا . فنسبوا بأجمعهم خلقَ الفأرِ إلى
الذكر والأنثى ، وإلى بعض المياه والتُّربِ والأجواء والزمان ، كما قالوا
في السمك ، والضَّفادِعِ ، والعقارب .

(١) الدهناء : اسم لواد في بادية البصرة . واللو : أرض ملساء بين البصرة ومكة .
والصمان : بفتح الصاد ، أرض غليظة فيها ارتفاع قريبة من الدهناء
(٢) يقال المسجد الجامع ومسجد الجامع ، كما في القاموس . والمراد به مسجد البصرة .
(٣) الحدث : واحد الأحداث ، وهي الأمطار الحادثة في أول السنة .
(٤) قال يا قوت : نهر كان في موضع سامرا قبل أن تعمّر .

(ضعف أطراد القياس والرأى فى الأمور الطبيعية)

فإن قاس ذلك قانس^١ فقال [(١) : ليسَ بين [الذَّبَّانِ و [بنات وردان
و [بين [الزَّنَابِيرِ فرق، ولا بين الزَّنَابِيرِ والدَّبْرِ والخنافس (٢) فرق، [ولا بين
الزَّرَازِيرِ والخفافيش [ولا بين العصافير والزَّرَازِيرِ فرق : فإذا فرغوا من
خشاش الأرض صاروا إلى بغائها ثم إلى أحرارها ، ثم إلى الطواويس
والتدارج (٣) والزمامج (٤) حتى يصعدوا إلى الناس . قيل لهم : ليس ذلك
كذلك ، [و [ينبغي لكم بدياً أن تعرفوا الطبيعة والعادة ، والطبيعة
الغريبة (٥) من الطبيعة العامية (٦) ، والممكن من الممتنع ، وأن
الممكن على ضربين : فنه الذى لا يزال يكون ، ومنه الذى لا يكاد
يكون ، وما علة الكثرة والقلة ، وتعرفوا (٧) أن الممتنع أيضا على
ضربين : فنه ما يكون لعلة موضوعة يجوز دفعها ، وما كان منه لعلة
لا يجوز دفعها (٨) ، [وفصل ما بين العلة التى لا يجوز دفعها [وهى على كل
حال علة ، وبين الامتناع الذى لا علة له إلا عين الشيء وجنسه (٩) .

(١) إلى هنا تنتهى الزيادة التى ابتدأت من ص ٣٧١ س ٨ .

(٢) ل : « وعين الزنابير والخفافيش » ، والكلمة الأخيرة محرفة .

(٣) التدارج : جمع تدرج ، وهو طائر مليح مقرد . ط ، س : « التداريج » .

(٤) الزمامج : جمع زمج ، وهو من أنواع البزاة ، وفارسيته « دو برداران » كما
فى القاموس .

(٥) بدل هاتين الكلمتين فى ط ، س : « الغريزة » تحريف .

(٦) المراد بالعامية العامة ، التى لا غرابة فيها ولا شذوذ .

(٧) ط ، س : « يعرفون » ل : « يعرفوا » ووجه ما أثبت .

(٨) هذه ساقطة من ل وفى ط : « للعللة التى » .

(٩) ط ، س : « الذى لا علة له غير الشيء وجنسه » .

وَيَنْبَغِي أَنْ تَعْرِفُوا فَرَقَ مَا بَيْنَ الْحَالِ [و] الْمَمْتَنِعِ ، وَمَا يَسْتَحِيلُ كَوْنُهُ
مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ؛ وَمَا يَسْتَحِيلُ كَوْنُهُ مِنَ الْخَلْقِ .

وَإِذَا عَرَفْتُمُ الْجَوَاهِرَ وَحُظُوظَهَا مِنَ الْقَوَى ، فَعِنْدَ ذَلِكَ فَتَعَاظُوا الْإِنْكَارَ
وَالْإِقْرَارَ ، وَإِلَّا فَكُونُوا فِي سَبِيلِ الْمُتَعَلِّمِ ، أَوْ فِي سَبِيلِ [من (١)] آثَرَ
الرَّاحَةِ سَاعَةً عَلَى مَا يورِثُ كَدُّ التَّعَلُّمِ مِنْ رَاحَةِ الْأَبَدِ . قَدْ يَكُونُ أَنْ يَجِيءَ
عَلَى جِهَةِ التَّوْلِيدِ شَيْءٌ (٢) يَبْعُدُ فِي الْوَهْمِ [مَجِيئُهُ ، وَيَمْتَنِعُ شَيْءٌ هُوَ أَقْرَبُ
فِي الْوَهْمِ (٣)] مِنْ غَيْرِهِ ؛ لِأَنَّ حَقَائِقَ الْأُمُورِ وَمَغْيِبَاتِ الْأَشْيَاءِ ، لَا تُتْرَدُّ إِلَى
ظَاهِرِ الرَّأْيِ ، وَإِنَّمَا يَرُدُّ إِلَى الرَّأْيِ مَا دَخَلَ فِي بَابِ الْحَزْمِ وَالْإِضَاعَةِ (٤)
وَمَا هُوَ أَصَوَّبُ وَأَقْرَبُ إِلَى نَيْلِ الْحَاجَةِ . وَلَيْسَ عِنْدَ الرَّأْيِ عِلْمٌ بِالنُّجُجِ
وَالْإِكْدَاءِ (٥) ؛ كَنَحْوِ مَجِيءِ (٦) الزُّجَاجِ مِنَ الرَّمْلِ ، وَامْتِنَاعِ الشَّبهِ وَالزُّبَيْقِ
مِنْ أَنْ يَتَحَوَّلَ فِي طَبَعِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ (٧) . وَالزُّبَيْقُ أَشْبَهُ بِالْفِضَّةِ الْمَايِعَةِ
مِنَ الرَّمْلِ بِالزُّجَاجِ الْفِرْعَوْنِيِّ (٨) . وَالشَّبهِ الدَّمَشْقِيُّ بِالذَّهَبِ الْإِبْرِيزِ أَشْبَهُ مِنْ
الرَّمْلِ بِفِلَقِ (٩) الزُّجَاجِ النَّقِيِّ الْخَالِصِ الصَّافِي .

(١) الزيادة من ل ، س .

(٢) ط ، س : « قد يكون أو يجيء على جهة التوليد وشيء » ، تحريف .

(٣) الزيادة من ل ، س .

(٤) كذا في ل ، س . وفي ط : « الجزم والإضافة » محرف .

(٥) النجج بالضم : النجاج . ط ، س : « بالنصح » محرفة . والإكداء : الخيبة .

(٦) ط : س : « مخارج » ، وصوابه في ل .

(٧) الشبه نوعان : أحدهما طبيعي يكون بجبال أصهان . والآخر صناعي يؤخذ جزء
من النحاس وعشرة من التوتيا يطعمها بالسبك بعد التنقية . عن تذكرة داود .

(٨) الزجاج الفرعوني : ضرب من الزجاج الصناعي ، تجدد صفته في تذكرة داود . وانظر
الاستدراكات .

(٩) فلق : جمع فلقة ، وهي القطعة .

ومن العجب أن الزُّجاجَ - وهو مولدٌ - قد يجرى مع الذهب في كثيرٍ
مفاخرِ الذهب ؛ إذ كان لا يغيّرُ طبعَهُ ماءً ولا أرضاً ؛ والفضة التي ليستُ
بمولدة^(١) إذا دفنت زماناً غير طویلٍ استحالتُ أرضاً . فأما الحديد فإنه
في ذلك سريعٌ غير بطيء .

وقد زعمَ ناسٌ أن الفرقَ الذي بينهما إنما هو أن كلَّ شيءٍ له في العالمِ
أصلٌ وخميرةٌ ، لم يكن كالشيء الذي يكتسب^(٢) ويحتلب ويلتق ويلزق ،
وأن الذهب لا يخلو من أن يكون ركناً من الأركان فأما منذ كان الهواء
والماء والنار والأرض . فإن كان كذلك فهو أبعد شيءٍ من أن يولد للناسُ
مثله^(٤) . وإن كان الذهب إنما حدث في عمق الأرض^(٥) ، بأن يصادف
من الأرض جَوْهراً^(٦) ، ومن الهواء الذي في خلالها جوهراً . ومن
الماء الملبس لها جوهراً ، ومن النار المحصورة فيها جوهراً ، مع مقدار
من طول مُرور الزمان ، ومقدارٍ من مُقابلات البروج . فإن كان الذهب إنما
هُوَ نتيجة [هذه] الجواهرِ على هذه الأسباب^(٧) ، فواجب ألا يكون
الذهب أبداً إلا كذلك .

(١) ط ، س : « ليست بمولدة » ، ل : « والفضة مولدة » وجعلتها كما ترى .

(٢) ط : « يكتب » ، وصوابه في ل ، س .

(٣) كذا في ل ، س . وفي ط : « قديماً » .

(٤) ل : « فهو أبعد للناس من أن يؤلفوا مثله » .

(٥) س : « في عين الأرض » .

(٦) ط : « جواهر أو » في المواضع الأربعة . وصوابه في ل ، س .

(٧) ل : « الأصناف » ! .

فيقال لهؤلاء : أرايتم الفأرة التي خلقت من صلب جرذٍ ورحم فأرة ، وزعمتم أنها فأرة على^(١) مقابلة من الأمور السماوية والهوائية والأرضية ، وكانت نتيجة هذه الحصال ، مع استيفاء هذه الصفات^(٢) ؟ ألسنا قد^(٣) وجدنا فأرة أخرى تهيأ لها من أرحام الأرضيين ، ومن حضانة الهواء ، ومن تلقيح الماء ، ومن مقابلات^(٤) السماويات والهوائيات ، فالزمان أصار^(٥) جميع ذلك سبباً للفأرة [أخرى] مثلها . وكذلك كل ما عدناه^(٦) ١١٧ فن أين يستحيل أن يخلط الإنسان^(٧) بين مائية طبيعية ومائية جوهرة^(٨) ؟ إمّا من طريق التباعد والتقريب ، ومن طريق الظنون والتجريب ، [أ] و من طريق أن يقع ذلك اتفاقاً ، كما صنع الناطف الساقط من يد الأجير في مذاب الصنفر^(٩) حتى أعطاه ذلك اللون ، وجلب ذلك النفع^(١٠) ، ثم إن

(١) س : « عن » .

(٢) ط : « مع استيفاء هذه صفات » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٣) ط : « التوافق » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٤) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « المقابلات » .

(٥) أصار : جعل . ل : « من الزمان ما صار » .

(٦) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « كلما عدنا » .

(٧) ط : س : « يخلطها إنسان » ، وصوابه في ل .

(٨) ط ، س : « مائة » ، وصوابه في ل .

(٩) الناطف : ضرب من الحلوى يصنع من اللوز والجوز والفسق ، ويسمى أيضا

القبيطى والقباطى والقبيط — بضم القاف وتشديد الباء فيهن — والقبيطاء كحميراء .

انظر القاموس واللسان مع الألفاظ الفارسية ١٢٣ وحاشية الصبان على شرح

الأشوفى للألفية (٤ : ٨٨) وحواشى تهذيب الصحاح (نطف) . والصفر ،

بالضم : النحاس .

(١٠) ل : « البقع » .

الرَّجَالَ دَبْرَتَهُ وَزَادَتْ وَنَقَصَتْ ، حَتَّى صَارَ شَبَّهًا ذَهَبِيًّا . هَذَا مَعَ النَّوْشَاذِرِ
المَوْلَدِ مِنَ الْحِجَارَةِ السُّودِ (١) .

فَلَوْ قَلْتُمْ : إِنَّ ذَلِكَ قَائِمٌ الْجَوَازِ فِي الْعَقْلِ (٢) مَطَّرَدٌ فِي الرَّأْيِ ، غَيْرِ
مُسْتَحِيلٍ فِي النَّظَرِ (٣) . وَلَكِنَّا وَجَدْنَا الْعَالَمَ بِمَا فِيهِ مِنَ النَّاسِ مِنْذُ كَانَ
فَإِنَّ النَّاسَ يَلْتَمِسُونَ [هَذَا] وَيَنْتَصِبُونَ لَهُ (٤) ، وَيَكْلَفُونَ بِهِ . فَلَوْ كَانَ هَذَا
الْأَمْرُ يَجِيءُ مِنْ وَجْهِ الْجَمْعِ وَالتَّوْلِيدِ (٥) وَالتَّرْكِيبِ [وَالتَّجْرِبِ ، أ (٦)] وَ
مِنْ وَجْهِ الْإِتْفَاقِ ، لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ قَدْ ظَهَرَ مِنَ الْوَفِّ سَنِينَ
وَأَلُوفٍ ؛ إِذْ كَانَ هَذَا الْمَقْدَارُ أَقَلَّ مَا تَوَرَّخَ بِهِ الْأُمَمُ ، وَلِكَانَ (٧) هَذَا مَقْبُولًا
غَيْرَ مُرَدُودٍ . وَعَلَى أَنَّهُ لَمْ يَتَبَيَّنْ لِنَا مِنْهُ أَنَّهُ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ الذَّهَبُ إِلَّا
مِنْ حَيْثُ وَجَدَ (٨) . وَلَيْسَ قُرْبُ كَوْنِ الشَّيْءِ فِي الْوَهْمِ بِمَوْجِبٍ لِكُونِهِ ،
وَلَا بَعْدُهُ فِي الْوَهْمِ بِمَوْجِبٍ لِامْتِنَاعِهِ .

وَلَوْ أَنَّ قَائِلًا قَالَ : إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ (٩) [إِذْ] قَدْ يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ تَنْهَبًا لَهُ
طِبَاعَ الْأَرْضِ ، وَطِبَاعَ الْمَاءِ ، [وَطِبَاعَ الْهَوَاءِ] ، وَطِبَاعَ النَّارِ ، وَمَقَادِيرَ حَرَكَاتِ

(١) النَّوْشَاذِرِ ، كَذَا جَاءَ بِالذَّالِ الْمَعْجَمَةِ . وَانظُرْ مَا سَيَأْتِي فِي ٥ : ٣٤٩ ط ، س :

« وَالْحِجَارَةُ السُّودُ » .

(٢) ل : « الْقَائِمُ الْجَوَازُ » . ط ، س : « قَائِمُ الْجَوْهَرِ فِي الْعَقْلِ » ، وَجَمَعَتْ بَيْنَهُمَا .

(٣) ل : « الْعَقْلُ » .

(٤) ل : « وَيَنْتَصِبُونَ لَهُ » .

(٥) ط ، س : « وَالتَّفْرِيقِ » ، وَالْأَشْبَهُ مَا أُثْبِتَ مِنْ ل .

(٦) الزِّيَادَةُ مِنْ ل ، س .

(٧) ط ، س : « وَكَانَ » .

(٨) ل : « وَجْهٌ » ، مَحْرَفَةٌ .

(٩) ل : « الْأَصْلُ » .

الفلك ، ومقداراً من طول الزمان . فنتى لم تجتمع هذه الخصال وتكمل هذه الأمور لم يتم خلق الذهب . وكذلك قد يستقيم أن يكون قد تهيأ لواحد أن يجمع بين [مائتي] شكلٍ [من] الجواهر ، فزجها على مقادير ، وطبخها على مقادير ، وأغيبها مقداراً^(١) من الزمان ، وقابلت مقداراً من حركات الأجرام السماوية ، وصادفت العالم بما فيه على هيئة^(٢) ، وكان بعض ماجرى على يده اتفاقاً وبعضه قصداً ، فلما اجتمعت جاء منها ذهبٌ فوقع ذلك في خمسة آلاف سنة مرة ، ثم أراد صاحبه المعاودة فلم يقدر على أمثال مقادير طبائع تلك الجواهر ، ولم يضبط مقادير ما كان قصداً إليه في تلك المرة^(٣) ، وأخطأ ما كان وقع له اتفاقاً^(٤) ، ولم يقابل من الفلك مثل تلك الحركات ، ولا من العالم مثل تلك الهيئة ، فلم يُعَد له ذلك .

فإن قال لنا هذا القول [قائل] وقال : بَيَّنُّوا^(٥) لي موضع إحالته ، ولا تحتجُّوا بتباعد [اجتماع] الأمور فيه ، فإننا نقر لكم بتباعدها . هل كان عندنا في ذلك قولٌ مقنع ، والدليل الذي تُلجج به الصدور ؟! وهل عندنا في استطاعة الناس أن يولدوا مثل ذلك^(٦) ، إلا بأن يُعرض هذا القول على العقول

(١) أغيبها : جعلها تغيب ، أى تمكث . ط ، س : « وأعانها مقدار » .

(٢) س : « هيئته » .

(٣) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « المدة » .

(٤) ل : « وأخطأ ما وقع له اتفاقاً » .

(٥) ط ، س : « أثبتوا » .

(٦) ل : « أن يولدوا ناساً » ، وهو تحريف .

السليمة ، والأفهام التامة وزدّه إلى الرسل^(١) والكتب ؟ ! فإذا وجدنا هذه الأمور كلها نافيةً له^(٢) كان ذلك عندنا هو المقنع . وليس الشأن فيما يظهر اللسان من الشك فيه والتجوز له ، ولكن ليردّه إلى العقل^(٣) ؛ ١١٨ فإنه سيجده منكراً وناقياً [له] ، إذا^(٤) كان العقل سلباً من آفة المرض ، ومن آفة التخيل .

(ضروب التخيل)

والتخيل ضروب^(٥) : تخيلٌ من المرار^(٦) ، وتخيل من الشيطان ، وتخيل آخر كالرجل يعمد إلى قلبٍ رطبٍ لم يتوقَّح ، وذهن لم يستمر^(٧) ، فيحمله على الدقيق وهو بعدُ لا يثق بالجليل ، ويتخطى المقدمات متسكعاً^(٨) بلا أمانة ، فرجع حسيراً^(٩) بلا يقين ، وغبر زماناً لا يعرف إلا [الشكوك و]

(١) كذا في ل . وفي ط ، س : « رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

(٢) كذا على الصواب في ل ، وفي ط ، س : « باقية » .

(٣) ل : « ذهنه » .

(٤) في الأصل : « فإذا » .

(٥) ل : « ضربان » ، وإنما هي « ضروب » .

(٦) المرار : جمع مرة بالكسر ، وهي مزاج من أمزجة البدن إذا قوى اختل معه التفكير .

(٧) يتوقَّح : يصلب . يستمر : يقوى .

(٨) متسكعاً : متحيراً . ط ، س : « متكشفاً » محرفة عن « متكسعا » . يقال تسكع وتكسع .

(٩) الحسير : المتعب المعيب . ط : « حيران » .

الخواطرَ الفاسدة ، التي متى لاقَت القلبَ على هذه الهيئة ، كانت ثمرتها (١)
الحيرة . والقلبُ الذي يفسدُ في يومٍ لا (٢) يداوَى في سنة ، والبناءُ الذي
يُنقَضُ في ساعةٍ لا يبني (٣) مثله في شهر .

(قولهم : نبيذٌ يمنعُ جانبه)

ثم رجع بنا القول إلى ذكر الذبان

قيل لعلُّويه كلبِ المطبخ : أيُّ شئٍ معنى قولهم : « هذا نبيذٌ يمنعُ
جانبه » ؟ قال : يريدون أن (٣) الذَّبَّان لا يندنو منه . وكان الرقاشي حاضراً ،
فأنشد قول ابن عبدل (٤) :

عَشَّشَ الْعَنْكَبُوتُ فِي قَعْرِ دَنِي إِنَّ ذَا مِنْ رَزِيَّتِي لِعَظِيمٍ
لَيْتَنِي قَدْ عَمَّرْتُ دَنِي حَتَّى أَبْصَرَ الْعَنْكَبُوتَ فِيهِ يَعُومُ (٥)
عَرَفًا لَا يُغِيثُهُ الدَّهْرُ إِلَّا زَبَدٌ فَوْقَ رَأْسِهِ مَرْكُومٌ (٦)

(١) س : « نمرته » ، تحريف .

(٢) ط : « ولا » والوجه حذف الواو كما في ل ، س .

(٣) ط ، س : « يريدان » .

(٤) هو الحكم بن عبدل الأسدي تقدمت ترجمته في (٢ : ١٥٤) . وانظر أبياتاً من هذه
القصيدة في ٥ : ٢٩٧ . وهي مقيدة الروي ، أي ساكنته .

(٥) عمرته : ملاءته حتى نهايته . وفي الأصل : « عمرت » . والذن ، بالفتح : الراقود
العظيم . ط : « ذني » وصوابه في ل ، س . وفي ل : « تعوم »
والعنكبوت مؤنثة وتذكر قليلاً ، وابن عبدل قد جعلها هنا مذكرة بقرائن كثيرة .

(٦) الزبد : ما يعلو الخمر ونحوها . س : « وبز » بحرفة . والمركوم : المتجمع .

مخرجاً كفه ينادى ذباباً أن أعثنى فإننى مغموم^(١)
قال : دعنى فلن أطيق دنواً من شرابٍ يشمه المزموم^(٢)
[قال] : والذبان يضرب به المثل في القدر وفي استطابة النتن ، فإذا
عجز الذباب عن شم شئ فهو الذى لا يكون أنتن منه .

ولذلك حين رمى ابن عبدل محمد بن حسن بن سعد^(٣) بالبحر ، قال :
وما يدنو إلى فيه ذبابٌ ولو طليت مشافره بقند^(٤)
يرين حلاوة ويخفن موتاً وشيكاً إن هممن له بورد^(٥)

(أبو ذبان)

ويقال لكل أبحر : أبو ذبان ، وكانت فيما زعموا كنية عبد الملك بن مروان^(٦)
وأنشدوا^(٧) قول أبي خرابة^(٨) :

-
- (١) ط ، س : « نخرج » . ل : « مظلوم » .
(٢) لا يشم المزموم إلا ما كان غاية في ظهور الرائحة . ل : « يقطر المزموم » .
(٣) ط ، س : « سعيد » والصواب ما أثبت من ل والأغاني (٣ : ١٤٥)
والبيان (٣ : ٧٤) ونهاية الأرب (١٠ ، ٣٠٠) وعيون الأخبار (٤ :
٦٢) حيث يوجد الشعر .
(٤) ل : « فا » . ومشافره أراد بها شفتيه ، ولكنه تهكم . والقند بالفتح : عسل
قصب السكر إذا جمد ، معرب : « كند » .
(٥) ط : « يرون » وصوابه في ل ، س . ل : « ذعفا » بدل : وشيكاً
وقد تقدمت أبيات من هذه القصيدة في (٢ : ٢٥٠ - ٢٥٣) .
(٦) قالوا : كنى بذلك لشدة بخره ، وموت الذبان إذا دنت من فيه . ويحكى أنه عض
يوماً تفاحة ورمى بها إلى بعض نساته ، فدعت بسكين فقطعتم موضع عضته ، فقال
لها : ما تصنعين ؟ قالت : أميط عنها الأذى ! فطلقها من وقته . انظر ثمار
القلوب ١٩٧ .
(٧) ط ، س : « وأنشد » :
(٨) ط ، س : « ابن خرابة » ، وتصحيحه من ل . وقد تقدمت ترجمته في
(١ : ٢٥٥) .

أمسى أبو ذبّان مخلوع الرّسن^(١) خلّع عِنانِ قَارِحٍ مِنَ الحُصْنِ^(٢)
* وقد صفت بيّعتنا لابن حسن^(٣) *

(شعر فيه هجاء بالذباب)

١١٩

وقال رجلٌ يهجو هلالَ بنَ عبد الملك الهنّائيَّ^(٤) :

ألا مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي هِلَالاً مَوَدَّتَهُ وَخَلَّتَهُ بَقْلَسِ
وَأَبْرَأَ لِلذَى يَبْتاعُ مِنِّي هِلَالاً مِنْ خِصالٍ فِيهِ خُمْسِ^(٦)
فَنَهْنُ النِّغَانِغُ وَالْمِكاوِي وَالْجِروحِ وَأَكْلُ ضِرْسِ^(٧)
وَمَنْ أَخَذَ الذِّبابَ بِإِصْبَعِيهِ وَإِنْ كانَ الذِّبابُ بِرَأْسِ جَعَسِ^(٨)

- (١) ل : « أضحى » ، والرّسن ، بالتحريك : الزمام للدابة يوضع على الأنف .
(٢) س : « خلّع عناق » ، وهو تحريف صوابه في ل ، ط . والقارح : الذى انتهت أسنانه ، وإنما تنتهى فى خمس سنين . والحصن : جمع حصان . ط ، س : « الرّش » تحريف .
(٣) ط ، س : « لابن الحسن » ، وهما وجهان جائزان فى العربية . جاء فى المخصص (٧١ : ٤٦) فى الكلام على إدخال (أل) ونزعها من الأعلام التى كانت فى أصلها صفات : « والعرب قد تفعل هذا ؛ لأنهم ربما قالوا : العباس وعباس ، والحسن وحسن » .
(٤) الهنّائى : نسبة إلى هناة ، كناية ، وهى قبيلة يمنية . انظر المعارف ٤٩ . ط ، س : « الهنّائى » ، ل : « الهنّائى » ، ووجه ما كتبت .
(٥) ل : « وخلطته » .
(٦) ل : « ويشترط الذى » ، تحريف .
(٧) النغانغ : جمع نغغ ، كبرقع ، وهو لحمه فى الخاق . أراد أنه يمرض بها أبداً . والمكاوى : جمع مكاوة ، لى يعالج بها الجروح ونحوها . ل : « والمكادى » ولا تصح . و : « آثار » بدلها فى ل : « آلات » . وأكل الضرس : أراد به فساده .
(٨) الجعس ، بالفتح : الرجيع . ل : « ولو كان » .

(قولٌ في آية)

قالوا: وضرب الله عزَّ وجلَّ لضعف النَّاسِ وعجزهم مثلاً، فقال: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَلْطُوبِ﴾ فقال بعضُ النَّاسِ: قد سَوَّى بين الذُّبَابِ والنَّاسِ في العجزِ . وقالوا: فقد يولِّد النَّاسُ من التَّعْفِينِ الفَرَاشَ [وغيرَ الفَرَاشِ^(١)] وهذا خلقٌ ، على قوله: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ ، وعلى قوله: ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ ، وعلى قول الشاعر^(٢) :

وَأَرَاكَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ وَبَعَّ

ضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ نَمَّ لَا يَفْرِي^(٣)

قيل لهم: إنما أراد الاختراع ، ولم يرد التقدير^(٤) .

(١) الزيادة من ل ، س .

(٢) هو زهير ، من قصيدة يمدح بها هرم بن سنان . في ديوانه ص ٦٠ - ٦٤ .

(٣) تفرى : تقطع . خلقت : قدرت وهيات . يقول : إذا تهيأت لأمر أمضيته وأنفذته .

(٤) أى إن المراد من الخلق في الآية الأولى هو الاختراع لا التقدير . وأما في الآيتين بعدها والشعر فالمراد التقدير ، لا الاختراع والابتداع .

(قولٌ في شعر)

وأما قول ابن ميادة :

ألا لأنبألى أن تُخندِفَ خندِفُ ولسنا نبألى أن يطنَّ ذبابها^(١)
فإنما جعل الذباب هاهنا مثلاً ، وقد وضعه^(٢) في [غير] موضع

تحقير [له] و [موضع] تصغير . وهو مثل قوله :

بني أسدٍ كونوا لمن قد علمتم موالى ذلت للهوان رقابها^(٣)
فلو حاربتنا الجن لم نرفع العصا عن الجن حتى لاتهر كلابها^(٤)
وليس يريد [تحقير^(٥)] الكلاب .

(استطراد لغوى)

ويقال : هو ذباب العين ، وذباب السيف . ويقال تلك أرض مذبة ،

أى كثيرة الذباب .

(١) تخندف : تمشى مشية كالهرولة ، ومن ذلك ما سميت القبيلة خندفا . ل : « تخندق »

س : « تجيد » ، والوجه ما في ط . وفي س : « تطن ذبابها » ، والذباب يذكر ويؤنث ؛ إذ كل جمع يكون بينه وبين واحده الهاء فإنه يذكر ويؤنث .

(٢) ط ، س : « وصفه » ، وصوابه في ل .

(٣) ل : « كن » ، ويتجه بها المعنى أيضاً .

(٤) ط ، س : « ولو » ط : « القنا » وهو جمع قناة .

(٥) ليست بالأصل . والكلام في حاجة إلى مثلها .

وقال أبو الشَّمَقْمَقِ في هِجائِهِ لِبَعْضِ مَنْ ابْتُلِيَ بِهِ :
أَسْمَجِ النَّاسِ جَمِيعاً كُلَّهُمْ كَذَبَابٍ سَاقِطٍ فِي مَرَقِهِ
[وَيُقَالُ إِنَّ اللَّبْنَ إِذَا ضُرِبَ بِالْكَنْدَسِ ^(١) وَنُضِحَ بِهِ بَيْتَ لَمْ
يَدْخُلْهُ ذَبَّانٌ] .

(أبو حكيم وثمامة بن أشرس)

وسمعت أبا حكيم الكيمائي ^(٢) وهو يقول لثمامة بن أشرس : قلنا لكم
إننا ندلكم على الإكسير ^(٣) ، فاستثقلتم الغرم ، وأردتم الغنم بلا غرم .
وقلنا لكم : دعونا نصنع هذه الجسور [صنعة لا تنتقض أبداً ، فأيتيم . وقلنا
لكم : ماترجون من هذه المسنّيات ^(٤)] التي تهدمها المدود ^(٥) ، وتخربها
المرادى ^(٦) ؟ ! نحن نعمل لكم مسنّيات ^(٧) بنصف هذه الثؤنفة ، فتبقى لكم

(١) الكندس ، كقنفذ : عروق نبات داخله أصفر وخارجه أسود .

(٢) ط : « الكيماوى » . س : « الكيمائى » .

(٣) في مفاتيح العلوم ١٥٠ : « ملح الإكسير : هو الدواء الذى إذا طبخ به الجسد
المذاب جعله ذهباً أو فضة ، أو غيره إلى البياض أو الصفرة » .

(٤) المسنّيات : الأحباس تبنى في الأودية .

(٥) المدود : جمع مد ، بالفتح ، وهو السيل أو كثرة الماء .

(٦) المرادى : جمع مردى ، كشرطى ، وهو خشبة تدفع بها المسنّية . ويسمى عوام
مصر « المردى » بكسر الميم والقصر . ط : ل : « المذارى » وصوابه في س .

(٧) المسنّيات قد فسرت . ط : « مسبات » س : « مسنات » وصوابه في ل .

أبدأ . ثمَّ قولوا للمُدرد أن تجهد جهدها ، وللمرادي^(١) أن تبلغ غايتها [فأبيتم] . وقولوا لي : (٢) الذُّباب ماترجون منها^(٣) ؟ و [ما] تشتهون من البعوض ؟ وما رغبتكم في الجرجس^(٤) ؟ لم لاتدعوني أخرجها من بيوتكم بالثؤونة اليسيرة ؟ وهو يقول هذا القول وأصحابنا يضحكون ، وابن سافري جالسٌ يسمع^(٥) ، فلما نزلنا أخذ بيده ومضى به إلى منزله ، فغداه وكساه وسقاه ، ثمَّ قال له : أحببت^(٦) أن تخرج البعوض من دارى . فأما^(٧) الذُّباب فإني أحتمله . قال : ولم تحتمل الأذى وقد أتاك الله بالفرج^(٨) ؟ قال : فافعل . قال : لا بدَّ لي من أن أخلط أدوية [وأشتري أدوية] . قال : فكم تريد ؟ قال : [أريد] شيئاً يسيراً . قال : وكم ذاك^(٩) ؟ قال : خمسون ديناراً^(١٠) . قال : ويحك ! خمسون يقال لها يسير^(١١) ؟ ! قال :

(١) المرادى سبق تفسيرها في ٣٨٥ . ط ، ل : « للمدارى » وصوابه في س .

(٢) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « إلى » .

(٣) ط ، س : « منه » .

(٤) الجرجس : لغة في القرقس ، وهو البعوض الصغار . ط ، س : « رغبتكم » .

(٥) ابن سافري ، هو كذلك في ل والبخلاء ١٧٦ . وفي ط ، س :

« ابن مسافر » . وفيها أيضاً : « يستمع » .

(٦) ل : « أحب » .

(٧) ط فقط : « وأما » .

(٨) كذا في ل . وفي ط ، س : « قد جاءك الله بالفرج » .

(٩) كذا في ل . وفي ط ، س : « فكم مبلغه » .

(١٠) ط ، س : « أريد خمسين ديناراً » .

(١١) ل : « وخمسون يسير » .

أنت ليس^(١) تشتهي الرَّاحَةَ من قَدَرِ الذَّبَّانِ ولسع البعوض ! ثمَّ لبس
 نعليه^(٢) وقام على رجليه . فقال له : اقعد . قال : إنَّ قعدتُ قبل أن آخذها
 ثمَّ اشتريت دواءً بمائة دينار لم تنفع به^(٣) ؛ فإنِّي لست أدخنُ هذه
 الدُّخنة^(٤) ، إلاَّ للذين إذا أمرتهم بإخراجهنَّ أخرجوهن . ولا أكتمك
 ما أريدُ ؛ إنِّي لست أقصد إلاَّ إلى العُمَّار^(٥) . فما هو إلاَّ أن سمع بِذكر
 العُمَّار^(٦) حتى ذهب^(٧) عقله ، ودعا له بالكيس [وذهب]^(٨) ليزن
 الدنانير ، فقال له : لا تشقَّ على نفسك ! هاتها بلا وزنٍ عددًا^(٩) ، وإلَّا
 خاف أن تحدث حادثةً ، أو يقع شغل ، فتفوت . فعدها وهو زَمِعٌ^(١٠)
 فغلط بعشرة دنانير ، فلما انصرف وزنها وعددها فوجدَ دنانيرَه^(١١) تنقص ،
 فبكرَ عليه يقتضيه الفضل^(١٢) ، فضحك أبو حكيم حتى كاد يموت ، ثمَّ قال :

(١) كذا في ل ، س . وفي ط : « لست » .

(٢) ل : « خفه » .

(٣) ط ، ل : « تنفع » .

(٤) ط : « أدخل » ل : « الدخن » .

(٥) العمار : سكان البيوت من الجن فيما يزعمون . ط ، س : « القمار » وتصحيحه
 من ل .

(٦) ط ، س : « فما هو إلا صلك سمعه بذكر القمار » ، وفيه تحريف .

(٧) ط ، س : « فذهب » .

(٨) هذه من س .

(٩) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « وعدد » .

(١٠) زعم : دهش . ل : « فيعدها وهو زيغ » ، تحريف .

(١١) ط : « فوجدنا دنانير » ، محرف .

(١٢) بكر عليه ، جاء إليه بكرة في أول النهار . ط ، س : « فكتب إليه » ، محرف
 والفضل : الفرق .

تسألني عن الفرع وقد استهلك الأصل ؟ ! [ولم يزل] يختلفُ إليه ويدافعهُ حتى قال له ثمامة : ويلك أجنونٌ^(١) أنت ؟ ! قد ذهب المالُ والسُّخريهَ مستورة . فإن نافرته فضحتَ نفسك ، وربحتَ عداوةَ شيطانٍ هوَ واللهُ أضرُّ عليكَ من عُمارِ بيتِكَ ، الذين ليسَ يخرجونَ عنكَ^(٢) الذبابَ والبعوضَ بلا كلفةٍ ، مع حقِّ الجوار . قال : هم سَكَّاني وجيراني . قالوا : لو كان سمع منك أبو حكيم هذه الكلمة لكانت الخمسون ديناراً مائة ديناراً !!

(شعر في أصوات الذباب وغنائها)

ومما قيل في أصوات الذباب^(٣) وغنائها ، قال المثقَّب العبدى^(٤) :

وتسمعُ للذبابِ إذا تغنَّى كَتَغْرِيدِ الحِمَامِ على الغُصُونِ

وقال آخر :

حُوٌّ مَسَارِبُهُ تَغَنَّى فِي غَيَاطِلِهِ ذَبَابُهُ^(٥)

(١) ط ، س : « ويلك يا جنون » .

(٢) ط : « ليسوا يخرجون عنه » .

(٣) س : « الذبان » .

(٤) المثقَّب العبدى : شاعر جاهلي من شعراء البحرين ، مسكن قبيلة عبد القيس .

واسمه محسن ، بكسر الميم وسكون المهمله وفتح الصاد المهمله . وأبوه ثعلبة

ابن وائلة بن عدى . والمثقَّب : اسم فاعل من ثَقَب ، سمى بذلك لقوله :

رددن تحية وكن أخرى وثقبن الوصاوص للعيون

خزانة البغدادى (٤ : ٤٣١ بولاق) ومعجم المرزبانى ٣٠٣ والشعراء ٨٨ .

(٥) حو : جمع أحوى ، وهو الضارب إلى السواد لشدة خضرته . والمسارب : المراعى

والغيطل : الشجر الملتف .

وقال أبو النجم :

أَنْفٌ تَرَى ذُبَابَهَا تَعَلَّه (١) من زَهْرِ الرَّوْضِ الَّذِي يَكَلِّه (٢)

وقال أيضاً :

[والشيخ تهديه إلى طحمانه] (٣) فالرَّوْضُ قَدْ نَوَّرَ فِي عَزَائِهِ (٤)

مُخْتَلَفَ الْأَلْوَانِ فِي أَسْمَائِهِ (٥) نَوَّرًا تَحَالَ الشَّمْسُ فِي حِمَائِهِ (٦)

مُكَلَّلًا بِالْوَرْدِ مِنْ صَفْرَائِهِ يَجَاوِبُ الْمَكَّاءَ مِنْ مُكَّائِهِ (٧)

صَوْتُ ذُبَابِ الْعُشْبِ فِي دَرْمَائِهِ (٨) يَدْعُو كَأَنَّ الْعَقْبَ مِنْ دُعَائِهِ (٩)

صَوْتُ مُعَنَّ مَدَّ فِي غِنَائِهِ

١٢١

وقال الشَّامُخ :

يَكْلِفُهَا أَلَّا تَخْفُضَ صَوْتَهَا أَهَازِيحُ ذِبَّانٍ عَلَى عُوْدٍ عَوْسَجٍ (١٠)

بَعِيدُ مَدَى التَّطْرِيْبِ أَوَّلُ صَوْتِهِ سَحِيلٌ وَأَعْلَاهُ نَشِيحُ الْمُحْشَرَجِ (١١)

(١) أنف : أى روضة أنف بضمين ، وهى التى لم يرعها أحد . وأسكن النون للشعر .

ط : « أتعتري » وصوابه فى ل ، س ، واللسان (أنف) . وتعلله : من علله بالطعام : شغله به . وضمير « ذبابها » عائد إلى الروضة الأنف . ط ، س : « ذبابة » محرفة . وفى اللسان : « ذبانها » .

(٢) يكلله : يحفه من كل جانب . ل : « من زهر النور » ، تحريف .

(٣) فى هذه الزيادة تحريف .

(٤) العزاء : الأرض التى لبدها المطر فشددها . انظر اللسان . ط : « عزائه » وتصحيحه من س . ل : « حوائه » .

(٥) ل : « من أسمائه » .

(٦) أى تحال أنت الشمس فى أزهاره الحمراء ، فلونهما واحد . ل : « تحار الشمس » .

(٧) المسكاه بضم الميم والتشديد : ضرب من القنابر له صفيح حسن .

(٨) الدرمام : نبت ليس بشجر ولا عشب ، ينبت على هيئة الكبد .

(٩) العقب ، بالفتح : بمعنى التوالى والملاحقة . ط ، س : « كنى العقب من بكائه » ، صوابه من ل .

(١٠) أهازيح : جمع أهزوجة ، وهو هنا صوت طيران الذباب . ط : « أهاريح »

بالراء وصوابه فى س . والبيتان ساقطان من ل . ولم أجد هذا البيت

فى ديوان الشماخ ، وبذله فى صفة امرأة :

منعمة لم تلق بؤس معيشة ولم تغتزل يوماً على عود عوسج

(١١) مدى التطريب : غاية ترجيع الصوت . والسحيل : أشد نهاق الحمار . ط : =

(المغنيات من الحيوان)

والأجناس التي توصف بالغناء أجناسُ الحمام والبعوض ، وأصناف
الذَّبَّانِ مِنَ الدَّبَّرِ ، والنَّحْلِ ، والشَّعْرَاءِ ، والقَمَعِ (١) والنُّعْرِ (٢) . وليس لذبَّانٍ
الكلب غِنَاءٌ ، ولا لما يُخْرَجُ مِنَ الباقلاء . قال الشاعر :
تذبَّ عنها بِأَثِيثٍ ذَائِلٍ ذِبَّانِ شَعْرَاءٍ وَصَيْفٍ مَادِلٍ (٣)

(ألوان الذَّبَّانِ)

وذبَّانِ الشَّعْرَاءِ حُمْرٌ . قال : والذبَّانِ التي تُهْلِكُ الإِبِلَ زُرُقٌ .
قال الشاعر (٤) :

رَبَّعَتْ وَالِدَهُرُ ذُو تَصْفُقٍ (٥) حَالِيَةً بِذِي سَبَبٍ مَوْنِقٍ (٦)
إِلَّا مِنْ أَصْوَاتِ الذَّبَّابِ الْأَزْرُقِ (٧) أَوْ مِنْ نِقَاتِقِ الْفَلَا الْمُنْقَنِقِ (٨)

= « سيحل » س : « سجل » وصوابه في الديوان ١٤ . والنشيج : الصوت
يتردد في الصدر . والمحشرج : الذي يغرغر عند الموت . والبيت في صفة حمار .

(١) التمع بالتحريك : ذباب يركب الإبل والظباء إذا اشتد الحر .

(٢) النعر : ذباب أزرق يلسع الدواب . س : « الشعر » ل : « النغر » وهما
تصحييف ماقى ط .

(٣) الأثيث : الكثير الشعر . والذائل : الطويل . وقد عني به : الذيل . وانظر ص ٣١٤ .

(٤) الأول أن يقول : الراجز . والكلام من « قال الشاعر » إلى نهاية الرجز ساقط من ل .

(٥) تربعت : يعنى الإبل أكلت الربيع . والتصفق : التقلب والتحول .

(٦) حالية : مزينة ، أراد روضة . والسبيب واحده سببية ، وهى العضاه تكثر في

المسكان . أو أراد بالسبيب : ذوائب الأشجار . والمونق : المعجب .

(٧) ط : « الأزق » ، تطبيع صوابه في س .

(٨) « نقاتق » بدلها في س : « تفانق » . وأحسبها محرفتين .

والذَّبَّانَ الذي يسقط على الدواب صُفْرٌ (١) .

وقال أَرْطَاةُ بنُ سُهَيْبَةَ ، لَزْمِيلِ بنِ أُمِّ دِينَارٍ (٢) :

أَزْمِيلُ إِنِّي إِنْ أَكُنْ لَكَ جَازِيَا أَعَكِرُ عَلَيْكَ وَإِنْ تَرُحُ لَا تَنْسِقِ (٣)
لَمَئِي أَمْرُوٌّ تَجِدُ الرَّجَالَ عِدَاوَتِي وَجَدَ الرَّكَّابَ مِنَ الذُّبَابِ الْأَزْرَقِ
وَإِذَا مَرَّ بِكَ الشُّعْرَ الَّذِي يَصْلِحُ لِلْمَثَلِ وَلِلْحَفِظِ (٤) ، فَلَا تَنْسَ حَظُّكَ

من حِفْظِهِ .

وقال المِثْلَسُ :

فَهَذَا أَوْأَنَّ الْعَرِضَ حَتَّى ذُبَابُهُ زَنَابِيرُهُ وَالْأَزْرَقُ الْمِثْلَسُ (٥)
وَبِهِ سُمِّيَ الْمِثْلَسُ .

(١) ط : « أَصْفَرٌ » .

(٢) زميل بن أم دينار : أحد بنى مازن بن فزارة ، أحد بنى عبد مناف . وأبوه أبيير
بالتصغير ، أو ويير ، أو دبير ، وهو قاتل ابن دارة في خلافة عثمان ، وهو من
المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام . المؤتلف والمختلف ١٢٩ ، والإصابة
٣٩٧٣ ، والخزانة ٢ : ١٢٨ سلفية . ط ، س : « بن أم زبير » ، وصوابه
في ل ، والخزانة . وأرطاة بن سهبة : هو ابن زفر بن عبد الله العطفاني المزني ،
شاعر مشهور . وسهبة أمه . أدرك الجاهلية ، وعاش إلى خلافة عبد الملك بن مروان .
وكان يكنى أبا الوليد ، وهي أيضاً كنية عبد الملك . فقال من شعر :

وما تبغى المنية حين تأتي على نفس ابن آدم من مزيد

وأعلم أنها ستكر حتى توفي نذرها بأبي الوليد

فارتاع عبد الملك وظن أنه أراد . فقال : يا أمير المؤمنين ، إنما عنيت نفسي
فسكت . ونسب في الحماسة ١ : ١٤٩ إلى سالم بن دارة .

(٣) ل : « يازمل » ر : « جازيا » بدلها في ل : « حاديا » ، وهذه الأخيرة لاتصح

وأعكر عليك : أغلبك أو أكر عليك . و « ترح » هي في ط : « ترع » .

(٤) ل : « يصلح لمكانه ، ولأن تحفظه » .

(٥) بهذا البيت سمى المثلس . وهو شاعر جاهل اسمه جرير بن عبد المسيح الضبي كما في

الشعراء . والعرض - بالكسر - : كل واد فيه شجر . وحى ذبابه : من الحياة

والمراد هنا الانتعاش ، ويروى : « جن ذبابه » وجنونه : كثرة طنينه . ط :
« ذبابة » صوابه في ل ، س . س : « حتى » وهي تحريف .

وقال ابن ميادة :

بَعَثَرِيْسٍ كَأَنَّ الدَّبْرَ يَلْسَعُهَا إِذَا تَغَرَّدَ حَادٍ خَلْفَهَا طَرِدُ،^(١)

(مَا يَسْمَى بِالذَّبَّانِ)

والدليل على أن أجناس النَّحْلِ والدَّبْرَ كُلُّهَا ذِبَّانٌ ، ما حدث [به]
عَبَّادُ بْنُ صُهَيْبٍ ، وإِسْمَاعِيلُ الْمَكِّيُّ^(٢) عن الأعمش ، عن عطية بن سعيد
العوفى^(٣) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلُّ ذُبَابٍ فِي النَّارِ
إِلَّا النَّحْلَةُ » .

وقال سليمان : سمعت مجاهدًا يكره قتل النَّحْلِ وإحراق العظام .
يعنى فى الغزو .

وحدثنا عنبسة قال : حدثنا حنظلة السدوسى قال : أنبأنا^(٤) أنسُ
ابن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « عمر الذباب أربعون
يوماً . والذباب فى النار » .

(١) العتريس : الناقة الصلبة القوية الجريفة . وانظر الأغاني ٢ : ١٠٢ .

(٢) ل : « عن إسماعيل المكي » .

(٣) ل : « العوفى » وصوابه فى ط ، س كما فى تقريب التهذيب . قال ابن حجر :
عطية بن سعد بن جنادة - بضم الجيم بعدها نون خفيفة - العوفى الجدلى - بفتح الجيم
والمهملة - ، الكوفى ، أبو الحسن . صدوق يخطئ كثيراً . مات سنة إحدى عشرة
يعنى بعمد المائة . وترى أنه جعل أباه سعداً لاسعيداً .

(٤) ل : « حدثنا » .

(بحث كلامي في عذاب الحيوان والأطفال^(١))

وقد اختلف الناس في تأويل قوله : « والذباب في النار » وقال قوم :
الذباب خلقٌ خلقٌ للنار ، كما خلق الله تعالى ناساً كثيراً للنار ، وخلق
أطفالاً للنار . فهو لاء قومٌ خلعوا عُدْرَهُمْ^(٢) فصارَ أحدهم إذا قال : ذلك ١٢٢
عَدْلٌ من الله عزَّ وجلَّ ؛ فقد بلغ أقصى العذر ، ورأى أنه إذا أضاف إليه
عذابَ الأطفال فقد تجمده . ولو وجد سبيلاً إلى أن يقول إنَّ ذلك ظلم لقاله^(٣)
ولو وجد سبيلاً إلى أن يزعم أن الله تعالى يخبرُ عن شيءٍ^(٤) أنه يكون
وهو لا^(٥) يكون ، ثم يقول إلا^(٥) أن ذلك صدق لقاله . إلا أنه^(٦) يخاف
السيف عند هذه ، ولا يخاف السيف عند تلك . وإن كانت تلك أعظم
في الفرية من هذه .

وبعضهم يزعم أن الله عزَّ وجلَّ إنما عذبَ أطفالَ المشركين ليغمَّ بهم
آبائهم^(٧) . ثم قال المتعاقلون منهم : بل عذبهم لأنه هكذا شاء ، ولأنَّ هذا
له . فليت شعري [أ] يحتسب بهذا القول في باب التمجيد لله تعالى ؛ لأنَّ

(١) انظر مثل هذا البحث في الفرق بين الفرق ١٣١ .

(٢) جمع عذار ، وهو من اللجام ماسال على خد الفرس . وخلع العذار كناية عن التشاطر
كما في الأساس .

(٣) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٤) ط : « الشيء » .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٦) بدلها في ل : « وليكن » .

(٧) كلمة : « بهم » ساقطة من ل . و « آباءهم » رسمت في ط ، س :
« آباءهم » خطأ .

كل من فعل ما يقدر عليه فهو محمود ، وكل من لم يخف سوط أمير فأتى^(١) قبيحاً فالذى يحسن^(٢) ذلك القبيح أن صاحبه كان في [موضع]^(٣) آمن ، أو لأنه آمن^(٤) يمتنع^(٤) من مطالبة السلطان . فكيف وكون الكذب والظلم والعبث واللهو والبخل^(٥) كله محال لمن لا يحتاج إليه ، ولا تدعوه^(٦) إليه الدواعي !!

وزعم أبو إسحاق أن الطاعات إذا استوت استوى أهلها في الثواب ، وأن المعاصي إذا استوت استوى أهلها في العقاب . وإذا لم يكن منهم طاعة ولا معصية استوتوا في التفضل^(٧) .

وزعم أن أجناس الحيوان [وكل شيء] يحس ويألم ، في التفضل^(٧) سواء .

وزعم أن أطفال المشركين والمسلمين كلهم في الجنة . وزعم أنه ليس بين الأطفال ولا بين البهائم والمجانين فرق ، ولا بين السباع في ذلك وبين البهائم فرق .

(١) ط : « أتى » تحريف .

(٢) ط : « يحسن » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٣) من ل ، س :

(٤) ل : « أم لأنه يمتنع » و « أم » تحريف .

(٥) ط ، س : « والضحك » .

(٦) ط ، س : « تدعو » .

(٧) أي تفضل الخالق بالثواب . ط ، س : « بالتفضيل » محرف .

وكان يقول : إن هذه الأبدان السَّبْعِيَّة والبهيمية لا تدخل الجنة ،
ولسكنَّ الله عزَّ وجلَّ ينقل تلك الأرواح خالصةً من تلك الآفات ؛
فيركِّبها في أيِّ الصُّور أحبَّ (١) .

وكان أبو كلدة (٢) ، ومعمَّر ، وأبو الهذيل ، وصحَّح (٣) ، يكرهون هذا
الجواب ، ويقولون : سواءً عند خواصِّنا (٤) وعوامِّنا ، ألقنا : إنَّ أرواحَ كلابنا
تصيرُ إلى الجنة ، أم قلنا : إنَّ كلابنا تدخل الجنة (٥) . ومتى ما أتصل كلابنا
بذكر الكلب على أيِّ وجهٍ كان ؛ فكأنَّا عندهم قد زعمنا أنَّ الجنة فيها
كلاب . ولسكنَّا نزعم أنَّ جميع ما خلق الله تعالى مِنَ السَّبَاع والبهائم
والحشرات والهمج [فهو] قبيح المنظر مؤلم ، أو حسن المنظر (٦) مُلذِّ ؛ فما كان
كالخيل والظباء ، والطواويس ، والتدارج (٧) فإنَّ تلك [في] الجنة ، ويلذُّ (٨)
أولياء الله عزَّ وجلَّ بمناظرها . وما كان منها قبيحاً في الدُّنيا مؤلمَ النظر

(١) ط ، س : « الصور الحسان أحب » . وكلمة « الحسان » مقحمة .

(٢) أبو كلدة : سبق له حديث في الجزء الأول ص ٢٣٤ .

(٣) كان صحَّح ذا مذهب غريب في « تفضيل النسيان على كثير من الذكر ، وأن
الغيباء في الجملة أنفع من الفطنة ، وأن عيش البهائم أحسن موقفاً في النفوس من
عيش العقلاء » . وتجد حجته لذلك في البخلاء ص ٥ .

(٤) ل : « خصوصتنا » .

(٥) ط ، س : « تدخل » بدل : « تصير إلى » . والكلام من « أم » ساقط من س :
وبدلتها في ط : « أو » ، والوجه « أم » كما في ل .

(٦) المنظر : المنظر ، فهذه الأخيرة جاءت في ط ، س .

(٧) التدارج : جمع تدرج ، وهو ضرب من الطير . ط ، س : « التدريج » .

(٨) ط ، س « وتلك » وصوابه في ل .

جعل الله عذاباً إلى عذاب أعدائه في النَّار . فإذا (١) جاء في الأثر : أنَّ الذَّبَابَ في النَّارِ ، وغير ذلك من الخلق ، فإنَّما يراد به هذا المعنى .
 ١٢٣ وذهب بعضهم إلى أنها تكون في النَّار ، وتلذَّذ ذلك (٢) ، كما أنَّ خَزَنَةَ جَهَنَّمَ والذين يتولَّون من الملائكة التَّعْذِيبَ ، يلذُّون موضعهم من النار .
 وذهب بعضهم إلى أنَّ الله تعالى يطبِّعهم على استلذاذ النَّار والعيش فيها ، كما طبع ديدان (٣) الشَّلج والحلِّ على العيش في أماكنها .
 وذهب آخرون إلى أنَّ الله عزَّ وجلَّ يحدث لأبدانها علةً لاتصل النَّار إليها ، وتنعم قلوبها وأبدانها من وجه آخر كيف شاء (٤) . وقالوا: [و] قد وجدنا النَّاسَ يَحْتالون لأنفسهم في الدُّنيا حِيلاً ، حتى يدخل أحدُهم بَعْضَ الأتاتين (٥) بذلك الطلاء ، ولا تضرُّه النَّار ، وهو في معظمتها ، وموضع الجاحم (٦) منها . ففَضْلُ ما بين قدرة الله وقُدرة عباده أكثر من فضل ما بين حرِّ نار الدُّنيا والآخرة (٧) .

(١) ل ، ط : « إذ » ، ووجهه من س .

(٢) ط ، س : « تلذَّذ بذلك » وأثبت ما في ل . وهما صحیحتان . قال الزبير بن العوام يرقص ابنه عروة (البيان ١ : ١٨٠) :

أبيض من آل أبي عتيق مبارك من ولد الصديق
 ألذَّ كما ألذَّ ريق

(٣) ط : « حيوان » ، وصوابه : في ل ، س . وديدان الخلل سبق الكلام عليها في ٢ : ١١١ .

(٤) ط ، س : « كما شاء » . وجاءت الضمائر في ط ، س للعاقل ، أي « لأبدانهم » و « قلوبهم وأبدانهم » وصوابه في ل .

(٥) الأتاتين : جمع أنون ، كتثور ، وهو : أخدود الحجاز والجصاص ونحوه . ط ، س « الناس » وصوابه في ل .

(٦) الجاحم : التورق والالتهاب . ط ، س : « الجاحم » وتصحيحه من ل .

(٧) كذا في ل . والفضل : الزيادة . ط ، س : « كفضل ما بين قوة حر نار الدنيا والآخرة » .

وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنْ سَبَّلَهَا^(١) فِيهَا كَسْبِيلَ نَارِ إِبْرَاهِيمَ ؛ فَإِنَّهُ لَمَّا قُذِفَ فِيهَا بَعَثَ اللَّهُ عِزًّا وَجَلًّا مَلَكًا يُقَالُ لَهُ [مَلِكٌ] الظِّلُّ ، فَكَانَ يَحْدُثُهُ وَيُؤَنِّسُهُ ؛ فَلَمْ تَصِلِ النَّارُ إِلَى أَذَاهِ ، مَعَ قُرْبِهِ مِنْ طَبَاعِ ذَلِكَ الْمَلِكِ .

وَكَيْفَمَا دَارَ الْأَمْرُ^(٢) فِي هَذِهِ الْجَوَابَاتِ ؛ فَإِنْ أَحْسَنَهَا وَأَشْنَعَهَا أَحْسَنُ مِنْ قَوْلٍ مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعَذِّبُ بِنَارِ جَهَنَّمَ مَنْ لَمْ يَسْخِطْهُ وَلَا يَعْقِلُ كَيْفَ يَكُونُ السَّخَطُ . وَمِنَ الْعَجَبِ أَنَّ بَعْضَهُمْ يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِعْمَا عَذَّبَهُ لِيَغْمَّ أَبَاهُ^(٣) . وَإِعْمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ مَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُوَصِّلَ إِلَيْهِمْ ضَعْفَ الْإِعْتِمَاءِ ، وَضَعْفَ الْأَلْمِ^(٤) الَّذِي يِنَالُهُمْ بِسَبَبِ أُنْبَاءِهِمْ . فَأَمَّا مَنْ يَقْدِرُ عَلَى إِيْصَالِ ذَلِكَ الْمَقْدَارِ إِلَى مَنْ يَسْتَحِقُّهُ ، فَكَيْفَ يُوصِلُهُ وَيَصْرِفُهُ إِلَى مَنْ لَا يَسْتَحِقُّهُ ؟ ! وَكَيْفَ يَصْرِفُهُ عَمَّنْ أَسْخِطَهُ إِلَى مَنْ لَمْ يُسْخِطْهُ^(٥) ؟ ! [هَذَا] وَقَدْ سَمِعُوا قَوْلَ اللَّهِ عِزًّا وَجَلًّا : ﴿ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ . وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ . وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ . وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ . كَلَّا إِنَّهَا لَلظَى . نَزَّاعَةً لِلشَّوَى ﴾ . وَكَيْفَ يَقُولُ هَذَا الْقَوْلَ مَنْ يَتْلُو الْقُرْآنَ ؟ !

ثُمَّ رَجِعْ بِنَا الْقَوْلِ إِلَى الذَّبَّانِ وَأَصْنَافِ الذَّبَّانِ .

(١) ط ، س : « سبَّلَهَا » ، وصوابه في ل .

(٢) ط ، س : « وكيف دار الأمر » .

(٣) ط : « آباه » ، وصوابه في ل ، س .

(٤) ل : « ضعف اغتنامهم والألم » .

(٥) ط : « إلى من لا يستخبطه دون من أسخبطه » س : « إلى من استحقته » ، وهما

تحريف ما أثبت من ل .

(جهل الذبان وما قيل فيها من الشعر)

والذبانُ أجهلُ الخلقِ ؛ لأنَّها تَغشى النَّارَ من ذاتِ أنفُسِها حتَّى تحترق .

وقال الشاعر :

خَتَمَتِ الْفَوَادَ عَلَى حُبِّهَا كَذَاكَ الصَّحِيفَةَ بِالْحَاتِمِ (١)
هُوتُ بِي إِلَى حُبِّهَا نَظْرَةً هُوِيَّ الْفَرَّاشَةَ لِلْجَاحِمِ

وقال آخر :

كَأَنَّ مَسَافِرَ النَّجَدَاتِ مِنْهَا إِذَا مَامَسَّهَا قَمَعُ الذُّبَابِ (٢)
بِأَيْدِي مَأْتَمِّ مَتَسَاعِدَاتِ نَعَالِ السَّبْتِ أَوْ عَذَبِ الثِّيَابِ (٣)

(نقد بيت من الشعر)

١٢٤

وقال بعض الشعراء (٤) ، يهجو حارثة بن بدر الغدافي :

زَعَمَتْ عُدَانَةٌ أَنَّ فِيهَا سَيِّدًا ضَخْمًا يُوَارِيهِ جَنَاحُ الْجُنْدُبِ (٥)

(١) كذا في ط ، س : وثمار القلوب ٣٩٩ . وفي ل : « على حبها كختم » .

وكانوا يختمون الرسائل بالحاتم على طين خاص ، يسمى طين الحتم .

(٢) النجدات : جمع نجدة ، وهي الناقة تكون نجدة على صاحبها . والقمع : ذباب الإبل .

(٣) المأتم : جماعة النسوة في الحزن . ط : « بأيد مئتم » صوابه في ل ، س .

والعذاب : جمع عذبة ، وهي خرقعة النائحة . ط ، س : « عرب » محرف .

أما « نعال السبت » فلم أجد لها علاقة بالكلام . وماذا عسى تفعل النوائح بنعال السبت ؟ ل : « فعال السبت » !

(٤) هو الأبيرد الرياحي ، كما في الأغاني (١٢ : ١٠) . وانظر (٦ : ٣٥١) .

(٥) غدانة بالضم : قبيلة . يواريه : يستره . ط ، س : « يوازنه » ، أي يماثله ويساويه .

وأثبت ما في ل وثمار القلوب ٣٢٥ .

وزعم ناسٌ أنه قال :

يُرويه ما يُروى الذبابَ فينتشى سُكراً ، وتُشبعهُ كُراعُ الأرنب (١)

قالوا : لا يجوز أن يقول : « يرويه ما يروى الذباب » و « يواريه جناحُ

الجنذب (٢) » ثم يقول : « ويشبعه كراع الأرنب » :

وإنما (٣) ذكر كُراعَ الأرنب ؛ لأن يد الأرنب قصيرة ، ولذلك تسرع

[في] الصُّعود ، ولا يلحقها من الكلاب إلا كلُّ قصير اليد (٤) . وذلك

محمودٌ من الكلب . والفرس تُوصَف (٥) بقصر الذراع .

(قصة في الهرب من الذباب)

وحدثني الحسن بن إبراهيم العلوي قال : مررتُ بخالي ، وإذا هو وحده

يضحك ، فأنكرتُ ضحكك ؛ لأنني رأيتُه وحده ، وأنكرته (٦) ؛ لأنه كان

رجلاً زميئاً ركيناً (٧) ، قليل الضحك . فسألته عن ذلك فقال : أتاني فلانٌ

(١) ط ، س : « ويشبعه كراع الجنذب » . والكراع بالضم : قائمة الدابة . وتجمع

على أكرع ثم على أكارع . وهي مؤنثة يصح في فعلها التذكير والتأنيث . لكن كلمة « الجنذب » تحريف صوابه من ل والثمار ومن سياق الكلام .

(٢) الجنذب : ضرب من الجراد . ط ، س : « يوازنه جناح الجنذب » .

(٣) قبل هذا في ط ، س : زيادة لا حاجة إليها ، وهو : « وأما سماعي فهو

الرواية الأولى :

يرويه ما يروى الذباب فينتشى سُكراً وتُشبعهُ كُراعُ الأرنب»

(٤) ل : « اليدن » .

(٥) ط ، س : « يوصف » .

(٦) ط س : « فأنكرته » .

(٧) الزمييت : العظيم الوقار . والركين : الرزين . ل : « سكيئا » .

يعنى شيخاً مدينياً^(١) - وهو مذعورٌ فقلت له : ما وراءك ؟ فقال : أنا واللهِ هاربٌ من بيتي ! قلت ولم ؟ قال : فى بيتي ذبابٌ أزرق ، كلما دخلتُ ثارَ^(٢) فى وجهي ، وطار حولي وطنٌ عند^(٣) أذني ، فإذا وجد مني غفلةً لم يُخطئْ موقَ عيني . هذا واللهِ دأبه ودأبي دهرأً معه^(٤) . قلت له : إنَّ شبه الذباب بالذباب كشبه الغرابِ بالغراب ؛ فلعلَّ الذى آذاك اليومَ أن يكونَ غيرَ الذى آذاك أمسِ ، ولعلَّ الذى آذاك أمسِ غيرُ الذى آذاك أوَّل [من^(٥)] أمسِ ، فقال : أعتقُ ما أملك إن لم أكن أعرفه [بعينه] منذُ خمسَ عشرة سنة^(٦) . فهذا هو الذى أضحكنى !

(قصة فى سفاذ الذباب)

وقال الخليل بن يحيى : قد رأيت الخنزيرَ يركبُ الخنزيرةَ عامَّةً نهاره ، ورأيتُ الجملَ يركبُ الناقةَ ساعةً من نهاره^(٧) . وكنت قبل ذلك أغيطُ

(١) ل : « مدينا » وانظر ما أسلفت من التحقيق فى (٢ ، ٢٩٢) .

(٢) ط : « دار » وهو تحريف .

(٣) ط : « على » .

(٤) ل : « منذ دهر » .

(٥) من ل ، س .

(٦) ل : « حجة » ، وهى بالكسر : السنة .

(٧) ل : « من نهار » .

العصفور والعصم^(١) - فَإِنَّ الذَّكَرَ وَإِنْ كَانَ سَرِيعَ النُّزُولِ عَنْ ظَهْرِ الْأُنْثَى فَإِنَّهُ لِسُرْعَةِ الْعُودَةِ ، وَلِكثْرَةِ الْعُدَدِ ، كَأَنَّهُ فِي مَعْنَى الْخَنْزِيرِ وَالْجَمَلِ - حَتَّى رَأَيْتُ الذُّبَابَ وَفَطِنْتُ لَهُ ، فَإِذَا هُوَ يَرْكَبُ الذُّبَابَةَ عَامَّةً نَهَارِهِ . فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدُ ابْنُ عَمْرِو الْبِكْرَاوِي^(٢) : لَيْسَ ذَلِكَ هُوَ السَّفَادُ^(٣) . قَالَ : أَمَّا الَّذِي رَأَيْتَ الْعَيْنَانَ فَبِهَذَا حَكْمُهُ . فَإِنْ كُنْتَ تَرِيدُ أَنْ تَطِيبَ نَفْسَكَ بِإِنْكَارِ مَا تَعْرِفُ مِمَّا قَسَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَيْنَ خَلْقِهِ ، مِنْ فَضُولِ اللَّذَّةِ^(٤) ، فَدُونِكَ .

(سفاد الورل)

ويزعمون أن للورل في ذلك ما ليس عند غيره .

(١) كذا في ط ، س . ولم أجد « العصم » مفرداً أو جمعاً ، فيما لدى من مراجع الحيوان ، ووجدت « المصع » كصرد وقفل جمعاً . ل : « مصعة » كهزمة وغرفة . وهو طائر أخضر ، كما في القاموس . وانظر المخصص (٨ : ١٤٣) . وفي ل : « الصعو والخنزير » ، وكلمة : « الخنزير » خطأ . وأما الصعو فهو ضرب من صغار العصفور .

(٢) البكرأوى : نسبة إلى بكرا باذ . وانظر ما سبق في ٣٤ . قال الإصطخرى : « جرجان قطعان : إحداهما المدينة ، والأخرى بكرا باذ ، وبينهما نهر يجري يحتمل أن تجرى فيه السفن . كذا في معجم البلدان . قال ياقوت : « ينسب إليه البكرأوى والبكرا باذى » . ل : « محمد ابن عمرو النكرأوى » . وفي النسبة تصحيف كما رأيت .

(٣) ل : « لعل ذلك ليس هو للسفاد » .

(٤) ط : « فضل الله » س « فضول الله » وأثبت ما في ل .

(٥) الورل : دابة على خلقة الضب ، لكنه أعظم منه ، وهو من أكثر الحيوان سفاداً ط ، س : « للولي » وصوابه في ل .

(قصة آكل الذبان)

١٢٥

وأشدد ابن داحة في مجلس أبي عبيدة ، قول السيد الحميري :

أترى ضهاكا وابنها وابن ابنها^(١) وأبا قحافة آكل الذبان
كانوا يرون ، وفي الأمور عجائب يأتي بهن تصرف الأزمان
أن الخلافة في ذؤابة هاشم فيهم تصوير وهيبة السلطان^(٢)

وكان ابن داحة رافضياً ، وكان أبو عبيدة خارجياً صُفرياً ، فقال له :

مامعناه في قوله : « آكل الذبان » ؟ فقال : لأنه كان يذب عن عطر
ابن جدعان^(٣) . قال : ومتى احتاج العطارون إلى المذاب ؟ قال : غلظت
إتّما كان يذب عن حيسة ابن جدعان . قال : فابن^(٤) جدعان وهشام

(١) ل : « أترى ضهاكا وابنها وأب ابنها » .

(٢) س : « من ذؤابة » . ل : « من وراثه » ، وفيها أيضا : « فيهم تكون » .

(٣) ابن جدعان ، هو عبد الله بن جدعان ، وكان من أشرف قريش في الجاهلية ومن
وفد على كسرى . وهو صاحب الجرادتين : المغنيتين المشهورتين في الجاهلية .
ومدحه أمية بن أبي الصلت بقصيدته التي أولها :

أذكر حاجق أم قد كفاني حياؤك إن شيمتك الحياء

فأعطاها إياه . وكان مشهوراً بالكرم . قالوا : كان سمي بحاسي الذهب ؛ لأنه
كان يشرب في إناء من الذهب ، فقالوا في المثل : « أقرى من حاسي الذهب » .
الأغاني (٨ : ٢ - ٤) وبلوغ الأرب (١ : ٨٧) . س : « جدعان » وفي المواضع

الثلاثة ، تصحيف .

(٤) ل : « فإن ابن » .

ابن المغيرة ، كان يُحَاسُّ لأحدهما الحَيْسَةَ على عدَّة أنطاع^(١) ، فكان يأكلُ منها الرَّاكِبُ والقائمُ والقاعدُ^(٢) فأين كانت تقعُ مِدْبَةٌ أبا قُحَافَةَ من هذا الجبلِ؟! قال : كان يذبُّ عنها ويدورُ حوالَيْها . فضحكوا منه ، فهجر مجلسهم سنة^(٣) .

(تحقير شأن الذبابة)

قال : وفي باب تحقير [شأن] الذبابة وتصغير قدرها ، يقول الرسول^(٤) :
« لو كانت الدنيا تُساوى عند الله تعالى جناح ذبابة^(٥) ما أعطى الكافر منها شيئاً » .

(١) الحيسة : المرة من الحيس ، وهو أن يخلط التمر بالسمن والأقط فيمجن ثم يندر نواه ، وربما جعل فيه سويق . والأنطاع : جمع نطع ، بالسكسر ، وبالفتح ، وبالتحريك وكعب ؛ وهو بساط من الجاد المدبوغ .

(٢) قالوا أيضاً : « كانت له جفنة يأكل منها القائم والراكب ، بل كانت جفنة يأكل منها الراكب على البعير وسقط فيها صبي ففرق ومات » . بلوغ الأرب (١ : ٨٩) . وقد يبدو هذا الخبر غريباً ، لكننا نجد تعريزاً له من الحديث ، جاء في غريب الحديث لابن قتيبة أن الرسول قال : « كنت أستظل بظل جفنة عبد الله بن جدعان صكة عمى » ، يعني في الهاجرة .

(٣) ط ، س : « مجلسه » . سن : « ثم هجر » .

(٤) هذا الحديث الآتي ، حديث صحيح رواه الترمذي ، ونقله عنه السيوطي في الجامع الصغير ٧٤٨٠ ولفظه : « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء » . في الأصل : « يقول الرجل » . وهو تحريف كما رأيت
(٥) ط ، س : « ذباب » ، ووجهه ما أثبت من ل .

(أعجوبة في الذبان بالبصرة)

وعندنا بالبصرة في الذبان^(١) أعجوبة، لو كانت بالشامات^(٢) أو بمصر
لأدخلوها في باب الطلسم؛ وذلك أن التمر يكون مصبوباً في بيادر التمر
في شقّ البساتين، فلا ترى على شيء منها ذبابة لآفي الليل، ولا في النهار،
ولا في البرد^(٣)، ولا في أنصاف النهار. نعم وتكون هناك المعاصر^(٤)،
ولأصحاب المعاصر ظلال، ومن شأن الذباب الفرار من الشمس إلى الظل.
ولمّا تلك المعاصر بين ثمرة [و] رطوبة، ودبس [وتجير]^(٥)، ثم لا تنكاد
ترى في تلك الظلال والمعاصر، في انتصاف^(٦) النهار، [ولا] في وقت طلب
الذبان الكين، إلا دون ما تراه في المنزل الموصوف بقلة الذبان.

وهذا شيء يكون موجوداً في جميع الشقّ الذي فيه البساتين. فإن
تحول^(٧) شيء من [تمر] تلك الناحية^(٨) إلى جميع ما يقابلها في نواحي
البصرة، غشيه من الذبان ما عسى ألا يكون بأرض الهند أكثر منه

(١) ط: «الذباب».

(٢) الشامات: هي بلاد الشام. وانظر ما سبق في حواشي ١: ٧٣.

(٣) البرد: الغداة والعشى. ط، س: «البرد» وتصحيحه من ل.

(٤) المراد بالمعاصر هنا معاصر التمر، وكانوا يصرونه لاستخراج الدبس، وهو عسل التمر.

(٥) التجير: نفل كل شيء يعصر. وهو فارسي معرب، كما في المعرب للجواليقي ٤١.

(٦) ل: «أنصاف»، كما سقطت كلمة «تنكاد».

(٧) ل: «حول».

(٨) ط، س: «البادية»، والوجه ما أثبت من ل.

وليس بين جزيرة نهر دُبَيْس^(١) ، وبين موضع الدَّبَّانِ إلا فيض البصرة ، ولا بين ما يكون من ذلك بنهر أذرب^(٢) وبين موضع الدَّبَّانِ مما يقابله ، إلا سيحان^(٣) ، وهو ذلك التمر وتلك المعصرة ، ولا تكون تلك المسافة إلا مائة ذراع أو أزيدَ شيئاً أو أنقصَ شيئاً .

(نوم عجيب لضروب من الحيوان)

وأعجوبة أخرى ، وهى عندى أعجبُ من كلِّ شىءٍ صدرنا به جملة القول فى الذباب . فمن العجب أن يكون بعض الحيوان لا ينأى كالمصافر^(٤) والتَّنَوُّط^(٥) ؛ فإنَّهما إذا كان اللَّيْلُ فإنَّ أحدهما يتدلَّى من ١٢٦ غصن الشَّجرة ، ويضمُّ عليه رجله ، وينكسُّ رأسه ، ثمَّ لا يزال يصيحُ حتى يبرِّقَ النُّور . والآخِرُ لا يزالُ يتنقَّلُ فى زوايا بيته ، ولا يأخذه القرار ، خوفاً على نفسه ، فلا يزال كذلك . وقد نتفَّ قبلَ ذلك ممَّا على ظهور

(١) نهر دبيس ، بالتصغير ، نهر بالبصرة . ودبيس : مولى لزياد ابن أبيه . كافى معجم البلدان .

(٢) كذا فى ط . س : « أذرب » ، ل : « أردد » .

(٣) قال البلاذرى : سيحان نهر بالبصرة ، كان للبرامكة وهم سموه سيحان . وقد سمى العرب كل ماء جار غير منقطع : سيحان . معجم البلدان . ط ، س : « فرسخان » وصوابه فى ل .

(٤) المصافر : طائر من أنواع المصافير ، وسيكل الجاحظ نمته . ط : « كالمصافر » ووجه ما أثبت من ل ، س .

(٥) التنوط : طائر شبيه بالمصافر المتقدم ذكره . وانظر ما سياتى .

الأشجار مما يشبه الليف (١) فنفسه ، ثم قتل منه حبلاً ، ثم عمل منه كهيئة القفة ، ثم جعله مدلىً بذلك الحبل ، وعقداه بطرف غصن من تلك الأغصان ؛ إلا أن ذلك بترصيع ونسج ، ومداخلة عجيبة ؛ ثم يتخذ عشه فيه ، ويأوى إليه مخافة على نفسه .

والأعراب يزعمون أن الذئب شديد الاحتراس ، وأنه يراوح بين عينيه ، فتكون واحدة مطبقة (٢) نائمة ، [وتكون] الأخرى مفتوحة حارسة . ولا يشكون أن الأرنب تنام مفتوحة العينين .

وأما الدجاج والكلاب فإنما تعزب (٣) عقولهما في النوم ، ثم ترجع إليهما بمقدار رجوع الأنفاس . فأما الدجاج فإنها تفعل ذلك من الجبن (٤) وأما الكلب فإنه يفعل ذلك من [شدة] الاحتراس .

وجاءوا كلهم يخبرون أن الغرائق والكراكبي لاتنام أبداً إلا في أبعده المواضع من الناس ، وأحرزها من صغار سباع الأرض ، كالثعلب وابن آوى . وأنها لاتنام حتى تقلد أمرها رئيساً وقائداً ، وحافظاً وحارساً ، وأن الرئيس إذا أعيأ رفع إحدى رجليه ؛ ليكون أيقظ له .

(١) ط ، س : « يشته بالليف » .

(٢) ل : « مطبقة » .

(٣) تعزب : أى تبعد وتغيب . ل ، ط : « تعرف » س : « يعرف » وصوابه

ما أثبت مطابقاً لما سياتى ص ٤٠٨ س ٦ .

(٤) ط ، س : « فإنه يفعل » ، والوجهان جائزان .

(سلطان النوم)

وسلطان النوم معروف . وإن الرَّجُلَ مِمَّنْ يَغْزُو^(١) فِي الْبَحْرِ ، لِيَعْتَصِمَ
بِالشَّرَاحِ وَبِالْعُودِ ، وَبِغَيْرِ ذَلِكَ ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ النَّوْمَ مَتَى خَالَطَ عَيْنَيْهِ اسْتَرَحَتْ
يَدُهُ ، وَمَتَى اسْتَرَحَتْ يَدُهُ بَايِنَهُ الشَّيْءُ الَّذِي كَانَ يَرْكَبُهُ وَيَسْتَعَصِمُ بِهِ^(٢) ، وَأَنَّهُ
هَتَّى بَايِنَهُ^(٣) لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ ، وَمَتَى عَجَزَ عَنِ اللَّحَاقِ [بِهِ] فَقَدْ عَطِبَ^(٤) . ثُمَّ هُوَ
فِي ذَلِكَ لَا يَخْلُو ، إِذَا سَهَرَ لَيْلَةً أَوْ لَيْلَتَيْنِ ، مِنْ أَنَّ يَغْلِبَهُ النَّوْمُ وَيَقْهَرَهُ ، وَإِنَّمَا
أَنْ يَحْتَاجَ إِلَيْهِ الْحَاجَةُ الَّتِي يَرِيهِ الرَّأْيُ الْخَوَّانُ ، وَفَسَادُ الْعَقْلِ الْمَغْمُورِ بِالْعِلَّةِ
الْحَادِثَةِ ، أَنَّهُ قَدْ يُمَكِّنُ^(٥) أَنْ يُغْنِي وَيَنْتَبَهَ فِي أَسْرَعِ الْأَوْقَاتِ ، وَقَبْلَ
أَنْ تَسْتَرْخِيَ يَدُهُ كُلَّ الاسْتِرْحَاءِ ، وَقَبْلَ أَنْ تَبَايِنَهُ الْخَشْبَةُ إِنْ
كَانَتْ خَشْبَةً .

(١) ط ، س : « يفرق » وصوابه في ل . وفي س أيضاً « فأى رجل » تحريف .

(٢) كذا في س . وفي ط : « يركبه واستعصم به » ل : « مركبه واستعصم به » .

(٣) باينه : فارقة ، وبعد عنه . ط : « يأتيه » وصوابه في ل ، س .

(٤) عطب : هلك . ط ، س : « ومن عجز » وصوابه في ل .

(٥) « يريه » هي في ط ، ل : « يريد » محرفة . و « الخوان » هي في ل :
« الفاسد » . و « يمكن » هي في ط ، س : « تمكن » محرفة .

(العجبية في نوم الذباب)

وليس في جميع ما رأينا وروينا ، في ضروب نوم الحيوان ، أعجبُ
من نوم الذَّبَّانِ ؛ وذلك أنها ربما جعلت مأواها [بالليل] دَرَوْنْدَ الباب^(١)
وقد غشَّوه ببطانةٍ ساجٍ أملسٍ كأنه صفاةٌ ، فإذا كان الليلُ لزقت^(٢) به ،
وجعلت قوائمها مما يليه ، وعلقت أبدانها إلى الهواء . فإن كانت لا تنام البتةُ
ولا يخالطها عُرُوبٌ^(٣) المعرفة فهذا أعجب^(٤) : أن تكون أمةٌ من أمم الحيوانِ
لا تعرف النَّومَ ، ولا تحتاج إليه . وإن كانت تنام ويعزُّب عنها ما يعزُّب^(٥)
١٢٧ عن جميع الحيوان سوى ما ذكرنا ، فما تخلو من أن تكون قابضةً على
مواضع قوائمها^(٦) ، ممسكة^(٧) بها ، أو تكون مرسلَةً لها [مخلية عنها] . فإن
كانت مرسلَةً لها فكيف لم تسقط وهي أثقلُ من الهواء ؟ ! وإن كانت
ممسكةً لها فكيف يجامع التشدُّد والتثبيت^(٨) النوم ؟ !

(١) الدرونْد كلمة فارسية. وفي اللسان (نجف): «ابن الأعرابي: النجاف هو الدرونْد والنجران.
وقال ابن شميل: النجاف الذي يقال له الدوارة ، وهو الذي يستقبل الباب من أعلى
الأسكفة» . وانظر نهاية الأرب ١ : ٣٧٦ ومعجم البلدان (سد يأجوج ومأجوج)
ط : «دورة» تحريف .

(٢) ط : «لزمت» .

(٣) العزوب : البعد . وفي ل : «غروب» .

(٤) ل : «عجب» .

(٥) ل : «يفرب» في الموضعين .

(٦) في الأصل : «قائمها» .

(٧) ل : «ممسكة» .

(٨) س : «والتثبيت» .

(بعض ما يمتري النائم)

ونحن نرى كلَّ مَنْ كان في يده كيس أو (١) درهم أو حبلٌ ، أو عصا
فإنه متى خالط عينيه (٢) النَّوْمُ استرخت يده وانفتحت أصابعه (٣) . ولذلك
يتشاءب المحتال للعبد الذي في يده عِنان دابَّة مولاة ، ويتناوم له وهو جالس ؛
لأنَّ من عادة الإنسان إذا لم يكن بحضرتِه مَنْ يشغله ، ورأى إنساناً (٤)
[قَبَّالَتَه] يتشاءبُ أو ينعسُ ، [أن يتشاءب وينعس مثله (٥)] . فتي استرخت
يُده أو قبضته عن طَرْف العِنان ، وقد خامره سُكْر النَّوْم ، ومتى صار
إلى هذه الحال — ركب المحتالُ الدَّابَّةَ ومرَّ بها .

باب

القول في الغربان

اللهم جنبنا التكلُّفَ ، وأعِذنا من الخطأ ، وأحمنا العُجبَ بما يكون منه ،
والثُّمَّةَ بما عندنا ، واجعلنا من المحسنين .

(١) ط ، س : « كيس دراهم » .

(٢) ط ، س : « عينه » .

(٣) ط فقط : « وتفتحت أنامله » .

(٤) س : « من » . وق ل : « ينود » بدل : « يتشاب » . ينود : يتمايل

من النعاس .

(٥) هذه التكلة من س .

نذكر على اسم الله جُمِلَ القولُ في الغِرْبَانِ ، والإخبار عنها ، وعن غريبٍ ما أُودِعَتْ من الدَّلالة ، واستخزِنَتْ من عجيب الهداية (١) .
وقد كُنَّا قَدَمْنَا ما تقول العربُ في شأنِ منادمةِ الغرابِ الديكِ وصداقته له ، وكيف رهنه عند الحَمَّارِ ، وكيف خاسَ به وسخر منه وخذعه (٢) وكيف خرج سالماً غيرَ غارمٍ ، وغانماً غيرَ خائبٍ (٣) ، وكيف ضربت به العربُ الأمثالَ ، وقالت فيه الأشعار ، وأدخلته في الاشتقاقِ لزوجها عند عياقتها وقياقتها ، وكيف كان السبب في ذلك (٤) .

(ذكر الغراب في القرآن)

فهذا إلى ما حكى الله عزَّ وجلَّ من (٥) خبرِ ابْنِ آدَمَ ، حينَ قَرَّباً قَرَّبَاناً فِحَسَدَ الذي لم يُتَقَبَّلْ منه المُتَقَبَّلَ منه ، فقال عند ما همَّ به مِن قتلِهِ ، وعند إمساكه عنه ، والتَّخْلِيقِ بَيْنَهُ وبين ما اختارَ لنفسه : ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ .
ثمَّ قال : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ .

(١) الكلام من مبدل : « اللهم » ساقط من ل .

(٢) خاس به : غدر به وخانه .

(٣) « وغانما غير خائب » ساقطة من ل .

(٤) انظر لمثل هذا الكلام (٢ : ٣١٩ ، ٣٢٠) . والكلام من : « وقالت »

ساقط من ل .

(٥) ل : « عن » .

فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْعَةَ أَخِيهِ ﴿١﴾
حَتَّى قَالَ الْقَائِلُ ، وَهُوَ أَحَدُ ابْنَيْ آدَمَ مَا قَالَ . فَلَوْلَا أَنَّ لِلْغُرَابِ (١) فَضِيلَةً
وَأُمُورًا مَحْمُودَةً ، وَآلَةً وَسِبْأً لَيْسَ (٢) لغيره من جميع الطَّيْرِ لَمَا وَضَعَهُ
اللَّهُ تَعَالَى فِي مَوْضِعِ تَأْدِيبِ النَّاسِ ، وَلَمَا جَعَلَهُ الْوَاعِظَ وَالْمَذَكَّرَ بِذَلِكَ .
وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ ۚ ١٢٨
كَيْفَ يُوَارِي سَوْعَةَ أَخِيهِ ﴾ ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ مَبْعُوثٌ ، وَأَنَّهُ هُوَ اخْتَارَهُ لِذَلِكَ مِنْ
بَيْنِ جَمِيعِ الطَّيْرِ .

قال صاحب الديك : جعلت الدليل على سوء حاله وسقوطه (٣) الدليل
على حسن حاله وارتفاع مكانه . وكلما كان ذلك المقرح به أسفل كانت
الموعظة في ذلك أبلغ . ألا تراه يقول : ﴿ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ
مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْعَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ .

ولو كان في موضع الغراب رجلاً صالحاً ، أو إنساناً عاقلاً ، لما حسن
به أن يقول : يا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْعَاقِلِ الْفَاضِلِ الْكَرِيمِ
الشَّرِيفِ . وإذا (٤) كان دوناً وحقيراً فقال : أَعَجَزْتُ وَأَنَا إِنْسَانٌ أَنْ أَحْسِنَ
مَا يَحْسِنُهُ هَذَا الطَّائِرُ ، ثُمَّ طَارَ مِنْ شِرَارِ الطَّيْرِ . وإذا أَرَاهُ (٥) ذلك

(١) ل : « في الغراب » .

(٢) ط ، س : « وأشياء ليست » .

(٣) ط : « وسقوط » وتصحيحه من ل ، س .

(٤) ط : « إذ » وصوابه في ل ، س .

(٥) ط : « أراه » .

في طائرٍ أسودٍ محترقٍ (١) ، قبيح الشَّائلِ ، ردىء المشية (٢) ، ليس من بهائم الطير المحمودة ، ولا من سباعها الشريفة ، وهو بعدُ طائرٌ يتنكَّد به ويتطرَّع منه ، آكلٌ جيف (٣) ، ردىء الصَّيد . وكلما كان أجهلَ وأنذلَ (٤) كان أبلغَ في التوبيخ والتَّقريع .

وأما قوله : ﴿ فَاصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ فلم يكنْ به على جهة الإخبار أنه كان قتاهُ ليلاً ، وإنما هو كقوله : ﴿ وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ . ولو كان المعنى وقع على ظاهر اللَّفظ دونَ المستعملِ في الكلامِ من عادات الناس ، كان من فرِّ من الزَّحفِ ليلاً لم يلزمه وعيد (٥) . وإنما وقع الكلامُ على ما عليه الأغلبُ من ساعاتِ أعمالِ الناس ، وذلك هو النهارُ دونَ الليلِ .

وعلى ذلك المعنى قال صالح بن عبد الرحمن (٦) ، حين دفعوا إليه جواباً (٧) الخارجيَّ ليقْتله ، وقالوا : إن قتله برئت الخوارجُ منه ، وإن ترك قتله فقد

(١) ل : « محرق » .

(٢) للغراب مشية رديئة . وفي القصص التمثيل أنه أعجبه مشية المصفور أو القطاة فرام تقليدها ففعل . ثم أراد الرجوع إلى مشيته الأولى فسمى ، فلا هو حافظ على مشيته الأولى ، ولا هو أدرك مشية المصفور . انظر شعراً في ذلك بطراز المجالس ١٩٩ . ط : « الشبه » وصوابه في ل ، س .

(٣) ط ، س : « الجيف » .

(٤) ل : « أخل وأزل » .

(٥) ل : « وعيده » .

(٦) صالح بن عبد الرحمن هو كاتب الوليد بن عبد الملك .

(٧) ط ، س : « خواتنا » .

أبدى لنا صفحته . فتأول صالحٌ عند ذلك تأويلاً مستنكراً^(١) : وذلك أنه قال : قد نجدُ التَّقِيَّةَ تُسَبِّغُ الكُفْرَ^(٢) ، والكفر باللسان أعظمُ من القتل والقذفِ بالجراحة . فإذا جازت التَّقِيَّةُ^(٣) في الأعظم كانت في الأصغر أجوزَ . فلما رأى هذا التأويل يطرد له ، ووجد على حالٍ بصيرته ناقصة ، وأحسَّ^(٤) بأنه إنما التمس عُذراً ولزق الحجة تلزيقاً [فلما عزم على قتل جواب ، وهو عنده واحدُ الصُّفْرِيَّةِ في النَّسِكِ والفضل] قال : إني^(٥) يومَ أقتلُ جَوَاباً على هذا الضَّرْبِ من التأويلِ لحريص^(٦) على الحياة ! ولو كان حين قال إني^(٥) يومَ أقتلُ جَوَاباً إنما عنى النهارَ دون الليل ، كان عند نفسه إذا قتله تلك القِتلة ليلاً لم يَأْثُمَ به . وهذا أيضاً كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إني فاعِلٌ ذلك غداً إلا أن يشاء الله ﴾ .

ولو كان هذا المعنى إنما يقع على ظاهر اللفظ دون المستعمل بين الناس ،

لسكان إذا قال من أول الليل : إني فاعِلٌ ذلك غداً في السَّحَرِ ، أو مع الفجر ١٢٩ أو قال الغداة^(٧) : إني فاعِلٌ يومى كلّه ، وليلتى كلها ، لم يكن عليه حِنْثٌ ، ولم يكن مخالفاً إذا لم يستثن^(٨) ، وكان إذن لا يكون مخالفاً إلا فيما وقع عليه

(١) ل : « مستكرها » .

(٢) التَّقِيَّةُ : الخوف والخشية من الهلاك . تسبغ الكفر : تبيحه . أى إن من هدد

بالقتل إن لم يكفر ، ساغ له الكفر ظاهراً . ل : « أجد البقية تسع في الكفر »

ط ، س : « نجد التَّقِيَّةَ تسبغ بالكفر » . والوجه في العبارة ما ذكرت .

(٣) ل : « البقية » . وانظر التنبيه السابق .

(٤) ط ، س : « وأخبر » وصوابه في ل .

(٥) ط : « أى » وتصحيحه من ل ، س .

(٦) ط : « الحريص » وله وجه .

(٧) ل : « بالغداة » .

(٨) المراد بالاستثناء هنا ، قول : « إن شاء الله » . ط : « يستثن » محرفة .

اسمُ غد . فأما كلُّ^(١) ما خالفَ ذلكَ في اللَّفظِ فلا . وليس التَّأويلُ كذلكَ لأنَّه جَلٌّ وَعَلَاَ إِنَّمَا أَلزَمَ عَبْدَهُ أَنْ يَقُولَ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ ؛ لِيَتَّقِيَ عَادَةَ التَّأْيَلِ^(٢) . ولثلاً يَكُونُ كَلَامُهُ وَأَفْظُهُ يَشْبَهُ لَفْظَ الْمُسْتَبِدِّ وَالْمُسْتَعْنَى ، وَعَلَى أَنْ يَكُونَ عِنْدَ^(٣) ذَلِكَ ذَاكِرَ اللَّهِ ؛ لِأَنَّهُ عَبْدٌ مُدَبَّرٌ ، وَمَقْلَبٌ مَيْسَرٌ^(٤) ، وَمَصْرَفٌ مُسَخَّرٌ .

وإذا كان المعنى فيه ، والغاية التي جرى إليها اللفظ ، إنما هو على ما وصفنا ، فليس بين أن يقول أفعل ذلك بعد طرفة ، وبين أن يقول أفعل ذلك بعد سنة فرق .

وأما قوله : ﴿ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ فليس أنه كان هنالك ناسٌ قتلوا إخوتهم وندموا فصارَ هذا القاتلُ واحداً منهم ؛ وإنما ذلك على قوله لآدمَ وَحَوَّاءَ عليهما السلام : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ، على معنى أن كلَّ من صنعَ صنيعكما فهو ظالم .

(الاستثناء في الحلف)

وعجبت من ناسٍ ينكرون قولنا في الاستثناء ، وقد سمعوا الله عزَّ وجلَّ يقولُ :

﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرُنَّهَا مُصْبِحِينَ . وَلَا

(١) ط ، ل : « كلما » ، وصوابه في س .

(٢) التقي : الحذر . ط ، ل : « لبقى » س : « لتقى » ، ووجهه بما ترى .

والتألي : الحلف . ل : « التألي » ط ، س : « المتألي » ، والوجه ما ذكرت .

والمعنى : ليحذر تعود الإنسان الحلف واستعماله .

(٣) ط ، س : « عنده » وصوابه في ل .

(٤) انظر الاستدراكات .

يَسْتَشْنُونَ . فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ، فَأَصْبَحَتْ
كَالصَّرِيمِ ﴿١﴾ ، مع قوله عز وجل : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا
إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ .

(تسمية الغراب ابن دأية)

والعربُ تسمي الغرابَ ابن دأية ؛ لأنه إذا وجدَ دَبْرَةً (١) في ظهر
البعير ، أو في عنقه قرحة سقط عليها، ونقره وأكله (٢) حتى يبلغ الدأيات (٣) .
قال الشاعر (٤) :

نَجِيَّةٌ قَرْمٌ شَادَهَا الْقَتُّ وَالنَّوَى بيثربَ حَتَّى نَيْهَا مِظَاهِرُ (٥)
فَقَلْتُ لَهَا سِيرِي فَمَا بِكَ عِلَّةٌ سَنَامِكِ مَلْمُومٌ وَنَابُكَ فَاطِرٌ (٦)
فِيئَلِكِ أَوْ خَيْرًا تَرَكْتُ رُدِيَّةً تَقَلَّبَ عَيْنِهَا إِذَا مَرَّ طَائِرٌ (٧)

(١) الدبرة ، بالتحريك : القرحة .

(٢) ط ، س : « وعقره » وهي صحيحة أيضاً ، يقال عقر الكلا : أكله ، ويقال
أيضاً : عقره : جرحه .

(٣) جاءت هذه الكلمة ومفردها في السطر السابق خالية من الهمز ، وأصلها الهمز .
وللدأيات : فقر الكاهل والظهر .

(٤) هو أبو الريبس الثعلبي ، أو الجون الحرزي . خزانة الأدب (٢ : ٥٣٢) حيث
قصة الشعر .

(٥) نجية قرم : يقول : هذه الناقة قد أنجبتها قرم من الإبل ، وهو بالفتح والراء :
الفحل الكريم . ط ، س : وكذا أصل البيان (٣ : ٣٠٦) : « قوم » ، وصوابه
ما أثبت من ل . شادها القت والنوى : أى نساها تناول هذا العلف . والى
المتظاهر : الشحم الذى ركب بعضه بعضاً .

(٦) ملموم : مجتمع . وفطر ناب الناقة : انشق وظهر .

(٧) الرذية ، بالذال : الناقة المهزولة من السير . وإنما تقلب عينها خوف أن
تنقرها الطير . وانظر شرح القصائد السبع الطوال ص ٣٩ .

ومثله قول الرَّاعِي :

فلو كنت معذوراً بنصرك طيَّرت صقورِي غِرْبَانَ البعيرِ المقيَّدِ

هذا البيت لعنترة ، في قصيدة له ^(١) . ضرب ذلك مثلاً للبعير المقيَّدِ

ذِي الدَّبَرِ ، إِذَا وَقَعَتْ عَلَيْهِ الغِرْبَانُ .

(غرز الريش والحرق في سنام البعير)

وإذا كان بظهر البعير دَبْرَةٌ غرزوا في سنامه إمَّا قوادِمَ ريش ^(٢) أسود

وإمَّا خرقاً سوداً ^(٣) ؛ لتفزع الغِرْبَانُ منه ، ولا تسقط عليه . قال الشاعرُ ،

وهو ذُو الحِرْقِ الطُّهُوي ^(٤) :

لما رأتُ إِبِلِي حَطَّتْ حمولتها هَزَلِي عِجافاً عليها الرِّيشُ والحِرْقُ ^(٥)

(١) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٢) قوادِمَ الريش : أربع أو عشر في مقدم الجناح . ط ، س : « قوادِم » وانظر ما سيأتى .

(٣) كذا في ل . وفي ط « خرقه سوداء » . وفي س : « خرقاء سوداء » وهذه الأخيرة محرفة .

(٤) هذه الجملة ساقطة من ل . وذو الحرق قاتل هذا الشعر : اسمه خليفة بن حل

ابن عامر بن حميرى ؛ فإن من لقب بهذا اللقب من بني طهية ثلاثة شعراء أحدهم

هذا ، والثاني قرط بن قرط ، والثالث شمير بن عبد الله بن هلال . انظر الخزانة

(١ : ٥٠ — ٥١ سلفية) والمؤتلف والمختلف ١٠٩ ثم ١١٩ . وجاء في الخزانة

أن الأملى لم يذكر الشعر الذى منه البيت الآتى . وقد سماها البغدادي ؛ فإن الشعر

مذكور في ص ١٠٩ من المؤتلف والمختلف ، في غير مظهره .

(٥) العجاف : جمع أعجف وعجفاء على الشذوذ ؛ لأن أفعل وفعلاء لا يجعلان على

فعال . والأعجف : الذى ذهب سمته . وقيل البيت :

ما بال أم حبيش لاتكلمنا لما افترقنا وقد نثرى فننتفق

١٣٠ قالتُ ألا تبتغي عيشاً نعيشُ به عَمَّا نلاقى ، ففَشَرُ العَيْشَةِ للرَّنَقُ
[الرَّنَقُ ، بالرَّاءِ المهملة ، وبالنون ، هو الكدِرُ غير الصافي] .

وقال آخر (١) :

كأنها ريشةٌ في غاربٍ جرَزٍ في حيثما صرفته الرِّيحُ ينصرف (٢)
[جَرَزٌ : عظيم . قال رؤبة :

* عن جَرَزٍ منه وجوزٍ عارٍ* (٣)]

(غرز الريش في أسنمة إبل الملوك وخرائطهم)

وقد توضع (٤) الرِّيشُ في أسنمتها وتغرَزُ فيها لغير ذلك ؛ وذلك أن
الملوك كانت تجعل الرِّيشَ علامةً لحبائ الملك (٥) ؛ تحميمها بذلك
وتشرف صاحبها (٦) .

(١) ل : « وفي ذلك يقول الآخر » .

(٢) الغارب : أعلى مقدم السنام . ل : « غارز » وليس له وجه . والجرز بانتحريك
سيفسر . ط ، س : « جرد » تحريف ما في ل . ط ، س : « ضربته
الريح » ، وأثبت ما في ل .

(٣) الجوز : الوسط . والبيت في صفة جمل سمين فضخه الحمل الثقيل . وقد نسب في
اللسان (جرز ، وري) إلى العجاج لارؤية . وقد روى البكري الأرجوزة في أراجيز
العرب ١٥٧ منسوبة إلى العجاج كما في اللسان . وقيل البيت :

* وأنهم هاموم السديف الوارى *

(٤) ط : « يوضع » ، والأولى التوحيد في التأنيث كما أثبت من ل ، س .

(٥) كذا في ل . والحباء ، بالكسر : العطاء . ط ، س : « لجمها » .

(٦) ط : « تحميمها بذلك بشرف أصحابها » . ل : « تحميمها بذلك ويشدن صاحبها » .

قال الشاعر :

هَبُّ الْجِلَادِ بَرِيْشَهَا وَرِعَائِهَا كَاللَّيْلِ قَبْلَ صَبَاحِهِ الْمَتْبَلِّجِ (١)
ولذلك (٢) قالوا في الحديث : فرجع النَّابِغَةُ من عند التُّعْمَانِ وقد وهبَ
له مائةٌ من عَصَافِيرِهِ (٣) بَرِيْشَهَا :
وللرَّيْشِ مَكَانٌ آخَرٌ : وهو أَنَّ المَلُوكَ إِذَا جَاءَتْهَا الخِرَائِطُ بِالظَّفَرِ (٤)
غَرَزَتْ فِيهَا قَوَادِمَ رَيْشِ سُودِ .

(غربان الإبل)

وقال الشاعر :

سَأْرَفَعَ قَوْلًا لِلْحُصَيْنِ وَمَالِكٍ تَطْيِيرُهُ بِهِ الْغِرْبَانَ شَطْرَ الْمَوَاسِمِ (٥)

(١) الجِلَاد من الإبل : الغزيرات اللبن . والرواية في البيان (٣ : ٩٦) :
« المهجان » . والرعاة بالضم والرعاة بالضم ويكسر : جمع راع . وقد روى البيت بالوجه
الأول في ط ، س . وبالثاني في ل ، والبيان . وجعلها كالليل لما فوق أسنمتها من
الريش السود ، كما جعل أبدانها كالصبح تحت الظلام . وهو خيال ركب تركيبا
بارعا . أو جعلها كالليل لأنها سود ، كما في الشعراء ١١٠ . وفيها أيضا : « ولم
يكن بأرض العرب بغير أسود إلا له » : أي للنعمان .

(٢) س : « وكذلك » .

(٣) هي إبل نجبية كانت له ، وقال ابن سيده : أظنه أراد من فتايا نوقه . قالوا :
كان النعمان غاضبا على النابغة لقصيدته المشهورة التي وصف فيها المتجردة ، ثم
ذهب غضبه عليه عند ماغنت النعمان قينة بشعر للنابغة ، ووهب له العصافير . انظر
الأغاني (٩ : ١٦٥) والتنبية السابق وما سيأتي في (٥ : ٢٣٣) .

(٤) الخرائط : جمع خريطة ، وهي وعاء من آدم وغيره يشرح على مافيه ، أي يشد .

(٥) رواية اللسان عن ابن الأعرابي : « للحصين ومنذر » . والمواسم : أسواق العرب
في الجاهلية حيث كانوا يجتمعون .

- وتروى به الهيمُ الظَّماءُ ، وَيَطْبِي بِأَمْثَالِهِ الْغَازِينَ سَجْعُ الْحَمَائِمِ (١)
يعنى غَرَبَانِ الْإِبِلِ (٢) . وَأَمَّا قَوْلُهُ : « وتروى به الهيمُ الظَّماءُ » فمثل
قول الماتح (٣) :

عَلِقْتَ يَا حَارِثَ عِنْدَ الْوَرْدِ بِجَاذِلٍ لَارْفَلٍ التَّرْدَى (٤)
* وَلَا عَيٌّْ بِابْتِدَاءِ الْمَجْدِ (٥) *

(١) يطيبهم سجع الحمام : يستميلهم غناء الحمام الذى يسجع بهذا الشعر . و « الغازين » هنا بمعنى القاصدين . ط ، س : « بأمثالها » ، وإنما الضمير راجع إلى القول . ل : « الغاوين » .

(٢) فى الأصل : « الليل » ، وإنما هى غربان الإبل ، وغراب البعير هو حد الورك الذى يلى الظهر . أى إن هذا الشعر يذهب به على الإبل إلى المواسم . ومعنى تطير : تسرع . وإنما خص الأوراك لأنهم كانوا يحملون الرسائل فى حقيبة تحتقب ، وتشد على عجز البعير . كما قال الآخر :

وإن عتاق العيس سوف يزورك
ثناء على أعجازهن معلق

(٣) الماتح ، بالتاء : الذى ينزع الدلو وهو بجوار البئر . والماتح ، بالهمز : الذى يدخل البئر فيملأ الدلو . ط : « المساتح » ل : « المايح » والأولى تحريف ، والثانية ليست مرادة . والرجز فى البيان (١ : ٤) مسبوقة بعبارة : « وقال الراجز وهو يمتح بدلوه » . ووجه المثلية أن كلا منهما خاطب نفسه ، قال الأول « وتروى » يخاطب نفسه ، وكذا الثانى : « علقت » .

(٤) الجاذل : الواقف مكانه لا يبرح ، شبه بالجذل الذى ينصب فى المعادن لتحتك به الإبل الجربى . ومثله « الجاذى » ، وهذه الأخيرة جاء فى س مع الهمز أى « جاذى » وفى البيان : « بجابى » . والجابى : الذى يطلع فجأة . وقد عنى رجلا . والرفل : الذى يجر ذيل ثوبه . والتردى : لبس الرداء . وفى الأصل : « لاوجل التود » وصوابه من البيان . وجاء بعد هذا البيت فى ل :

* فجانبى لارفل التردى *

وأقول : إنه مقحم وإن به تصحح نهاية هذا البيت .

(٥) العيسى : العاجز . ط : « يبنى » س : « يبنى » ، وصوابه ما أثبت من البيان . وفى ل : « عيبا » .

(شعر في تعرض الغربان للإبل)

وقالوا في البعير إذا كان عليه حملٌ من تمرٍ أو حَبٍّ ، فتقدّم الإبلَ
بفضل قُوّته ونشاطه (١) ، فعرض ما عليه للغربان (٢) . قال الرَّاجز :

قد قلتُ قولاً للغرابِ إذ حَجَلَ عليك بالقود المسانيف الأول (٣)
* تغدّ ما شئت على غير عَجَل (٤) *

ومثله (٥) :

يقدمها كلُّ أمونٍ مطعان (٦) حمراء من معرّضاتِ الغربان (٧)

(١) ط : « فيقدم » . ل : « لفضل » : مكان « بفضل » .

(٢) س : « الغربان » .

(٣) القود : الطوال الأعناق . ط ، س : « بالعود » وصوابه في ل والمخصص

(١٠ : ١٦٧) وتنبه البكري ٤٨ والمحاسن للبيهقي (٢ : ٨٤) . وفي مجالس نعلب

١٣٦ : « عليك بالإبل » . والمانيف : المتقدمة ، جمع مسانف . س ، ط : « المسانف » .

(٤) ط ، س : « من بعد ما مشت على غير عجل » ، وتصحيحه من المراجع المتقدمة .

قال الكسائي — وقد سأله الرشيد عن هذا الشعر — : « إن العير إذا فصلت من خير

وعليها التمر يقع الغراب على آخر العير فيطردها السواق . يقول هذا ، تقدم إلى

أوائل العير فكل على غير عجل » المحاسن للبيهقي . وللراجز بقية في تنبيه

البكري ، فراجع .

(٥) الرجز الآتي يروي للأجلح بن قاسط ، كما في اللسان (عرض) . وقال ابن بري :

« وهذان البيتان في آخر ديوان الشياخ » . قلت أنا : هما في أخرياتهما ص ١١٦

منسوبان إلى الجليح بن شيمذ رفيق الشياخ . ونسبا في مشارف الأقاويز ٢٠٨ — ٢٠٩ إلى

الجميل . وجاء قوله في آخر الرجز يخاطب نفسه :

* يا ابن جليح كن دليل الركبان *

ويظهر أنه اجتلب كلمة : « ابن » تحسناً للكلام ، وضبطاً للوزن .

(٦) ل : « تقدمها » . والأمون : الوثيقة الخلق . س : « أموق » تصحيف . ل :

« علاة » ، وهي رواية القائل والبكري . والعلاة : الشديدة الصلبة ، مشبهة بالعلاة

وهي السندان . والمظمان ، السهلة السير . ل : « مدعان » ، صوابه « مدعان »

بالذال ، وهي المنقادة لقائدها .

(٧) قال البكري : « الحمر أجلد الإبل » . والمعرضات : التي تقدم الإبل فتقع الغربان

عليها فتأكل مما حملته ، كأنها عرضت ماتحملة للغربان .

(أمثال في الغراب)

ويقال : « أصحُّ بدنًا من غراب » ، و « أبصرُ من غراب » ، و « أصفى عيناً من غراب » .

وقال ابن ميادة :

ألا طرقتننا أم أوسٍ ودونها حراجٌ من الظلماء يعشى غرابها^(١)
فبتنا كأنا بيننا لطميةً من المسك ، أو داريةً وعيائها^(٢) .
يقول : إذا كان الغراب لا يبصر في حراج الظلماء^(٣) . وواحد الحراج حرجة ، وهى هاهنا مثلٌ ، [حيث^(٤)] جعل كلَّ شئٍ التفَّ وكثفَ من الظلام حراجا ، وإنما الحراجُ من السدرِ وأشباه السدر .

يقول : فإذا لم يبصر فيها الغرابُ مع حدَّةِ بصره ، وصفاء مُقلته فما ظنُّك بغيره ؟ !

١٣١

وقال أبو الطمَّحان القينى^(٥) :

إذا شاء راعيا استقى من وقيةٍ كعين الغراب صفوها لم يكدر

(١) س : « جراح من الظلماء يغشى » ، وصوابه في ط ، ل .

(٢) اللطمية : العنبرة لظمت بالمسك فتفتقت به . ل وكذا في كتاب الصيدنة ص ٦ : « بيتتنا لطيمة » . واللطيمة : العير تحمل الطيب . والتبييت أصله من بيت العدو : أوقع بهم ليلا . والدارية : منسوبة إلى دارين ، فرضة بالبحرين كان يحمل إليها المسك من ناحية الهند . وعنى بها العطور ، أو العير . والعياب : جمع عيبة ، وهى وعاء من آدم يوضع فيه الثياب ونحوها . ط ، س ، وكذا كتاب الصيدنة : « كماها » ولم أر لها وجها .

(٣) ط : « الظماء » ، وصوابه في ل ، س ، وثمار القلوب ٣٦٤ .

(٤) الزيادة من ثمار القلوب .

(٥) من أبيات في الأغاني (١١ : ١٢٨) .

(امتطراد لغوى)

والوقية : المسكان الصلب الذى يُمسك الماء ، والجمع الوقائع . قال :
وأُشَدْنَا أبو عمرو^(١) بن العلاء ، فى الوقائع :
إذا ما استبالوا الخيلَ كانتْ أكْفَهُمَ وقائعَ للأبوالِ والماءُ أبردُ
يقول : كانوا^(٢) فى فلاةٍ فاستبالوا الخيلَ فى أكْفَهُمَ ، فشرَبوا أبوالها
من العطش .

ويقال شهدَ الوقِيعَةَ والوقِيعَةَ بمعنى واحد . قال الشاعر^(٣) :

لعمري لقد أبقتْ وقِيعَةً راهطٍ على زَفَرٍ داءٍ من الشرِّ باقيا^(٤)
وقال [زَفَرُ بنُ^(٥)] الحارث :

لَعَمري لقد أبقتْ وقِيعَةً راهطٍ لِمَروانَ صدعاً بيننا متنائياً^(٦)

(١) أبو عمرو بن العلاء تقدمت ترجمته فى (٢ : ٢٢٥) . ط ، س : « وأنشد أبو محمد » وصوابه فى ل . وانظر الاشتقاق ١٧٧ من تحقيقى .

(٢) ط ، س : « إذا كانوا » ، والوجه حذف « إذا » كما فى ل .

(٣) هو جواس بن القمطل الكلبى . المؤلف والمختلف ٧٤ والتنبيه والإشراف ٢٦٨ .

(٤) وقعة راهط هى المعروفة بوقعة مرج راهط . انظر لها الأغاني (١٧ : ١١١ -

١١٤) والعقد (٣ : ١٤٥) ومروج الذهب (٢ : ١٠٧ هية) . ط ، س : « على دفر » ، وصوابه فى ل ، والعقد (٣ : ١٤٧) والمؤلف ٧٤ .

(٥) هذه الزيادة الضرورية اعتمدت فيها على المراجع المتقدمة وحاسة البحرى ١٧ .

(٦) مروان هذا هو ابن الحكم الأموى والد عبد الملك . ط : « بينا » ، وصوابه

فى ل ، س ، والمراجع المتقدمة . ط ، س : « متباينا » وصوابه فى ل

والمراجع المتقدمة ؛ فإن البيت من قصيدة يائية ، منها البيت المشهور :

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا

وقال الأخطل :

لَقَدْ أَوْقَعَ الْجَحَافُ بِالْبَشْرِ وَقَعَةً إِلَى اللَّهِ مِنْهَا الْمَشْتَكِيُّ وَالْمَعْوَلُ^(١)

(أمثال من الشعر والنثر في الغراب)

وفي صحفة بدن الغراب يقول الآخر^(٢) :

إِنَّ مُعَاذَ بْنَ مَسْلِمٍ رَجُلٌ قَدْ ضَجَّ مِنْ طَوْلِ عُمَرِهِ الْأَبْدِ^(٣)

[قَدْ^(٤)] شَابَ رَأْسُ الزَّمَانِ وَاکْتَهَلَ الدَّهْرُ

رُ وَأَثْوَابُ عُمَرِهِ جُدُّ

يَا نَسْرَ لِقَمَانَ كَمْ تَعِيشُ وَكَمْ تَسْحَبُ ذَيْلَ الْحَيَاةِ يَا لُبْدَ^(٥)

(١) الجحاف هذا هو ابن حكيم السلمى ، قاد قومه وأغار على بني تغلب بموضع يسمى البشر بين الفرات والشام ، فقتل منهم مقتلة عظيمة . انظر معجم البلدان والعمدة ١٦٧ وأمثال الميداني (٢ : ٣٦٧ ، ٣٥٥) . ط ، س : « الجحاف بالبشر » صوابه في ل والمعجم . وانظر نقد البيت في الموشح ١٦٥ - ١٦٦ .

(٢) هو الخزرجى كما في الحيوان (٦ : ٣٢٧) ، وقد ذكر ابن خلكان (في ترجمة معاذ بن مسلم) أن صاحب الشعر هو أبو السرى سهل بن أبي غالب الخزرجى . قال ابن خلكان في ترجمته (وذكرها في نهاية ترجمة معاذ) : إنه نشأ بسجستان وادعى رضاع الجن ، وزعم أنه بايعهم للأمين بن هارون الرشيد بالعهد ، فقرّبه الرشيد وابنه الأمين وزبيدة ، وله أشعار حسان وضعها على الجن والشياطين والسعالى . وقال له الرشيد : إن كنت رأيت ما ذكرت فقد رأيت عجبا ، وإن كنت ما رأيت فقد وضعت أدبا . وتجد الأبيات في العقد (٣ : ٥٢) وبغية الوعاة ٣٩٣ منسوبة إلى محمد بن منذر . وهى بدون نسبة فى المعانى الكبير ٥٨ وأمالي الزجاجى ١٧ من تحقيقى .

(٣) معاذ بن مسلم هذا هو المعروف بالهراء ، كان نحويا كوفيا ، وكان يتشيع . قرأ عليه الكسائى وروى عنه . عمر معاذ بن مسلم طويلا . وتوفى سنة سبع وثمانين ومائة ، وهى سنة نكبة البرامكة .

(٤) م ، ل ، س ، والجزء السادس ، وعيون الأخبار (٤ : ٥٩) وثمار القلوب ٣٧٧ وأمثال الميداني (١ : ٤٥٤) .

(٥) لبد ، كزفر : آخر نسور لقمان ، قالوا فى أساطيرهم : عمر لقمان عمر سبعة أنسر =

قد أصبحت دارُ آدمٍ خربتُ وأنتَ فيها كأنك الوتدُ^(١)
تسألُ غربانها إذا حَجَلتْ كيفَ يكونُ الصَّداعُ والرَّمْدُ

ويقال : « أرضٌ لا يطيرُ غرابها^(٢) » . قال النابغة :

وَلِرَهْطِ حَرَّابٍ وَقَدْ سَوَّرَةٌ فِي الْحَجْرِ لَيْسَ غَرَابُهَا بِمُطَارٍ^(٣)
جعلهُ مثلاً . يعنى أن هذه الأرضَ تبلُغُ مِن حِصْبِهَا أَنَّهُ إِذَا دَخَلَهَا

الغرابُ لم يخرج منها ؛ لأنَّ كلَّ شئٍ يريدُه فيها^(٤) .

وفى زهوِ الغرابِ يقول حسان ، فى بعضِ قريش^(٥) :

إِنَّ الْفَرافِصَةَ بِنَ الْأَحْوَصِ عِنْدَهُ شَجَنٌ لِأَمِّكَ مِنْ بَنَاتِ عَقَابٍ^(٦)
أَجْمَعَتَ أُنْكَ أَنْتَ الْأُمُّ مَنْ مَشَى فِي فَحْشِ مُوسَى وَزَهُوِ غَرَابٍ^(٧)

= كلما مات واحد خلفه آخر ، وكان كل منها يعيش ثمانين سنة .
انظر الدميرى .

(١) الوتد يبقى بعد دروس المنزل .

(٢) ط : « ويقال فى أرض لا يطير غرابها » ، والوجه حذف (فى) كما فى ل ، س

(٣) حراب : رجل من بنى أسد ، وكذلك قد ، بالفتح ، وهو أحد شعرائهم
ترجمه المرزبانى فى المعجم ٣٣٩ . والسورة ، بالفتح : الارتفاع . والرواية فى الديوان
بشرح البطليوسى : « ليس غرابهم » .

(٤) قال البطليوسى : « وقيل الغراب ها هنا سوادهم » . ونقل الميدانى عن أبى عبيد
أن المراد بالمثل الشدة . انظر الأمثال (٢ : ٣١٦) .

(٥) ط ، س : « فى بعض بنى قريش » ، وكلمة « بنى » مقحمة . والشخص المراد هو
الحارث بن هشام بن المغيرة ، كما فى الديوان ٥٩ .

(٦) عقاب : عبد كان لبني تغلب ، وكان له بنات وقع بعضهن عند الفرافصة بن الأحوص
الكلبى فكنن إمامه ، وكانت واحدة منهن ولدت لرجل من بنى تغلب
ابنة تزوجها مخربة بن جندل . ومخربة هذا والد أسماء والدة الحارث بن هشام .
فحسان يهجو الحارث بأن له نسباً فى الإمام . و « عنده شجن » أراد أنه يجلب
ها الشجن عند ماتت ذكر نسبها . ط ، س : « بن أحوص » وأثبت ما فى ل والديوان .

(٧) يقال : « أزهى من غراب » ؛ لأنه إذا مشى اختال ونظر فى عطفه . ثمار القلوب
٣٦٥ . ورواية المخصص (٣ : ١٠٣) : « فى فحش زانية » ، وفيه وفى الديوان
٦٠ : « وزوك غراب » . والزوك : المشى المتقارب الخطو مع تحرك الجسد .

- ويقال: «وَجَدَ فُلَانٌ تَمْرَةَ (١) الْغُرَابِ»، كأنه يتبع عندهم أطيب التمر (٢).
- ويقال: «إِنَّهُ لِأَحْذَرُ مِنْ غُرَابٍ» و: «أَشَدُّ سَوَادًا مِنْ غُرَابٍ». ١٣٢
- وقد مدحوا بسواد (٣) الغراب. قال عنتره:
- فيها اثنتانِ وأربعونِ حلويةٌ سودا كخافيةِ الغرابِ الأسحمِ
وقال أبو دواد (٤):
- تنفى الحصى صُعُداً شَرِّقِي مَنَسِيهَا نَفَى الْغُرَابِ بِأَعْلَى أَنْفِهِ الْغَرْدَا (٥)
والمغاريد: كَمَمْ (٦) صِغَارٍ. وأنشد (٧):
- يُحِجُّ مَأْمُومَةً فِي قَعْرِهَا كَجَفِّ فَاسْتُ الطَّيِّبِ قَدَاها كالمغاريدِ (٨)
وقد ذكرنا شدة منقاره، وحادّة بصره في غير هذا المكان.

- (١) كذا في ل واللسان (ت م ر) ومثله في أمثال الميداني (١ : ٣٦٩ ، ٢ : ٢٨٧) . يضرب لمن يظفر بالشيء النفيس ، ولمن يجد أفضل ما يريد . ط ، س وكذا محاضرات الراغب (٢ : ٢٩٩) : « ثمرة » بالمثلثة .
- (٢) ط ، س ، « التمر » بالمثلثة . وانظر التنبيه السابق .
- (٣) ما عدل : « سواد » .
- (٤) كذا على الصواب في ط . وفي ل ، س : « أبو داود » تحريف . وأبو دواد : شاعر جاهلي اسمه جارية بن الحجاج أو حنظلة بن الشرق . وهو أحد نعات الخليل المجيدين . وكانت العرب لا تروى شعره ولا شعر عدى بن زيد لأن ألفاظهما ليست بنجدية . خزانة الأدب (٤ : ١٩٠ بولاق) والشعراء لابن قتيبة .
- (٥) ل : « ينقو » ويصح إذا قرئ بالبناء للمجهول . ومنسجم الناقة كجلس : خلفها . والغرد : ضرب من الكأة صغار ، وأراد بالأنف هنا المنقار . ط : « نقي الغراب » وصوابه في ل ، س . ل : « الغردة » .
- (٦) ط : « كم » ، صوابه في ل ، س . والمغاريد : جمع مغرود ، بالضم : لغة في الغرد .
- (٧) البيت الآتي قائله عذار بن درة الطائي . اللسان (ح ج ج) .
- (٨) وصف هذا الشاعر طبيبا يداوى شجرة بلغت أم الرأس في قعرها . تليجف أى تطلع ، كما تتليجف البئر فينتقلع طيها من أسفلها . وذلك الطيب يجرع من هو لها فالقنقى يتساقط من استه كالمغاريد . انظر اللسان (ح ج ج) والكامل ٦٤ لبيسك ، ومعجم الأدباء (١٥ : ٧٣ - ٧٤) حيث الكلام طويل في البيت . ط ، س : =

(شعر في مديح السواد)

وقالوا في مديح السّواد ، قال امرؤ القيس :

العينُ قادحةٌ واليدُ ساجحةٌ والأُذنُ مصنِعةٌ واللّونُ غريبٌ^(١)

وفي السّواد يقول ربّعةٌ أبو ذؤاب^(٢) الأسدَى ، قاتل عتيبة بن الحارث

ابن شهاب :

إنّ المودة والهوادة بيننا خلقٌ كسحقِ اليمنة المنجاب^(٣)

إلا بجيشٍ لا يكتُّ عديدهُ سُودِ الجلودِ من الحديدِ غضاب^(٤)

= « فحج » ، وصواب الرواية من ل والمراجع المتقدمة . ل : « لحن » مصحف .

ط : « قاسي الطيب » محرف . وروى : « كالغاريد » مقلوب عن « المغاريد »

المخصص (١٣ : ١٨٢) .

(١) ط ، س : « والعين » . واليد ، بالتشديد : لغة في اليد . س : « والرجل » .

(٢) كان ذؤاب قتل عتيبة بن الحارث اليربوعي في يوم خو ، وأسرت بنو يربوع

في ذلك اليوم ذؤابا ، أسره الربيع بن عتيبة بن الحارث وهو لا يعلم أنه قاتل أبيه ،

فأتى ربّعة أبو ذؤاب إلى الربيع ، فافتدى ولده بشيء معلوم ، ووعدّه أن يأتي بذلك سوق

عكاظ . وساق ربّعة الفداء إلى السوق في الموعد فلم يجد الربيع وابنه الأسير ،

وكان الربيع تخلف لغرض له ، فقدر ربّعة في نفسه أن الربيع علم بقتل أبيه فقتله

فرثاه بأبيات منها البيتان الآتيان ، وسارت عنه . فبلغت بني يربوع ، فعرفوا أنه

قاتل عتيبة فأقادوه به . ولولا ذلك لنجا . انظر الخبر في شرح التبريزي للحماسة

(٢ : ١٦٦) . والشعر والخبر فيه وفي أمالي القلي (٢ : ٧٢ - ٧٣) . وربّعة

أبو ذؤاب هو بضم الراء ، قال أبو محمد الأعرابي : « ليس في العرب ربّعة غيره »

وهو ابن عبيد بن سعد (أو هو ابن أسعد) بن جذيمة بن مالك بن نصر بن قعين .

شرح الحماسة والمؤتلف ١٢٥ ط ، س : « ربّعة بن أيوب » ، تحريف

صوابه في ل .

(٣) الهوادة : اللين . كسحق اليمنة ، أي كالثوب السحق البالي منها . اليمنة بالضم :

نوع من برود اليمين .

(٤) إلا بجيش : يقول لانهدأ إلا إذا حكمتنا الحرب . لا يكت : لا يمد ولا يحصى .

(شعر ومثل في شيب الغراب)

وفي المثل : « لا يكون ذلك حتى يشيب الغراب » . وقال العرجي :
لا يحول الفؤاد عنه بوذُّ أبدأ أو يحول لون الغراب
وقال ساعدة بن جؤيية :

شاب الغراب ولا فؤادك تارك عهد الغصوب ولا عتابك يعتب^(١)

(معاوية وأبو هوذة الباهلي)

ومما يذكر للغراب ما حدث به أبو الحسن^(٢) ، عن أبي سليم^(٣) ،
أن معاوية قال لأبي هوذة^(٤) بن شماس الباهلي^(٥) : لقد هممت أن أحمل
جمعا من باهلة في سفينة ثم أغرقهم ! فقال أبو هوذة : إذن لا ترضى باهلة
بعديهم من بني أمية ! قال : اسكت أيها الغراب الأبقع ! وكان به برص -

(١) أراد : طال عليك الأمر حتى كان مالا يكون أبدأ، وهو شيب الغراب . عن اللسان .
ط ، س : « تاركا » ولا تصح وصوابها في ل واللسان (شيب وعتب) .
و « عهد » هي في ل : « ذكرى » وفي اللسان « ذكر » . ويعتب ، بالضم
والبناء للفعل ، بمعنى يجلب إليك العتبي ، وهي الرضا ، يقول : إن عتابك في غير
طائل . وقد ضبطت في اللسان بالبناء للمفعول في الموضعين . وفسرها بقوله :
« أي لا يستقبل بعتي » .

(٢) أبو الحسن ، يريد به علي بن محمد المدائني الأخباري المعروف .

(٣) ل : « أبي سليمان » .

(٤) هذه الكلمة جاءت في الأصل بالبدال المهملة في مواضعها الثلاثة . والوجه ما أثبت .

(٥) « ابن شماس » ساقطة من ل .

فقال أبو هوذة : إنَّ للغراب [الأبقع] ربَّما درج إلى الرَّحمةِ حتى ينقرَ
دماغها ، ويقلع ^(١) عينا ! فقال يزيد بن معاوية : ألا تقتله يا أمير المؤمنين ؟
فقال : مه ! ونهض معاوية . ثمَّ وجهه بعدُ في سرية فقتل . فقال معاوية
ليزيد : هذا أخفى وأصوب !

(شعر في نقر الغراب العيون)

وقال آخر ^(٢) في نقر الغراب العيون :

أتوعد أسرتي وتركتَ حُجراً يُرِيعُ سوادَ عَيْنِهِ الغُرابُ ^(٣)

ولو لاقيتِ علباءَ بنَ جَحشٍ رَضِيتَ من الغنِيمَةِ بالإيابِ ^(٤)

وقال أبو حية - في أنَّ الغراب يسْمونه الأعرور تطيراً منه - : ١٣٣

وإذا تحلَّ فتودها بتنوفةٍ مرَّت تليح من الغُرابِ الأعرورِ ^(٥)

لأنَّها تخاف من الغربان ؛ لما تعلم من وقوعها على الدبر .

(١) س : « ويقلع » .

(٢) هو عبيد بن الأبرص يرد على امرئ القيس . انظر الخزانة (٢ : ٤٠٣ بولاق)

والعمدة (١ : ٦٥) .

(٣) يرِيع : يطلب . س « يرِيع » مصحفه .

(٤) س : « عليها » تصحيف . وفي البيت إقواء كما ترى . ومن عجيب ما روى في شأن

الإقواء : قول صاحب القاموس : « ولت قصيدة لهم بلا إقواء » ، يعنى العرب .

(٥) فتود الناقة : أدوات رحلها . والتنوفة : الفلاة . وتليح : تشفق وتحاذر . ط ،

س : « يحل فتودها » . ط : « غرت » مكان « مرت » والأولى تحريف .

(شعر فيه مدح بلون الغراب)

ومما يمدح به الشعراء بلون الغراب^(١) قال أبو حية :

غرابٌ كانَ أَسْوَدَ حَالِكِيًّا أَلَا سَقِيًّا لِذَلِكَ مِنْ غَرَابِ

وقال أبو حية^(٢) :

زَمَانَ عَلِيٍّ غَرَابٌ غَدَافٌ فَطَيْرُهُ الدَّهْرُ عَنِّي فَطَارَا

فَلَا يُبْعِدُ اللَّهُ ذَاكَ الْغَدَافَ وَإِنْ كَانَ لَاهُو إِلَّا أَدَّكَارَا^(٣)

فَأَصْبَحَ مَوْضِعُهُ بَائِضًا مُحِيطًا خِطَامًا مُحِيطًا عَدَارَا^(٤)

وقال أبو حية في غير ذلك ، وهو مما يُعدُّ للغراب :

كَأَنَّ عَصِيمَ الدَّرْسِ مِنْهُنَّ جَاسِدٌ بِمَا سَالَ مِنْ غَرَابِنَهُنَّ مِنَ الْخَطَرِ^(٥)

(١) ط ، س : « الشعر » وليست مرادة ، بل المراد الشعراء كما في ل . ط : « لون » وصوابه في ل ، س .

(٢) كذا في ل . وفي ط ، س : « وقال آخر » . وقد روى المرتضى في أماليه (٢ : ١٠٠) تسعة أبيات من قصيدة أبي حية منسوبة إليه . وقبل البيت الأول :

زَمَانَ الصَّبَا ، لَيْتَ أَيَّامَنَا رَجَمْنَا لَنَا الصَّالِحَاتِ الْقَصَارَا

(٣) كذا في الأصل . وفي أمالي المرتضى : « وإن هو لم يبق إلا ادكارا » .

(٤) بائضا ، من باض التبت : إذا صوح . ل ، س : « محيطا غدارا » .

(٥) العصيم : الدرن والوسخ والبول إذا ببس على فخذ الناقة . الدرر : الجرب أول ما يظهر .

وفي الأصل : « الورس » ووجهه ما أثبت . انظر اللسان (درس ٣٨٣) والمخصص

(٧ : ١٦٣) . وجاسد : لاصق ، وفي الأصل : « حاسد » . والخطر : بالفتح ويكسر :

ما يتلبد على أوراك الإبل من أبوالها وأبمارها .

(استطراد لغوى)

والغراب ضروب، ويقع هذا الاسم في أماكن، فالغراب^(١) حدُّ السكين
والفأس، [يقال] فأسٌ حديدة الغراب . وقال الشماخ :
فَأَنحَى عَلَيْهَا ذَاتَ حَدِّ غَرَابِهَا عَدُوًّا لِأَوْسَاطِ الْعِضَاهِ مِشَارُزُ^(٢)
المشارزة : المعادة والمخاشنة .

والغراب : حدُّ الورك ورأسه الذى يلي الظهر^(٣) ، ويبدأ^(٤) من
مؤخر الرِّدْف . والجمعُ غِرْبَان . قال ذو الرُّمَّة :
وَقَرَّبَنَ بِالزَّرْقِ الْجَمَائِلِ بَعْدَ مَا تَقَوَّبَ مِنْ غِرْبَانٍ أَوْرَاكِهَا الْخَطْرُ^(٥)
تَقَوَّبَ^(٦) : تقشر ماعلى أوراكيها من سبلحها وبولها؛ من ضرهها بأذنانها .

(١) ط : « فالغرب » ، وصوابه في ل ، س .

(٢) أنحى : أمال . وذات حد : الفأس . والعضاه : شجر عظيم . والبيت
في صفة قواس تناول فرعا وجعل يشذبه بالفأس ليصنع قوسا . ل : « علولا
لأوساط » ، صوابه في ط ، س والديوان ٤٧ .

(٣) كذا في ل . وفي ط ، س : « ورأسه الفقارة التي تلى الظهر » .

(٤) ط ، س : « تبدأ » ، ل : « ويبدو » ، وجعلته كما ترى .

(٥) الزرق : أكثية رملية بالدنهان . والجمائل ، بالخاء المهملة : جمع جمولة بالفتح ، وهي
الإبل التي تحمل . ومثل هذه الرواية في اللسان (خطر ، زرق) . ورواه
ابن سيده في المخصص (٧ ، ٢٣ ، ١٤ ، ١١٧) : « الجمائل » بالميم ، وقال
هو جمع جمال بالكسر . والخطر فسر في الصفحة السابقة .

(٦) س : « يقول » .

(غراب البين)

وكلُّ غراب فقد يقال له غراب البين إذا أرادوا به الشؤم ، أمّا غراب
البين نفسه ؛ فإنّه غرابٌ صغير . وإِنَّمَا قِيلَ لِكُلِّ غرابِ غرابِ البين ،
لِسُقُوطِهَا فِي مَوَاضِعِ مَنَازِلِهِمْ إِذَا بَانُوا عَنْهَا . قَالَ أَبُو خَوْلَةَ الرَّيَّاحِيُّ^(١) :
فليس يربوع إلى العقل فاقّةٌ ولا دنس يسودُّ منه ثيابُها^(٢)
فكيف بنوكي مالك إن كفرتم لهم هذه ، أم كيف بعدُ خطابها^(٣)
مشائم ليسوا مُصلِحينَ عشيرةً ولا ناعبٍ إلاّ بينِ غرابها^(٤)

(الوليد بن عقبة وعبد الله بن الزبير)

ومن الدليل على أنّ الغرابَ من شرارِ الطيرِ ، ما رواه أبو الحسن قال : ١٣٤
كان ابنُ الزبيرِ يقعدُ مع معاويةَ على سريره ، فلا يقدر معاويةَ أن يمتنع

(١) أبو خولة : كنية الأخصوص ، بالخاء المعجمة ، الرياحي اليربوعي ، كما في الخزانة
(٤ : ١١٩ سلفية) . ل : « أبو خولة » محرف . وفي البيان (٢ : ٢٦٠)
« أبو الأخصوص الرياحي » ، صوابه : « الأخصوص الرياحي » كما في الخزانة (٤ : ١١٨
سلفية) . وروى السيوطي في شرح شواهد المغني ٢٩٥ نسبه إلى أبي ذؤيب
الهلذلي . وقد ذكر صاحب الخزانة سبب الشعر وقصته . والأخصوص الرياحي
شاعر إسلامي .

(٢) المراد بالعقل هنا : الدينة . والرواية في الخزانة والبيان : « سوى دنس » .

و « منه » هي في الأصل « منها » وتصحيحه من البيان وشرح شواهد المغني .

(٣) أراد بمالك : بني دارم بن مالك ، وكانوا قتلوا رجلا من بني غدانة بن يربوع .

(٤) أراد بالمشائم بني مالك لابن يربوع . وفي الخزانة : « مشائم » . وأنت تراه قد جر

« ناعب » توها منه أن الباء قد دخلت على المعطوف عليه وهو « مصلحين »
فإن الباء تزداد في خبر ليس . وقد رواه سيبويه في كتابه (١ : ١٥٤ ، ٤١٨)
بالجر كما هنا . ورواه في (١ : ٨٣) ، « ولا ناعبا » على الأصل .

منه ، فقال ذات يومٍ : أما أحدٌ يكفيني ابنَ الزبير ؟ فقال الوليدُ بن عقبة :
أنا أكفيك^(١) يا أميرَ المؤمنين . فسبق فقعدَ في مقعدِهِ على السرير ، وجاء
ابنُ الزبير فقعدَ دُونَ السرير ، ثمَّ أنشد ابنُ الزبير :

تسمي أباناً بعد ما كان نافعاً وقد كان ذكوانٌ تكني أباعمر^(٢)
فانحدرَ الوليدُ حتى صار معه ، ثم قال :

ولولا حرّةٌ مهدتْ عليكم صفيّةٌ ما عددتم في النفي^(٣)
ولا عرفَ الزبيرُ ولا أبوه ولا جلسَ الزبير على السريرِ
وددنا أن أمكم غرابٌ فكنتم شرّاً طيرٍ في الطيورِ

(القواطع والأوابد)

قال أبو زيد : إذا كان الشتاء قطعت إلينا الغريبان ، أى جاءت
بلادنا^(٤) ، فهى قواطعٌ إلينا ، فإذا كان الصيف فهى راجع : والطيور
التي تتيم بأرض^(٥) شتاءها وصيفها أبدأً فهى الأوابد . والأوابد أيضاً

(١) ط ، س : « أكفيك » .

(٢) ط ، س : « يسمي » و « يكني » .

(٣) صفيّة هذه هى بنت عهد المطلب ، عمّة الرسول . وهى أم الزبير بن العوام . يقول
لولا ما أدركتم من شرف الأم ما عددتم في النفي . والعبارة تنظر إلى المثل السائر
« فلان لا في العير ولا في النفي » ، يضرب لمن لا يستصلح لأمر من الناس ، ولئن هو
صغير القدر . انظر الأسمان (نفر) وأمثال الميداني (٢ : ١٥٤ - ١٥٥) .

(٤) ل : « من بلادنا » ، تحريف .

(٥) ل : « بأرضنا » .

هي الدواهي، يقال جاءنا بأبدة . ومنها أوابد الوحش . ومنها أوابد الأشعار .
والأوابد أيضاً : الإبل إذا توحَّش منها شيء فلم يُقدَّر عليه إلا بعقر . وأنشد
أبو زيد في الأوابد (١) :

ومنهل ورددته التقاطاً (٢) طام فلم ألق به فراطاً (٣)
* إلا القطا أوابداً غطاطاً (٤) *

(صوت الغراب)

ويقال نغق الغراب ينغق نغيقاً ، بغين معجمة ، ونعب ينعب نعبياً
بعين غير معجمة . فإذا مرَّت عليه السنون الكثيرة وغلظ صوته قيل شحج
يشحج شحجاً (٥) . وقال ذو الرمة :

ومُسْتَشْحِجَاتٍ بِالْفِرَاقِ كَأَنَّهَا مَثَاكِيلٌ مِنْ صَيَابَةِ النَّوْبِ نُوحٌ (٦)
والنوبة توصف بالجزع .

-
- (١) صاحب الرجز نقادة الأسلى ، كما في اللسان (فرط ، لقط) .
(٢) التقاطاً : فجأة بدون احتساب أو رجاء .
(٣) الفراط : المتقدّمت إلى الماء . ط ، س : « فلم نلف » . اللسان : « لم أر إذ
وردته » و « لم ألق إذ وردته » . ل : « قراطاً » بالقاف ، تصحيف .
(٤) ل : « أبداً » . والغطاط ، بالفتح : الطوال الأرجل ، البيض البطون ،
الغبر الظهور ، الواسعة العيون . ورواية اللسان في الموضعين : « إلا الحمام
الورق والغطاطا » .
(٥) س : « سحج يسحج سحجاً » ، تصحيف .
(٦) يعني الغريان . س : « مستشججات » تصحيف . والصيابة ، بضم الصاد وتشديد
المياء : الصميم والحيار . س : « صيابة الثوب » وصوابه في ل ، ط ،
واللسان والمخصص (٣ : ١٥٣ ، ٤ : ٣٠ ، ٨ : ١٣٤) ومحاضرات
الراغب (٢ : ٢٦٩) .

(أثر البادية في رجال الروم والسند)

وأصحابُ الإبلِ يرغبون في أخذ النوبة والبربر والرُّوم للإبل ؛ يرون أنهم يصلحون على معاشها ، وتصلح على قيامهم عليها .

ومن العجب أن رجالاً^(١) الرُّوم تصلح في البدو مع الإبل ، ودخول الإبل بلاد الروم هو هلاكها .

فأمَّا السُّندُ فإنَّ السُّنْدِيَّ صاحبَ الحربِ^(٢) إذا صار إلى البدو ، وهو طفل ، خرجَ أفصحَ من أبي مَهْدِيَّة^(٣) ، ومن أبي مطرَّف^(٤) الغنويِّ . ولهم طبيعة في الصَّرفِ ؛ لا ترى بالبصرة صيرَفِيًّا إلاَّ وصاحب كَيْسِه^(٥) سِنْدِيٌّ .

(١) ط ، س : « حال » .

(٢) خربة السندی : ثقب شحمة أذنه . ط ، س : « الحرب » مصحفة . قال ذو الرمة من بائنه المشهورة :

كأنه جيشي يبتغي أثراً . أو من معاشر في آذانها الحرب

وقد سبقت هذه الكلمة في (٢ : ٣٤٠ ، ٣٤١) ، وفي أول رسالة فخر السودان : « خربة » وهي والخربة بمعنى .

(٣) أبو مهدي سبقت ترجمته في (٢ : ٢١٤) . س : « أبي مهية » ، تصحيف .

(٤) ل : « ومن مصرف » .

(٥) س : « كسيه » . تحريف ما في ط ، ل . وجاء في رسائل الجاحظ ٨٢ ساسي : « ومن مفاخرهم أن الصيارفة لا يولون أكيسهم وبيوت صروفهم إلا السند وأولاد السند . . . ولا يكاد أحد أن يجد صاحب كيس صيرفي ومفاتيحه ، ابن رومي ولا ابن خراساني » .

(نبوغ السند)

واشترى محمد بن السكّن ، أباروَح^(١) [فَرَجًا] السِّنْدِي ، فكسب ١٣٥ له المالَ العظيم . فَقَلَّ صيدلاني^(٢) عندنا إِلَّا وله غلامٌ سِنْدِي . فبلغوا أيضاً في البرّ بهار^(٣) والمعرفة بالعقاقير ، وفي صحّة المعاملة ، واجتلاب الحرفاء مبلغاً حسناً .

وللسند في الطبخ طبيعة ، ما أكثر ما ينجبون فيه .

وقد كان يحيى [بن خالد] أراد أن يحوّل إجراء الخيل عن صبيان الحبشان والثوبة ، إلى صبيان السند ، فلم يفلحوا فيه ، [وأراد تحويل رجال السند إلى موضع الفراشين من الروم^(٤) ، فلم يفلحوا فيه] .
وفي السند حلوق^(٥) جياد ، وكذلك بنات السند .

(١) ط ، س : « أبا رواج » ، وصوابه من ل ورسائل الجاحظ ٨١ ساسي .

(٢) الصيدلاني : بائع الأدوية ، وتبدل اللام نوناً فيقال « صيدلاني » أيضاً . وجاء في ل : « صيدلاني » .

(٣) كذا ضبطها العلامة المحقق الأب أنستاس ماري الكرمل ، وقال : المراد بها توابل بر الهند . قلت : وجاءت هذه الكلمة في رسائل الجاحظ ٨١ ساسي : « صيارفة البصرة وبنادرة البربهارات » . وانظر أنساب السمعاني ٧١ . وفي ط ، س : « البرها » ، بإسقاط الراء محرفة .

(٤) يراد بالفراش من يتمهد فراش البيت وأثاثه . انظر حول ديوان البحري ص ٣٩ .

(٥) أراد أصحاب حلوق : جمع حلق ، أي أن لهم أصواتاً حسنة . ل : « أخلاق » تحريف . وجاءت مثل هذه العبارة في رسائل الجاحظ ٦٣ ، قال : « وليس في الأرض أحسن حلوقاً منهم » وفي ص ١١٨ : « ومن مفاخر الزنج حسن الحلق وجودة الصوت » .

(استطراد لغوى)

والغراب يسمّى أيضاً حاتماً . وقد عَوفَ بن الخرج^(١) :

ولكنّنا أهجّو صنّى بن ثابت مَثَبَجَةً لانت من الطيرِ حاتماً^(٢)

وقال المرقش ، من بنى سدّوس^(٣) :

ولقد غَدَوْتُ وَكُنْتُ لَا أَغْدُو عَلَى وَاقٍ وَحَاتِمٍ

[فَإِذَا الْأَشَامُ كَالْأَيَا مِنْ وَالْأَيَامِنْ كَالْأَشَامِ]

وكذلك لَا خَيْرٍ وَلَا شَرٌّ عَلَى أَحَدٍ بَدَامٌ]

(١) هو عوف بن عطية بن الخرج (وزان كنف) التيمى ، نسبة إلى تيم بن عبد مناة ، شاعر جاهلى . الخزانة (٣ : ٨٢ بولاق) . فى الأصل . « الجزع » تصحيف ، صوابه فى القاموس (خرج) والخزانة والمفضليات ، وقد اختار له المفضل الضبى فى ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٤١٢ ثلاث قصائد حسان .

(٢) المثبجة : البوم ، كما فى القاموس . ط ، س : « منبحة » ، وفى ل : « منبحة لاقته من الطير » ، صوابه من الأصمعيات ١٦٩ .

(٣) بدله فى ط ، س : « وقال آخر » . وتجد الشعر منسوباً إلى المرقش فى عيون الأخبار (١ : ١٤٥) وتأويل مختلف الحديث ١٢٩ . ولم يعين المراد أهو المرقش الأصغر أم الأكبر ، لكن إطلاقه يرجح أنه الأصغر فإنه « أشمرها وأطولها عمراً » . معجم المرزبانى ٢٠١ . وتجد الشعر فى حاسة البحترى ٢٥٥ ممزواً إلى المرقم الذهل ، وهو خنز بن لوزان كما فى المؤلف ١٠٢ حيث توجد هذه النسبة أيضاً . والشعر بدون نسبة فى أمالى القالى (٣ : ١٠٦) وزهر الآداب . (٢ : ١٦٩) .

وأُشْدُّ لُحَيْمِ بْنِ عَدِيِّ (١) :

وليس بهيَّابٍ إذا شدَّ رحلَه
ولكنه يمضي على ذلك مُقَدِّمًا (٢)
وَأُلْحَارِمُ : هو المتطيرُ (٤) من الرجال . وأما قوله : « واقٍ وحاتمٌ »
فحاتم هو الغراب ، والواقى هو الصُّرْدُ ؛ كأنه يرى أن الزجر بالغراب إذا اشتقَّ
من اسمه الغربة (٥) ، والاغتراب ، والغريب ، فإن ذلك حتم . ويشتق من
الصُّرْدِ التصريد (٦) ، والصُّرْدُ [و] هو البرد . [ويدلُّ (٧)] على ذلك قوله :
دعا صرْدٌ يوماً على غصنٍ شوَّحَطِ
وصاح بذاتِ البينِ منها غرابها (٨)
فقلتُ : أتصريدٌ وشحطٌ وغربةٌ
فهذا لعمري نأياً واغترابها (٩)

(١) كذا على الصواب في ل والاقْتضاب ٣٥٤ واللسان (وق ، وحتم ،
وخنرم) . ويعرف أيضاً بالرفاصر الكلبى ، كما نقل مصحح اللسان عن التكملة . وق
ط ، س : « لحاتم بن عدى » ، وهو تحريف . يمدح بالشعر مسعود بن بحر
الزهرى . وقبله :

وجدت أباك الخير بجرأ بنجوة بناها له مجدأ أشم قاقم
(٢) عداني : منعى عن المضى إلى ما أتصد . والواقى ، كالتقاضى : الصرد ، وهو طائر
أبقع ضخم الرأس ضخم المنقار شديده ، فوق العصفور ويصيد المصافير ، غذاؤه
من اللحم .

(٣) عن تلك الهنات : أى بسبب تلك الأمور . ط ، س : « الهنأة » ، صوابها في ل
واللسان والاقْتضاب والمخصص (١٣ : ٢٥) وتأويل مختلف الحديث ١٢٨ .
واللحارم ، يضم الخاء ويروى بفتحها . فالأول مفرد والثاني جمع ، مثله جوائق
وجوائق ، وقرقر وقرقر ، وعذافر وعذافر .

(٤) ط ، س : « المتكبر » ، وصوابه في ل واللسان والقاموس وتأويل مختلف الحديث ١٢٨ .

(٥) ط ، س : « عن اسمه الغرابة » بحرفة .

(٦) التصريد : التقليل ، وفي السق : دون الرى .

(٧) الزيادة من ل ، س .

(٨) الشوحط : شجر تتخذ منه القسي . وفي زهر الآداب (٢ : ١٦٨) : « على

غصن بانه » ، ولا يستقيم هذا مع البيت الآتى . ط ، س : « فيها » ، وصوابه
من ل وزهر الآداب . وضمير « منها » للحبيبية .

(٩) التصريد فسر قريباً . والشحط : البعد .

[فاشتقَّ التَّضْرِيدَ مِنَ الصُّرْدِ ، وَالْغُرْبَةَ مِنَ الْغُرَابِ ، وَالشَّحْطَ مِنَ الشُّوْحَطِ] .

ويقال أُغْرِبَ الرَّجُلُ : إذا اشتدَّ مرضه ، فهو مُغْرَبٌ ^(١) .
قال : والعنقاء المغرب ، العقاب ؛ لأنها تجيء من مكان بعيد .

(أصل التطير في اللغة)

قال : وأصل التطير إنما كان من الطير [و] من جهة الطير ، إذا مرَّ بارحاً [أ] و سائحاً ^(٢) ، أو رآه يتفلى وينتف ، حتى صاروا إذا عاينوا الأعرور من الناس أو البهائم ، أو الأعضب أو الأبتَر ، زجروا عند ذلك وتطيروا عندها ، كما تطيروا من الطير إذا رأوها على تلك الحال . فكان زجر الطير هو الأصل ، ومنه اشتقوا التطير ؛ ثم استعملوا ذلك في كل شيء .

(أسماء الغراب)

والغراب لسواده إن ^(٣) كان أسود ، ولاختلاف لونه إن ^(٣) كان أبقع ، ولأنه غريب يقطع إليهم ^(٤) ، ولأنه لا يوجد في موضع خيامهم

(١) ل : « أغرب على الرجل » وليس مراداً ، في القاموس : أغرب عليه : صنع به صنع قبيح . ط ، س : « اشتد ضحكك » ، وهو تحريف صوابه في ل ؛ في القاموس : « أغرب بالضم : اشتد وجهه » .

(٢) البارح : مامر من ميامنك إلى مياسرك . والسائح عكسه . وكان يتشاهم بالأول ويتيهم بالثاني عند أهل نجد ، وكان أهل الحجاز يتفاهلون بالأول ويتشاهمون من الثاني .

(٣) ل : « إذا » .

(٤) ط : « لا يقطع » تحريف ، وانظر ما سبق في ص ٤٣٢ .

يَتَقَمَّم ، إِلَّا عِنْدَ مَبَايِنَتِهِمْ لِمَسَاكِنِهِمْ ، وَمَزَايِلَتِهِمْ لِدُورِهِمْ ؛ وَلِأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ ١٣٦
مِنَ الطَّيْرِ أَشَدَّ عَلَى ذَوَاتِ الدَّبْرِ مِنْ إِبْلِهِمْ مِنَ الْغُرَبَانِ ، وَلِأَنَّهُ حَدِيدُ الْبَصْرِ
فَقَالُوا عِنْدَ خَوْفِهِمْ مِنْ عَيْنِهِ « الْأَعْوَرُ » . كَمَا قَالُوا : « غَرَابٌ » لِأَغْرَابِهِ وَغُرْبَتِهِ
« وَغَرَابُ الْبَيْنِ » ؛ لِأَنَّهُ عِنْدَ بَيْنُونَتِهِمْ يُوجَدُ فِي دُورِهِمْ .

وَيُسَمُّونَهُ « ابْنَ دَايَةِ » ؛ لِأَنَّهُ يَنْقُبُ عَنِ الدَّبْرِ حَتَّى يَبْلُغَ إِلَى دَايَاتِ الْعُنُقِ
وَمَا اتَّصَلَ بِهَا مِنْ خُرْزَاتٍ (١) الصُّلْبِ ، وَفَقَارِ الظَّهْرِ .

(مِرَاعَاةُ التَّفَاوُلِ فِي التَّسْمِيَةِ)

وَلِلطَّيْرَةِ (٢) سَمَّتِ الْعَرَبُ الْمُنْهَوِشَ بِالسَّلِيمِ ، وَالْبَرِّيَّةَ بِالْمَفَازَةِ ، وَكُنُوا
الْأَعْمَى أَبَا بَصِيرٍ ، وَالْأَسْوَدَ أَبَا الْبَيْضَاءِ ، وَسَمَّوْا الْغُرَابَ بِحَاتِمٍ ؛ إِذْ كَانَ
يَحْتَمُ الزَّجْرَ بِهِ عَلَى الْأُمُورِ . فَصَارَ تَطْيِيرُهُمْ مِنَ الْقَعِيدِ وَالنَّطِيحِ (٣) وَمِنْ جَرْدِ
الْجِرَادِ (٤) ، وَمِنْ أَنَّ الْجِرَادَةَ (٥) ذَاتُ أَلْوَانٍ ، وَجَمِيعَ ذَلِكَ - دُونَ
التَّطْيِيرِ بِالْغُرَابِ .

(١) الخرزات : جمع خرزة ، بالضم وتجمع أيضاً على خرز ، كغرف ، وهي ما بين
الفقرات . ط : « خرزان » ، وصوابه في ل ، س . وانظر ماسبق من الكلام
على ابن داية في ص ٤١٥ .

(٢) الطيرة : ما يتشام به من الفأل الرديء .

(٣) القعيد : ما جاء من ورائك من ظبي ، أو طائر . والنطيح : ما جاء من أمامك
من الطير والوحش .

(٤) ل : « وجراد الجراد » .

(٥) ط ، س : « الجراد » .

(ضروب من الطيرة)

ولإيمان العرب بباب الطيرة [والفأل] عقّدوا والرتائم^(١) ، وعشّروا
إذا دخلوا القرى تعشيرَ الحمار^(٢) ، واستعملوا في القيداح الأمر ، والناهى ،
والمتربص^(٣) . وهنَّ غيرُ قَداح الأيسار .

(قاعدة فى الطيرة)

ويَدُلُّ على أنهم يشتقون من اسم الشيء الذى يعاينون ويسمعون ، قولُ
سوّار بن المضرب^(٤) :

تغنى الطائران بين ليلى على غصنين من غرب وبانٍ

(١) الرتائم : جمع رتيمة : وهى أن يمدد الرجل إذا أراد سفرا شجرتين أو غصنين
ويقول: إن رجيع وهما على حالهما كانت زوجته محتفظة بوفائها ، وإلا فلا . أو هى
خيوط يشد على الإصبع تستذكر به الحاجة . والمعنى الأول هو المراد فى
الطيرة والفتال .

(٢) حشر الحمار : تابع النهيق عشر نهقات ووالى بين عشر ترجيعات فى نهيقه .
وكانوا يزعمون أن من قرب أرضا وبثه فوضع يده خلف أذنه وعشر ثم دخلها
أمن الوباء . قال عروة فى ديوانه من مجموع خمسة الدواوين ص ٩٩ :

لعمري لئن عشرت من خشية الردى نهاق الحمير لئننى لجزوع

ويظهر أن أصله عادة لليهود من العرب ، كما قال عروة :

وقالوا أحب وانهى لا تضيرك خبير وذلك من دين اليهود ولوع

(٣) تحدث ابن قتيبة فى كتاب الميسر ٣٩ - ٤٠ عن الأمر والناهى ولم يذكر
« المتربص » .

(٤) قال التبريزى : « مضرب بفتح الراء ، أى ضرب مرة بعد مرة » وقد ذكره =

فكان البان أن بانَّت سُلَيْمَى وفي الغَرْب اغْتَرابٌ غيرُ دانِ
فاشتقَّ كما ترى الاغْتَراب من الغَرْب ، والبيئونة من البان .

وقال جرّان العود :

جَرَى يوم رُحْنَا بالجمال نُزِفْهَا عُقَابٌ وشَحَّاجٌ من البين يَبْرَحُ^(١)

فأمَّا العُقَاب فهى منها عقوبةٌ وأمَّا الغُرَاب فالغَرِيبُ المطوَّحُ^(٢)

فلم يجد في العُقَاب إلاَّ العقوبة . وجعل الشَّحَّاجُ^(٣) هو الغراب البارح

وصاحب البين ، واشتقَّ منه الغريب المطوَّح .

ورأى السَّمهرى^(٤) غراباً على بانهٍ ينتف ريشه ، فلم يجد في البان إلاَّ

البيئونة ، ووجد في الغُرَاب جميعَ معانى المكروه ، فقال :

رأيتُ غراباً واقِعاً فوق بانهٍ يُنتَفِ أعلى ريشه ويُطَايرُهُ^(٥)

= صاحب المؤلف فقال : « سوار بن المضرب السمدى أحد بني ربيعة بن كعب
ابن زيد مائة بن تميم ، الشاعر المشهور ، القائل :

وإني لا أزال أخا حروب إذا لم أجن كنت مجن جاني »

ط ، س : « بشار بن المضرب » صوابه في ل . والشعر في عيون
الأخبار (١ : ١٤٩) منسوب إلى المملوط ، وفي الكامل ٨٤ لبيسك ونثار الأزهار
٧٥ إلى جندر العكلى . وانظر أمالي القائل (١ : ٢٨١ - ٢٨٢) .

(١) ل والشعراء ٦٩٧ : « يوم جئنا » . نزلها : نخبها على السير السريع ، يقال
أزفه : حمله على الزفيف . ط ، س : « يزفها » ، وأثبت ما في ل والديوان ٣
والشعراء .

(٢) المطوَّح : البعيد .

(٣) ط : « السحاج » ، وصوابه في ل ، س . شحج : نطق .

(٤) كذا في ل وهو المطابق لما في شرح التبريزى للحاسة ١ : ٢١١ . وهو السمهري بن بشر
العكلى . وفي ط ، س : « السهمى » ، تحريف . والمعروف نسبة هذه الأبيات إلى كثير
عزة في قصة طويلة تجدها في زهر الآداب (٢ : ١٦٩) ومحاسن اليبقى (٢ : ٢٢ -
٢٣) والمستطرف (٢ : ١٦٩) وعيون الأخبار (١ : ١٤٧) والشريشى
(٢ : ٢١٥) .

(٥) الرواية في الخصاص (٨ : ١٣١) وشرح التبريزى للحاسة : « ينشش أعلى ريشه »
نشش ريشه : نشفه فألقاه .

فقلتُ ، ولو أنى أشاء زَجَرْتُهُ بنفسى ، للهنديّ: هل أنتَ زاجرُهُ (١)
 فقال : غرابٌ باغتراب من النوى وبالبن بين من حبيب تعاشرُهُ (٢)
 فذكر الغرابَ بأكثر مما ذكر [به] غيرُهُ ، ثم ذكر بعدُ شأنَ الرّيش
 وتطايَره . وقال الأعشى :

ما تعيف اليومَ فى الطيرِ الرّوحُ من غرابِ البينِ أو تيسِ برحٍ (٣)
 فجعل التيس من الطير ، إذ تقدّم ذكر الطير ، وجعله من الطير
 فى معنى التطير .

وقال النّابغة :

١٣٧ زعمَ البوارحُ أنّ رحلتنا غداً وبذاك خبرنا الغرابُ الأسودُ

وقال عنتره :

ظنّ الذين فراقهم أتوقّع وجرى بيبيهم الغرابُ الأبقعُ
 حرقُ الجناحِ كأنّ لحى رأسه جلمانٍ بالأخبارِ هسّ مولعٌ (٤)

(١) الهندي : رجل من بني نهد ، وهم من أجزر العرب ، كان لى كثيراً فى الطريق
 وزجر له ، أى تكهن . ط : « للهندي » تحريف .

(٢) كذا فى ل والمراجع المتقدمة ، خلا زهر الآداب ، فقيه : « تجاوره » .
 وفى ط ، س : « نحاذره » ، أى نحاذر البين .

(٣) ط : « نعيف » س : « يعيف » ، والرواية ما أثبت من ل واللسان (روح
 عيف) ، والمخصص (٩ : ٥٧) ، ومحاسن البيهقي (١ : ٩٩)
 وتمعيف : من العيافة وهى الزجر والتطير . والروح بالتحريك : اسم جمع لرائح
 أو أراد الروحة مثل الكفرة فطرح الهاء ، كما فى المخصص . والبيت صدر قصيدة
 للأعشى فى ديوانه ١٥٩ يمدح بها إياس بن قبيصة الطائي . وانظر قصة الشعر فى محاسن البيهقي .

(٤) ط ، س : « حرق » ، تصحيف . وقد أسلفت القول على هذا البيت
 فى (١ : ٣٤) .

فَزَجَرْتُهُ أَلَّا يُفْرِّخَ بِيضُهُ (١) أَبَدًا وَيُصْبِحَ خَائِفًا يَتَفَجَّعُ
إِنَّ الَّذِينَ نَعَبْتِ (٢) لِي بِفِرَاقِهِمْ هُمْ أَسْهَرُوا لَيْلَ التَّمَامِ فَأَوْجَعُوا (٣)
فَقَالَ : « وَجَرَى بَيْنَهُمُ الْغَرَابُ » لِأَنَّهُ غَرِيبٌ ، وَلِأَنَّهُ غَرَابُ الْبَيْنِ ،
وَلِأَنَّهُ أَبْقَعَ . ثُمَّ قَالَ : « حَرَقَ (٤) الْجَنَاحَ » تَطِيرًا أَيْضًا مِنْ ذَلِكَ . ثُمَّ جَعَلَ
لِحَيِّ رَأْسِهِ جِلْمَيْنِ ، وَالْجِلْمَ يَقْطَعُ . وَجَعَلَهُ بِالْأَخْبَارِ هَشًّا مُوَلِّعًا ، وَجَعَلَ نَعِيْبَهُ
[وَ] شَحِيحَةً كَالخَبْرِ الْمَفْهُومِ .

(التَّشَاؤْمُ بِالْغَرَابِ)

قَالَ : فَالْغَرَابُ أَكْثَرُ مِنْ جَمِيعِ مَا يُتَطَيَّرُ بِهِ فِي بَابِ الشُّؤْمِ . أَلَا تَرَاهُمْ
كَلَّمَا ذَكَرُوا مِمَّا يُتَطَيَّرُونَ مِنْهُ شَيْئًا ذَكَرُوا الْغَرَابَ مَعَهُ !؟
وَقَدْ يَذْكُرُونَ الْغَرَابَ وَلَا يَذْكُرُونَ غَيْرَهُ ، ثُمَّ إِذَا ذَكَرُوا كَلَّ وَاحِدٍ
مِنْ هَذَا الْبَابِ لَا يُمْكِنُهُمْ أَنْ يَتَطَيَّرُوا مِنْهُ إِلَّا مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ ، وَالْغَرَابُ كَثِيرٌ
الْمَعَانِي فِي هَذَا الْبَابِ ، فَهُوَ الْمَقْدَمُ فِي الشُّؤْمِ .

(١) ط : « طيره » . وفي الديوان ١٥٧ : « عشه » . والبيت ساقط من ل .

(٢) س : « نعيت » ، تصحيف .

(٣) ليل التمام : الشديد الطول . وهذه رواية ط ، س والديوان . وفي ل :

« ليل التمام » وكلاهما صحيح . وفي حديث عائشة : « كان يقوم

الليلة التمام » .

(٤) ط ، س : « حرق » ، وصوابه في ل . وانظر التنبيه الرابع من الصفحة السابقة .

(دفاع صاحب الغراب)

قال صاحبُ الغراب : الغرابُ وغير الغراب في ذلك سواءٌ . والأعرابيُّ
إن شاء اشتقَّ من الكلمة ، وتَوَهَّمَ فيها الخَيْرَ ، وإن شاء اشتقَّ
منها الشرَّ .

وكلُّ كلمةٍ تحتمِلُ وجوهاً .

ولذلك قال الشاعر :

نظرتُ وأحصاني ببطن طويلع ضُحياً وقد أفضى إلى اللَّبِّبِ الحَبْلُ^(١)
إلى ظبيةٍ تَعَطُّو سَيْالاً تَصَوَّرُهُ يجاذبها الأفتان ذو جُددِ طفِل^(٢)
فقلتُ وعِفتُ : الحبلُ حبلٌ وصالها تجذُّذ من سِلماك وانصرم الحبلُ^(٣)
وقلتُ : سيال ! قدَّ تسلَّتْ مودتي . تصورُ غُصُوناً ! صار جِئانها يعلو^(٤)

(١) ل : « وقد جاوزت بطن طويلع » . الحبل : الرمل المستطيل . واللبي : ما كان
قريباً من حبل الرمل . يقول : وقد جزنا الحبل إلى اللبي . ويصح أن يراد لبب
الناقة وحبلها ، وأن الحبل قطع حتى صار إلى اللبي . ط ، س : « إلى اللبي
الحبل » ، ووجهه ما في ل .

(٢) السيال ، كسحاب : ضرب من الشجر تحبه الظباء . تصوره : تميله . الجدد :
الخطوط والعلامات . س : « ذو حرحر » . ل : « ذو جدل » ، تحريف
ما في ط .

(٣) عفت ، من العيافة والزجر . تجذذ : تقطع . ط ، س : « تجدد » ، يقال جده
قطعه . سِلماك : نسب سلمى الحبيبة إليه . س : « ساماك » . ل : « سامال »
صوابه ما أثبت من ط . ل : « وانصرم الوصل » .

(٤) ط : « سيالا » ، خطأ .

وَعِنْتَ الْغَرِيرَ الطِّفْلَ طِفْلاً أَنْتَ بِهِ
فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي: مَضِيئُكُمْ جَهْلٌ^(١)
رُجُوعِي حَزْمٌ وَامْتِرَائِي ضِلَّةٌ
كَذَلِكَ كَانَ الرَّجْرُ يُصَدِّقُنِي قَبْلُ^(٢)
وقال ابن قيس الرُّقِيَّاتِ :

بَشَرَ الظَّبْيُ وَالْغُرَابُ بَسْعَدَى
مَرَحِبًا بِالذِي يَقُولُ الْغُرَابُ
وقال آخر^(٣) :

بَدَا إِذْ قَصَدْنَا عَامِدِينَ لِأَرْضِنَا
سَنِحٌ فَقَالَ الْقَوْمُ: مَرَّ سَنِحٌ^(٤)
وَهَابَ رِجَالٌ أَنْ يَقُولُوا وَجَمَّعُوا
فَقُلْتُ لَهُمْ: جَارٍ إِلَى رِيحٍ^(٥)
عُقَابٌ بِإِعْقَابِ مِنَ الدَّارِ بَعْدَ مَا
مَضَتْ نِيَّةٌ لِاتِّسْطَاعِ طَرُوحٍ^(٦) ١٣٨
وَقَالُوا: دَمٌّ! دَامَتْ مَوَدَّةٌ بَيْنَنَا
وَعَادَ لَنَا غَضُ الشَّبَابِ قَرِيحٌ^(٧)
وَقَالَ: صَحَابِي: هُدُهُدٌ فَوْقَ بَانَةَ!
هُدَى وَبَيَانٌ فِي الطَّرِيقِ يَلُوحُ
وَقَالُوا: حَمَامَاتٍ! فَحُمٌّ لِقَاؤُهَا
وَطَلَحُ! فَنَيْلَتِ وَالْمَطَى طَلِيحٌ^(٨)

(١) ط : « الطفل طفل » صوابه في ل ، س . توقع أنها زوجت وولدت فانقطع
أمله من ودها .

(٢) الامتراء : الشك . والصلة بالكسر : الضلال ، وبالفتح : الحيرة . س : « خلة » .

(٣) هو أبو حية النخري . زهر الآداب (٢ : ١٦٧ - ١٦٨) والشريشي (٢ : ٢١٥) .

(٤) ط ، س : « لأهلها » ، وأثبت ما في ل وزهر الآداب . السنيح : ما جاء
من المياسر إلى الميامن .

(٥) الجمجمة : الأيبين المرء كلامه . ل : « ورجعوا » وجار ، من الجرى .

(٦) الإعقاب : التبدل . يقول : سيبدلون الدار . ط ، س : « النار » ، وصوابه في ل
وزهر الآداب . ونية طروح : بعيدة .

(٧) س : « قريح » ل : « غض الشباب قديح » ، ولم أهتمد إلى الوجه في ذلك .
وفي زهر الآداب : « ودام لنا حلوا الصفاه صريح » .

(٨) حم : قدر وقضى . المطى : الإبل . طليح : أعياء السفر . ط ، س :
« فزرت » وأثبت ما في ل ومحاسن البيهقي (٢ : ٢٤) .

قالوا : فهو إذا شاء جعل الحمام من الحمام والحميم والحمي . وإن شاء قال : « وقالوا حمامات فحمم لقاؤها » . وإذا شاء اشتق (١) البين من البان . وإذا شاء اشتق منه البيان (٢) .
وقال آخر (٣) :

وقالوا : عقاب ! قلت عُقْبَى من الهوى دنت بعد هجرٍ منهم ، ونزوح (٤)
وقالوا : حمامات ! فحمم لِقَاوُهَا وعادَ لنا حُلُو الشَّبابِ رَبِيح (٥)
وقالوا : تَخَنَى هدهدٌ فوقَ بانه ! فقلتُ : هُدَى نغدو به ونرُوح
ولو شاء الأعرابي [أن يقول (٦)] إذا رأى سوادَ الغراب : سواد
سودد ، وسواد الإنسان : شخصه ، وسواد العراق : سف نخله ، والأسودان
الماء والتمر ، وأشباه ذلك — لقاله .

قال : وهؤلاء بأعيانهم الذين يصرفون الزجر كيف شاءوا ، وإذا لم يجدوا من وقوع شيء بعد الزجر بُدًا — هم الذين إذا بدا لهم في ذلك بداء (٧) أنكروا الطيرة والزجر البتة .

(١) ط ، : « اشتق » ، وصوابه في ل .

(٢) يشير إلى البيت الخامس من الأبيات السابقة .

(٣) كذا جاء . والحق أنه من القصيدة الأولى ، وأنه رواية أخرى في بعض أبياتها .

(٤) النزوح : البعد .

(٥) ل : « وقالوا حمام قلت حم لقاؤها » .

(٦) الزيادة من س .

(٧) بدا له في الأمر يلجوا ، وبداء ، وبدأ ، وبداءة ، نشأ له فيه رأى . ط : « بدا له »

محرقة . س : « بدا » ، وأثبت ما في ل .

(تطير النابغة وما قيل فيه من شعر)

وقد زعم الأصمعيُّ أنَّ النَّابِغَةَ خرج مع زَبَّانِ بْنِ سَيَّارٍ (١) يريدان الغزوة،
فبينما هما يريدان الرحلة إذ نظر النَّابِغَةُ وإذا على ثوبه جرادَةٌ تجرد ذاتُ
ألوان ، فتطيرُ وقال : غيرى الذى خرجَ فى هذا الوجه ! فلما رجع زَبَّانُ
من تلك الغزوة سالماً غانماً ، قال :

تخَبَّرَ طَيْرُهُ فِيهَا زِيَادٌ لتخْبِرَهُ وَمَا فِيهَا خَيْرٌ (٢)
أَقَامَ كَأَنَّ لِقْمَانَ بْنَ عَادٍ أَشَارَ لَهُ بِحُكْمَتِهِ مُشِيرٌ
تَعَلَّمَ أَنَّهُ لَا طَيْرَ إِلَّا عَلَى مَطِيرٍ وَهُوَ الثُّبُورُ
بَلَى شَيْءٌ يُوَافِقُ بَعْضَ شَيْءٍ أَحْيَيْنَا وَبَاطَلَهُ كَثِيرٌ (٣)

فزعم كما ترى زَبَّانُ - وهو من ذهاة العرب وساداتهم - أنَّ الذى
يجِدونه إنما هو شَيْءٌ من طريق الاتفاق ، وقال :

تَعَلَّمَ أَنَّهُ لَا طَيْرَ إِلَّا عَلَى مَطِيرٍ وَهُوَ الثُّبُورُ

(١) هو زببان بن سيار بن عمرو الفزاري ، ذكره ابن قتيبة في المعارف ٥١ . وهو
صهر للنابغة ، قال في شعر له :

ألا من مبلغ عنى خزيمًا وزبان الذى لم يرع صهرى
وكانت أخت هرم بن سنان تحت زبان . ط ، ل : « يسار » ، وصوابه فى س
والحيوان (٥ : ٥٥٥) والبيان (٣ : ٣٠٤) .

(٢) تخبر طيره : سألتها أن تخبره . ط : « تخبر طيره » ، س : « تخبر طيره » ، والطيرة
بالكسر الاسم من تطير . وزياد هو النابغة ، ابن معاوية اللذبياني .

(٣) كذا فى ل والبيان (٣ : ٣٠٥) والحيوان (٥ : ٥٥٥) والعمدة (٢ :
٢٠٢) والمستطرف (١ : ٨٤) وعيون الأخبار (١ : ١٤٦) . وفى ط :
« وأحيانا » . وفى س : « وأحيانا رداك » ، وما فى س محرف .

وهذا لا ينقض الأول من قوله : أما^(١) واحدة فإنه إن جعل ذلك من طريق العقاب للمتطير^(٢) لم ينقض قوله في الاتفاق . وإن ذهب إلى أن مثل ذلك قد يكون ولا يشعر به اللأهي عن ذلك والذي^(٣) لا يؤمن بالطيرة ، فإن^(٤) المتوقع فهو في بلاء مادام متوقعا . وإن وافق بعض المكروه جعله من ذلك .

(تطير ابن الزبير)

ويقال إن ابن الزبير لما خرج مع أهله من المدينة إلى مكة ، سمع بعض إخوته ينشد :

وكلُّ بني أمِّ سيمسون ليلَةً ولم يبتق من أعيانهم غيرُ واحدٍ
فقال لأخيه : مادعاك إلى هذا ؟ قال : أما إني ما أردته ! قال : ذلك أشدُّ له .

وهذا منه إيمان شديد بالطيرة كما ترى .

(١) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « إلا » .

(٢) س : « للتطير » .

(٣) ل : « وأنه » محرف .

(٤) في الأصل : « فأما » .

(بعض من أنكر الطيرة)

ومَن كان لا يرى الطيرة شيئاً^(١) المرقش ، من بنى سدوس ، حيث قال :

[إني غدوت وكنت لا أغدو على واق وحاتم]
فإذا الأشائم كالأيا من والأيامن كالأشائم
فكذلك لا خيرٌ ولا شرٌّ على أحدٍ بدائم^(٢)

قال سلامة بن جندل^(٣) :

ومَن تعرَّض للغربان يزجرها على سلامته لا بدَّ مشنوم
ومَن كان ينكر الطيرة ويوصى بذلك ، الحارث بن حلزة ، وهو قوله -
قال أبو عبيدة : أنشدتها [أبو] عمرو ، وايست إلا هذه الأبيات ، وسائر
القصيدة مصنوع مولد - وهو قوله :

يا أيها المزمع ثم انثنى لا يثنيك الحازي ولا الشاحج^(٤)

(١) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « ومن كان لا يرى الطير » .

(٢) سبقَت الأبيات والقول فيها ص ٤٣٦ .

(٣) كذا والصواب أن البيت لملقمة الفحل كما في أمال المرتضى (٣ : ٣٧) والديوان
١٣١ من قصيدته التي مطلعها :

هل ما علمت وما استودعت مكتوم أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم

(٤) الحازي : زاجر الطير ، أو الكاهن . ط ، س : « الحادي » محرف .
والشاحج : الغراب يشجع بصوته .

ولا قعيد أعضب قرنه^(١) هاج له من مربع هائج^(٢)
بيننا الفتى يسعى ويسعى له تاح له من أمره خاليج^(٣)
يرك مارقق من عيشه يعيث فيه همج هامج^(٤)
[لانكسع الشول بأغبارها إنك لا تدري من الناتج^(٥)

وقال الأصمعي : قال سلم بن قتيبة^(٥) : أضللت ناقه لى عشاء ،
وأنا بالبدو^(٦) ، فخرجت فى طلبها ، فتلقانى رجلٌ بوجهه شينٌ من حرّ
النار ، ثمّ تلقانى رجلٌ أخذ بخظام^(٧) بعيره ، [وإذا]^(٨) هو ينشد :
فلنّ بعيث له البغاة فإ البغاة بواجديننا^(٩)

- (١) القعيد : ما جاء من ورائك من طير أو طائر . والأعضب : المكسور القرن . ل :
والبيان (٣ : ٣٠٣) : « من مرتع » . س : « مربع » محرفة .
(٢) تاح : قدر ، أو تهايا . والخالج : الموت يختلج المرء وينتزعه .
(٣) رقع : أصلح . ط ، س : « يعيش فيه » وأثبت ما فى ل واللسان والبخلاء
١٣٨ . وفى البيان : « يعيث فيه » .
(٤) الكسع : ضرب الماء على الضرع ليرتفع اللبن فتسمن الناقة ، أو يسمن أولادها
فى بطنها . والشول ، بالفتح : جمع سائلة ، وهى التى أتى عليها من حملها ، أو وضعها
سبعة أشهر فخف لبنها . والغبر بالضم : بقية اللبن فى الضرع . انظر السكامل
٢١٣ ليبسك وأمثال الميدانى (١ : ٣٣٦) .
(٥) سلم بن قتيبة بن مسلم ، كان واليا على خراسان أيام هشام بن عبد الملك . وأبوه قتيبة
ابن مسلم كان واليا عليها زمن الحجاج . تهذيب التهذيب وجمهرة أنساب العرب لابن
حزم ٢٤٦ . ط : « سلام بن قتيبة » وفى سائر النسخ : « مسلم بن قتيبة » ، تحريف .
والقصة الآتية فى تأويل مختلف الحديث ١٢٩ وسندها : « أبو حاتم قال نا الأصمعي عن
سيد بن مسلم عن أبيه » ، صوابه « بن مسلم » .
(٦) فى تأويل مختلف الحديث : « وأنا بالطف » . والطف : ما أشرف من أرض العرب على
ريف العراق .
(٧) ط ، س : « آخر » صوابه فى ل . والرجل هو هاني بن عبيد من بنى وائل
كما فى تأويل مختلف الحديث .
(٨) من س .
(٩) البغاة : جمع باغ ، وهو هنا الذى يطلب الشيء ويبحث عنه . ل : « بعثت له » . وقد نسب
البيت فى عيون الأخبار ١ : ١٤٥ إلى ليبيد .

ثم من بعد هذا كله ، سألت عنها بعضَ من لقيته ، فقال لي : التمسها عند تلك النار . فأتيتهم فإذا هم قد نتجوها حُورًا^(١) ، وقد أوقدوا لها نارًا فأخذتُ بخططها وانصرفتُ .

(النَّظَامُ وَعَدَمُ إِيمَانِهِ بِالطَّيْرَةِ)

وأخبرني أبو إسحاق إبراهيم بن سيَّار النَّظَامُ قال : جئتُ حتى أكلت الطين ، وما صرتُ إلى ذلك حتى قلبت قلبي^(٢) أتذكر: هل بها رجلٌ أصيبُ عنده غَدَاءٌ أو عَشَاءٌ^(٣) ، فما قدرت عليه . وكان عليَّ جُبَّةٌ وقيصان ، فزعمتُ القميصَ الأسفلَ فبعته بدرهمات ، وقصدتُ إلى فُرْصَةٍ الأهواز ، أريد قصبَةَ الأهواز ، وما أعرف بها أحدا . وما كان ذلك إلا ١٤٠ شيئًا^(٤) أخرجهُ الضَّجَرُ وبعضُ التعرُّض . فوافيتُ الفُرْصَةَ فلم أصبُ فيها سفينةً ، فتطيرتُ من ذلك . ثم إنى رأيتُ سفينةً في صدرها خرْقٌ وهشم فتطيرتُ من ذلك أيضًا ، وإذا فيها حمولة ، فقلت للملاح : تحملني ؟ قال : نعم قلت : ما اسمك ؟ قال : « داوداذا^(٥) » ، وهو بالفارسية الشَّيْطَانُ ، فتطيرتُ من

(١) الحوار ، بالضم ويكسر : ولد الناقة حين تضعه ، أو إلى أن يقطع .

(٢) قلبت قلبي ، أى فكرت كثيرا . والقلب : العقل .

(٣) بها ، أى بالبصرة ، أو بهذه الدنيا . ط : « وعشاء » .

(٤) ط ، س : « شئ » .

(٥) ط ، س : « داود » .

ذلك . ثم ركبت معه ، تصكَّ الشَّمالَ وجْهِي ، وتُشيرُ بِاللَّيْلِ (١) الصَّقْبِ عَلَى رَأْسِي . فَلَمَّا قَرُبْنَا مِنَ الْفَرْضَةِ صَحَّتْ : يَا حَمَّالُ ! وَمَعِيَ لِحَافٌ لِي سَمَلٌ ، وَمَضْرِبَةٌ خَلَقُ ، وَبَعْضٌ مَالًا بُدًّا لِمِثْلِي مِنْهُ . فَكَانَ أَوَّلَ حَمَّالٍ أُجَابَنِي أَعُورٌ فَقُلْتُ لِبِقَّارِ كَانَ واقفًا : بكم تكري (٢) ثورَكَ هَذَا إِلَى الْخَانِ ؟ فَلَمَّا أَدْنَاهُ مِنْ مَتَاعِي إِذَا الثَّورُ أَعْضَبُ الْقَرْنَ ، فَازْدَدْتُ طَيْرَةً إِلَى طَيْرَةٍ ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : الرَّجُوعَ أَسْلَمُ لِي . ثُمَّ ذَكَرْتُ حَاجَتِي إِلَى أَكْلِ الطَّيْنِ فَقُلْتُ : وَمَنْ لِي بِالْمَوْتِ ؟ ! فَلَمَّا صَرْتُ فِي الْخَانِ وَأَنَا جَالِسٌ فِيهِ ، وَمَتَاعِي بَيْنَ يَدَيَّ وَأَنَا أَقُولُ : إِنْ أَنَا خَلَفْتُهُ فِي الْخَانِ وَلَيْسَ عِنْدَهُ مِنْ يَحْفَظُهُ فُشٌّ (٣) الْبَابُ وَسُرِقَ ؛ وَإِنْ جَلَسْتُ أَحْفَظُهُ لَمْ يَكُنْ لِحَيْثِي (٤) إِلَى الْأَهْوَازِ وَجْهٌ . فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ إِذْ سَمِعْتُ قَرْعَ الْبَابِ ، قُلْتُ : مَنْ هَذَا عَافَاكَ اللَّهُ تَعَالَى ؟ قَالَ : رَجُلٌ يَرِيدُكَ ، قُلْتُ (٥) : وَمَنْ أَنَا ؟ قَالَ : أَنْتَ إِبْرَاهِيمُ . فَقُلْتُ : وَمَنْ إِبْرَاهِيمُ ؟ قَالَ : [إِبْرَاهِيمُ] النَّظَّامُ . قُلْتُ : هَذَا خَنَاقٌ ، أَوْ عَدُوٌّ ، أَوْ رَسُولُ سُلْطَانٍ ! ثُمَّ إِنِّي تَحَامَلْتُ وَفَتَحْتُ الْبَابَ ، فَقَالَ : أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَيَقُولُ :

نَحْنُ وَإِنْ كُنَّا اخْتَلَفْنَا فِي بَعْضِ الْمَقَالَةِ ، فَإِنَّا قَدْ نَرَجِعُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى حَقُوقِ الْأَخْلَاقِ [وَ] الْحَرِيَّةِ (٦) . وَقَدْ رَأَيْتَكَ حِينَ مَرَرْتَ [بِي] (٧)

(١) ط ، س : « وَيُنْشِرُ اللَّيْلَ » .

(٢) س : « تَكْرِيئِي » . وَالسَّكْرَاءُ : الْأَجْرَةُ . وَانظُرِ اسْتِدْرَاكَاتِ .

(٣) فُشُّ الْقَفْلِ ؛ فَتَحَهُ بَدُونِ مِفْتَاحٍ . شَفَاءُ الْغَلِيلِ .

(٤) ط س : « لِحَيْثِي » .

(٥) ط : « قَتَلْتُ » تَحْرِيفٌ .

(٦) الْحَرِيَّةُ : كَوْنُ الْإِنْسَانِ حَرًّا ، وَهُوَ مِنْ أَوَّلِ الْمَصَادِرِ الصَّنَاعِيَّةِ . وَالْحَرُ : الْعَتِيقُ الْكَرِيمُ .

(٧) مِنْ ل ، س .

على حال كرهتها منك ، وما عرفتُك حتى خبرني عنك بعض من كان معي
وقال : ينبغي أن يكونَ قد نزعَت^(١) [بك] حاجة . فإن شئتَ فأقم
بمكانك شهراً أو شهرين ، فعسى أن نبعثَ إليك ببعض ما يكفيك زمناً^(٢)
من دهرك . وإن اشتهيت الرجوعَ فهذه ثلاثون مثقالاً ، فخذها وانصرف ،
وأنتَ أحقُّ من عدَرَ .

[قال] : فهجم والله على أمرٍ كاد ينقضني^(٣) . أما واحدةٌ : فأني لم
أكنُ ملكتُ قبلَ ذلك ثلاثين ديناراً في جميع دهرى . والثانية : أنه
لم يطلُ مقامى وغيبى عن وطنى ، وعن أصحابى الذين هم على حال أشكل بي
وأفهم عني . والثالثة : ما بين لي من أن الطيرة باطل ؛ وذلك أنه قد تتابع
على منها ضروبٌ ، والواحدة منها كانت عندهم مُعطبة .
قال : وعلى مثل ذلك الاشتقاقِ يعملُ الذين يعبرون الرؤيا .

(عجيبة للغربان بالبصرة)

وبالبصرة من شأنِ الغربانِ ضروبٌ من العجب ، لو كان ذلك بمصر
أو ببعض الشامات^(٤) : لكان عندهم من أجودِ الطلسم . وذلك أن

(١) ط ، س : « نزعته » صوابه في ل .

(٢) ل : « زمينا » تصغير زمن .

(٣) ينقضني : أى يذهب قوتي وعزمي . س : « ينقض » ط : « ينقضني »

تحريف ما أثبت من ل .

(٤) الشامات هى بلاد الشام . وانظر ما سبق فى ص ٤٠٤ .

١٤١ الغربان تقطع إلينا في الحريف ، فترى النَّخْلَ وَبَعْضُهَا مَصْرُومَةٌ (١) ، وعلى كلِّ نَخْلَةٍ عِدَدٌ كَثِيرٌ مِنَ الْغُرْبَانِ ، وليس منها شيءٌ يَقْرُبُ نَخْلَةً وَاحِدَةً مِنَ النَّخْلِ الَّذِي لَمْ يُصْرَمَ ، ولو لم يَبْقَ عليها إِلَّا عِدْقٌ وَاحِدٌ . وَإِنَّمَا أَوْكَارَ جَمِيعِ الطَّيْرِ الْمَصُوتِ فِي أَقْلَابِ (٢) تِلْكَ النَّخْلِ ، وَالْغُرَابُ أَطْيَرُ وَأَقْوَى مِنْهَا ثُمَّ لَا يَجْتَرِي أَنْ يَسْقُطَ عَلَى نَخْلَةٍ مِنْهَا ، بَعْدَ أَنْ يَكُونَ قَدْ بَقِيَ عَلَيْهَا عِدْقٌ وَاحِدٌ .

(منقار الغراب)

ومنقار الغراب مغول ، وهو شديد النقر . وإنه ليصل إلى الكأمة المندفنة في الأرض بنقرة واحدة حتى يشخصها . وهو أبصر بمواضع الكأمة من أعرابي يطلبها في منبت (٣) الإجرد والقصيص (٤) ، في يومٍ له شمس حارّة . وإن الأعرابي ليحتاج إلى أن يرى ما فوقها من الأرض فيه بعض الانتفاخ والانصداع ، وما يحتاج الغراب إلى دليل (٥) . وقال أبو ذؤاد الإيادي :
تَنفَى الْحَصَى صُعْدًا شَرْقِيًّا مَنْسِمَهَا نَفَى الْغُرَابِ بِأَعْلَى أَنْفِهِ الْغَرْدَا (٦)

(١) مصرومة : قطع ثمرها . ل : « فترى الأرض ونصفها مصرومة » .

(٢) الأقلاب : جمع قلب ، وهو السعف الذي يطلع من قلب النخلة .

(٣) ط ، س : « منبت » .

(٤) الإجرد : نبت يدل على الكأمة . والقصيص : شجر ينبت في أصله الكأمة ، قالوا : سمى بذلك لدلالته على الكأمة كما يقتضى الأثر .

(٥) ل : « إلى ذلك الدليل »

(٦) سبق الكلام في هذا البيت ص ٤٢٥ . ل : « الغرده » .

ولو أن الله عزَّ وجلَّ أذن للغراب أن يسقط على النخلة وعلى الثمرة
لذهبت ، وفي ذلك الوقت لو أن إنساناً نقر العنق نقرة واحدة لانتثر عامة
ما فيه ، ولهلكت غلاتُ الناس . ولكنك ترى منها على كل نخلة مصرومة
الغربان الكثيرة ، ولا ترى على التي تليها غراباً واحداً ، حتى إذا صرّموا ماعليها
تسابقن إلى ما سقط من التمر في جوف الليف^(١) وأصول الكرب^(٢) لتستخرجه
كما يستخرج المنتاخ^(٣) الشوك^(٤) .

(حوار في نفور الغربان من النخل)

فإن قال قائل : إنما أشباح تلك الأعذاق المدلاة كالحرق السود التي تفرع
الطير أن يقع على البزور^(٤) ، وكالقوادم السود تغرز في أسنمة ذوات الدبر
من الإبل ؛ لكيلا تسقط عليها الغربان . فكأنها^(٥) إذارات سواد الأعذاق
فزعت كما يفرع الطير من الحرق السود .

(١) ل : « اللب » .

(٢) الكرب ، بالتحريك : أصول السعف الغلاظ العراض .

(٣) المنتاخ ، كمنفاخ : المنقاش الذي ينزع به الشوك . ط ، س : « كما يستخرج
الشاك الشوكة » ، وفيها تحريف .

(٤) كذا على الصواب في ل . وفي ط : « التي تغرز والطيران يقع على البزور »
وهي عبارة مختلفة . والكلام من مبدأ « تفرع » إلى : « السود » ساقط من س .
وانظر لمثل هذا الكلام ص ٤١٦ .

(٥) ط : « وكأنها » .

قال الآخر : قَدْ نَجِدُ جَمِيعَ الطَّيْرِ الَّذِي يُفْرَعُ بِالْحَرَقِ السُّودِ فَلَا يَسْقُطُ عَلَى الْبُزُورِ ، يَقَعُ كُلُّهُ عَلَى النَّخْلِ وَعَلَيْهِ الْحَمَلُ ، وَهَلْ لِعَامَّةِ الطَّيْرِ وَكُورٌ (١) إِلَّا فِي أَقْلَابِ (٢) النَّخْلِ ذَوَاتِ الْحَمَلِ .

قال الآخر : يشبه أن تكون الغربانُ قطعَتُ إينانا من مواضع ليس فيها نخلٌ ولا أعداق ، وهذا الطير الذي يُفْرَعُ بِالْحَرَقِ السُّودِ إِنَّمَا خُلِقَتْ وَنَشَأَتْ فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي لَمْ تَزَلْ تَرَى فِيهَا النَّخِيلَ وَالْأَعْدَاقَ . وَلَا نَعْرِفُ لَذَلِكَ عِلَّةَ سِوَى هَذَا .

قال الآخر : وكيف يكون الشأن كذلك [و] من الغربانِ غربانٌ أو ابْدُ بِالْعِرَاقِ فَلَا تَبْرَحُ تَعْمَشُ فِي رَعُوسِ النَّخْلِ ، وَتَبْيِضُ وَتَفْرُخُ ، إِلَّا أَنَّهَا لَا تَقْرُبُ النَّخْلَةَ الَّتِي يَكُونُ عَلَيْهَا الْحَمَلُ .

والدليل على أنها تعمش في نخل البصرة ، [و] في رعوس أشجار البادية قَوْلُ الْأَصْمَعِيِّ :

١٤٢ ومن زردكٍ مثلٍ مكن الضبابِ يُناوح عيدانه السيمكان (٣)
ومن شكر فيه عَشُّ الغرابِ ومن جيسرانٍ وبنداذجان (٤)

(١) ل : « أوكار » . وجمع الوكر أيضاً على أوكر ، ووكر ، كغرف .

(٢) الأقلاب : جمع قلب بالضم ، وهو السعف الذي يطلع من قلبها . ط : « أقلال » وصوابه قل ، س .

(٣) الزردك : كلمة فارسية . ومعناها الجزر ، وهو نبات معروف تؤكل أصوله وترى . والجزر ليس عربي اللفظ ، معرب . كما في القاموس . ط ، س : « زردك » محرف . والضباب : بالكسر : جمع ضب . ومكنه ، بالفتح : بيضه . و « السيمكان » هي قل : « التشمكان » .

(٤) شكر ، هو من شكرت النخلة شكراً — من باب تعب : كثير فراخها . وفي الأصل : « سكر » ويصح بتأول ؛ فإن من النخل يصنع بعض السكر ، بالتحريك : وهو ما يسكر من النبيذ . واو « ومن » الثانية ساقطة من ل . و « جيسران » هي في ط ، س : « خيشوان » وفي ل : « جيسوان » ، صوابه ما أثبت . والجيسران : جنس من أفرخ النخل ، فارسيته « كيسان » الألفاظ الفارسية ٤٩ . وعيون الأخبار (٣ : ٢٩٧) . و « بنداذجان » هي في ط ، س : « بيدان جان » .

وقال أبو محمد الفقعسي^١ ، وهو يصف فحلَ هَجْمَة (١) :
يَتَّبِعُهَا عَدْبَسٌ جَرَائِضٌ^٢ أَكَلَفٌ مَرِيدٌ هَـصُورٌ هَائِضٌ^٣
* بَحِيثٌ يَعْتَشُ الْغَرَابُ الْبَائِضُ^٤ *

(ما يتفاعل به من الطير والنبات)

والعامَّةُ تَتَطَيَّرُ مِنَ الْغَرَابِ إِذَا صَاحَ صَبِيحَةً وَاحِدَةً ، فَإِذَا ثَبَّتِي
تَفَاعَلَتْ بِهِ .

وَالْبُومُ عِنْدَ أَهْلِ [الرَّيِّ وَأَهْلِ] مَرَوْ يَتَفَاعَلُ بِهِ ، [وَأَهْلِ الْبَصْرَةِ
يَتَطَيَّرُونَ مِنْهُ . وَالْعَرَبِيُّ يَتَطَيَّرُ مِنَ الْخِلَافِ ، وَالْفَارِسِيُّ يَتَفَاعَلُ إِلَيْهِ] ؛ لِأَنَّ
اسْمَهُ بِالْفَارْسِيَّةِ « بَاذَامِك » أَيْ يَبْقَى^٥ ، وَبِالْعَرَبِيَّةِ خِلَافٌ ، وَالْخِلَافُ
غَيْرُ الْوَفَاقِ .

وَالرِّيْحَانُ يَتَفَاعَلُ بِهِ ؛ لِأَنَّهُ مُشْتَقٌّ مِنَ الرُّوحِ ، وَيَتَطَيَّرُ مِنْهُ لِأَنَّ طَعْمَهُ
مُرٌّ ، وَإِنْ كَانَ فِي الْعَيْنِ وَالْأَنْفِ مَقْبُولًا .

(١) الهجمة : جماعة من الإبل أقلها أربعون .

(٢) العدبس : الشديد الموثق المخلق . والجرائض ، بالضم : الأكل الذي يحطم كل
شيء بأنيابه . ورواية اللسان (جرض) :

* يتبعها ذوكدنة جرائض *

(٣) المرید : الذي لونه بين السواد والغبرة . ط ، س : « أَكَلَفٌ نَاهِضٌ
هَـصُورٌ نَاهِضٌ » .

(٤) تكلم في هذا البيت صاحب الخخص (٩ : ١٢٥) . وفي ط ، س :
« بَحِيثٌ يَفْتَشُ » ل : « بَحِيثٌ يَعِيشُ » وصوابهما في اللسان والخخص .
و « الْبَائِضُ » هِيَ فِي ط ، س : « النَّابِضُ » ، وَصَوَابُهُ مِنْ ل :
وَاللِّسَانِ وَالْخَخِصِ .

(٥) هذه العبارة جاءت في ط ، س : « بَارِمَالٌ يَرِيدُ تَبْقَى » وفي ل : « بِيذَائِ
يَبْقَى » . وقد حورتها إلى ما ترى معتمداً على معجم النبات ص ١٦٠ . والخلاف :
جنس من الصفصاف . وفي تذكرة داود : « بَاذَامِكُ مِنَ الصَّفِصَافِ » .

وقال شاعرٌ من المحدثين (١) :

أهدى له أحبابه أترجةً فبكى وأشفقَ مِنْ عَيْافٍ زَاجِرٍ (٢)
متطيراً مِمَّا أتاه ، فطعمه لُونَانٍ باطنه خِلافُ الظَّاهِرِ (٣)
والفُرسُ تحبُّ الآسَ (٤) وتكره الوردَ ؛ لأنَّ الوردَ لا يدومُ ، والآسَ دائمٌ .
قال : وإذا صاح الغرابُ مرتين فهو شرٌّ ، وإذا صاح ثلاثَ مرَّاتٍ
فهو خيرٌ ، على قدر [عدد] (٥) الحروف (٦) .

(عداوة الحمار للغراب)

ويقال : إنَّ بين الغراب والحمار عداوةً . كذا قال صاحب المنطق .
وأشددني بعض النحويين (٧) :

عاديتنا لا زلتَ في تَبَابِ عداوة الحمار للغراب (٨)

(١) هو العباس بن الأحنف ، كما في زهر الآداب (٤ : ٨٧) .

(٢) في العقد (١ : ٢٩٨) : « أهدى لإيه حبيبه » . وانظر الاستدراكات .

(٣) في العقد :

« خاف التبدل والتلون إنها لونان باطنها . . . »

وفي زهر الآداب :

« متطيراً منها السقام وجسمها لونان باطنها . . . »

(٤) الآس : ضرب من الريحان يسمى بمصر « مرسين » .

(٥) الزيادة من ل وحياة الحيوان .

(٦) كذا في ل وحياة الحيوان . وفي ط : « الجزء » وفي س : « الجزء » .

والمراد عدد حروف الكلمتين : « شر » و « خير » ، فالأولى مركبة من حرفين ،

والثانية مؤلفة من ثلاثه . وقد تبدو هذه العبارة مناقضة لما سبق في ٤٥٧ س ٥ .

لكن يظهر أنهما زعمان متخالفان يحكيهما .

(٧) كذا في ل . وفي ط : « وأشدد لبعض » وفي س : « وأشددت لبعض » .

(٨) ط ، س : « عداوة الغراب للحمار » : ووجهه في ل و (٢ : ٥٢) .

(أمثال في الغراب)

[ويقال : « أصبح من غراب » . وأنشد ابن أبي كريمة لبعضهم ، وهو
يهجو صريع الغواني مسلم بن الوليد :

فأريحُ السَّدابَ أشدُّ بَعْضاً إلى الحَيَّاتِ منك إلى الغواني [
وأنشد (١) :

وأصلبُ هامةً من ذى حُيودٍ ودُونِ صداعه مُحمى الغراب (٢)
وزعم لى داهيةً من دهاة العرب الحوائين ، أن الأفاعى وأجناسَ
الأحناش ، تأتي أصولَ الشَّيخِ والحَرَمَلِ ، تستظل [به] ، وتستريحُ إليه .
ويقال : « أغربُ من غراب » . وأنشد قول مضرِّس بن لقيط (٣) :

كأني وأصحابي وكريِّ عليهمُ على كلِّ حالٍ من نشاطٍ ومن سأمٍ (٤)
غرابٌ من الغربانِ أيامَ قِرَّةٍ رأينَ لحاماً بالعِراضِ على وَضَمٍ (٥)

(١) ل : « وأنشد فيه » .

(٢) ط : « هامة من ذى جنود » محرف . والحيرود : ماشخص من نواحي الرأس .
والبيت ساقط من س .

(٣) نسبه إلى جده ، وإنما هو مضر من بن ربيع بن لقيط الأسدي ، له خبر مع
الفرزدق كما في معجم المرزبانى ٣٩٠ ، فيكون إسلامياً أو مخضرمًا . لكن قال
صاحب الخزانة (٢ : ٢٩٣ بولاق) : إنه جاهلى .

(٤) ل : « وكريِّ إليهم » .

(٥) القرة ، بالكسر : البرد . ط ، س : « فره » صوابه في ل . واللحام :
جمع لحم . والعراض : جمع عرصة بالفتح ، وهى البقعة الواسعة بين الدور . ط :
« بالعراض » وتصحيحه من ل ، س . والوضم ، ما وقيت به اللحم عن الأرض
من خشب أو حصير .

(حديث الطيرة)

وقد اعترض قومٌ علينا في الحديث الذي جاء في تفرقة ما بين الطيرةِ
والفأل ، وزعموا أنَّه ليس لقوله : « كان يعجبه الفألُ الحسنُ ويكره الطيرة »
معنى . وقالوا : إن كان ليس لقولِ القائل : يا هالك ، وأنت باغٍ ، وجهٌ
١٤٣ ولا تحقيق ، فكذلك^(١) إذا قال : يا واجد ، ليس له تحقيق ، وليس قوله
يا مضلٌّ ويا مهلك ، أحقُّ بأن يكون لا يوجبُ ضلالاً ولا هلاكا من قوله
يا واجد ، ويا ظافر ، من ألا يكون يوجبُ ظفراً ولا وجوداً . فإمّا أن يكونا
جميعاً يوجبان ، وإما أن يكونا [جميعاً] لا يوجبان . قيل لهم : ليس التأويل
ما إليه ذميتم . لو أن الناس أملوا فائدة الله عزَّ وجلَّ ورجوا عائِدته ،
عند كلِّ سببٍ ضعيفٍ وقويٍّ ، لكانوا على خير . ولو غلَطوا في جهة الرجاء
لكان لهم^(٢) ينفس ذلك الرجاء خير . ولو أنهم بدل ذلك قَطَعُوا أَمَلَهُمْ
ورجاءهم من الله تعالى^(٣) ، لكان ذلك من الشرِّ والفأل ، أن يسمع كلمةً
في نفسها مستحسنة . ثمَّ [إن] أحبَّ بعد ذلك أو عند ذلك أن يحدث
طمعاً فيما عند الله تعالى ، كان نفس الطمع خلافَ اليأس . وإنما خبرٌ أنه كان
يعجبه . وهذا إخبارٌ عن الفطرة كيف هي ، وعن الطبيعة إلى أيِّ
شيءٍ تنقلب .

(١) س : « وكذلك » .

(٢) هذه ساقطة من س .

(٣) كذا على الصواب في ل ، س . وفي : ط : « ولو أنهم بدلوا ذلك

فقطوا » . . الخ .

وقد قيل لبعض الفقهاء^(١) : ما الفأل ؟ قال : أن تسمع وأنت مُضِلٌّ :
يا واجد ، وأنت خائف : يا سالم . ولم يقل إنَّ الفأل يوجب لنفسه السلامة .
ولسكنَّهم يحبُّون له إخراج اليأس وسوء الظنِّ وتوقُّع البلاء من قلبه على كلِّ
حال - وحال الطَّيرة حال من تلك الحالات - ويحبون أن يكون لله راجيا ،
وأن يكون حسنَ الظنِّ . فإنَّ ظنَّ أن ذلك المرجوُّ يوافقُ بتلك الكلمة ففرح
بذلك فلا بأس^(٢) .

(تطير بمض البصريين)

وقال الأصمعيُّ : هرب بعضُ البصريين من بعض الطَّواعين ، فركب
ومضى بأهله نحو سفوان^(٣) ، فسمع غلاماً له أسودٌ يحدو خلفه ، وهو يقول :
لن يُسبِقَ اللهُ على حِمَارٍ ولا على ذى مِيعَةٍ مَطَّارٍ^(٤)
أو يأتيَ الحينُ على مِقْدَارٍ قد يصيِّحُ اللهُ أمامَ السَّاري^(٥)
فلما سمع ذلك رجع بهم .

(١) هو ابن عون ، كما في تأويل مختلف الحديث ١٣١ مع اختلاف في اللفظ .

(٢) ل : « يوافق تلك الكلمة ففرح لذلك فلا بأس » .

(٣) سفوان ، بفتح أوله وثانيه : ماء على قدر مرحلة من باب المربد بالبصرة .

(٤) الميعة : أنشط الجرى . والمطار ، بفتح الميم وتشديد الطاء : السريع العدو .

ويصح أن تكون « مطار » بضم الميم وفتح الطاء . يقال : فرس مطار وطيَّار :

حديد الفؤاد ماض . وانظر للبيان (٣ : ٢٧٨) . وجاءت الرواية في زهر الآداب

(٤ : ١٣١) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٢٥) : « ولا على ذى منعة طيار » .

(٥) الحين : الهلاك . وروى : « الختف » كما في زهر الآداب وأمالى المرتضى

(٤ : ١١٢) وتأويل مختلف الحديث ١٢٥ . وتجد القصة في هذه المراجع على

وجوه شتى . وأنشد الثعالبي هذا الشطر في التمثيل والمحاضر ص ٩ .

(معرفة في الغربان)

قال : والغربان تسقط في الصحارى تلتمس الطعم ، ولا تزال كذلك ،
فإذا وجبت الشمس^(١) نهضت إلى أوكارها معاً . و [ما أ] قل ما تختلط
البقع بالسود المصمتة^(٢) .

(الأنواع الغريبة من الغربان)

قال : ومنها أجناس كثيرة عظام كأمثال الجداء^(٣) السود ، ومنها صغارٌ .
وفي مناقيرها اختلاف في الألوان والصُّور . ومنها غربانٌ تحكى كل شيء سمعته ،
حتى إنها في ذلك أعجب من الببغاء . وما أكثر ما يتخلف^(٤) منها عندنا
بالبصرة في الصيف ، فإذا جاء القيظ قلت . وأكثر المتخلفات^(٥) منها البقع .
فإذا جاء الخريف رجعت إلى البساتين ؛ لتنال مما يسقط من التمر في كراب
النخل وفي الأرض ، ولا تقرب النخلة إذا كان عليها عذق واحد^(٦) ، وأكثر
هذه الغربان سود ، ولا تكاد ترى فيهن أبقع .

(١) وجبت الشمس : سقطت للمغيب .

(٢) السود المصمتة : الخالصة السواد .

(٣) الجداء ، بكسر الجاء المهملة : جمع حداة كمنية . ط : « الحد » ، ل : « الجداء »

بالجيم . والوجه ما أثبت من .

(٤) ط ، س : « يتخلف » .

(٥) ط ، س : « المتخلفات » .

(٦) ليس يفهم من هذا أنها تقرب من النخل ما كان عليه أكثر من عذق . بل المراد
أنها لا تقرب النخلة ما دام بعض التمر في أعذاقه . وانظر ما سبق في ص ٤٥٤ س ٥ .

(قبيح فرخ الغراب)

وقال الأصمعيّ: قال خلف: لم أرَ قطُّ أقبِح من فرخ الغراب! رأيتُه مرّةً ١٤٤
فإذا هو صغير الجسم^(١) ، عظيم الرأس ، عظيم المنقار ، أجرد أسود الجلد ،
ساقط النفس ، متفاوت^(٢) الأعضاء .

(غربان البصرة)

قال : وبعضها يقيم عندنا في القيظ . فأما في الصيف فكثير . وأما
في الخريف فالدهم . وأكثر ما تراه في [أعلى]^(٣) سطوحنا في القيظ والصيف
البقع ، وأكثر ما تراه في الخريف [في النخل] و [في] الشتاء في البيوت
[السود] .

وفي جبل تكريت^(٤) في تلك الأيام ، غربان سود كأمثال الخداء
[السود] عظماً^(٥) .

(١) ل : « فإذا صغير الجسم » .

(٢) متفاوت الأعضاء : مختلفها . ط : « متقارب » ، وصوابه في ل ، س .
وانظر ما سبق من مثل هذا الكلام في (٢ : ٣١٨) .

(٣) من ل ، س .

(٤) تكريت : بلدة بين بغداد والموصل ، أقرب إلى بغداد .

(٥) الخداء سبق شرحها في الصفحة السابقة . ط : « الخدء » تحريف . و « عظماً »
هي في ، ط : « عظاء » وهو تحريف فكه ، صوابه في ل ، س .

(تسافد الغربان)

وناس يزعمون أنّ تسافدها على^(١) غير تسافد الطير ، وأنّها تزاقت^(٢)
بالمناقير ، وتلقح من هناك .

(نوادر وأشعار مستحسنة)

نذكر شيئاً من نوادر وأشعار^(٣) [وشيئاً] من أحاديث ، من
حارّها وباردها .

قال ابن نُجَيْم^(٤) : كان ابن ميادة^(٥) يستحسن هذا البيت لأرطاة
ابن سهية^(٦) :

فقلت لها يا أمّ بيضاء إنّه هريق شبابي واستشّن أديمي^(٧)
[صار شيئاً] .

-
- (١) هذه ساقطة من ل .
(٢) أصله : تزاقت . ط : « تزاقت » ، صوابه في ل ، س .
(٣) س : « نذكر نوادر وأشعار » .
(٤) ط : « قال سحيم » س : « قال ابن سحيم » وصوابه ما أثبت من ل .
وابن نجيم ، هو يحيى بن نجيم الذي سبقته ترجمته في (٢ : ٣٥١) .
(٥) « ابن ميادة » ساقط من ل .
(٦) س : « أرطاة بن سمية » ، وهو تحريف . وقد سبقته ترجمة أرطاة في ٣٩١ .
(٧) ط ، س : « استشق » ، تحريف ما أثبت من ل .

وكان الأصمعيُّ يستحسن قولَ الطَّرْمَاحِ بنِ حَكِيمٍ ، في صفةِ الظَّلِيمِ (١) :

مِجْتَابِ شَمْلَةِ بَرْجِدٍ لَسْرَاتِهِ قَدْرًا وَأَسْلَمَ مَاسِوَاهُ الْبَرْجِدُ (٢)

ويستحسن قولَه في صفةِ الثَّوْرِ :

يَبْدُو وَتُضْمِرُهُ الْبِلَادُ كَأَنَّهُ سَيْفٌ عَلَى شَرَفٍ يُسَلُّ وَيَعْمَدُ (٣)

وكان أبو نَوايسٍ يستحسنُ قولَ الطَّرْمَاحِ :

إِذَا قَبِضْتَ نَفْسَ الطَّرْمَاحِ أَحْلَقْتَ عُرَى الْمَجْدِ وَأَسْرَخِي عَنَانَ الْقَصَائِدِ (٤)

وقال كثيرٌ :

إِذَا الْمَالُ لَمْ يُوجِبْ عَلَيْكَ عَطَاؤُهُ صَنِيعَةَ بَرٍّ أَوْ خَلِيلِ تُوَامِقِهِ (٥)

مَنْعَتْ وَبَعْضُ الْمَنْعِ حَزْمٌ وَقُوَّةٌ فَلَمْ يَفْتَلِكْ الْمَالَ إِلَّا حَقَائِقُهُ (٦)

(١) الظليم : الذكر من النعام . « بن حكيم » ساقط من ل .

(٢) يقول : قد لبس ذلك الظليم كساء أسود مخملا من الريش فوق ظهره ، وجعل الشملة على قدر ظهره . وأسلم ماسواه البرجد : أى ترك البرجد ماسوى الظهر : من الرجلين والعنق ، فلم يستره . وساقا الظليم وعنقه عارية من الريش . ط : « فدر وسلم » ، وصوابه في ل ، س والعمدة (١ : ٢٠٣ ، ٢ : ٧٩) .

(٣) البلاد هنا : المواضع . والشرف : المكان العالى . وانظر الموازنة بين هذا البيت وأشباهه في العمدة (١ : ١٩٨) والصناعتين ٨٣ وشرح ديوان النابغة ١٩ .

(٤) أحلقت : بليت . « عنان » هى في ط : « عنا » وتمكيها من ل ، س .

(٥) ل : « صنيعة نعى ، أو خليل توافقه » . وفي العقد (٦ : ١٧٥ تأليف) : « صنيعة قربي أو صديق توافقه » .

(٦) الحقائق : الحقوق . ورواية العقد : « ولم يستليك المنال » . وقد روى صاحب زهر الآداب البيهقي برواية عجيبة في (٣ : ٢٤٧) .

وقال سهل بن هارون ؛ يمدح يحيى بن خالد :
عدوٌ تِلَادِ المَالِ فيما ينوبه منوعٌ إذا ما منعه كان أحزماً^(١)
قال : وكان ربيعى بن الجارود يستحسن قوله :

فخير منك من لا خير فيه وخير من زيارتك القعود^(٢)
وقال الأعشى :

قد نطعن العيرَ في مكنونِ فائله وقد يشيطُ على أرماحنا البطل^(٣)
لاتنهبون ولن ينهى ذوى شططِ كالطعنِ يذهبُ فيه الزيتُ والقتل^(٤) ١٤٥

(١) التلاد ، بالكسر : المال القديم الموروث . ط ، س : « إذا مانعته »
تحريف ما في ل . والبيت مع قرين له في البيان (٣ : ٣٥٢) ، ومع بيتين في الحيوان
(٥ : ٦٠٤) .

(٢) ل : « من زيادتك » .

(٣) العير ، هنا : السيد . والفائل ، بالفاء : عرق في الفخذ ، وهو مقتل .
أراد أنهم حذاق في الطعن . انظر المخصص (٢ : ٤٢) واللسان (فيل)
والرواية فيه :

* قد نخضب العير من مكنون فائله *

ل : « نطعن الخيل » س : « مكنون قابله » ، كلاهما محرف .
ويشيط : يهلك .

(٤) كذا في ط ، س والخزانة (٤ : ١٣٢ بولاق) وفي ل : « لاتنهبون »
والرواية في الكامل ٤ ؛ ليبسك وأمال ابن الشجرى (٢ : ٢٢٩ ، ٢٨٦)
والخزانة (٤ : ٢٦٣ بولاق) والغيث المنسجم (١ : ٥٢) : « أتنبهون »
وقد استشهد الجميع بالبيت على اسمية الكاف في « كالطعن » وأن « الطعن »
مجرور بالإضافة . والقتل : جمع فتيلة ، وهى فتيلة الجراحة . يقول : لا يزجرهم
غير طعن جائف .

وقال العلاء بن الجارود^(١) :

أظهروا للنَّاسِ نَسْكَا وَعَلَى الْمَنْقُوشِ دَارُوا^(٢)
 وَلَهُ صَامُوا وَصَلُّوا وَلَهُ حَجُّوا وَزَارُوا
 وَلَهُ قَامُوا وَقَالُوا وَلَهُ حَلُّوا وَسَارُوا
 لَوْ غَدَا فَوْقَ الثَّرِيَّا وَلَهُمْ رِيَشٌ لَطَارُوا
 وقال الآخر^(٣) في مثل ذلك :

شمر ثيابك واستعدَّ لِقَابِلِ واحكك جبينك للقضاء بثوم^(٤)
 وامشِ الدَّيْبَ إِذَا مَشَيْتَ لِحَاجَةٍ حَتَّى تَصِيبَ وَدِيعَةً لِيَتِمَّ
 وقال أبو الحسن : كان يقال : « من رقَّ وجهه رقَّ علمه » .

وقال عمر : « تفقَّهوا قَبْلَ أَنْ تَسُودُوا » .

وقال الأصمعي : « وُصِلتْ بِالْعِلْمِ ، وَكَسِبَتْ بِالْمَلْحِ^(٥) » .

ومن الأشعار الطيبة قول الشاعر في السمك والخادم :

مقبِل مدبر خفيف ذَفِيفِ دَسَمِ الثَّوْبِ قَدْ شَوَى سَمَكَاتِ^(٦)

(١) ل : « العلاء بن الحداد » . والأبيات منسوبة في العقد (٢ : ١٤١) إلى محمود الوراق .

(٢) روى « سبأ » بدل « نسكا » في ل والعقد (٤ : ٣٣٧) و : « دينا »

في العقد (٢ : ١٤١) . والمنقوش : الدينار . وبالأخيرة ، أى « الدينار »

جاءت الرواية في العقد (٢ : ١٤١) .

(٣) هو مساور الوراق كما في العقد (٣ : ٢١٦) والبيان (٣ : ١٧٥) . ونسباني

الشريشي (١ : ٢٠٦) إلى محمود الوراق .

(٤) القابل : المستقبل . والجبين إذا حك بالثوم ظهرت فيه سمة سمراء توهم الأغراب

أن صاحبها عريق في التقوى كثير السجود . ولا يزال بعض المتظاهرين بالصلاح

يفعلون ذلك في عصرنا هذا ؛ ليجعلوا أنفسهم من قيل فيهم : « سيماهم في

وجوههم من أثر السجود » .

(٥) ط ، س : « وصلت بالملح وكسبت بالعلم » . وأثبت ما في ل . وفي البيان (١ :

١٩٩) : « وصلت بالعلم ونلت بالملح » .

(٦) يقال خفيف ذفيف ، وخفاف ذفاف ، إتباع . والمراد بهما السريع . ط :

« جفيف » س : « ذفيف » وصوابه في ل واللسان (٩ : ١٩٩) ل : « آدم الثوب » .

من شبايط لجة ذات غمر حُذِب من شحومها زَهَمَاتٍ (١)
ففكرَ فيهما فَأَيْتَمَا سَيَمْتَعَانِكَ سَاعَةً (٢) .

وقال الشاعر (٣) :

إِنْ أَجَزِ عُلْقَمَةَ بِنِ سَيْفٍ (٤) سَعِيَهُ لَا أَجْزِهِ بِيَلَاءِ يَوْمٍ وَاحِدٍ
لَأَحْبَبَنِي حُبَّ الصَّبِيِّ وَرَمَيْتِي رَمَّ الْهَدْيِيِّ إِلَى الْغَنِيِّ الْوَاجِدِ (٥)
وَلَقَدْ شَفَيْتُ غَلِيلَتِي وَنَقَعْتَهَا مِنْ آلِ مَسْعُودٍ بِمَاءٍ بَارِدٍ

وقال رجل من جرم :

نَبِئْتُ أَخْوَالِي أَرَادُوا عَمُومَتِي بِشِنَعَاءٍ فِيهَا ثَامِلٌ السَّمِّ مُنْقَعًا (٦)
سَأْرَكَبُهَا فِيكُمْ وَأُدْعَى مَفْرَقًا وَإِنْ شَتَمْتُ مِنْ بَعْدُ كُنْتُ مَجْمَعًا (٧)

(١) الشبايط : جمع شبوط : ضرب من السمك سبق الكلام عليه في (١ : ١٥٠ ،

١٥١ ، ٢٣٣) . ط ، س : « شبايك » محرفة . حذب : جمع حذباء وهي الخارجة الظهر الداخلة البطن والصدر . والزهمات : السينة الكثيرة الشحم . وفي الأصل : « زمنات » وليس لها هنا وجه .

(٢) ط : « ففكر بينهما فانهما سيمتعانك ساعة » ، تحريف وتطبيع .

(٣) هو رجل من بهراء اسمه فدك بن أعيد ، وهو المرناق الطائي . معجم المرزباني ٧٥٥ والصحاح

(لم) . كان مجاورا لعلقمة بن سيف العتابي ، وكان له إبل فسرت ، فلما علم علقمة بذلك

سعى في استردادها من مختلسها فلم يوفق ، فأخرج من ماله مائة بعير ودفعها إلى فدك عوضا .

فقال هذا الشعر يمدحه . الحماسة (٢ : ٢٦٧ وشرحها ٤ : ٧٠ - ٧١) والصحاح واللسان (لم) .

(٤) في الأصل : « زيد » وصوابه في البيان (٣ : ٢٣٣) والحماسة وشرحها .

(٥) رمي ، بالراء : أصحح حالي . والهدى : العروس تزف وتهدى إلى زوجها . ط ، س :

« ذمى ذم البنى » ، ل : « زمى زم الهدى » وصواب الرواية من الحماسة

والبيان . ل : « إلى لفتى » . والفتى : الشاب .

(٦) في ط ، س : « نبئت إخواني » وأثبت ما في ل ، وهو أشبه بقول للعرب . ط : س ،

« أرادوا نقيصتي بشنعة » و « بشنعة » تحريف . والثامل : هو المنقوع ، أى

المنقوع . ط ، س : « تابل » .

(٧) ل : « قان شتم » .

وقال يونس بن حبيب : ما أكلتُ في شتاءٍ شيئاً قطُّ إلا وقد برد ، ولا أكلتُ في صيفٍ شيئاً إلا وقد سخن .

وقال أبو عمرو المديني^(١) : لو كانت البلايا بالحِصص ، ما نالني كما نالني : اختلفت الجاريةُ بالشاةِ إلى التَّيَّاسِ اختلافاً كثيراً ، فرجعت الجاريةُ حاملاً والشاةُ حائلاً .

وقال جعفر بن سعيد^(٢) الخلافُ موكلٌ بكلِّ شيءٍ [يكون] ، حتى القذاة^(٣) في الماء في رأس الكوز ، فإن أردتَ أن تشرب الماء جاءت إلى ١٤٦ فيك ، وإن أردتَ أن تصبَّ من رأس الكوز لتخرُج رجعت .

(حديث أبي عمران وإسماعيل بن غزوان)

وقال إسماعيل بن غزوان : بكَرْتُ اليوم إلى أبي عمران ، [فلزمتُ الجادة] ، فاستقبلني واحدٌ فلزِمَ الجادةَ التي أنا عليها ، فلما غشيتني^(٤) انحرفتُ عنه يَمَنَةً فانحرفَ معي ، فعدتُ إلى سَمْتِي فَعَاد ، فَعُدْتُ فَعَاد ثمَّ عُدْتُ فَعَاد . فلولا أن صاحبَ رِذون فرَّق بيننا لكان إلى الساعة يكدُّني^(٥) . فدَخَلت على^(٦) أبي عمران فدعا بغدائه ، فأهويتُ بلقمتي إلى

(١) ط ، س : « أبو عمر المديني » . وهذا الخبر والخبر الذي قبله في الحيوان (٥ : ٥٩١) .

(٢) كذا في ل . وفي ثمار القلوب ٤٩٤ حيث نقل القول : « جعفر بن سعد »

وفي ط ، س : « جعفر بن محمد » . وجعفر بن سعيد هذا أحد البخلاء

الذين ذكرهم الجاحظ في كتابه ٨٨ ، ١٠٩ . ونعمته في البيان (١ : ١٠٦) بأنه :

« رضيع أيوب بن جعفر وحاجبه » .

(٣) القذاة : ما يقع في الشراب . ط ، س : « القذا » وصوابه في .

(٤) ل : « أغشيتني » تحريف .

(٥) يكدُّني : يلح في طلبي . ط ، س ، « يدكئني » تحريف .

(٦) ط ، س ، « إلى » .

الصَّبَاغُ^(١) فأهوى إليه بعضهم ، فنَحَّيتُ يدي فنَحَّى يده ، ثُمَّ عُدْتُ
فَعَادَ ، ثُمَّ نَحَّيْتُ فَنَحَّى ، فقللت لأبي عمران : ألا^(٢) ترى ما نحن فيه ؟ قال
سأحدِّثك بأعجبَ من هذا ، أنا منذُ أكثرَ مِن سنة^(٣) أشفقُ أن يراني
[ابن أبي] عون الخياط ، فلم يتفق لي أن يراني مرَّةً واحدة ، فلما [أن]
كانَ أمسِ ذكرتُ لأبي الحارث الصُّنْعَ^(٤) في السلامة من رؤيته ، فاستقبلني
أمسِ أربعَ مرَّاتٍ !

(نوادر و بلاغات)

وذكر محمد بن سلام ، عن محمد بن القاسم قال : قال جرير^(٥) :
أنا لا أبتدى ولكني أعتدى^(٦) .

وقال أبو عبيدة : قال الحجاج : أنا حديدٌ حَقود حَسود !^(٧)

قال : وقال قديده بن مَنيع ، مُجَدِّع^(٨) بن عليٍّ : لك^(٩) حكم الصبيِّ

على أهله !

(١) الصباغ ، بالكسر : ما يصطبغ به من الإدام ، وصبغ اللقمة صبغاً : دهنها وغسها .
ل : « الصباغ » وليس لها وجه .

(٢) ل : « أما » .

(٣) ط ، س : « أنا أكثر منذ سنة » ل : « أنا منذ سنة » وقد جعلتها
كما ترى .

(٤) أي ما صنع لي من السلامة من رؤيته . ط : « الصنيع » .

(٥) هو جرير الشاعر .

(٦) ط ، س : « ولكن أعتدى » ، وأثبت ما في ل وما سبق في ص ٩٩ .
يقول : هولاء يبتدئ بالهجاء ، ولكنه إذا رد على الهاجى اعتدى عليه ، وظلمه
إرهاها له .

(٧) الحيوان (٥ : ٥٩٢) . وبلغظ آخر في البيان (٣ : ٢٥٥) .

(٨) جديع هذا هو ابن خال يزيد بن المهلب . البيان (٢ : ٢٤٠ ، ٢٤٦) . ل :
« الحديد » وفي ثمار القلوب ٥٣٨ — حيث نقل النص — : « لجديع »
والصواب ما أثبت .

(٩) ط ، س : « لك » ، وأثبت ما في ل والثمار . وفي الثمار : « لك على » .

وقال أبو إسحاق^(١) - وذكر إنساناً - : هو والله أنزقٌ من ربيب مالك^(٢) ، وأحرق من امرأة ، وأظلم من صبي .

وقال لى أبو عبيدة : ما ينبغي أن يكون [كان] في الدنيا مثل هذا النظام^(٣) . قلت : وكيف ؟ قال : مرّ بي يوماً فقلت : والله لأمتحنه ، ولأسمعن كلامه ؛ فقلت له : ما عيب الزُّجاج - قال : يُسرِع إليه الكسر ، ولا يقبل الجبر - من غير أن يكون فكرٌ أو ارتدع !

قال : وقال جبار بن سلمى بن مالك^(٤) - وذكر عامر بن الطفيل^(٥) فقال : كان لا يضلُّ حتى يضلَّ السَّجم ، ولا يعطشُ حتى يعطشَ البعير^(٦) ، ولا يهاب حتى يهاب السيل ؛ كان والله خيرَ ما يكون^(٧) حين لا تظنُّ نفسٌ بنفسٍ خيراً .

(١) هو النظام . وانظر البيان (١ : ٢٤٧) .

(٢) أنزق : من أنزق وهو الطيش والتسرّع . والريبب : المربوب ، وابن امرأة الرجل من غيره . وهذا المثل محرف في ط ، س : ففي الأولى : « آترف من زينب بنت مالك » وفي الثانية : « أنزق من زينب بنت ملكة » ، وتصحيحه من ل . وجاء في أمثال الميداني (١ : ١٣٦) : « آترف من ربيب نعمة » . (٣) ط ، س : « قال لى أبو عبد الله » . س : « مثل ذلك » ل : « مثل ذاك » .

(٤) هو جبار بن سلمى (يضم السين ، وقيل بفتحها) بن مالك بن جعفر بن كلاب ، أحد الصحابة . أسلم بعد وقعة بئر معونة لسبب طريف ، بعد ما كان شديد العداوة للمسلمين . انظر الإصابة ١٠٥١ والسيرة ٦٥٠ ، ٩٣٩ جوتنجن والبيان (١ : ٥٤) . في ط ، س ، « حماد بن مالك بن سليمان مالك » ل : « جبار بن مالك ابن سلمى » . وانظر شروح سقط الزند ص ٥٠٠ .

(٥) في البيان : « حين وقف على قبر عامر بن الطفيل » .

(٦) ط ، س : « الجمل » ، وأثبت ما في ل والبيان .

(٧) ل : « كان » .

وقال ابن الأعرابي : قال أعرابي : اللهم لا تُنزلني ماءً سوءاً فأكون
امراً سوءاً ! يقول : يدعوني قَلْبُهُ إلى منعه .

وقال محمد بن مسلم ، عن حماد بن سلمة ، عن الأزرق بن قيس : إن
الأحنف كان يكره الصلاة في المقصورة ، فقال له بعض القوم : يا أبا بحر ،
لم لا تصلي في المقصورة ؟ قال : وأنت لم لا تصلي فيها ؟ قال : لأترك (١) !
وهذا الكلام يدل على ضروب من الخير كثيرة (٢) .

ودخل عبد الله بن الحسن على هشام في ثياب سفره ، فقال : اذكر
حوأجك . فقال عبد الله : ركابي مُناخَةٌ ، وعلى ثيابُ سفري ! فقال : إنك
لا تجدني خيراً [متى] لك الساعة (٣) .

قال أبو عبيدة : بلغ عمر بن عبد العزيز قدوم عبد الله بن الحسن ،
فأرسل إليه : إني أخاف عليك طواعين الشام ، وإنك لا تغنم أهلَكَ خيراً
لهم منك (٤) فالحق بهم ، فإن حوأنجهم ستسبقك (٥) .

وكان ظاهر ما يكلمونه به ويروونه إياه جميلاً مذكوراً (٦) ، وكان
معناهم الكراهة لبقائه بالشام ، وكانوا يرون جماله ، ويعرفون بيانه وكمالَه ،
فكان ذلك العمل من أجود التدبير فيه عند نفسه :

(١) ط : « لا ترك » .

(٢) ط : « على طرق » س : « على كنز من الخير كثير » .

(٣) ط ، س : « إنه لا تجدني خيراً لك من الساعة » . وموقع هذه القصة في ل
بعد القصة الآتية .

(٤) ل : « لن تغنم أهلَكَ خيراً منك » .

(٥) ل : « ستسبقك » . وانظر الحيوان (٤ : ١٣٨) .

(٦) كذا في س . وفي ط : « مايكلمون به ويروونه جميلاً مذكوراً » . وفي ل :

« ما يتكلمون به ويروونه جميلاً مذكوراً » .

(شعري في الزهد والحكمة)

وأنشد :

تُليح من الموتِ الذي هو واقعٌ وللموتِ بابٌ أنتَ لا بدَّ داخله^(١)
وقال آخر :

[أكلكم أفاع على عجوزٍ عشزرةٍ مقلدةٍ سخابا^(٢)
وقال آخر:]

الموتُ بابٌ وكل الناس داخله فليت شعري بعدَ البابِ ما الدَّارُ^(٣)
لو كنتُ أعلم من يدرى فيخبرني أجنةُ الخلدِ ما وانا أم النَّارُ^(٤)
وقال آخر :

اصبرْ لكلِّ مصيبةٍ وتجلدِ واعلمْ بأنَّ المرءَ غيرُ مخدِّ
فإذا ذكرتَ مصيبةً تشجى بها فاذكُرْ مصابكَ بالنبيِّ محمدِ
وقال آخر :

والشمس تنعى ساكنِ الدنيا ويسعدُها القمر

(١) ألح يليح : خاف وحاذر . ل : « لاشك داخله » . وانظر مجالس ثعلب ٣٤٩ .

(٢) عني بالعجوز الدنيا . والعشزرة : السيئة الخلق ، بضم الحاء واللام . والسخاب : بالكسر : القلادة من سك وقرنفل ومحب ، بلا جوهر .

(٣) كذا في ل والأغاني (١٩ : ١٤) . وفي ط : « الموت باب لنا لا بد ندخله »
وفي س : « لنا لا بد لنا أن ندخله » وما في س تحريف .

(٤) ل : « مشراناً » . قالوا : لم يتمثل الحسن البصري بشعر إلا هذا البيت .
انظر الأغاني .

أين الذين عليهم ركم الجنادل والمدار (١)
أفناهم غلس العشا ء يهز أجنحة السحر (٢)
ما للقلوب رقيقة وكان قلبك من حجر
ولقلبا تبقى وعو ذلك كل يوم يهتصر (٣)

وقال زهير :

ومن يوف لا يذم ومن يفض قلبه إلى مطمئن البر لا يتجمجم (٤)
ومن يعترب يحسب عدواً صديقه ومن لا يكرم نفسه لا يكرم
ومهما تكن عند امرى من خائفة وإن خالها تحفى على الناس تعلم
ومن لا يزل يسترحل الناس نفسه ولا يعفها يوماً من الدم يندم (٥)

[وقال زهير أيضاً :

يطعنهم ما ارتموا حتى إذا طعنوا ضارب حتى إذا ماضأربوا اعتنقا (٦)]

(١) الركم ، بالتحريك : المتراكم .

(٢) الغلس : الظلام آخر الليل . والعشا من زوال الشمس إلى طلوع الفجر . ل :

« العشى » . وهى بمعنى العشاء المتقدم ؛ فى المصباح : « العشى من الزوال إلى الصباح » .

(٣) اهتصار الغصن : عطفه . ل : « يمتصر » . وفى ط : « ولعل ما تبقى »

صوابه فى ل ، س .

(٤) لا يتجمجم : لا يتردد .

(٥) يسترحل الناس نفسه : يجعل نفسه كالراحلة للناس يركبونه ويذمونه . وروى :

« يستحمل الناس » ، أى يحمل الناس على عيبه .

(٦) انظر الكلام على هذا البيت فى الاستدراكات .

وقال (١) :

وجار البيت والرجل المنادي (٢) أمام الحى عقدهما سواء
جواراً شاهد عدل عليكم وسيان الكفالة والتلا (٣)
فإن الحق مقطعه ثلاث : يمين ، أو نيفار ، أو جلاء (٤)
فتفهّم هذه الأقسام الثلاثة ، كيف فصلها هذا الأعرابي !

وقال أيضاً :

فلو كان حمد يُخلد الناس لم تمت ولكن حمد المرء ليس بمُخلد ١٤٨
ولكن منه باقيات وراثه فأورث بنيك بعضها وتزود
تزود إلى يوم المات فإنه وإن كرهته النفس آخِرُ معهد
وقال الأسدى :

فإني أحبُّ الخلد لو أستطيعه وكأُخلد عندي أن أموت ولم أُم (٥)
وقال الحادرة :

فأثنوا علينا لا أبا لأبيكم بإحساننا إن الثناء هو الخلد (٦)
وقال الغنوى :

فإذا بلغتكم أهلكم فتحدّثوا ومن الحديث مهالك وخلود (٧)

(١) أى زهير بن أبى سلمى .

(٢) المنادى : المجلس ؛ من النادى والندى وهو المجلس . ط : « المناوى » وهو تحريف . يقول : حق المجلس كحق الجار .

(٣) التلاء ، بالفتح : الضمان . وانظر اللسان (تلا) .

(٤) انظر الكلام على هذا البيت فى الصناعتين ٣٣١ والمعدة (١ : ٣٠) والعقد (٣ : ٣٨٦) والبيان (١ : ٢٤٠) وعيون الأخبار (١ : ٦٧) .

(٥) وكذا فى البيان (٣ : ٣٢٠) . ل : « لو أموت » .

(٦) البيان (٣ : ٣٢٠) .

(٧) ما عدل ل : « بلغتكم أرضكم » ، و « متألف وخلود » .

وقال آخر (١) :

فقتلاً بتقتيلٍ وعقرًا بعقرِكُم جزاء العطاس لا يموت من اتَّار (٢)

وقال زهير :

والإثم من شرٍّ ما تصولُ به والبرُّ كالغيثِ نبتُهُ أمرٌ (٣)

أى كثير . ولو شاء أن يقول :

* والبرُّ كالماء نبتُهُ أمرٌ *

استقام الشعر ، ولكن كان لا يكون له معنى . وإنما أراد أن النبات

يكون على الغيث أجود (٤) . ثم قال :

قد أشهدُ الشَّاربَ المعدَّلَ لا معروفُهُ مُنكرٌ ولا حصرٌ (٥)

في فتيمةٍ ليئني المآزرِ لا ينسونَ أحلامهم إذا سَكروا (٦)

يشوون للضيف والعفاة ويؤفون قضاءً إذا هم نذروا (٧)

(١) هو مهلهل كما في البيان (٣ : ٣٢٠) .

(٢) س : « وعقدا بعقدكم » . محرف . ما عدال : « جزاء العطاس » تحريف . وانظر حواشي

البيان ، واللسان (عقب ١١٠ جزي ١٥٩) . واتَّار : أدرك ثأره . والمعروف

في المعجمات : « اثار » بالثاء المثلثة . لكن ما أثبت من ل جاز في العربية . انظر

الاستدراكات والتنزيل . وفي ط ، س : « ارتا » محرف .

(٣) ط : « امره » وصوابه في ل ، س . والرواية عند القائل (١ : ١٠٣)

والبحترى ٣٤٧ : « من شر يصل به » .

(٤) الغيث : المطر الغزير . ط ، س : « أراد أن يكون عن الغيث أجود » .

(٥) المعدل : الذي يمدل كثيرا ويلام لإسرافه . س : « المعدل » وليس بشيء .

والحصر : البخيل .

(٦) المآزر : جمع مئزر ، والمراد بها هنا النفوس ، كما قال نفيقة - وأراد

بالإزار النفس :

ألا أبلغ أبا حفص رسولا فدى لك من أختي ثقة إزارى

(٧) العفاة : جمع عاف : وهو كل طالب فضل أو رزق .

يمدحُ كما ترى أهلَ الجاهليَّةِ بالوفاءِ بالتُّدورِ (١) .
 أنشدني حَبَّانُ بنُ عَتَبَانَ (٢) ، عن أبي عبيدة ، من الشُّوَارِدِ التي لا أربابَ لها ، قوله :

إن يَغْدِرُوا أو يَفْجُرُوا أو يَبْخَلُوا لم يَحْفَلُوا
 يَغْدُوا عَلَيْكَ مَرَجَلِيَا نَ كَأَهُمْ لم يَفْعَلُوا
 كَأَبِي بَرَأَقِشَ كُلَّ يَوْمٍ مِ لَوْنِهِ يَتَخَيَّلُ (٣)

وقال الصَّلْتَانُ السَّعْدِيُّ ، وهو غير الصَّلْتَانِ العَبْدِيِّ :

أشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الكَبِيرِ رَ كَرُّ العَدَاةِ ومُرُّ العَشْيِ ١٤٩
 إِذَا لَيْلَةٌ هَرَمَتْ يَوْمَهَا أَنِي بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمَ فَيِّ (٤)
 رُوحٌ وَنَغْدُو لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَةٌ مِّنْ عَاشٍ لَا تَنْقُضِي (٥)
 تَمُوتُ مَعَ المَرءِ حَاجَاتُهُ وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِيَ (٦)
 إِذَا قَلْتَ يَوْمًا لَدَى مَعْشَرٍ أُرُونِي السَّرِيَّ أُرُوكَ الغَنِيَّ

(١) ط ، س : « بالنذر » ولا تصح .

(٢) ل : « حيان بن عيين » .

(٣) أبو بَرَأَقِشَ : طائرٌ كالمصفرور حسن الصوت طويل الرقبة والرجلين أحمر المنقار يتلون في كل ساعة ، يكون أحمر وأزرق وأخضر وأصفر . ولعل السبب في ذلك ما قال الأزهري : أنه شبيه بالتقنفذ أعلى ريشه أغبر وأوسطه أحمر وأسفله أسود فإذا انتفش تغير لونه ألوانا شتى . والرواية في اللسان : « كل لون لونه » ط ، س : « يتبدل » . وانظر الأبيات ورواياتها وما قيل فيها ، في ديوان المعاني (١ : ١٨٢) والبيان (٣ : ٣٣٣) وأمالى القائل (٣ : ٨٣) وعيون الأخبار (٢ : ٢٩) وخزانة الأدب (٣ : ٦٦٠ بولاق) والصناعتين ١٠٣ ومحاضرات الراغب (١ : ١٥٠) .

(٤) هذا البيت ساقط من ل .

(٥) ط : « لحاجتنا » تحريف .

(٦) ط ، س : « يموت » .

ألم ترَ لقمانَ أوصى بنيَه وأوصيتَ عمرًا فنعِمَ الوَصى (١)
وسيرُك ما كانَ عندَ امرئٍ وسرُّهُ الثَّلَاثَةُ غيرَ الخفي
أنشدني محمدُ بن زياد الأعرابي :

ولا تَلْبِثُ الأَطَاعُ مَنْ ليسَ عنده من الدِّينِ شيءٌ أن تَميلَ به النَّفْسُ
ولا يُلْبِثُ الدَّحْسُ الإهابَ تحوزه ومُجمَعُك أن يَنبَاهَ عن غيرِكَ الترسُ (٢)
وأنشدني أبو زيدٍ النحويُّ لبعض القدماء (٣) :

ومَهْمَا يَكُن رَيْبَ المُنُونِ فَإِنِّي أرى قَمَرَ اللَّيْلِ المَعْدَرِ كالفَتَى (٤)
يعودُ ضئيلاً ثم يرجعُ دائماً ويعظمُ حتى قيلَ قد ثابَ واستوى
كذلك زَيْدُ المرءِ ثم انتقاصه وتكراره في إثره بَعْدَ ماضى (٥)
وقال أبو النجم :

(١) ل : « ونعم الوصى » . وانظر الأبيات ورواياتها في هيون الأخبار (٣) :
١٣٢) ومعاهد التنصيص (١ : ٢٧) والعقد (٢ : ١٢٣) والحماسة (٢ :
٥٦) والكامل ٥٤٠ لبيسك .

(٢) الدحس : الفساد . والشطر الأخير محرف . ل : « أن تنهأ كعبرة الرأس » .

(٣) هو حسان السعدي كما في نوادر أبي زيد ١١١ - ١١٢ . ونسب الشعر في أمالي
المرتضى (٢ : ٧٦) إلى بعض شعراء طييء . وعينه ياقوت في (دير حنظلة)
بأنه حنظلة بن أبي عفراء . وساق نسبه إلى طييء . وقال في شأن حنظلة هذا
« كان قد نesk في الجاهلية وتنصر وبني هذا الدير » .

(٤) المعذر : ذو العذار ، وهو هنا الحالة التي تطيف به . وفي الجزء السادس من الحيوان
ص ٥٠١ : « المقدر » ، وما هنا صوابه . والرواية في النوادر والأمال والمعجم :
و ل : « المعذب » وكان عذابه فيما يتكرر من طلوعه واختفائه ودوبه على ذلك .
وفي مثل ذلك قال أمية في عذاب الشمس :

تأبى فلا تبدو لنا في رسلها إلا معذبة وإلا تجلد
لاستطيع أن تقصر ساعة وبذاك تدأب يومها وتشرذ
(٥) الزيد : الزيادة . ط : « بعد ماضى » ، وصوابه في ل ، س :

مَيْرَ عَنْهُ قُبْرَعًا عَنْ قُبْرَعٍ (١) مَرُّ اللَّيَالِي أَبْطَى وَأَسْرَعِي (٢)
أَفْنَاهُ قَبِيلُ اللَّهِ لِلشَّمْسِ أَطْلَعِي

وقال عمرو بن هند (٣) :

وإن الذي ينهاكم عن طلايها يُنَاغِي نِسَاءَ الْحَيِّ فِي طَرَّةِ الْبُرْدِ (٤)
يَعْلَلُ وَالْأَيَّامُ تَنْقُصُ عُمْرَهُ كَمَا تَنْقُصُ النَّيْرَانَ مِنْ طَرَفِ الزَّنْدِ (٥)

وقال ابن ميادة :

هل ينطق الربع بالعليا غيرَه سَا فِي الرِّيَّاحِ وَمَسْتَنٌّ لَهُ طُنْبٌ (٦)

وقال أبو العتاهية :

* أَسْرَعَ فِي نَقْصِ امْرَأٍ تَمَامُهُ *

وقال :

ولمَّ الفناء في كلِّ شيءٍ حركاتٌ كأهْنٍ سَكُونٌ (٧)

وقال ابن ميادة (٨) :

١٥٠

(١) القنوع : الشعر حوالى الرأس . ل : « قزعا عن قزح » . والقزح : كل شيء يكون قطعاً متفرقة . ورواية اللسان : « طير عنها » .

(٢) كذا في ل واللسان . في ط ، س : « جذب الليالي أبطى أو أسرعى » .

(٣) كذا في ط و س : وص ٤٨ من هذا الجزء . وفي ل : « عبد هند » .

(٤) يناغى : يغازل . س : « عن طلايها » .

(٥) س : « يعلل بالأيام » .

(٦) المستن : أراد به السحاب السريع الإمطار . والطنب : جبل السراذق . وقد

جعل السحاب كالسراذق فكأنه قد ضرب على الأرض لإحاطته . يقول : قد أفسد

ذاك الربع الرياح والأمطار . ط ، س : « ومستف » ، تحريف ما أثبت من ل

ومعجم الأديب (١١ : ١١٤) والأغاني (٢ : ١٠٢) .

(٧) س : « ولمر القنأ » ط : « ولمر القنأ » ، ووجهه ما أثبت من ل .

(٨) روى في معجم البلدان برسم (قنع) نسبته إلى مزاحم العقيلي .

أشاقك بالقنعر الغداة رسوم دوارس أدنى عهدهن قديم^(١)

يلحن وقد جرّمن عشرين حجة كما لاح في ظهر البنان وشوم^(٢)

وقال آخر :

في مرفقيها إذا ما عونقت حجّم على الضجيج وفي أنيابها شنب^(٣)

وقال ابن ميادة في جعفر [ومحمد] ابني سليمان^(٤) ، وهو يعني أمير

المؤمنين المنصور :

وفي لكما يا ابني سليمان قاسم بجدّ النهى إذ يقسم الخير قاسمه^(٥)

فبينكما بيت رفيع بناؤه متى يلق شيئا محذئا فهو هادمه^(٦)

لكم كبش صدق شذب الشول عنكم

وكسر قرني كل كبش يصادمه^(٧)

(١) القنعر ، بالكسر : جبل وماء باليمامة . والرسوم : آثار الديار .

(٢) جرمن عشرين حجة : قطعن عشرين سنة . ط ، س : « حرمن » ط : « عتبي حجة » رسواهما في س .

(٣) في المعجم : « إذا ماعولجت » . والحجم بالحاء ثم الجيم المفتوحتين : لم أجد نصا فيه . ولعله من حجم ثدى الجارية : نهد وارتفع . أراد أنها مكسوة المرفقين باللحم . ل وكذا الأغافى : « جم » وهو كثرة اللحم ، أو عدم ظهور العظم . س : « حم » محرف . والشنب : بالتحريك : الرقة والحدة .

(٤) ط ، س : « في جعفر بن سليمان » وتصحيحه وإكاله من ل .

(٥) يقول : ذلك القاسم حين قسم الخير وفي لكما يحفظ العقل . وفي بالشئ : أعطاه كاملا . وهذا البيت شديد التحريف في الأصل . فط ، س : « وما لكم » وفي ل : « وفاء لكما » وفي ط ، س : « بجدّ النبي » وفي ل : « تجدّ النبي » . وقد عالجه بما ترى .

(٦) في الأصل : « فبينكما » محرف : ل : « متى يلق بيتنا مجدكم » .

(٧) الكبش : عني به المنصور . شذب : طرد . والشول من الإبل : التي نقصت ألبانها . يرهد : طرد عنكم الحساس من الناس . ط فقط : « شذب الشوك » وهو معنى لا يصح في الملح .

باب

في من يهجي ويذكر بالشؤم

قال دِعْبِل بن علي ، في صالح الأفقم^(١) - وكان لا يصحبُ رجلاً إلا مات أو قُتِل ، أو سقطت منزلته - :

قل للأمينِ أمينِ آلِ محمدٍ قول امرئٍ شفيقٍ عليه محامٍ^(٢)
إيّاك أن تُغترَّ عنك صنيعه في صالح بن عطية الحجام^(٣)
ليس الصنائعُ عنده بصنائعٍ لكنهنَّ طوائفُ الإسلام^(٤)
أضربْ به نحرَ العدوِّ فإنه جيشٌ من الطّاعونِ والبرسام^(٥)
وقال محمد بن عبد الله في محمد بن عائشة^(٦) :

للّهالبيِّ قتيلاً أبداً في كلِّ عامٍ
قتلَ الفضلَ بنَ سهلٍ وعليّ بنَ هشامٍ
وعجيفاً آخرَ القومِ بأكتافِ الشّامِ

- (١) الأفقم : الذي تقدمت ثناياه العليا فلم تقع على السفلى . وفي الأغاني : « الأضخم » ، وهو المعوج الفم . ل : « صالح بن علي الأفقم » صوابه « ابن عطية » كما في الأغاني ، والشعر .
(٢) يريد بالأمين الخليفة المعتمد ، كما في الأغاني (١٨ : ٦٤) وروايته :
قل للإمام إمام آل محمد قول امرئٍ حذب عليك محامٍ
والتعبير عن الخليفة بلفظ « أمين » سبق مثله في ص ٦٣ س ٤ .
(٣) تغتر : تؤخذ وتنال على غرة . ل : « يفتّر » . وفي الأغاني (١٨ : ٤٦) :
« أنكرت أن تغتر » !
(٤) طوائف : جمع طائفة ، يقال بينهم طائفة أي عداوة وترة .
(٥) البرسام ، بالكسر : علة يهذى فيها . قلت : هي بالفارسية برسام بالفتح ، بمعنى التهاب الصدر ، مركب من برو هو الصدر ، وسام بمعنى الالتهاب ، وهو بالمعنى الدقيق : التهاب غشاء الرئة : The pleurisy .
(٦) ل : « بن محمد بن عائشة » .

وغدا يطلب من ية تل بالسيف الحسام^(١)
فأعاذ الله منه أحدا خيرا الأنام

[يعنى أحمد بن أبى دواد] .

وقال عيسى بن زينب فى الصخرى^(٢) ، وكان مشعوما :
يا قوم من كان له والد يأكل ما جمع من وفير^(٣)
فإن عندى لابنه حيلة يموت إن أصحبه الصخرى^(٤)
كأما فى كفه مبرد يبرد ما طال من العمر

١٥١

(شعر فى مديح وهجاء)

وقال الأعشى :

فا إن على قلبه غمرة وما إن بعظم له من وهن^(٥)

وقال الكميت :

ولم يقل عند زلة لهم كروا المعاذير إنما حسبوا^(٦)

وقال آخر :

فلا تعذرانى فى الإساءة إنه شرار الرجال من يسىء فيعذر

(١) ل : « وبدا يطلب » .

(٢) ط ، س : « الصخرى » .

(٣) الوفر : المال الكثير . ط : س : « ما يجمع فى الدهر » .

(٤) أصحبه : جعل صاحبا له . ط : « صحبة » . ط ، س : « الصخرى » .

(٥) س : « يعظم » ، تحريف .

(٦) الوار فى أول البيت ساقطة من ط ، س . ل : « بعد زلة » . ط :

« حسوا » س : « حسنوا » وصوابه فى ل .

وقال [كلثوم بن عمرو] العتّابي (١) :

رحل الرجاءُ إليك مغترباً حُشِدَتْ عليه نوائبُ الدَّهْرِ (٢)
رَدَّتْ عليك ندامتي أَمْلى وَثْنِي إليك عِنَانَهُ سُكْرِي (٣)
وجعلت عَتْبَكَ عَتْبَ موعظةٍ ورجاءِ عَفْوِكَ مُنتَهَى عُدْرِي
وقال أعشى بكر (٤) :

قَلَدْتُكَ الشُّعْرَ يا سِلامةَ ذا السِّإْفِضالِ والشِّئْءِ حَيْثُ ما جُعِلَا (٥)
والشُّعْرُ يَسْتَنْزِلُ الكَرِيمَ كما اسُ تَنْزَلَ رَعْدُ السَّحَابَةِ السَّيْلا (٦)
لو كنت ماءً عِدًّا جَحَمْتَ إِذا ما وَرَدَ القَوْمَ لم تَكُنْ وشلا (٧)
أُنْجَبَ آباؤُهُ الكَرامُ به إِذْ نَجَلَاهُ فَنِعَمَ ما نَجَلَا
اسْتَأْثَرَ اللهُ بالبَقَاءِ وبالْحَمِّ لِـ وَوَلَّى المِلامَةَ الرَّجِلا (٨)

(١) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٢) ط : « مرتعباً » س : « مرتقباً » . حشدت : جمعت . ط ، س : « حسدت » ، وليس بشيء .

(٣) ل : « ردت إليه » و « ثنى إليه » .

(٤) ل : « وقال الأعشى » . وهما سيان ، فإن الأعشى المشهور يقال له أعشى بكر ، ويقال له أيضاً أعشى قيس . فهو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف ابن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعيب بن علي بن بكر بن وائل . ينسب حينئذ إلى قيس بن ثعلبة ، وآخر إلى بكر بن وائل . وقد أخطأ دي ساسي في جعلهما شخصين في فهرس الأغاني .

(٥) كلمة « الشعر » ساقطة من ط . وفي الخزانة (٤ : ٣٥٨) : « ذو الفضال » ، وفي العمدة (١ : ١٠) : « ذا فائش » . وسلامة ذو فائش : أحد ملوك حمير .

(٦) السيل ، بالتحريك : المطر .

(٧) الماء للعد ، بكسر العين : القليل ، بلغة بكر بن وائل . جم : كثير . س : « جمعت » تحريف . والوشل : الماء القليل .

(٨) يروي : « بالوفاء وبالعد » . وبهذا البيت يستشهد على أن الأعشى كان مذهباً مذهب أهل العدل . انظر أمالي المرتضى (١ : ١٦) .

وقال الكذاب^(١) الحِرْمَازِيُّ [لقومه ، أو لغيرهم^(٢)] :
لو كنتم شاءَ لكنتمْ نَقَدًا^(٣) أو كنتمْ ماءً لكنتمْ تَمَدًا^(٤)
* أو كنتمْ قولاً لكنتمْ فَنَدًا^(٥) *
وقال الأعشى في الثياب^(٦) :

فعلی مثلها أزورُ بنی قیدِ سِ إذا شَطَّ بالحیبِ الفِراقُ^(٧)
المهینین ما لهمْ فی زمانِ السَّوءِ حتَّى إذا أفاقَ أفاقوا
وإذا ذو الفضولِ ضنَّ علی المو لى وصارتْ لِحیمها الأخلاقُ^(٨)
ومشَى القومُ بالعیادِ إلى الرِّزِّ حَى وأعیاءُ المُسیمِ أينُ المساقُ^(٩)
أخذوا فضلهمْ هناكَ وقد تجرَّ رى علی عرقِها الكِرامُ العِناقُ^(١٠)

(١) وكذا في الحيوان (٥ : ٤٦٢) . ونسب في الأزمنة والأمكنة (٢ : ٢٧٧) إلى العين المنقرى . والكذاب هو عبد الله بن الأعور ، أحد بني الحرماز بن مالك بن تميم . ط : « الكرار » س : « الكراز » وهو على الصواب في ل . قالوا : سمى بذلك لكذبه .
(٢) هم بنو ققيم ، كما جاء في أول الرجز في كل من أمثال الميداني (١ : ٢٦٠) والأضداد : ٣٥٦ :

* ققيم ياشر تميم محتدا *

(٣) النقد : جنس من الغنم قصار الأرجل ، قباح الوجوه ، يكون بالبحرين .
(٤) التمد : الماء القليل . وهذه الرواية انفردت بها ل . وفي ط ، س وأمثال الميداني والأضداد وثمار القلوب : « زيدا » .
(٥) الفتد : الكذب . وفي الرجز زيادة في ثمار القلوب وأمثال الميداني (١ : ٢٦٠ ، ٤١٣) .
(٦) « في الثياب » ساقط من ل . والحديث عن الثياب في آخر بيت من هذه المقطوعة .
(٧) شط به : بعد . س : « شك » تحريف .
(٨) الحيم ، بالكسر : السجية والطبيعة . وفي الديوان : « لحقها » أى لحقيقتها . ل : « بحقها » .
(٩) العماد : الأخبية . والرزحى : النوق الشديداً الهزال . والمسيم : الذي يرعى الإبل . والأين : الإعياء . والمساق : السوق .
(١٠) قد ، هنا ، تحقيقية .

وإذا الغيثُ صَوَّبَهُ وَضَعَ القِدْرَ حَ وَجُنَّ التَّلَاحُ وَالآفَاقُ^(١) ١٥٢
 لم يَزِدْهُمْ سَفَاهَةً شَرِبَ الخَمَ رِ وَلَا اللُّهُوُ فِيهِمْ وَالسَّبَاقُ^(٢)
 وَاضِعَا فِي سِرَاةٍ نَجْرَانَ رَحِلِي نَاعِمًا غَيْرَ أَنِّي مُشْتَاقٌ
 فِي مَطَايَا أَرْبَابِهِنَّ عِجَالٌ عَنِ ثَوَائِ وَهُمُّهُنَّ العِرَاقُ
 دَرَمَكَ غُدُوَّةَ لَنَا وَنَشِيلٌ وَصَبُوحٌ مَبَاكِرٌ وَاغْتِبَاقُ^(٣)
 وَنَدَايُ بِيضُ الوُجُوهِ كَانَ الشَّرْبَ مِنْهُمْ مَصَاعِبُ أُنْفَاقُ^(٤)
 فِيهِمُ الخِصْبُ وَالسَّاحَةُ وَالنَّجْدُ دَةُ جَمْعًا وَالخَاطِبُ المِسلَاقُ^(٥)
 وَأَيُّونَ لَا يُسَامُونَ ضَيْمًا وَمَكِيثُونَ وَالخُلُومُ وَثَاقُ^(٦)
 وَتَرَى مَجْلِسًا يَغْصُ بِه الخِ رَابُ بِالقَوْمِ وَالثِّيَابُ رِقَاقُ

(١) القُدح ، بالكسر ، هو قُدح الميسر . كانوا ينحرون ويفربون بالقُدح ، فإذا
 أخصبوا تركوا ذلك ؛ وذلك أن الميسر إنما يكوف في الجذب . شرح ديوان
 الأعمش ١٤٤ فينا . جنت التلاح : كثر فيها الثبت وحسن .

(٢) ليس يريد أنهم كانوا ذوي سفاهة فزادهم الشرب ، ولكن أراد أن الشرب
 لا يجلب إليهم السفاهة ، بل يحفظون معه بحميد خصالم :

وإذا شربت فأنى مستهلك مالى وعرضى وافر لم يكلم

(٣) الدرمة : لياب الدقيق ، أراد الطعام المصنوع منه . و « غُدوة » هى فى الأصل :
 « غدره » ، وتصحيحها من الديوان . والنشيل : مانشل من لحم القدر بمائه .

(٤) الشرب ، بالفتح : جماعة الشاربين . ل : « الشرب فيهم » . والمصاعب : الفحول
 المكرومة . والأفناق : جمع فنيق ، وهو بمعنى المصعب .

(٥) ل واللسان : « فيهم الخزم » . والخاطب المسلاق : الخطيب البليغ . ويروى :
 « المسلاق » بمعناه ، كما فى اللسان . ورواية س : « المصلاق » بالصاد ، وهى
 لغة . يقال : مصلاق ومصلاق أيضاً .

(٦) المكيث : الرزين . والخلوم وثاق : أى عقولم محكمة .

وقال أيضاً في الثياب (١) :

أزورُ يزيدَ وعبدَ المسيحِ وقيساً همُ خيرُ أربابها
وكعبةَ نجرانَ حتمَ عليه لكِ حتى تنأخي بأبوابها (٢)
إذا الحبرَاتُ تلوتُ بهم وجروا أسافلَ هُدأها
وفي الثياب يقول الآخر :

أسيلمُ ذاكمُ لاخفاً بمكانه لعينٍ تُرجى أو لأذنٍ تسمعُ (٣)
من النَّفْرِ البيضِ الذينَ إذا انتموا وهابَ الرجالَ حلقةَ البابِ قعقعوا (٤)
جلا الأذفرَ الأحمى من المسكِ فرقَه وطيبَ الدهانِ رأسَه فهو أنزعُ (٥)
إذا النَّفْرِ السُّودِ اليانونَ حاولوا له حوكُ برديه أجادوا وأوسعوا (٦)
[وقال كثيرٌ :

يجرُّ سربالاً عليه كأنه سبيُّ هلالٍ لم تفتق شرايقه (٧)]
وقال الجعدي :

أتاني نصرهم وهمُ بعيْدُ بلآدهمُ بأرضِ الخيزرانِ

- (١) الأبيات منسوبة إلى أعشى بنى تغلب في معجم الأديباء (١١ : ١٣٢) .
(٢) يخاطب ناقته . تنأخي : تبركي . ط ، س : « تحل » ولها وجه .
(٣) خفا : مقصور خفاء . ط ، س : « حقا » ، وصوابه في ل والبيان (١ : ١٩٦ و ٣ : ٣٠٥) والكمال ١٠٣ والمقد (٥ : ٣٤٣) ورسائل الجاحظ ٧٩ ساسي والبخلاء ٢١٣ . « ترجى » من الرجاء وهو الأمل . ل : « تدحى » ، البيان « تدحى » الرسائل : و « تداحى » ولعلها « تراعى » .
(٤) الرواية في المراجع المتقدمة : « من النفر الثم » وجعلهم نفرا لقلتهم . والكرام قليل .
(٥) الأذفر : الشديد مطروح الرائحة . ط : « فوقه » تحريف . والأنزع : الذي انحسر الشعر عن جانبيه جهته . ل : « فهو أفرق أنزع » .
(٦) البهانية يوصفون بالسواد . ل والعقد : « أرقوا وأوسعوا » ، وفي خزانة الأدب (٢ : ٥٢٣ بولاق) نقلا عن البيان : « أدقوا » ، وفي البيان : « أطالوا » . وانظر ما كتب البغدادي عن الشعر في الخزانة .
(٧) السبي : جلد الحية تسلخه . والهلال : الحية . والثرائق : ما تسلخه . وانظر ماسياتي في (٤ : ١٧٧) .

يريد أرضَ الحِصْبِ والأغصانِ اللَّيْنَةِ (١) .

وقال الشاعر (٢) :

فِي كَفِّهِ خَيْرَانٌ رِيحُهَا عَيْقٌ بِكَفِّ أُرُوعٍ فِي عِرْنِينِهِ شَمَمٌ (٣)

لأنَّ الْمَلِكَ لَا يَخْتَصِرُ (٤) إِلَّا بِعُودِ لَدُنِ نَاعِمٍ . وقال آخر :

تَجَاوَبُهَا أُخْرَى عَلَى خَيْرَانَةٍ يَكَادُ يَدْنِيهَا مِنَ الْأَرْضِ لَيْنَهَا (٥)

وقال آخر (٦) :

١٥٣

نَبْتٌ نَبَاتِ الْخَيْرَانِيِّ فِي الْأَثْرَى حَدِيثًا ، مَتَى مَا يَأْتِكُ الْخَيْرُ يَنْفَعُ (٧)

وقال المسيَّبُ بنُ علس (٨) :

قِصَارَ الْهَمِّ إِلَّا فِي صَدِيقٍ كَأَنَّ وَطَاءَهُمْ مُوشَى الضَّبَابِ (٧)

(١) في اللسان : « وذلك أنه كان بالبادية وقومه الذين نصره بالأرياف والحواضر .
وقيل : أراد أنهم بعيد منه كبعده بلاد الروم » .

(٢) ط ، س : « وقال أصحح الشاعر » وانظر ما أسلفت من التحقيق في ص ١٣٣ .

(٣) كذا في ط ، س . وفي ل : « ريحه عيق » . وانظر الاستدراكات .

(٤) الاختصار : أخذ المختصرة ، بالكسر ، وهي مايتوكأ عليه الخطيب ويشير به من

عصا ونحوها . ل : « يتخصر » وهي صحيحة أيضاً . جاء في الحديث : « فإذا

أسلموا فأسألم قضيبهم الثلاثة التي إذا تخصروا بها سجد لهم » .

(٥) انظر حواشي البيان (٣ : ٦٢) .

(٦) هو النجاشي الشاعر ، كما في خزانة الأدب (٤ : ٥٦٤ بولاق) والعقد (٤ : ١٢) .

(٧) ط والعقد : « نبت نبات » ط . ل « نبت نبات » تحريف ما أثبت

من س والخزانة وكتاب سيبويه (٢ : ١٥٢) . والخيزاني : لغة في الخيزران ،

وهو الطرى الناعم من النبات . حديثاً : أى نباتاً حديثاً . يقول : لستم ذوي حسب

قديم ، يهجوهم بذلك . والنجاشي صاحب الشعر قحطاني من بني الحارث بن كعب المذحجي

يهجو بهذا الشعر بني صعصعة بن معاوية العدنانيين . وقيل البيت :

ياراكبا إما عرضت فبلغن بني عامر منى وأبناء صعصع

« ينفع » هي في ط : « ينفعا » . وهي رواية سيبويه استشهد بها على إلحاق

نون التوكيد الخفيفة بفتح مع أنها جواب شرط ، وليس ذلك من مواضع دخولها .

(٨) س : « وقال آخر » ل : « وقال الآخر » .

(٩) ط ، س : « قصار » ل « قصاد » يقول : ليس لهم هم إلا في رعاية صديقهم وإكرامه .

والوطاب : سقاء اللبن . والضباب ، بالكسر : جمع ضب . الموشى : الذي استخراج

من حجره برفق . ط ، ل : « موق » ، والأشبه ما أثبت من س .

(عين الرضا وعين السخط)

وقال المسيب بن علس :

تامت فؤادك إذ عرّضت لها حسنُ برأى العين ما تمق^(١)

وقال ابن أبي ربيعة :

* حسنٌ في كلِّ عينٍ من تودّ^(٢) *

وقال عبد الله بن معاوية^(٣) :

وعين الرضا عن كلِّ عيبٍ كليلَةٌ ولكنَّ عينَ السُّخطِ تُبدى المساوينا

وقال رُوْح أبو همام^(٤) :

وعين السُّخطِ تبصرُ كلَّ عيبٍ وعينُ أنحى الرُّضا عن ذلك تعمى^(٥)

(١) تامت الفؤاد : استعبده . ط ، س : « قادت » . ومق يمق : أحب .

(٢) صدر هذا البيت كما في الديوان ٧٦ :

* فتصاحكن وقد قلن لها *

(٣) هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، ولد في خلافة معاوية، ومعاوية

هو الذي سماه . وقد خرج عبد الله في أيام يزيد بن الوليد ، وقصد إلى خراسان

وكان قد ظهر بها أبو مسلم فأخذه أبو مسلم وحسبه عنده ثم قتله . وكان شاعراً

مجيداً ، أكثر البحترى من الاختيار له في حماسه . والبيت الآتي من أبيات قالها في الحسين

ابن عبد الله بن عبيد الله بن العباس ، وكان الحسين وعبد الله يتهمان بالزندقة ،

فقتل الناس : إنما تصافيا على ذلك ، ثم دخل بينهما ما تهاجرا من أجله . انظر

الأغاني (١١ : ٧٢) وثمار القلوب ٢٦١ وسرح اليون (٢ : ١١٣) .

(٤) اسمه روح بن عبد الأعلى ، وكنيته أبو همام ، ذكره ابن النديم في الفهرست ١٦٤ ليسك

٢٣٤ مصر . وديوانه خمسون ورقة . ط ، س : « بن همام » . وهو على

الصواب في ل . وانظر تزيين الأسواق ص ١٤ .

(٥) ل : « تظهر كل عيب » .

(شعر وخبر)

وقال الفرزدق :

أَلَا خَبَّرُونِي أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا سَأَلْتُ وَمَنْ يَسْأَلُ عَنِ الْعِلْمِ يَعْلَمُ^(١)
سُؤَالَ امْرِئٍ لَمْ يُغْفَلِ الْعِلْمَ صَدْرُهُ

وما للسائل الواعي الأحاديث كالعمي^(٢)

وقيل لدغفل^(٣) : أُنِّي لك هذا العلم ؟ قال : لسانٌ سُؤْلٌ ،

وقلبٌ عقولٌ^(٤) .

وقال النابغة :

قَاتَبَ مُضَلُّوهُ بَعِينَ جَلِيَّةٍ وَعُودِرَ بِالْجَوْلَانِ حَزْمٌ وَنَائِلٌ^(٥)

(١) ط ، س : « ومن يسأل من الناس يعلم » ، وأثبت رواية ل والديوان ٧٥٩ .
وصدره في الديوان : « ألا يا اخبروني » .

(٢) ط ، س : « لم يمثل » ، تحريف ما أثبت من ل والديوان . وفي الديوان :
« وما العالم الواعي » . والسؤال الذي عناه الفرزدق في بيت بعده
هذا . وهو :

ألا هل علمتم ميتا قبل غالب قرى مائة ضيفاً ولم يتكلم

غالب : أبو الفرزدق . مائة ضيفاً : أي مائة ضيف .

(٣) هو دغفل بن حنظلة النسابة الذي سبق ذكره في ص ٢٠٩ . أدرك النبي ولم يسمع
منه شيئاً ، ووفد على معاوية فسأله عن مسائل فأجابه ، وكان منها هذا السؤال .
انظر أمثال الميداني (٢ : ٢٧٣) ط ، س : « لرجل » . على أن الجاحظ
في البيان (١ : ٨٤) قد نسب القول إلى عبد الله بن عباس ، وعقب على ذلك
بقوله : « وقد رووا هذا الكلام عن دغفل بن حنظلة العلامة . وعبد الله أولى به » .
قلت : ونسبته إلى دغفل مذكورة في عيون الأخبار (٢ : ١١٨) .

(٤) ستول : كثير السؤال . عقول ، شديد الفهم أو الحفظ .

(٥) بعين جلية : أي بخبر صادق وأنه مات . والجولان : موضع بالشام دفن فيه النعمان
ابن الحارث بن أبي شمر النسائي . غودر الحزم والنائل : أي دفن بدين النعمان
الحزم والمطاء .

مُضِلُّوهُ : دافنوه ، على حدِّ قوله تعالى (١) : ﴿ أءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ ﴾
وقال المخبل :

أضَلَّتْ بنو قيسِ بنِ سَعْدِ عَمِيدَهَا وفارسها في الدَّهْرِ قيسَ بنَ عاصمِ -
وقال زهيرٌ - أو غيره - في سِنانِ بنِ أبي حارثة :
إن الرِّزِيَّةَ لا رِزِيَّةَ مثلها ما تبتغي غطفانُ يومَ أضَلَّتِ
ولذلك زعم [بعضُ النَّاسِ] أن سِنانَ بنَ أبي حارثة خَرِفَ
فذهبَ على وجهه ، فلم يُوجد .

(من هام على وجهه فلم يوجد)

ويزعمون أنَّ ثلاثة نفرٍ هاموا على وجوههم فلم يُوجدوا : طالب بن
أبي طالب ، وسنان بن أبي حارثة (٢) ، ومرداس بن أبي عامر .
وقال جرير :

وإني لأستحِبي أخِي أن أرى له علىَّ من الفضلِ الذي لا يرى ليا
وقال امرؤ القيس : ١٥٤

وهل يَعمَنُ إلا خَلِيٌّ منعمٌ قليلُ المومِ ما بيثُ بأوجالِ (٣)
وقال الأصمعي . هو كقولهم : « استراحَ مَنْ لا عقلَ له ! » .
وقال ابن أبي ربيعة (٤) :

(١) ل : « على قوله » .

(٢) انظر الحيوان (٦ : ٢٠٩) والأغاني (٩ : ١٤٤) .

(٣) ل : « وهل ينعمن » . والأوجال : المخاوف .

(٤) انظر البيان (٣ : ٣١٨) .

وَأَعْجَبَهَا مِنْ عَيْشِهَا ظِلُّ غُرْفَةٍ وَرَيَّانُ مُلْتَفِّ الْحِدَائِقِ أَخْضَرُ
وَوَالٍ كَفَاهَا كُلَّ شَيْءٍ يَهْمُهَا فَلَيْسَتْ لَشَيْءٍ آخِرَ اللَّيْلِ تَسَهَّرُ^(١)

بَاب

فِي مَدِيحِ الصَّالِحِينَ وَالْفُقَهَاءِ

قال ابن الخياط^(٢) ، يمدح مالك بن أنس :

يَأْبَى الْجَوَابَ فَمَا يُرَاجِعُ هَيْبَةً وَالسَّائِلُونَ نَوَاصِئُ الْأَذْقَانِ
هَدَى التَّقَى وَعَزَّ سُلْطَانَ التَّقَى فَهُوَ الْمَطَاعُ وَلَيْسَ ذَا سُلْطَانِ^(٣)

وقال ابن الخياط^(٢) في بعضهم :

فَتَى لَمْ يَجَالِسْ مَالِكًا مِنْذُ أَنْ نَشَأَ وَلَمْ يَقْتَدِسْ مِنْ عِلْمِهِ فَهُوَ جَاهِلٌ
وقال آخر :

فَأَنْتَ بِاللَّيْلِ ذَنْبٌ لَا حَرِيمَ لَهُ وَبِالنَّهَارِ عَلَى سَمْتِ ابْنِ سِيرِينَ^(٤)
وقال الخليل بن أحمد وذكروا^(٥) عنده الحظَّ والجِدَّ ، فقال : أَمَّا الْجِدُّ

-
- (١) ط ، س : « الدهر » ، ضوابه من ل والديوان والخزانة (٢ : ٤٢١ بولاق) .
(٢) اسمه عبد الله بن سالم المسكي ، كما في زهر الآداب (١ : ٦٩) . ط ، س :
« أنس بن الخياط » . وفي السكامل ٤٠٩ ليسك : « ابن الخياط المدني » .
فلعله مكى مديني . والبيهان يرويان أيضاً لعبد الله بن المبارك ، في العقد (١ :
٢٦٨) وزهر الآداب في رواية . وانظر عيون الأخبار (١ : ٢٩٤) .
(٣) قال المبرد : « أراد : له هدى التقى » . وفي محاسن البيهقي (٣ : ١٢١) :
« هذا التقى » . وانظر للبيت السابق الاستدراكات .
(٤) السميت : الطريق وهيته أهل الخير . وأراد أن يقول ، « على وروع ابن سيرين »
فلم يستقم له . هذا ما رأى الثعالبي في ثمار القلوب ٧٠ . وانظر البيان (٣ : ١٧٣) .
(٥) س : « وذكر » . ط : « وكان » ، وهذه تحريف عجيب .

فلا أقول فيه شيئاً ، وأما الحظُّ فأخزى الله الحظَّ ؛ فإنه يبُلِّد الطالبَ إذا
اتَّكل عليه ويبعد^(١) المطلوب إليه من مذمَّة الطالب .

وقال ابن شبرمة^(٢) :

لوشئت كنت ككركز في تعبده أو كابن طارق حول البيت والحرم
قد حال دون لذيد العيش خوفهما وسارعا في طلاب العز والكرم^(٣)

وقال آخر^(٤) يرثي الأصمعيّ :

لا درّ درّ خطوب الدهر إذ فجعت^(٥) بالأصمعيّ لقد أبقت لنا أسفا
عش ما بدا لك في الدنيا فلست ترى في الدهر منه ولا من علمه خلفا

وقال الحسن بن هاني ، في مرثية خلف الأحمر :

١٥٥ لو كان حَيٌّ واثلاً من التلّف لوألت شعواء في أعلى الشعف^(٦)
أمّ فربخ أحرزته في لجف^(٧) مزعّب الألفاد لم يأكل بكف^(٨)

(١) ط ، س : « ويبعد » .

(٢) هو عبد الله بن شبرمة بن حسان القاضي ، كان قاضياً لأبي جعفر المنصور على سواد الكوفة
وكان شاعراً ، حسن الملقب ، جواداً ، ولد سنة ٧٢ وتوفى سنة ١٤٤ . تهذيب التهذيب .

(٣) ل : « في طلاب الفوز » .

(٤) هو أبو العالية الحسن بن مالك الشامي ، كافي وفيات الأعيان (١ : ٢٩٠)
وتاريخ بغداد ٥٥٧٦ .

(٥) ط : « إذا فجعت » ، تحريف .

(٦) ط : « لو كان حَيٌّ » صوابه في ل ، س . وألت : نجت . ط ، س :
« لوألت » وهي صحيحة بمعنى الأولى . والشعواء : العقاب ، سميت بذلك لتعقّف
متقارها . ط ، س : « شعواء » ، صوابها في ل . والشعف : جمع شمفة
بالضريك ، وهي رأس الجبل . ط « في ذرى الشعف » .

(٧) يقول : لها فرخ حفظته في صخرة مشرفة على غار . كلمة « في » ساقطة من ل .

(٨) الألفاد : جمع لغد ، وهو هنا ظاهر لحم الخلق . ط : « الأكفاو » ل ،
س : « الألفاد » ، وصوابه ما أثبت موافقاً لما في ديوان أبي نواس ١٣٢ .

هاتيك أم عصاء في أعلى الشرف^(١)

تظلُّ في الطَّباق والنَّزَعِ الألف^(٢)

أودى جماعُ العِلْمِ مُذْ أودَى خَلْفَ قَلَيْدَمٍ من العِيَالِمِ الحُسْفِ^(٣)
وقال يرثيه في كلمةٍ [له]^(٤) :

بتُّ أعزَّى الفؤَادِ عن خَلْفِ وِباتِ دَمْعِي إِلَّا يَفِضُ يَكِيفِ^(٥)

أُنْسِي الرِّزَايَا مَيْتٌ فَجَعْتُ بِهِ أَضْحَى رَهِينًا لِلتُّرْبِ فِي جَدْفِ^(٦)

كَانَ يَسْنَى بِرَفْقِهِ غَلَقُ السَّافَهَامِ فِي لَأْخَرِ وَلَا عُنْفِ^(٧)

يَجُوبُ عَنكَ الَّتِي عَشَيْتَ لَهَا حَيْرَانَ، حَتَّى يَشْفِيكَ فِي لُطْفِ^(٨)

-
- (١) العصاء من الوعول : ما في ذراعيها أو إحداهما بياض وسائرهما أسود أو أحمر .
والشرف : المكان المرتفع .
- (٢) الطباق ، كرمان : شجر ينبت في جبال مكة . والنزع : نبت . س : « المنزِع » ل :
« والنزع » محرفتان . والألف : الملتف . ل : « الأفق » تحريف .
- (٣) القليدَم : البئر الغزيرة الكثيرة الماء . ط : « قلندم » س : « فلندم »
صوابه في ل والديوان . والعِيَالِم : جمع عيلم ، وهي البئر الواسعة الكثيرة الماء
عنى أنه غزير العلم . وفي الديوان ومحاضرات الراغب (١ : ٤٩ ، ٢ : ٢٣٦) :
« العِيَالِم » . والحُسْف : جمع خسيقة ، وهي البئر حفرت في حجارة ، فنبعت
بماء غزير لا ينقطع .
- (٤) رثاه بها قبل موته ، وكان خلف أستاذه ، فمرضها عليه فاستجودها . وأنشدها أبا عبيدة
فقال : ما أحسنها ! وطوي لمن يرقى بمثلها ! فقال : مت راشدأ وعلى أن أرتيك
بخير منها .
- (٥) وكف الدمع : قطر . ط ، س : « أن لا يفيض » ، صوابه في ل والديوان .
- (٦) الجدف : الجدث ، وهو القبر . ل : « رهين للتراب » .
- (٧) يسنى : يفتح . والغلق : ما يغلَق به الباب . ط : « كما يسنى برفقه خلق »
كما البيت محرف بالديوان .
- (٨) يجوب : من جاب الرجل المفازة : قطعها . عشى : لم يبصر . ل والديوان : « من
قبل » موضع « حيران » .

لا يهيمُ الحياءُ في القراءة بانحنا ء ولا لامها مع الألف^(١)
 ولا مضلاً سبيلَ الكلامِ ولا يكونُ إسناده عن الصحفِ^(٢)
 وكان ممن مضى لنا خلفاً فليسَ إذ مات عنه من خلفِ^(٣)
 وقال آخر في ابنِ شبرمة^(٤) .
 إذا سألتَ الناسَ أينَ المكرمةَ والعزُّ والجُرثومةُ المقدَّمةُ^(٥)
 وأينَ فاروقُ الأمورِ المحكِّمةُ^(٦) تتابعَ النَّاسُ على ابنِ شبرمة^(٧)

(شعر مختار)

وقال ابن عرفطة :

ليهنِكَ بُغضُ للصديقِ وِظَنَةٌ وتحديثك الشيء الذي أنت كاذبه^(٨)
 [وأنتَ مشنوءٌ إلى كلِّ صاحبِ بلاك ، ومثلُ الشرِّ يكره جانبه]
 وإنك مهَّداءُ الخنا نطفِ النَّشأ شديد السبابِ رافع الصوتِ غالبه^(٨)

(١) كلا، في ط ، س ، والديوان ، وأخبار أبي نواس ٢٧ : « يهيم » من الوهم ، وفي ل : « يهيم » .

(٢) كانوا يقولون : « لا تأخذوا العلم من صحفى » . ط ، س : « على الصحف » ورواية الديوان وأخبار أبي نواس :

ولا يعنى معنى الكلام ولا يكون إنشاده عن الصحف

(٣) ط ، س : « وكان فيما مضى لنا خلف » ، وصوابه في ل والديوان والأخبار .

(٤) سبقت ترجمته في التنبيه الثاني من ص ٤٩٢ .

(٥) الجرثومة : الأصل .

(٦) الفاروق : الذى يفرق ويفصل .

(٧) ل : « ليهنك بعض في الصديق » . وانظر القول في الشعر وشرحه ص

١٠٢ - ١٠٣ .

(٨) ط ، س : « وأنت مهدي الخنا نطف الحشا » ، تحريف صوابه في ل .

وانظر ١٠٣ .

وقال النَّابِغَةُ الْجَعْدِيُّ :

أَبَى لِي الْبَلَاءُ وَأُنِّي أَمْرٌ إِذَا مَا تَبَيَّنْتُ لَمْ أَرْتُبْ

وليس يريد أنه في حال تبيُّته^(١) غير مُرتاب ، وإنما يعنى أنَّ بصيرته لا تتغيَّر .

وقال ابنُ الجهم ، ذات يوم : أنا لا أشكُ^(٢) ! قال له المكيُّ : وأنا

لا أكاد أوقن !

وقال طرفة :

وكرِّى إِذَا نَادَى الْمُضَافُ مُحَبًّا كَسِيدَ الْغَضَى فِي الطَّخِيَةِ الْمُتَوَرِّدِ^(٣)

وتقصيرُ يَوْمِ الدَّجْنِ وَالدَّجْنِ مَعْجِبٌ بِيَهْكَنَةٍ تَحْتَ الْخِجَاءِ الْمَمْدُدِ^(٤)

أرى قَبْرَ نَحَامٍ بِخَيْلٍ بِمَالِهِ كَقَبْرِ غَوِيٍّ فِي الْبَطَالَةِ مُفْسِدِ ١٥٦

لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى لِكَالطَّوْلِ الْمُرْخِي وَثِنْيَاهُ بِالْيَدِ^(٥)

أرى الموتَ أَعْدَادَ النُّفُوسِ وَلَا أَرَى

بعيدًا غدا ، ما أقربَ اليومَ من غد

(١) ط ، س : « بيانه » ، تحريف ما في ل .

(٢) ل : « أنا أكاد أشك » .

(٣) المضاف : الذى أضافته الهموم . والحنب : فرس محدودب الذراع قليلا . س :

« مجنبا » تحريف . والسيد : الذئب . والغضى : شجر . والطخية : الظلمة .

والمترود : الذى يطلب أن يرد الماء . ل : « كسيد الغضا نهته » .

(٤) البهكنة : المرأة التامة الخلق . ط ، س : « بيهكنة » ، محرف . ل :

« الخباء الممدد » أى ذى العمد .

(٥) الطول : الخيل . وثنياه : طرفاه . س : « لكالطول المرخي » تحريف .

وظلم ذوى القربى أشدّ مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند (١)
وفى كثرة الأيدي عن الظلم زاجرٌ إذا خطرت أيدى الرجال بمشهد (٢)

باب

القول فى الجمelan والخنafس (٣)

وسنقول فى هذه (٤) المحقرات من حشرات الأرض ، وفى المذكور من
بغاث الطير وخشاشه ، مما يقتات العذرة ويوصف باللؤم (٥) ، ويتقزّز من
لمسه (٦) ، وأكل لحمه ؛ كالخنفساء والجعل ، والهداهد (٧) والرّخم ؛ فإنّ هذه
الأجناس أطلب للعذرة من الخنازير .

فأول ما نذكر من أعاجيبها صداقة ما بين الخنافس والعقارب ،
وصداقة ما بين الحيات والوزغ .

وتزعم (٨) الأعراب أنّ بين ذكورة الخنافس وإناث الجمelan تسافداً (٩)
وأنهما ينتجان خلقاً ينزع إليهما جميعاً .

- (١) قيل إن هذا البيت لعدي بن زيد وليس لطرفة . التبريزى .
- (٢) لم يروه التبريزى ولا الزوزنى . ووجدته فى محاضرات للراغب (١ : ١٣٣)
وحامسة البحترى ١٥٤ منسوبة إلى عدى بن زيد العبادى . ط ، س :
- « على الظلم » . خطرت : تحركت واهتزت . ط ، س : « حضرت »
وليس بشيء . والمشهد : محضر الناس .
- (٣) ل : « القول فى المحقرات من حشرات الأرض » .
- (٤) ط ، س : « باب » .
- (٥) ط : « يقتات » و « يوصف » .
- (٦) ط ، س : « يتقزّز بلمسه » .
- (٧) الهداهد بالفتح : جمع هدهد . وبالضم : لغة فى الهدهد . ل : « الهدهد » .
- (٨) ط ، س : « وزعم » .
- (٩) ط ، س : « وذكورة الجمelan تسافد » ، وصوابه فى ل .

وَأَنشَدَ خُشْنَامُ^(١) الْأَعْرَابَ [النَحْوِيُّ] عَنْ سَيِّبِ بْنِ النَّحْوِيِّ ، عَنْ بَعْضِ

الْأَعْرَابِ فِي هِجَائِهِ عَدُوًّا لَهُ كَانَ شَدِيدَ السَّوَادِ :

عَادَيْتَنَا يَا خُنْفَسَا كَمَا جَعَلُ^(٢) عِدَاوَةَ الْأَوْعَالِ حَيَاتِ الْجَبَلِ

مِنْ كُلِّ عَوْدٍ مُرْهَفِ النَّابِ عُتْلُ^(٣) يَحْرِقُ إِنْ مَسَّ وَإِنْ شَمَّ قَتَلَ^(٤)

وَيُثَبِتُ أَكَلَ الْأَوْعَالِ لِلحَيَاتِ الشَّعْرُ المشهور ، الَّذِي فِي أَيْدِي

أَصْحَابِنَا ، وَهُوَ :

عَلَّ زَيْدًا أَنْ يُلَاقِيَ مَرَّةً فِي التَّمَّاسِ بَعْضَ حَيَاتِ الْجَبَلِ^(٥)

غَايِرَ الْعَيْنِينَ مَقْطُوحِ الْقَفَا لَيْسَ مِنْ حَيَاتِ حُجْرٍ وَالْقَلَلِ^(٦)

يَتَوَارَى فِي صُدُوعِ مَرَّةً رَيْدُ الْخَطْفَةِ كَالْقِدْحِ الْمُؤَلِّ^(٧)

وَتَرَى السَّمَّ عَلَى أَشْدَاقِهِ كَشِعَاعِ الشَّمْسِ لَاحَتْ فِي طَفْلِ^(٨)

طَرْدِ الْأُرْوَى فَا تَهْرَبُهُ وَنَفَى الْحَيَاتِ عَنْ بَيْضِ الْحَجَلِ

(١) ط ، س : « حَسَام » .

(٢) كَامَهَا : سَفَدَهَا . ط ، س : « أَمِ الْجَبَلِ » محرف .

(٣) الْعُودُ ، بِالْفَتْحِ ، أَصْلُهُ الْمَسْنُ مِنَ الْجَمَالِ . وَالْعُتْلُ : الشَّدِيدُ . وَعَنَى بِهِ الْحَيَّةَ .

(٤) مِثْلُهُ قَوْلُ يَحْيَى بْنِ أَبِي حَفْصَةَ فِي الْحَيَّةِ — وَالْحَيَّةُ تَذَكَّرُ وَتُؤَنَّثُ فَتَقُولُ : هِيَ الْحَيَّةُ ، وَهُوَ الْحَيَّةُ — :

أَصَمَ مَا شَمَّ مِنْ خُضْرَاءِ أَبِيسَهَا . أَوْ مَسَّ مِنْ حَجَرٍ أَوْ هَاهُ فَانْصَدَعَا

وَإِنظَرَ الْحَيَوَانَ (٢ : ١٣٧ — ١٣٨) . ل : « يَحْرِقُ » بِالْحَاءِ .

(٥) ط ، س : « فِي التَّمَّاسِ » ، صَوَابُهُ فِي ل .

(٦) مَقْطُوحٌ : عَرِيضٌ . ط ، س : « مَقْطُوعٌ » تَحْرِيفٌ . ل : « وَالْقَلَلِ » .

(٧) الرَّيْدُ : السَّرِيعُ . ل : « وَتَرَى » ط ، س : « وَبَدَى » ، وَالْوَجْهَ فِيهِمَا مَا أُثَبِتَ . وَالْقِدْحُ أَرَادَ بِهِ السَّهْمَ . وَالْمُؤَلُّ : أَصْلُهُ الْمُؤَلُّ ، وَهُوَ الْمُخَدُّ .

(٨) ط : « وَتَرَى السَّهْمَ » ، صَوَابُهُ فِي ل ، س . وَالطِّفْلُ ، بِالتَّحْرِيكِ : الْغُرُوبُ .

ولأنما ذكر الأروى من بين جميع ما يسكن الجبال من أصناف
الوحش ، لأن الأروى من بينها تأكل الحيات ؛ للعداوة التي بينها
وبين الحيات .

(استطراد لغوى)

١٥٧ والأروى : إناث الأوعال ، واحدها أروية . والناسُ يُسمون بناتهم
باسم الجماعة ، ولا يسمون البنت الواحدة باسم الواحدة منها : لا يسمون
بأروية ، ويسمون بأروى . وقال شماخ بن صرار :

فما أروى وإن كرمت علينا بأذى من موقفة حرون^(١)

وأُنشد^(٢) أبو زيد في جماعة الأوروية :

فمالك من أروى ، تعاديت بالعمى ولا قيت كلاباً مُطلاً ورامياً^(٣)

يقال : تعادى القومُ وتفاقدوا : إذا مات بعضهم على إثر بعض .

وقالت في ذلك ضباعة بنت قرط^(٤) ، في مرثية زوجها هشام

ابن المغيرة :

(١) الموقفة : الأروية التي في قوائمها خطوط كأنها الخلاخيل . والوقف : الخللخال .
والحرون : التي لا تبرح أعلى الجبل . يقول : ليست هذه المرأة بأقرب منالاً من
هذه الأروية الصعبة المنال .

(٢) ط ، س : « وقال » ، وصوابه في ل .

(٣) ل : « تعاديت » تحريف يخالف السياق . والبيت في اللسان (عدا) . والكلاب :
الصائد بالكلاب . والمطل : من قولهم أطل فلان على فلان بالأذى ، إذا دام على
إيدائه . س : « مطلا » .

(٤) هي ضباعة بنت عامر بن قرط ، كان تزوجها عبد الله بن جدعان في الجاهلية ،
ثم طلقها وتزوجها هشام بن المغيرة ، فلما مات أسلمت وهاجرت ، وخطبها
الرسول ثم بدا له فتركها . انظر الإصابة . ٦٧٠ قسم النساء .

لِنَّ أَبَا عُمَانَ لَمْ أَنْسَهُ وَإِنْ صَمْتًا عَنْ بُكَاءِهِ لِحُوبِ (١)
تَفَاقَدُوا مِنْ مَعْشَرٍ مَا لَهُمْ أَى ذُنُوبٍ صَوَّبُوا فِي الْقَلْبِ (٢)

(طلب الحيات البيض)

وأما قوله :

* وَزَفَى الْحَيَّاتِ عَنِ بَيْضِ الْحَجَلِ *
فإن الحيات تطلبُ ببيض كلِّ طائرٍ وفراخه . ويبضُّ كلُّ طائرٍ ممَّا
يبيض على الأرض أحبُّ إليها . فما (٣) أعرفُ لذلك عِلَّةٌ إلا سهولةَ المطلبِ .
والأبائلُ تأكل الحياتِ ، والحنازيرُ تأكل الحياتِ وتعادىها .

(عداوة الحمام للغراب)

وزعم صاحبُ المنطق أن بين الحمام والغراب عداوة . وأنشدني بعضُ
النحويين (٤) :

عَادَيْتَنَا لَا زِلْتَ فِي تَبَابِ عَدَاوَةِ الْحَمَامِ لِلْغُرَابِ

(١) ط : « صمى » ، وأثبت ما فى ل ، س والعمدة (١ : ١٨٨) . والحوب ،
بالضم : الإثم . وفى الكتاب : « إنه كان حوبا كبيرا » . ل :
« لجوب » تحريف .

(٢) الذنوب ، بالفتح : الدلو العظيمة . والقلب : البئر . إن أطلق الروى بالتحريك كان
فى الشعر إقواء ، وإن قيد بالإسكان امتنع الإقواء .

(٣) ل : « ولا » .

(٤) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وأنشدق » . وانظر ما سبق فى ص ٤٥٨ .

وأُشِدُّ ابْنَ أَبِي كَرِيمَةَ لِبَعْضِ الشُّعْرَاءِ فِي صَرِيحِ الْغَوَانِي :
فَا رِيحُ السَّدَابِ أَشَدُّ بُغْضًا إِلَى الْحَيَاتِ مِنْكَ إِلَى الْغَوَانِي (١)

(أمثال)

ويقال : « أَلَجٌ مِنَ الْخِنْفَسَاءِ » ، و « أَفْحَشٌ مِنْ فَاسِيَةٍ » ، وَهِيَ الْخِنْفَسَاءُ
و « أَفْحَشٌ مِنْ فَالِيَةِ الْأَفَاعِي (٢) » .

وَالْفَسَاءُ يُوصَفُ بِهِ ضَرْبَانِ مِنَ الْخَلْقِ : الْخِنْفَسَاءُ ، وَالظَّرْبَانِ .
وَفِي لُجَاجِ الْخِنْفَسَاءِ يَقُولُ خَلْفُ الْأَحْمَرِ (٣) :

لَنَا صَاحِبٌ مُوَلَّعٌ بِالْخِلَافِ كَثِيرُ الْخَطَاةِ قَلِيلُ الصَّوَابِ (٤)
أَلَجٌ لُجَاجًا مِنَ الْخِنْفَسَاءِ وَأَزْهَى إِذَا مَامَشَى مِنْ غَرَابِ (٥)

(طول ذمماء الخنفساء)

وقال الرقاشي : ذكرت صبر الخنزير على نفوذ السهام في جنبه (٦) ،
فقال لي أعرابي : الخنفساء أصبر منه ، ولقد رأيت صبيًّا من صبيانكم البارحة

(١) ط ، س : « منه إلى الغواني » ، وأثبت ما في ل . وانظر ص ٤٥٩ .

(٢) فالية الأفاصي : ضرب من الخنافس رقط تألف الحيات والمقارب في جحرة الضب .

(٣) يهجو العتبي ، كافى الديرى . وللعنبي ترجمة في (١ : ٥٣ - ٥٤) . وفي مجمع

الأدباء (١٦ : ١٦١) أنهما في هجاء أبي العيناء . وبمدهما هناك بيتان آخران .

(٤) الخطاء : الخطأ .

(٥) أعاد إنشاده في (٦ : ٤٦٩) .

(٦) ل : « جنيبه » .

وأخذَ شوكةً وجعل في رأسها فتيلةً ، ثمَّ أوقد فيها ناراً^(١) ، ثمَّ غرزها في ظهر الخنفساء ، حتى أنفذ^(٢) الشوكة . فغبرنا ليلتنا^(٣) وإنها لتجول في الدار وتصبح^(٤) لنا . و [الله] إني لأظنها كانت مقرِّباً^(٥) ؛ لانفخا بطنها ١٥٨

(استطراد لغوى)

قال : وقال القناني^(٦) : العواساء : الحامل من الخنافس ، وأنشد :

* بَسْكَرًا عَوَاسَاءَ تَفَاسًا مُقْرِبًا^(٧) *

(١) ط ، س : « أوقدها ناراً » .

(٢) س : « أبعد » .

(٣) غير : مكث . ط ، س : « فغبرنا » ، ووجهه من ل .

(٤) تصحيح : تضيء . وانظر ماسياتي في ص ٥٠٨ .

(٥) المقرب : الحامل التي دنا ولادها .

(٦) القناني هذا هو أستاذ الفراء ، كما في معجم البلدان (قنان) . وله ذكر في اللسان

(نبل ١٦٣) ، وهو يفتح القاف بعدها نون مفتوحة . ط ، س : « العتاني » وهو كلثوم

ابن عمرو العتاني المترجم في (٢ : ٢٩٦) ، وصوابه ما أثبت من ل ؛ لمطابقته لما في

المخصص (٢ : ١٨) والمقصود ٧٨ والغريب المصنف ١٥٧ ؛ ٢٤٤ في كل منها :

« وأنشد القناني » .

(٧) العواساء ، بالفتح : الحامل من الخنافس . تفاسا : أصلها تنفاساً ، أي تخرج ظهرها .

وروى : « تفاسي » أصلها تنفاسي ، كما في اللسان (عوس ، فسي) والمقصود

لابن ولاد ، أي تخرج منها . وروى : « تيازي » أصلها تيازي ، كما في المخصص ،

أي تخرج عجيزتها . ط : « قماسا » س : « نفاسا » ، صوابهما في ل .

(أعاجيب الجعل)

قال : ومن أعاجيب الجعل ^(١) أنه يموت من ريح الورد ، ويعيش إذا أعيد إلى الروث . ويضرب بشدة سواد لونه المثل . قال الراجز وهو يعصف أسوداً سالخاً ^(٢) :

مَهَرَّتْ الْأَشْدَاقَ عَوْدَ قَدْ كَمَلَتْ ^(٣) كَأَنَّمَا قُفِّصَ مِنْ لَيْطٍ جُعَلٌ ^(٤)
وَالْجُعَلُ يَظَلُّ دَهْرًا لَا جَنَاحَ لَهُ ، ثُمَّ يَنْبِتُ لَهُ جَنَاحَانِ ، كَالنَّمْلِ الَّذِي يَغْبُرُ
دَهْرًا لَا جَنَاحَ لَهُ ، ثُمَّ يَنْبِتُ لَهُ جَنَاحَانِ ، وَذَلِكَ عِنْدَ هَلَكَتِهِ ^(٥) .

(الدعاميص)

والدعاميص ^(٦) قد تغبر حيناً بلا أجنحة ، ثم تصير فراشاً وبعضاً .
وليس كذلك الجراد والذبان ؛ لأن أجنحتها تنبت على مقدار من العمر ومرور
من الأيام ^(٧) .

(١) ط ، س : « ومن أول أعاجيب الجعل » .

(٢) الأسود : الحية العظيمة . والسالخ : الذي يسليخ جلده ، وذلك يكون في كل عام .

(٣) مهرت الأشداق : واسمها . ط ، س : « مهرت الشدين » ، وهي رواية البيان (٣ : ٢٢٥) .

(٤) قصص : أليس قصصاً . والليط ، بالكسر : قشر الجعل . ط ، س : « قصص » صوابه في ل والبيان .

(٥) ل : « علامة هلكته » . و « زمانا » مكان « دهرأ » المتقدمة . والكلام من « كالنمل » إلى « جناحان » ساقط من س .

(٦) الدعومص : خلق يكون في الماء ثم يستحيل بعضاً وفراشاً .

(٧) كلمة « من » ساقطة من ل .

وزعم ثمامة ، عن يحيى بن خالد : أن البرغوث^(١) قد يستحيلُ بعوضة .

(عادة الجعل)

والجعل يحرسُ النيام ، فكلما قام منهم قائمٌ فضى لحاجته تبعه ، طمعاً في أنه إنما يريد الغائط. وأنشد بعضهم قول الشاعر^(٢) :

بييتٌ في مجلس الأقسامِ يربوهم كأنه شرطىٌ بات في حرس^(٣)

وأنشد بعضهم^(٤) لبعض الأعراب في هجائه رجلاً بالفسولة ، وبكثرة

الأكل ، وبعظم حجم النجو :

حتى إذا أضحى تدرى واكتحل^(٥)

لجارتيه ثم ولى فنثل^(٦)

* رزق الأنوقين القرنبي والجعل^(٧) *

(١) ل : « أنه زعم أن البرغوث » .

(٢) كذا في ل . وفي ط ، س : « وأنشد لبعضهم » .

(٣) يربوهم : يرقبهم ، أو يكون لهم ريبة أي عينا . ط ، س : « في منزل » ، وأثبت ما في ل وما سبق في (١ : ٢٣٦) .

(٤) ط ، س : « وأنشدوا » .

(٥) تدرى : سرح شعره . ط : « تلمدى » ، صوابه في ل ، س . وفي ط : « ثم إذا أضحى » . وسبق الرجز في (١ : ٢٣٥) .

(٦) نثل : أصله للفرس ، يقال نثل : راث . وفي الأصل : « نثل » ، وتصحيحه من الجزء الأول .

(٧) ل : « روق » ، صوابه في ط ، س . وفي سيق في الجزء الأول : « ذرق » وما هنا صوابه .

سمى القَرْنَبِي والجُعل - إذ كانا يقتانان الزَّيْبِل - أَثْوَقِين^(١) . والأَنُوق :
الرَّخْمَة ، وهي [أحد ما] يقتات^(٢) العَدْرَة . وقال الأَعشى :

يَارْحَمًا ، قَاظَ عَلَى يَنْخُوبِ^(٣) يُعْجِلُ كَفَّ الْخَارِيَّ الْمُطِيبِ
المطيب : الذى يستطيب^(٤) بالحجارة ، أى يَتَمَسَّحُ^(٥) بها . وهم يسمُّون
بالأنوق كلُّ شئٍ يقتات النَّجْوَ والزَّيْبِل ، إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ عَلَى التَّشْبِيهِ لَهَا بِالرَّخْمِ
فى هذا المعنى [وحده] . وقال آخر :

يَا أَيُّهَا النَّاجِي نَبِّحِ الْقَبِيلَ^(٦) يَدْعُو عَلَى كَلِمَا قَامَ يُصَلُّ
رَافِعَ كَفِّهِ كَمَا يَفْرَى الْجُعْلَ^(٧) وَقَدْ مَلَأَتْ بَطْنَهُ حَتَّى أَتَلَّ
* غِيظًا فَأَمْسَى ضَغْنُهُ قَدْ اعْتَدَلَ * .

وَالْقَبِيلُ : مَا أَقْبَلَ عَلَيْكَ مِنَ الْجَبَلِ . وَقَوْلُهُ أَتَلَّ ، أى امْتَلَأَ [عَلَيْكَ] غِيظًا
فَقَصَّرَ فِى مَشِيئَتِهِ . وَقَالَ الْجَعْدِيُّ :

مَنَعَ الْغَدْرَ فَلَمْ أَهْمَمْ بِهِ وَأَخُو الْغَدْرُ إِذَا هَمَّ فَعَلُ
خَشِيئَةَ اللَّهِ وَأَتَى رَجُلًا إِذَا ذَكَرَى كِتَارَ بَقْبَلٍ^(٨)

١٥٩

(١) هذه ساقطة من ل .

(٢) كذا فى ل . وفى س : « وهى ما يقتات » ط : « وهى تقتات » .

(٣) قَاظَ بِالْمَكَانِ : أَقَامَ بِهِ صَيْفًا . وَيَنْخُوبُ : مَوْضِعٌ ، ذَكَرَهُ يَاقُوتٌ ، وَأَنشَدَ
الْبَيْهَتِ . وَالرَّوَايَةُ الْمَعْرُوفَةُ : « مَطْلُوبٌ » كَمَا فِى اللِّسَانِ (طِيبٌ ، قَاظٌ) وَالدِّمِيرِيُّ
وَأَمْثَالُ الْمِيدَانِ (٢ : ٢٥٠) ، وَهُوَ اسْمُ جَبَلٍ . ط ، س : « مَنْجُوبٌ »
تَحْرِيفٌ مَاقِ ل .

(٤) ط ، س : « يَتَطِيبُ » ، صَوَابُهُ فِى ل .

(٥) ط : « يَتَطِيبُ » ، وَلَيْسَتْ صَحِيحَةً . س : « يَمْسَحُ » ، وَأَثْبَتَ مَاقِ ل .

(٦) الْقَبِيلُ : الْجَبَلُ يَسْتَقْبَلُكَ . أى كُنْ يَنْبِجُ الْجَبَلِ . ط ، س : « الْمَانِحَى نَبِجٌ »
صَوَابُهُ فِى ل ، وَاللِّسَانُ (قَبْل) وَنَوَادِرُ أَبِي زَيْدٍ ٤٩ .

(٧) يَفْرَى ، بِالْفَاءِ : يَصْنَعُ . ط ، س : « يَقْرِى » صَوَابُهُ فِى ل وَالنَّوَادِرُ .

(٨) ل : « نَارَ بَقْبَلٍ » ، أَرَادَ أَنَّهُ مَعْرُوفٌ مَشْهُورٌ .

وقال الرَّاجز - وهو يهجو بعضهم بالفُسولة ، وبكثرة الأكل ، وعِظَم^(١) حِجْمِ النَّجْوِ - :

* باتَ يَعِشِي وَخَدَهُ أَلْنَى جُعَلٌ^(٢) *

وقال عنبرة :

إذا لاقيتَ جمعَ بني أبان فأني لأمُّ للجعدِ لاجي
كسوتُ الجعدَ جعدَ بني أبان ردائي بعد عريِّ وافتضاح^(٣)
ثم شبهه بالجعل فقال :

كَأَنَّ مَوْشَرَ الْعَضْدَيْنِ جَحَلًا هُدُوجًا بَيْنَ أَقْلَبِيَّةٍ مِلَاحٍ^(٤)
تضمنَ نعمتي فغدا عليها بُسُكُورًا أَوْ تَهَجَّرَ فِي الرُّوَّاحِ
وقال الشَّيْخُ :

وإن يُلقِيَا شَاوًا بِأَرْضِي هَوَى لَه مُفَرَّضُ أَطْرَافِ الدَّرَاعَيْنِ أَفْلَجُ^(٥)

(١) س : « وبظم » .

(٢) قبله كما سبق في (١ : ٢٣٦) :

* إذا أتوه بطعام وأكل *

(٣) الرداء : هنا السيف ، وكان الرجل إذا قتل رجلا مشهوراً وضع سيفه عليه ليعرف قاتله . فن ذلك ماسى السيف رداء ، وفي ذلك يقول متمم :

لقد كفن المنهال تحت رداءه فتى غير ميطان المشيات ، أروعا

والرواية في ديوان عنبرة : « سلاحي » . وكان عنبرة أعار الجعد سلاحاً فأمسكه

الجعد ولم يرده إليه . ط : « بعد عراى وافتضاحى » . وصوابه في ل ، س والديوان ٥٤ . والمراد : بعد عري الجعد وافتضاحه .

(٤) مؤشر : مرقق . والجعل بتقديم الجيم : العظيم من الجعلان . ط ، س :

والديوان ، واللسان (أشر) : « جحلا » صوابه في ل و اللسان (جحل ، قلب) والخصص

(١٧ : ٣٥) . والهدوج : الذى يمشى رويداً في ضعف . ط ، س : « عروجا »

صوابه ما أثبت من جميع المصادر السابقة . والأقلبية : الآبار ، جمع قليب . ملاح : جمع ملح : ذى ملحوة .

(٥) يلقيا : من الإلقاء . والضمير عائد إلى غير وأتانه . انظر ديوان الشَّيْخ =

(استطراد لغوى)

والشأو هاهنا : الرّوث ؛ كأنه كثر [ه] حتى ألحقه بالشأو الذى يخرج من البئر ؛ كما يقول أحدهم إذا أراد أن يُنقى البئر : أخرج من تلك البئر شيئاً أو شيئاً ، يعنى من التراب الذى قد سقط فيها ، وهو شئٌ كههيئة الزبيل (١) الصّغير .

والشأو : الطلق (٢) . والشأو : الفوت (٣) .

والمفروض الأفلح (٤) الذى عنى ، هو الجعل ؛ لأنّ الجعل فى قوائمه تحزير ، وفيها تفريج (٥) .

= (١٢ - ١٦) . ط ، س : « تلفياً » صوابه فى ل والديوان . والمفروض ؛ المحرز . س : « معرض » ط : « معرف » ، صوابه فى ل والديوان واللسان (فرض) . والأفلح : البعيد ما بين القوائم . ط ، س : « أفلح » بالحاء ، وهو تحريف ما فى ل والديوان . والبيت من قصيدة جيمية مطلعها :

ألا ناديا أظمان ليلى تعرج فقد هجن شوقاً لبيته لم يبيح
وفى البيت كما ترى إقواء ، إذ روياها الجيم المسكورة .

(١) كذا فى ل ، س . وفى ط : « الزنبيل » وهما صيحتان ، يقال زبيل ، وزبيل كسكين ، وزنبيل وزنبيل بكسر الزاى أو فتحها ، وهى القفحة أو الجراب .
(٢) الطلق ، بالكسر وبالتحريك : الشوط ، تقول : عدا طلقاً أو طلقين .
(٣) الفوت ، بالفتح : السبق . شأه : سبقه . ط ، س : « الفوت » صوابه فى ل .

(٤) ط ، س : « المعرض الأفلح » ، صوابه فى ل . وانظر أوائل الفرح من هذه الصفحة .

(٥) ط ، س : « تعريج » ، تصحيحه من ل .

(معرفة في الجعل)

وللجعل جناحان لا يكادان يُرَيَانِ إِلَّا عند الطَّيْرَانِ ، لشِدَّةِ سوادهما ،
وشبَّههما بجلده ، ولشِدَّةِ (١) تمكُّنهما في ظهره .

قال الشاعر ، حيثُ عَدَّدَ الخَوْنَةَ ، وحثَّ الأميرَ (٢) على محاسبتهم :

واشدُّ يديك بزيدٍ إن ظفرتَ به

واشفِ الأراملَ من دُحروجَةِ الجعلِ

والجعل لا يدرج إلا جعراً (٣) يابساً ، أو بعة .

وقال سعد بن طريف (٤) ، يهجو بلالَ بنَ رباحِ مولى أبي بكر (٥) :

وذاك أسودُ نوبى له ذفرٌ كأنه جعلٌ يمشى بقيرواحٍ (٦)

وسند ذكر شأنه وشأن بلالٍ في موضعه من هذا الكتاب إن شاء

الله تعالى .

(١) ط ، س : « وشدة » .

(٢) ط ، س : « الأمين » .

(٣) الجعر ، بالفتح : النجو . ط ، س : « بعراً » .

(٤) سعد بن طريف : صحابي ، ترجم له في الإصابة ٣١٦٣ . ل : « سعد بن مطر » ،

صوابه في ط ، س .

(٥) هو بلال بن رباح الحبشي ، المؤذن ، كان أبو بكر اشتراه إنقاذاً له من عذاب سيده

المشرك ، ثم اعتقه فلزم الرسول وأذن له وشهد معه جميع المشاهد . مات سنة

عشرين . ط ، س : « بنى بكر » ، صوابه في ل .

(٦) الذفر ، بالتحريك : خبث رائحة الإبط . ط : « زفر » س : « ظفر »

صوابه في ل . والقرواح ، بالكسر : الفضاء من الأرض .

(أبو الخنافس وأبو العقارب)

وكان بالكوفة رجلاً من ولد عبد الجبار بن وائل بن حُجر الحضرمي^(١) يكنى أبا الخنافس راضياً بذلك^(٢) ، ولم تكن الكنية لقباً ولا نَبْزاً ، وكان من الفقهاء ، وله هيئة ورؤاء. وسألته^(٣) : هل كان في آبائه من يكنى أبا الخنافس؟
فإن أبا العقارب^(٤) في آل سلم مولى^(٥) بني العباس كثيرٌ على أتباع أثر . وكان أبو الخنافس هذا اكتنى به ابتداءً .

(طول ذمء الخنفساء)

وقال لي [أبو] الفضل العنبري : يقولون : الضبُّ^(٦) أطول شيء ذمء ، والخنفساء^(٧) أطول منه ذمء ؛ وذلك أنه يُغرز في ظهرها شوكةٌ ناقية^(٨) ، وفيها ذبالةٌ تستوقدُ وتُصبحُ^(٩) لأهل الدَّار ، وهي تدبُّ بها

(١) عبد الجبار ، ذكره ابن حجر في الإصابة في أثناء ترجمته لوالده : (وائل بن حجر بضم الحاء — الحضرمي المتوفى في خلافة معاوية) ، ولم يذكره بشيء سوى أنه روى هو وأخوه علقمة عن أبيهما وائل . الإصابة ٩١٠١ .

(٢) ل : « وهو راض بكنيته » .

(٣) ل : « سألت » .

(٤) ل : « أبا العقاب » ، تحريف .

(٥) س : « مولى » .

(٦) ط ، س : « الضب » .

(٧) ط ، س : « والخنافس » .

(٨) ل : « نافذة » .

(٩) تصحیح : تنير . وانظر ص ٥٠١ .

وتجول ! وربما كانت في تضاعيف حبل قت ، أو في بعض الحشيش والعشب
والخلا ، فتصيرُ في فم الجمل فيبتلعها من غير أن يَضغَمَ الخنفساء^(١) ، فإذا
وصلت إلى جوفه وهي حيَّة جالت فيه ، فلا تموت حتى تقتله .
فأصحاب الإبل يتعاورون تلك الأورى^(٢) والعُوفاتِ ؛ خوفاً
من الخنافس .

(هجاء جواس لحسان بن مجدل)

وقال جواس بن القمطل^(٣) في حسان بن مجدل^(٤) :

هل يهلكني لا أبالكم دنسُ الثيابِ كطابغِ التديرِ^(٥)
جعلُ تمطى في عمائته زمرُ المروعةِ ناقصُ الشبرِ^(٦)
لزبابةِ سوداءِ حنظلةِ والعاجزِ التديرِ كالوَبيرِ^(٧)

- (١) ضغم يضمن ، من باب منح : عض .
(٢) الأورى : جمع أرى ، وهو محبس الدابة . ل : « الأورى » تحريف . وفيها :
« يتعمدون » مكان « يتعاورون » .
(٣) هو جواس بن القمطل بن سويد بن الحارث الكلبى ، وله شعر في وقعة مرج
راهط سبق بعضه في ص ٤٢٢ . ط ، س : « حواس » ط : « ابن المتعل »
ل ، س : « المقطل » صوابه ما أثبت من المؤلف ٧٤ والأغاني (١٧ : ١١٢)
والقاموس في مادتي (جوس ، قمطل) . وانظر اشتقاق الاسم في شرح العبري
للحاسة (٤ : ٣٣) .
(٤) ط : « مجدل » س : « نجدل » وصوابه في ل . وكان حسان بن مجدل
أحد ولاة بني أمية على فلسطين والأردن . ولما جاءت بيعة مروان بن الحكم
سنة ٦٤ ، امتنع عنها وأراد عقدها لخالد بن يزيد بن معاوية . وكان هوى كلب
مع مروان بن الحكم .
(٥) ل : « لا أبا لأبيكم » ، تحريف يفسد الوزن . وانظر (٦ : ٣٦٩) .
(٦) العمائة ، بالفتح : الضلال والجهالة . ل : « عبايته » . زمر المروعة : ضعيفها .
والشبر ، بالفتح : القد ، والغطاء .
(٧) الزبابة : ضرب من الفأر ، يشبه بها الجاهل ، كما في اللسان والدميري . يقول : =

فأما الهجاء والمدح ، ومفاخرة السودان [و] الحمران ، فإن ذلك كله مجموع (في كتاب الهجاء والصرحاء) .

و [قد] قدمنا في صدر هذا الكتاب جملة في القول في الجعلان وغير ذلك من الأجناس اللثيمة والمستفدرة ، في باب الثتن والطيب ، فكرهنا إعادته في هذا الموضع (١) .

باب

القول في الهدهد

وأما القول في الهدهد ، فإن العرب والأعراب كانوا يزعمون أن القنزعة التي على رأسه ثواب من الله تعالى على ما كان من برّه لأمه ! لأن أمه لما ماتت جعل قبرها على رأسه ، فهذه القنزعة عوض عن تلك الوهدة .
والهدهد طائر من الریح والبدن ، من جوهره وذاته ؛ فرب شيء يكون منننا من نفسه ، من غير عرض يعرض له (٢) ، كالتبوس والحيات وغير ذلك من أجناس الحيوان .

فأما الأعراب فيجعلون ذلك الثتن شيئاً خامره بسبب (٣) تلك الجيفة

= أمه كأنها زبابة : دويبة على قدر السنور غبراء حسنة العينين شديدة الحياء .
وقد جعل أباه كالوبر تحقيراً له . ومنه قول أبان بن سعيد بن العاص : « واعجباً لوبر تدل علينا من قدام ضأن ! » . قدام ضأن : موضع . ط : « الوبر » وصوابه من ل ، س .

(١) بعد هذا في ط ، س : « والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب » .

(٢) ل : « من عرض » ، صوابه في ط ، س .

(٣) ط ، س . « لسبب » .

التي كانت مدفونة في رأسه . وقد قال في ذلك أمية أو غيره^(١) من شعرائهم :
فأما أمية فهو الذي يقول :

تَعْلَمُ بَانَ اللَّهِ لَيْسَ كَصُنْعِهِ صَنِيعٌ وَلَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مُلْجِدٌ^(٢) ١٦١
وَبِكَلِّ مَنْكَرَةٍ لَهُ مَعْرُوفَةٌ أُخْرَى عَلَى عَيْنٍ بِمَا يَتَعَمَدُ^(٣)
جُدُّ وَتَوْشِيمٌ وَرَسْمٌ عَلَامَةٌ وَخَزَائِنٌ مَفْتُوحَةٌ لَا تَنْفَدُ^(٤)
عَمَّنْ أَرَادَ بِهَا وَجَابَ عِيَانَهُ لَا يَسْتَقِيمُ خَالِقٌ يَتَزَيَّدُ^(٥)
غَيْمٌ وَظُلْمَاءٌ وَغَيْثٌ سَحَابَةٌ أَزْمَانٌ كَفَنَ وَاسْتَرَادَ الْهَدُودُ^(٦)
يَبْغِي الْقَرَارَ لِأُمَّهِ لِيُجَنِّهَا فَبْنَى عَلَيْهَا فِي قَفَاهُ يُمَهِّدُ^(٧)
مَهْدًا وَطَيْئًا فَاسْتَقَلَّ بِحَمْلِهِ فِي الطَّيْرِ يَحْمِلُهَا وَلَا يَتَأَوَّذُ^(٨)
مِنْ أُمَّهِ فَجَزَى بِصَالِحِ حَمْلِهَا وَلِدًا ، وَكَأَنَّ ظَهْرَهُ مَا تَفْقَدُ^(٩)
فَتَرَاهُ يَدْلُحُ مَا مَشَى بِجَنَازَةٍ فِيهَا وَمَا اخْتَلَفَ الْجَدِيدُ الْمَسْنَدُ^(١٠)

- (١) ط ، س : « أو » ، والوجه الواو كما في ل .
(٢) ل : « عليه ملحد » ولعل في البيت تحريفا ، فإنه يخالف لما بعده في الوزن .
(٣) في الديوان : « في كل منكرة » ، ل : « بها يتعمد » .
(٤) ط ، س : « وتوسيم » . س : « لاتفقد » ، ل : « لاتفقد » صوابه من ط ، والديوان .
(٥) ل : « وحاد غياية » . الديوان : « وجاب عنانها » .
(٦) ط ، س : « وغيم سحابة » . ط : « أن مان » ، صوابه في س ، ل ونهاية الأرب (١٠ : ٢٤٧) . ط ، س : « كفر واستزاد » ل : « كفن واستزار » ، وأثبت ما في نهاية الأرب والديوان . استزاد : أصل معناها الخروج لطلب السكك .
(٧) ط ، س : « يبق » ، صوابه في ل والديوان ونهاية الأرب . يحنها : يضمها في الجنين ، بالتحريك ، وهو القبر . ط والديوان : « في قفاها » صوابه في ل ، س ونهاية الأرب .
(٨) يتأود : يتعطف ويتلوى . يقول : هي خفيفة الحبل .
(٩) الديوان : « فجرى لصالح حملها » . ط : « لاتمقد » : نهاية الأرب : « ما يمقد » .
(١٠) يدلح ، بالحاء : يمشى بحمله مثقلا . ط : « يضح » أصله من ضبح الخيل . ل ، =

(معرفة الهدهد بمواضع المياه)

ويزعمون أن الهدهد هو الذي كان يدلُّ سليمان عليه السلام على مواضع المياه في قعور الأرضين^(١) إذا أراد استنباط شيء منها .

(سؤال ومثل في الهدهد)

ويروون أن نجدَةَ الحُرُورِيَّ أو نافعَ بن الأزرق قال^(٢) لابن عباس :
إنك تقول إن الهدهد إذا نقر الأرض عرّف مسافة ما بينه وبين الماء ،
والهدهد لا يبصر الفخَّ دُونَ التراب ، حتى إذا نقر التَّمْرَةَ^(٣) انضمَّ عليه

= س ونهاية الأرب : « يدلج » ولا تصح ، صوابها من الديوان . المسند :
الدهر . والجديد : الدائم الجدة لا يبيل أبداً . وجاءت مثل هذه العبارة في
قول الهذلي :

وقالت : لن ترى أبداً تليداً بعينك آخر الدهر الجديد
ومنه الجديدان : الليل والنهار ؛ لأنهما لا يبيلان أبداً . ط : « الجديد المنشد »
صوابه في جميع المصادر المتقدمة .

- (١) ط ، س : « الماء » . ل : « قعور الأرضين » ، وما في ل تحريف .
(٢) ط ، س : « ونافع بن الأزرق قال » . ونجدة هو ابن عامر الحروري الحنفي ،
كان من الخوارج الحرورية ، وإليه تنسب الفرقة النجدية . خرج بإمامة سنة ٦٦
في جماعة كبيرة ، فأتى البحرين وقاتل أهلها ، وقتل شابا . ولد سنة ٣٦ وتوفي سنة
٦٨ . وأما نافع فهو ابن الأزرق الحنفي ، أحد الشجعان الأبطال ، كان أمير قومه
وقتيههم . وإليه تنسب فرقة الأزارقة التي اشتبكت مع المهلب بن أبي صفرة في
حروب قاسية . قتل يوم دولاب على مقربة من الأهواز سنة ٦٥ .
(٣) في ثمار القلوب ٣٨٤ : « نقر الحبة » .

الفتح ! فقال (١) ابن عباس : « إذا جاء القدرُ عمى (٢) البصرُ » .
ومن أمثالهم : « إذا جاء الحينُ غطى العين (٣) » .
وابن عباسٍ إن كان قال ذلك فإتّما عنى هُدْهُدَ سليمانَ عليه السلام بعينه ؛
فإنَّ القولَ فيه خلافُ القولِ في سائر الهداهد .
وسنأتى على ذكر هذا الباب من شأنه في موضعه إن شاء الله تعالى (٤) .
وقد قال الناس في هُدْهُدِ سليمان ، وجرابِ نوح ، وحمارِ عَزِير ، وذئبِ
أهبان بن أوس (٥) ، وغير ذلك من هذا الفن ، أقاويل (٦) ، وسنقول في ذلك
بجملَةٍ من القول في موضعه [إن شاء الله] .

(بيت الهدهد)

وقد قال صاحبُ المنطق وزعمَ في كتاب الحيوان ، أن لكل طائرٍ
يعشش شكلاً يتخذ عشه منه ، فيختلف ذلك على قدر (٧) اختلاف المواضع

-
- (١) ط ، س : « فقال لها » .
(٢) كذا في ط ، س وثمار القلوب : ل : « عشى » .
(٣) الحين ، بالفتح : الهلاك . ط : « إذا جاء » صوابه في ل ، س .
(٤) انظر الحيوان (٤ : ٧٧ - ٨٠) .
(٥) أهبان هذا ، هو أحد الصحابة . زعموا أن الذئب كلمه ثم بشره بالرسول . قالوا :
كان في غم له ، فعدا الذئب على شاة منها ، فصاح فيه أهبان ، فأقعى الذئب وقال له :
أتنزح منى رزقا رزقيه الله ! ! . وانظر بقية الخبر في ثمار القلوب ٣٠٩ . مات
أهبان بن أوس في ولاية المغيرة بن شعبة حيث كان واليا عليها للمعاوية . وذكر
ابن الكلبي وأبو عبيد والبلاذري والطبري ، أن مكلم الذئب صحابي آخر اسمه أهبان
ابن الأكوع . الإصابة ٣٠٥ .
(٦) ل : « بأقاويل » .
(٧) ل : « حسب » .

وعلى [قدر] اختلاف صور تلك القراميص والأفاحيص . وزعم أن الهدد
من بينها يطلب الزبل ، حتى إذا وجدته نقلَ منه ، كما تنقل الأرضة من
التراب ، ويبني منه بيتاً ، كما تبنى الأرضة ، ويضع جزءاً على جزء (١) ،
فإذا طال مُكثه في ذلك البيت ، وفيه أيضاً ولد ، أو في مثله (٢) ، وتربى
ريشه وبدنه (٣) بتلك الرائحة ، فأخلق به (٤) أيضاً أن يُورث ابنه (٥) الدنن
١٦٢ الذى علقه ، كما أورث جدّه أباه ، وكما أورثه (٦) أبوه . قال : ولذلك
يكون منتناً .

وهذا وجه أن كان معلوماً أنه لا يتخذ عشه إلا من الزبل .
فأما ناسٌ كثير ، فيزعمون أن رُبَّ بدنٍ يكون طيبَ الرائحة ؛
كفأرة المسك التى ربما كانت فى البيوت . ومن ذلك ما يكون مُنن
البدن (٧) ، كالذى يحكى عن الحياتِ والأفاعى والثعابين (٨) ، ويوجدُ
عليه الثبوس .

(١) كذا فى ل . وفى س : « خرم على خرم » ط : « خرم على خرم » .

(٢) ط ، س : « وفى مثله » ، صوابه فى ل .

(٣) ط ، س : « تربى وبدنه ينمو » ، صوابه فى ل .

(٤) ط ، س : « وأخلق » ؛ وللوجه ما أثبت من ل . إذ هو جواب « إذا » .

(٥) ل : « يرث أباه » ؛ صوابه فى ط ، س .

(٦) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٧) « ما يكون » سقط من ل .

(٨) ل : كالذى يحكى عن الحيات « فقط » .

(اغتيولس)

وذكر صاحب المنطق أن الطير الكبير ، الذي يسمى باليونانية اغتيولس^(١) ، يحكم عشه ويتقنه ، ويجعله مستديراً مُدْخِلاً كَأَنَّهُ كَرَّةٌ مَعْمُولَةٌ^(٢) . وروى^(٣) أنهم يزعمون أن هذا الطائر يجلب الدارصيني من موضعه ، فيفرش به عشه ، ولا يعيش إلا في أعلى الشجر^(٤) المرتفعة المواضع . قال : وربما عمد الناس إلى سهام يشدون عليها^(٥) رصاصاً ، ثم يرمون بها أعشها ، فيسقط عليهم الدارصيني ، فيلتقطونه^(٦) ويأخذونه .

(من زعم البحرين في الطير)

وزعم البحريون أن طائرَيْن يكونان ببلاد السقالة^(٧) ، أحدهما يظهر قبل قدوم السفن إليهم ، وقبل أن يُمكن البحر من نفسه ، لخروجهم في متاجرهم^(٨) فيقول الطائر : قُرب آمد^(٩) ، فيعلمون بذلك أن الوقت قد دنا ، وأن الإمكان قد قرب .

(١) ط ، س : « اغتيولس » .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٣) ط ، س : « ورووا » وصوابه في ل .

(٤) ل : « الشجرة » .

(٥) ط ، س : « فيشدون بها » .

(٦) ل : « فليقتونه » .

(٧) السقالة ، بالضم : آخر مدينة تعرف بأرض الزنج . ياقوت . ط ، س : « الصقالة » ل : « السقالة » . والصواب ما أثبت .

(٨) ط ، س : « ومتاجرهم » صوابه في ل .

(٩) قرب : بالفارسية ، هي كلفظها العربي ومعناها العربي . وآمد بالفارسية : بفتح الميم بمعنى الوصول والقدوم . ل : « آرت آمد » . وانظر مثيل هذا في كامل ابن الأثير (٩ : ١٧) في حوادث ٣٧٥ .

قالوا : ويحییء به طائرٌ آخر ، وشکل آخر ، فيقول : سمارو^(١) . وذلك في وقت رجوع من قد غاب منهم ، فيسمون هذين الجنسين من الطير : قرب^(٢) ، وسمارو ، كأنهم سموها بقولها ، وتقطع أصواتهما ، كما سميت للعرب ضرباً من الطير القطا ؛ لأن القطا كذلك تصيح^(٣) ، وتقطع أصواتها^(٤) قطاً ، وكما سموا البيغاء بتقطع الصوت الذي ظهر منه^(٥) .

فيزعم أهل البحر أنّ ذينك الطائرين لا يطير أحدهما أبداً^(٦) إلا في إناث ، وأن الآخر لا يطير أبداً إلا في ذكورة .

(وفاء الشفنين)

وزعم لي بعض الأطباء ممن أصدق خبره ، أنّ الشفنين إذا هلكت أنثاه^(٧) لم يتزوج وإن طال عليه التعزب . وإن هاج سفد^(٨) ولم يطلب الزواج .

(١) ط ، س : « سماروا » .

(٢) ل : فسموا هذين الجنسين من الطير بأرت » .

(٣) ل : « لأن ذلك الطائر كذلك يصيح » .

(٤) ل : « صوته » .

(٥) كذا جاءت بضمير المذكر . والبيغاء مؤنثة .

(٦) ل : « أن أحد ذينك الطائرين لا يطير أبداً » .

(٧) ط ، س : « امرأته » .

(٨) ط : « تسفد » تحريف ما في ل ، س .

(من عجائب الطير)

وحكوا أنَّ عندهم طائرَيْن ، أحدهما وافي الجناحين وهو لم يطِر قطَّ ،
والآخر وافي الجناحين ، ولكنه من لدن ينهض للطيران فلا يزال يطيرُ ويقطات
[من (١)] الفراش وأشباه الفراش ، وأنه لا يسقط إلا ميتاً . إلا أنهم ذكروا
أنه قصير العمر .

(كلام في قول أرسطو)

ولست أدفع خبرَ صاحب المنطق عن صاحب الدارصيني (٢) ، وإن
كنت لا أعرف الوجهَ في أنَّ طائراً ينهض من وكراه في الجبال (٣) ، أو بفارسَ
أو باليمن ، فيؤمُّ ويعمد نحو بلاد الدارصيني (٤) ، وهو لم يجاوز موضعه ولا
قربَ منه . وليس يخلو هذا الطائرُ من أن يكون من الأوابد [أو من
القواطع (٥)] . وإن كان من القواطع فكيف يقطع الصححان الأملس (٦)

(١) من ل ، س . وانظر ما سبق من الكلام على هذا الطير ص ٢٣٤ .

(٢) ط ، س : « عن خبر صاحب الدارصيني » ، وكلمة « خبر » مقحمة .

(٣) الجبال : اسم للإقليم الذي يمتد ما بين أصهان إلى زنجان وقزوين وهمدان والدينور
وقرميسين والرى . عن ياقوت .

(٤) هو شجر هندي يكون يتخوم الصين ينتفع بقشره ذي الرائحة العطرية . ولفظه

معرّب من « دارجيني » الفارسية .

(٥) ليست بالأصل .

(٦) الصححان : البرية الواسعة .

١٦٣ وبتون الأودية ، وأهضام الجبال^(١) بالتدويم في الأجواء ، وبالمضى على السمّت ، لطلب ما لم يره ولم يشمه ولم يذقه . وأخرى فإنه لا يجلب منه بمنقاره ورجليه^(٢) ، ما يصير فراشاً له ومهاداً ، إلا باختلاف الطويل^(٣) . و [بعد فإنه] ليس بالوطىء الوثير^(٤) ، ولا هو له بطعام .
فأنا وإن كنت لا أعرف العلة [بعينها] فلست أنكر الأمور من هذه الجهة . فاذا ذكر هذا^(٥) .

(قول أبي الشيص في الهدهد)

وقال أبو الشيص في الهدهد^(٦) :

لا تأمننَّ على سريِّ وسرِّكمُ غيري وغيرك أوطى القراطيس^(٧)
أو طائرٍ ساحليِّه وأنعته ما زال صاحب تنقير وتدسيس^(٨)

- (١) أهضام الجبال : ما دنا إلى السهل من أصلها . في الأصل : « أهضاب » ، ولا تصح . والكلام من « ولا قرب » إلى هنا ساقط من ل .
- (٢) ل : « وبعده فهو لا يجلب بمنقاره ورجليه » .
- (٣) ل : « باختلاف طويل » .
- (٤) هذه الكلمة ساقطة من ل .
- (٥) ط ، س : « فأنكر هذا » صوابه في ل .
- (٦) الأبيات في نهاية الأرب (١٠ : ٢٤٨) والدميري وعيون الأخبار (١ : ٤١) والمختار من شعر بشار ١٥٧ .
- (٧) أي وغيرطى القراطيس .
- (٨) في الأصل وعيون الأخبار : « أو طائراً » ؛ وبها يفسد إعراب البيت الآتي . وأثبت ما في نهاية الأرب والدميري . ساحليه ، بالغاء : سأنته . وهذه الرواية أوفق من رواية ل والدميري ونهاية الأرب : « ساجليه » . والتدسيس : الدس والإدخال ، يدخل مقارنه في الأرض بحثاً عن قوته . في الأصل : « تأسبس » ، وصوابه في النهاية . وفي الدميري : « تدريس » !

سودٍ برائنه ، ميلٍ ذوائبه صُفر حمالقه ، في الحسنِ مغموس^(١)
قد كان همَّ سليمانٌ ليذبحه لولا سعيته في ملك بلقيس^(٢)
وقد قدمنا في هذا الكتاب في تضاعفه^(٣) ، عدة مقطعات في أخبار
الهدهد^(٤) .

باب

القول في الرخم

[و] يقال : إن لئام الطير ثلاثة : الغربان ، واليوم ، والرَّخْم :

(أسطورة الرخم)

ويقال : إنه قيل للرَّخْمَة : ما أحقك ! قالت : وما حُمتي ، وأنا أقطعُ
في أوَّل القواطع ، وأزجج في أوَّل الرّواجج ، ولا أطيّر في التّحسير^(٥) ،

(١) برائنه : أظفاره . ذوائبه : ريش تاجه . حمالقه : جفونه .

(٢) ل : « لولا سياسته » .

(٣) في ط ، س : « تضاعفه » .

(٤) الكلام من « وقد قدمنا » ساقط من ل . وانظر ما سبق في (١ : ٢٤٨) .

(٥) س : « ولا أطيّر إلا في التّحسير » ، وصوابه في ط والجزء السابع ١٩ ولشأن
الميداني . والتّحسير : سقوط ريش الطائر .

ولا أُغتر بالشكير^(١) ، ولا أسقط على الجفير^(٢) .

وقد ذكرنا تفسيرا لهذا^(٣) . وقال الكميت :

إذ قيل يا رَحَمَ انطقي في الطير ، إنك شرٌّ طائر^(٤)

(بعض ملوك المعجم والجُلندى الأزدي)

وقال أبو الحسن المدائني : أمر بعض ملوك المعجم الجُلندى بن عبد العزيز الأزدي ، وكان يقال له في الجاهلية عرجدة^(٥) ، فقال له : صيد لي شرَّ الطير ، واشوه بشرَّ الحطب ، وأطعمه شرَّ الناس . فصاد رخمَةً وشواهاً بيعر ، وقرَّبها إلى خوزي^(٦) . فقال له الخوزي^(٧) : أخطأت

(١) الشكير : أول ما ينبت من الريش . أى لا يغيرها الشكير فتطير حين ظهوره ، بل تنتظر حتى يصير قصباً . ط : « بالتكبير » س : « بالتكبير » صوابه في الجزء السابع ونهاية الأرب (١٠ : ٢٠٨) وأمثال الميداني (١ : ٢٠٦) .

(٢) الجفير : جمعة السهام . ط : « الحقير » صوابه في ل ، والجزء السابع وأمثال الميداني . وهى لا تسقط على الجمعة لعلمها أن فيها سهاماً .

(٣) انظر الجزء السابع ١٩ - ٢٠ . والكلام من أول الفقرة إلى هنا ساقط من ل .

(٤) ط ، س : « إن قيل » . والبيت يشير إلى المثل : « انطق يارحَم فانك من طير الله » ، يضرب للرجل الذى لا يلتفت إليه ولا يسمع منه . أصله أن الطير صاحت فصاحت الرخمَة ، فقيل لها هزأ بها : إنك من طير الله فانطق ! انظر الديميرى .

(٥) ل : « عجردة » . وفى الإصابة ٢٢٩٢ = « عبد جل » . والجُلندى بضم أوله وفتح اللام وسكون النون وفتح الدال ، كان ملك عمان . وأرسل إليه الرسول عمرو بن العاص ليدعوه إلى الدين فأسلم .

(٦) الخوزى : نسبة إلى خوزستان ، وهى بلاد بين فارس والبصرة وواسط وجبال اللور المجاورة لأصهبان ، كما فى معجم البلدان . قال ياقوت : « والخوز الأُمم الناس وأسقطهم نفصاً » . ط ، س : « خوزفى » ل : « حوزفى » وصوابه ما أثبت .

(٧) ط ، س : « الخوزى » ، ل : « الخوذى » . وانظر التنبيه السابق وصفحة ١٦٤ .

في كلِّ شيءٍ أمرِك بهِ الملكُ : ليس الرِّخمةُ شرًّا الطير ، وليس البعرةُ شرًّا
الخطب ، وليس الخوزيُّ شرًّا الناس . ولكن اذهب فصد بومة^(١) ، واشوها
بدفلي^(٢) ، وأطعمها نبطياً ولدَ زني . ففعل ، وأتى الملك فأخبره ، فقال :
ليس يُحتَاجُ إلى ولدِ زني ! يكفيه أن يكون نبطياً^(٣) !

(الغراب والرخمة)

والغراب يقوى على الرِّخمة ، والرِّخمة أعظم من الغراب وأشدُّ . والرِّخمة
تلمس لبيضها المواضع البعيدة ، والأماكن الوحشية ، والجبال الشاخنة ،
وصدوع الصَّخر . فلذلك يقال في بيض الأنوق ما يقال .

(ما قيل في بيض الأنوق)

وقال عتبة بن شماس^(٤) :

إنَّ أُولَى بِالْحَقِّ فِي كُلِّ حَقٍّ ثُمَّ أُولَى بَأَنْ يَكُونَ حَقِيقاً^(٥)

(١) ط ، ص : « ولكن صد له بومة » .

(٢) الدفلي - كذكري : نبت مرقتال . *

(٣) جاءت هذه القصة على الوضع الآتي في معجم البلدان : « روى أن كسرى كتب
إلى بعض عماله : ابعث لي بشر طعام على شر الدواب مع شر الناس . فبعث إليه برأس
سمكة مالحة على حمار مع خوزي » .

(٤) كذا في س والكمال ٣٩٩ ليسك والعقد (٣ : ٣٩٣) . وفي ل : « عبيثة بن أسماء » وكعب

بعدها بخط صغير « أخرى : عتيبة بن شماس » . ط : « عتيبة بن شماس » .

(٥) وكذا في سيرة عمر بن عبد العزيز ٨ . ورواية الكامل والعقد : « ثم أخرى » .

مَنْ أَبُوهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ وَمَنْ كَانَ جَدُّهُ الْفَارُوقَ (١)
رَدَّ أَمْوَالَنَا عَلَيْنَا وَكَانَتْ فِي ذُرَى شَاهِقٍ تَفُوتُ الْأَنْوَقَ (٢)
وطلبَ رجلٌ من أهل الشام الفريضةَ من معاويةَ فجَادَ له بها (٣) ، فسأل (٤)
فولده ، فأبى ، فسأل لعشيرته ، فقال معاوية :
طلبَ الأبلقَ العَقُوقَ ، فلَمَّا لم يجدْهُ أرادَ بيضَ الأنوقِ (٥)
وليس يكون العَقُوقُ إلا من الإناث ، فإذا كانت من البلق كانت
بلقاء . و [إتما (٦) هذا كقولهم : « زَلَّ في سَلَى جمل (٧) » ، والجمل لا يكون
له سَلَى (٨) .

-
- (١) يقول هذا الشعر في عمر بن عبد العزيز بن مروان . ووالدة عمر هي أم عاصم بنت
عاصم بن عمر بن الخطاب . وهذا البيت مع أبيات أخرى من القصيدة وبدون نسبة في
كتاب البغال ٢٨٦ من رسائل الجاحظ .
- (٢) ط ، س : « رد أموالنا إلينا » . وفي ل ، س : « تفوق الأنوقا » .
ويروى : « يفوت » التأنيث للذرى ، والتذكير للشاهق .
- (٣) « فجاد له بها » ساقط من ل . والخبر برواية أخرى في الإصابة ١٠٩٨ .
- (٤) ط : « فقال » تحريف . س : « فسأله » ، وأثبت ما في ل .
- (٥) ط ، والكامل والشريشى (٢ : ٢٠٤) : « لم ينله » . وقد وضع البيت في ط وضع
النثر خطأ . والأبلق من صفات ذكور الخيل ، وهو ما ارتفع التحجيل فيه إلى فخذه .
والمقوق : من صفات إناثها ، وهي الحامل التي امتلأ بطنها . والأنوق : هي الرخمة . وانظر
ما سبق من الكلام على الأنوق في (١ : ٢٣٥) .
- (٦) من ل ، س .
- (٧) السلى : ما تلقه الناقة إذا وضعت : وهي جليدة رقيقة يكون فيها الولد . والمثل
يضرب في بلوغ الشدة منتهى غايتها ، أى وقع في شر لا مثيل له . زل : زلق .
ولفظ المفل في الميداني واللسان : « وقع القوم في سل جمل » . ويقال : « وقع
في سل جمل » . وفي القاموس : « وقموا في سل جمل » .
- (٨) كتبت هذه الكلمة في الأصل في الموضعين بالألف . وصواب كتابتها بالياء .

وقد يرون بيض الأنوق ، ولكن ذلك قليلاً^(١) ما يكون ، وأقل من القليل ؛ لأن بيضها في المواضع الممتنعة ، وليست فيها منافع فيتعرض في طلبها^(٢) للمكروة .

وأنا أظن أن معاوية لم يقل كما قالوا ، ولكنّه قدم في اللفظ بيض الأنوق ، فقال : « طلب بيض الأنوق ، فلما لم يجده طلب الأبلق العقوق » .

(ما يسمّى بالهدهد)

وأما قول ابن أحرر :

يمشى بأوظفةٍ شديدٍ أسرها شمّ السنايك لا تقى بالجدجد^(٣)
إذ صبّحتّه طاوياً ذا شيرةٍ وفؤاده زجلٌ كعرفِ الهدهد^(٤)

(١) ط : « قليل » .

(٢) ط ، س : « طلبه » ، صوابه في ل .

(٣) ط ، س واللسان (وق) : « تمشى » صوابه في ل . الأوظفة : جمع وظيف ، وهو ما فوق الرسغ إلى مفصل الساق . شم : عاليات . والسنايك : طرف الحافر وجانباه من قدام . ويقال : وق الحافر يق وقياً ، من باب رمى : حقى ورق من غلظ الأرض . وقيل : لائق بالجدجد : لا تتوقاه ولا تتهيبه . والجدجد ، بفتح الجيمين : الأرض الصلبة . ط : « رثم السنايك » صوابه في ل ، س واللسان (وق) . وروى : « صم » كما في اللسان (جدد) . ط : « لا يقى » س : « لا تقى » ، صوابه في ل واللسان في موضعه .

(٤) ط : « قد أصبحته طائراً » س : « قد صبحته طائراً » ، وأثبت ما في ل . وفي اللسان : « ثم اقتحمت مناجدا ولزمته » . زجل : له صوت . ط : « زجل » محرف . والعرف : الصوت . ط ، س : « كعرف » ل : « كعرق » محرفتان عما أثبت من الحيوان (٧ : ٢٦٠) واللسان (هدد) .

فقد يكون ألا يكون عنى بهذا الهدهد^(١) ، لأنّ ذكورة الحمام وكلّ
شئ غنى^(٢) من الطير وهدر ودعا ، فهو هُدُهدُ . ومن روى « كَعَزَفِ الْهَدْهَدِ »
فليس من هذا فى شئ^(٣) .

وقد قال الشاعر فى صفة الحمام :

وَإِذَا اسْتَشَرْنَ أَرْنَ فِيهَا هَدْهْدُ مِثْلُ الْمَدَاكِ خَضْبَتَهُ بِجِسَادِ^(٤)

(قصة فى ميل النساء إلى المال)

وخطب رجلٌ جميلٌ امرأةً ، وخطبها [معه] رجلٌ دميمٌ^(٥) فنزوّجت
الدميم^(٦) لماله ، وتركته ، فقال^(٧) :

(١) كذا على الصواب فى ل . ط : « فقد يكون ألا أن يكون عنا هذا الهدهد » ،
س : « فقد يكون إلا غنا إلا يكون غنا هذا الهدهد » .

(٢) ط ، س : « غنا » ، صوابه فى ل .

(٣) الكلام من « يدل » « ومن روى » ساقط من ل . والعبارة فى أصلها : « ومن
أراد كمر ف » . الخ . والصواب فيها ما أثبت . وهذه الرواية مثبتة فى اللسان
(هدد) . قال فى تفسيرها : « والهدهد قيل فى تفسيره : أصوات الجن . ولا واحد له »
وفى القاموس عند الكلام على الهدهد : « وبفتحتين : أصوات الجن ، بلا واحد » .

(٤) استشارت : لبست حسنا وسمتا . والمداك ، بالفتح : حجر يسحق به الطيب . ط ،
س : « المداد » صوابه فى ل . والجساد ، بالكسر : الزعفران . جملة
كالمداك فى ملاسته وصلابته .

(٥) الدميم : القبيح . ط : « دميم » صوابه فى ل ، س .

(٦) ط : « الدميم » صوابه فى ل ، س .

(٧) الشعر منسوب فى حياة الحيوان ، إلى الأخطل يصف جارية ويعلمها . والبيتان
فى الكامل ٢٧٢ ليساك .

أَلَا يَا عِبَادَ اللَّهِ مَا تَأْمُرُونَنِي بِأَحْسَنِ مَنْ صَلَّى وَأَقْبَحِهِمْ بَعْلًا
يَدِبُّ عَلَى أَحْشَائِهَا كُلِّ لَيْلَةٍ دَبِيبَ الْقَرْنَبِيِّ بَاتَ يَقْرُو نَقًّا سَهْلًا^(١)

(ما يطلب العذرة)

والأجناس التي تريد العذرة وتطلبها كثيرة ، كالخنازير ، والدجاج
والكلاب ، والجراد ، وغير ذلك . ولكونها لا تبلغ مبلغ^(٢) الجعل والرحمة .

(بمض ما يأكل الأعراب من الحيوان)

وقال ابن أبي كريمة : كنتُ عند أبي مالك عمرو بن كِرْكِرَةَ^(٣) ،
وعنده أعرابيٌّ ، فجرى ذكر القرنبي . قال : فقلت له : أتعرف القرنبي ؟

(١) القرنبي : دويبة على هيئة الخنفس منقطة الظهر ، وفي قوائمها طول على الخنفس . وهو
مذكر ، ألفه للإلحاق لا للتأنيث . يقرو : يسير متبعاً . ط ، س ، والدميري :
« يعلو » .

(٢) ل : « بلغ » ، صوابه في ط ، س .

(٣) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « عمر » . وقد ترجم له ياقوت
في معجم الأديباء (١٦ : ١٣١ ، ١٣٢) ونقل عنه السيوطي في بغية الوعاة
قال : كان يعلم في البادية ، وورق في الحضرة . ويقال : إنه كان يحفظ لغة العرب
قال أبو الطيب اللغوي : كان ابن مناذر يقول : كان الأصمعي يجيب في ثلث اللغة ،
وأبو عبيدة في نصفها ، وأبو زيد في ثلثها ، وأبو مالك فيها كلها . وإنما عني
توسمهم في الرواية والفتيا ؛ لأن الأصمعي كان يضيق ولا يجوز إلا أصح اللغات .
وقد جلس إليه الجاحظ كما في البيان (٤ : ٢٣) . ط ، س : « عمر
ابن كركرة » ، صوابه في ل والقاموس والمراجع المتقدمة .

قال : وما لي لا أعرف القرنبي ؟ ! فوالله لربما لم يكن غدائي^(١) إلا القرنبي
يُحْسَسُ لي^(٢) . قال : فقلت [له] : إنها دويبة تأكل العذرة . قال :
ودجاجكم تأكل^(٣) العذرة !

١٦٥ [وقال] : قال بعض المدنيين لبعض الأعراب : [أ] تأكلون الحيات
والعقارب والجعلان والخنافس^(٤) ؟ فقال : نأكل كل شيء إلا أم حنين .
[قال] : فقال المدني : « لتنهن أم الحنين العافية^(٥) » .

قال : وحدثنا ابن جريج^(٦) ، عن ابن شهاب^(٧) ، عن عبيد الله بن عبد الله
ابن عتبة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« من الدواب أربع لا يقتلن : النملة ، والنحلة ، والضرد ، والهدهد » .

القول في الخفاش

فأول ذلك أن الخفاش طائر ، وهو مع أنه طائر من عراض الطير
فإنه شديد الطيران ، كثير النكفي في الهواء ، سريع التقلب فيه ، ولا

(١) الغداء ، بالفتح : الأكل أول النهار . ط ، ل : « غدائي » وأثبت ما في س .

(٢) يحس : يوضع على الجمر . ط : « يخشخش » محرف يحشش التي هي بمعنى
« يحسحس » . س : « تخشخش في في » ، وله وجه .

(٣) ط : « يأكل » ، وهما صحيحتان .

(٤) كذا على الوجه في ل . وفي ط ، س : « الخنفساء » .

(٥) أم حنين : دويبة على قدر الكف تشبه الضب . وانظر (٥ : ١٤٣) .

(٦) ط : « وأخبرنا ابن جريج » . وابن جريج هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج
القرشي ، قالوا : أول من صنف الكتب في الإسلام . ولد سنة ٨٠ وتوفى سنة ١٥٠ .
في قول الجاحظ نظر .

(٧) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري ، المتوفى سنة ١٢٥ .

يجوز أن يكون طعمه إلا من البعوض ، وقوته إلا من الفَراش^(١) [وأشباه الفَراش] ، ثمَّ لا يصيده إلا في وقت طيرانه في الهواء ، وفي وقت سلطانه ؛ لأنَّ البعوضَ إنما يتسلَّط بالليل . ولا^(٢) يجوز أن يباغ ذلك إلاَّ بسرعة اختطافٍ واختلاس ، وشدةِ طيرَان ، ولينِ أعطافٍ وشدةِ متن ، وحُسن تَأْتٍ ، ورفقٍ في الصيْد^(٣) . وهو مع ذلك كلُّه^(٤) ليس بذى ريش ، [و] إنما هو لحم وجلد . فطيرانُه بلا ريش عَجَب ، وكلما كان أشدَّ كان أعجب .

(من أعاجيب الخفاش)

ومن أعاجيبه أنه لا يطير في ضوء ولا في ظلمة . وهو طائرٌ ضعيفٌ قوَى البصر ، قليلٌ شعاعِ العين الفاصِلِ^(٥) من الناظِر . ولذلك لا يظهر في الظَّامة ؛ لأنَّها تكون غامرة لضياء بصره ، غالبيةً لمقدار [قوَى] شعاعِ ناظره . ولا يظهر نهاراً ؛ لأنَّ بصره ليضعفِ ناظره يلتمع في شدة بياض النهار^(٦) . ولأنَّ الشيء المتلائيَّ ضارٌّ لعيون^(٧) الموصوفين بحدَّة البصر ،

(١) ل : « وطعمه من البعوض وقوته من الفَراش » .

(٢) ل : « فلا » .

(٣) التأتى : الترفق . س : « تأتى » ط : « تأتى » ل : « التأتى » ، ووجهه

ما أثبت . ل : « إلا بسرعة الاختطاف والاختلاس ، وشدة الطيران ، ولين

الأعطاف ، وشدة المتن ، وحسن التأتى والرفق في الصيد » .

(٤) ل : « وهو في ذلك » .

(٥) ل : « الفاضل » ، تحريف .

(٦) ط ، س : « يضعف ناظره ويلتمع في شدة ضوء النهار » ، وصوابه من ل .

(٧) ط ، س : « بعيون » ، وما أثبت من ل أوجه ؛ تفاديا من تكرار الباء .

ولأنَّ شعاعَ الشمسِ بمخالفة^(١) مخرج أصوله وذهابه ، يكون رادعاً لشعاع ناظره ، ومفرقاً^(٢) له . فهو لا يبصر ليلاً ولا نهراً . فلما علم ذلك واحتاج إلى الكسب والطعم ، التمس الوقتَ الذي لا يكون فيه من الظلام ما يكون غامراً قاهراً ، وعالياً غالباً . ولا من الضياء ما يكون مُعشياً^(٣) رادعاً ، ومفرقاً قامعاً^(٤) . فالتمسَ ذلك في وقت غروب القرص ، وبقية الشفق ؛ لأنه وقت^(٥) هيّج البعوض وأشباه البعوض ، وارتفاعها^(٦) في الهواء ، ووقت انتشارها في طلب أرزاقها^(٧) . فالبعوض يخرج للطعم ، وطعمه دماء الحيوان ؛ وتخرج الخفافيش^(٨) لطلب الطعم ، فيقعُ طالبُ رزقٍ على طالب رزق ، فيصير ذلك هو رزقه^(٩) . وهذا أيضاً مما جعل الله في الخفافيش^(١٠) من الأعاجيب .

(١) ل : « مخالفة » .

(٢) ط : « ومفرقا » س : « ومفرقة » ، صوابه من ل .

(٣) ل : « ولأن من الضياء » ، محرف . ط : « ما يكون معشياً » ، صوابه في ل ، س .

(٤) ط : « وقامعا » ، صوابه في ل ، س . و « قامعا » هي في ط ، س : « مانعا » ، والأشبه ما أثبت من ل .

(٥) ط ، س : « لأنه في وقت » ، صوابه في ل .

(٦) ط ، س ، « وهو وقت ارتفاعها » .

(٧) ط ، س : « وطلب أرزاقها » .

(٨) ط ، س : « الخفافيش » ، صوابه في ل .

(٩) ل : « مرزقه » .

(١٠) ط ، س : « الخفاش » .

(علاقة الأذن بنتاج الحيوان)

ويزعمون أن السك^(١) الآذان والمسوحة ، من جميع الحيوان ، ١٦٦
أنها تبيضُ ببيضاً ، وأنَّ كلَّ أشرف [الآذان] فهو يلد ولا يبيض .
ولا ندرى لِمَ [كان] الحيوان إذا كان أشرفُ الآذان^(٢) [ولَد] ، وإذا
كان ممسوحاً باض .

ولآذان الخفافيش حجْمُ ظاهر ، وشخوص^(٣) بين . و [هي و] إن
كانت من الطير فإنَّ هذا لها ، وهي^(٤) تجبل وتلد ، وتبيض ، وترضع .

(ما يبيض من الحيوان)

والناس يتقززون^(٥) من الأرنب والضباع ؛ لمكان الحيض .
وقد زعم صاحب المنطق أن ذوات الأربع كلها تبيض ، على اختلاف
في القلَّة والكثرة^(٦) .

(١) السك : جمع أسك : وهو الذي صغرت أذنه ولصقت برأسه .

(٢) الأشرف الآذان : الطويلها . ل : « الأذن » .

(٣) شخوص : ارتفاع . ط ، س : « شخص » .

(٤) ط : « فهى » ، صوابه في ل ، س .

(٥) ط : « يتقزرون » . والتقذر : أن يرى الشيء قدراً ، يقال تقذره لاتقذر منه .

فالصواب « يتقززون » . كما أثبت من ل ، س .

(٦) ط ، س : « على اختلاف أجناسها » .

[والزَّمان] ، والحمرة والصفرة ، والرقَّة والغلظ . قال : ويبلغ من ضنِّ أنثى الخفافيش بولدها ومن خوفها عليه ، أنها تحمله تحت جناحها ، وربَّما قبضت عليه بفيها ، وربَّما أرضعته وهي تطير ، وتقوى من ذلك ، ويقوى ولدها على ما لا يقوى عليه الحمام والشَّاهمُرك^(١) ، وسباع الطير .

(معارف في الخفّاش)

وقال معمرٌ أبو الأشعث : ربَّما أتامت الخفافيش^(٢) فتحمل معها الولدَيْنِ جميعاً ، فإنَّ عظمًا عاقبت بينهما .

والخفّاش من الطَّير ، وليس له منقار مخروط^(٣) ، وله فمٌ فيما بين مناسر السِّباع^(٤) وأفواه البوم . وفيه أسنانٌ حديد صلاب [مرصوفة^(٥)] من أطراف الحنك ، إلى أصول الفك ، إلا ما كان في نفس الخطم^(٦) .

وإذا قبضت على الفرخ وعَضَّتْ عليه لتطير به ، عرفت ذرَب^(٧) أسنانها ، فعرفت أيَّ نوعٍ ينبغي أن يكون ذلك العض ، فتجعله أزمًا ،

(١) الشاهمرك سبق تفسيره في ص ٣٣٦ .

(٢) أتامت : ولدت اثنين في بطن واحد . ط ، س : « أرتمات » ، صوابه في ل .

(٣) ط : « مخروطة » ، تصحيحه من ل ، س .

(٤) المراد : سباع الطير . والمناسر : جمع منسر ، كجلس ومنبر ، وهو المنقار .

(٥) في الأصل ، وهو هنال : « موصوفة » ، ولعل صوابه ما أثبت .

(٦) ط ، س : « إلا ما كان من نفس الفك الخطم » .

(٧) الذرَب : الحدة . ط ، س : « درب » ، صوابه في ل .

ولا تجعله عضاً ولا تنيباً ولا ضغماً^(١) ، كما تفعل الهرة بولدها ؛ فإنها مع
ذرب أنيابها ، وحدة أظفارها ودققتها^(٢) ، لا تحدش^(٣) لها جلدأ ؛ إلا أنها
تمسكها ضرباً من الإمساك ، وتأزم عليها^(٤) ضرباً من الأزم قد عرفته .
ولكل شئ حد به يصلح ، وبمجاوزته والتقصير دونه يفسد .
وقد نرى الطائر يغوص في الماء نهاره ، ثم يخرج منه كالشعرة
سلكتها من العجين ، غير مبتل الریش ، ولا لثق الجناحين . ولو أن أرقق
الناس رققاً ، رهن على أن يغمس طائراً منها في الماء غمسة واحدة ثم
خلى سربه^(٥) ليكون هو الخارج منه ، لخرج وهو متعجن^(٦) الریش ، ففسد
النظم^(٧) ، منقوص^(٨) التأليف . ولكان أجود ما يكون طيراناً أن يكون
كالجاذف^(٩) . فهنا أيضاً من أعاجيب الخفاش .

- (١) الأزم : التيض بجميع القم . والتنبيب : العض بالناب . والضغم : العض الشديد .
ط ، س : « ولا نشباً ضغطياً » س : « ولا نشباً ضغطاً » ، ووجهه
ما أثبت من ل .
- (٢) ل : « وحدة أطرافها » ، صوابه في ط ، س . ط ، س : « ورقتها »
صوابه في ل .
- (٣) ط : « تندش » ، صوابه في ل ، س .
- (٤) عليها : أى على ولدها . والمراد بالولد هنا الجمع . في المصباح : « والولد
بفتحيتين كل ما ولده شيء . ويطلق على الذكر والأنثى ، والمثنى والمجموع » .
ط ، س : « عليه » ، صوابه في ل . ط ، س : « لأنها تمسكها » الخ ،
صوابه في ل .
- (٥) السرب : الطريق . ط : « حلى سرتها » س : « حلى سربها » ، صوابه في ل .
- (٦) ط ، س : « متعجن » .
- (٧) ط ، س : « النظر » ، صوابه في ل .
- (٨) ط : « منقوص » محرف .
- (٩) الجاذف : الذى يطير وهو مقصوص الجناحين . ط ، س :
« كالجاذف » ، محرف .

(من أعاجيب الخفافيش)

ومن أعاجيبها تركها ذرى الجبال وبسيط الفيافي ^(١) ، وأقلاب النخل ،
وأعلى الأغصان ، ودغل ^(٢) [الغياض و] الرياض ، وصدوع ^(٣) الصخر ،
وجزائر البحر ، ويجيئها تطلب مساكن الناس وقربهم ، ثم إذا صارت ^(٤) إلى
بيوتهم وقربهم ، قصدت إلى أرفع مكان وأحصنه ، وإلى أبعد المواضع من
مواضع الاجتياز ^(٥) ، وأعراض الحوائج .

(طول عمر الخفاش)

ثم الخفاش بعد ذلك من الحيوان الموصوف بطول العمر ، حتى يجوز
١٦٧ في ذلك ^(٦) العقاب والورشان إلى النسر ، ويجوز ^(٧) حد الفيلة والأسد وحمير
الوحش ، إلى أعمار الحيات .

(١) ط ، س : « ومن أعاجيبها تركه ذروة الجبال » ، ل : « ومن أعاجيبه تركه
ذرى الجبال » ، كلاهما محرف ، ووجهته بما ترى . والبسيط : المنبسط الفسيح . ط :
« وتبسط » صوابه في ل ، س .

(٢) الدغل ، بالتحريك : الشجر الملتف . س : « ودخل » ، وهي صحيحة بضبط
الأولى ومعناها .

(٣) ط : « وصدع » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٤) ط : « أصات » ، صوابه في ل ، س .

(٥) ط ، س : « أالاختيار » ، صوابه في ل .

(٦) ل : « حتى تجوز حد » .

(٧) ل : « وتجاوز » .

ومن أعاجيب الخفافيش (١) أن أبصارها تصلح على طول العمر ، ولها صبرٌ (٢) على [طول] فقد الطعم . فيقال (٣) إن اللواتي يظهرن في القمر (٤) من الخفافيش المسنّاتُ المعمّرات ، وإن أولادهن إذا بلغن لم تقو أبصارهنّ على ضياء القمر .

ومن أعاجيبها أنها تضخم وتجمّم وتقبلُ الشحم (٥) على الكبر وعلى السنّ .

(القدرة التناسلية لدى بعض الحيوان)

وقد زعم صاحبُ المنطق أن الكلابَ السلوقيّةَ كلما دخلتْ في السنّ كان أقوى لها على المعاظلة .

وهذا غريبٌ جداً ، وقد علمنا أن الغلام أحدٌ ما يكون وأشبهُ وأنكحُ وأحرصُ ، عند أول بلوغه . ثم لا يزال كذلك حتى يقطعه الكبر [أو إصفاء] أو تعرض له آفة (٦) .

ولا تزال الجاريةُ من لدن إدراكها وبلوغها وحركة (٧) شهوتها على شبيه بمقدار واحد من ضعف الإرادة . وكذلك عامّتهن (٨) . فإذا اكتهلن

(١) ط ، س : « الخفاش » .

(٢) ط ، س : « والصبر » .

(٣) ط : « فتقول » س : « فنقول » ، صوابه في ل .

(٤) ل : « العمر » ، صوابه في ط ، س .

(٥) ل : « اللحم » .

(٦) ل : « حتى يعطفه الكبر » . والإصفاء : نفاذ الماء . وكلمة « له » ساقطة من ل .

(٧) ط ، س : « وحدة » صوابه في ل .

(٨) ل : « علامتهن » ، وتصحيحه من ط ، س .

وبلغت المرأة حَدَّ النَّصْفِ^(١) فعند ذلك يقوى عليها سلطان الشهوة والحرص على الباه ؛ فإِذَا تهبج الكهلة عند سُكُونِ هيج الكهل^(٢) وعند إِدْبَارِ شهوته ، وكلالِ حَدِّهِ .

(قول النساء وأشباههنَّ في الخفافيش)

وأما قول النساء وأشباه النساء في الخفافيش ، فإنهم يزعمون أن الخفاش إذا عضَّ الصبىَّ لم ينزِعْ سنَّه من لحمه حتى يسمع نقيقَ حمارٍ وحشىٍّ^(٣) .
فها أنسى فزعى من سنِّ^(٤) الخفاش ، ووَحشِيَّ من قربه ! إيماناً بذلك القول ، إلى أن بلغت .

وللنساء وأشباه النساء في هذا وشبهه خرافاتٌ ، عسى أن نذكر منها شيئاً إذا بلغنا إلى موضعه [إن شاء الله] .

(ضعف البصر لدى بعض الحيوان)

ومن الطير [و] ذوات الأربع ما يكون فاقد^(٥) البصر بالليل ، ومنها ما يكون سيِّئ البصر . فأما [قولهم] : إنَّ النَّارَةَ وَالسَّنَّوْرَ وَأَشْيَاءَ أُخْرَ أَبْصَرُ بِاللَّيْلِ ، فهذا باطل^(٦) .

(١) النصف ، بالتحريك : ما بين الشابة والكهلة ، ويقدر عمرها بخمس وأربعين سنة .

(٢) الكهلة ، هي في ط ، س : « الشهوة » ، والوجه ما أثبت من ل . « هيج » هي في ط : « تهبج » .

(٣) ل : « حار وحش » ، وهما وجهان صحيحان .

(٤) ل : « من مس » ، وأثبت ما في ط ، س .

(٥) كذا على الصواب في س . وفي ط : « ناقد » وفي ل : « نافذ » . وانظر سياق الكلام .

(٦) ليس يناقض هذا القول ما سبق في ٢٣٧ س ١٣ .

والإنسان ردىء البصر بالليل ، والذي لا يبصر منهم ^(١) بالليل تسميه الفرس
شَبُّ كُور ^(٢) وتأويله أنه أعمى ليل ^(٣) ، وليس له في لغة العرب اسم
أكثر من أنه يقال لمن لا يبصر بالليل [بعينه] : هُدَيْد ^(٤) . ما سمعتُ
إلا بهذا ؛ فأما الأغمش ^(٥) فإنه السبيُّ البصر بالليل والنهار جميعاً .

وإذا كانت المرأة مُعْرَبَةَ الْعَيْنِ ^(٦) فكانت رديئة البصر ، قيل لها : جَهْرَاءُ .
وأنشد الأصمعيُّ في الشاء ^(٧) :

جَهْرَاءُ لَا تَأَلُو إِذَا هِيَ أَظْهَرَتْ بَصْرًا وَلَا مِنْ عَيْلَةٍ تُغْنِينِي ^(٨)

(١) هذه ساقطة من ل .

(٢) هذه الكلمة مكونة من مقطعين « أولهما » شَبُّ « بفتح الشين ومعناه الليل
والآخر : « كور » بضم الكاف ، ومعناه الأعمى . عن معجم Palmer ،
والألفاظ الفارسية ٩٨ . ط : « بشكور » س : « سيكون » محرفتان صوابهما في ل
وقد زيد في ل ألف بعد الراء ، مع أن المراد حكاية قول الفرس . وكتبت
كذلك متصلة « شبكورا » والوجه فصلها كما ذكرت ، وكأ في القاموس المحيط
والمعجم السابق . وقد اشتق العرب منها مصدرًا فقالوا : « الشبكرة » أرادوا بها العشاء .
وفي اللسان : « المفضل : الهديد : الشبكرة . وهو العشاء يكون في العين » .

(٣) ط ، س : « أعمى بالليل » .

(٤) ط ، س : « هديد » صوابه في ل . وهم يسمون الداء نفسه أيضاً « الهديد »
وكانوا إذا أصاب أحدهم ذلك عمد إلى سنام فقطع منه قطعة ، ومن السكيد قطعة
وقلاهما ، وقال عند كل لقمة يأكلها ، بعد أن يمسح جفنه الأعلى بسبابته :

فيا سناما وكيد ألا اذها بالهديد

ليس شفاه الهديد إلا السنام والسكيد

ويزعمون أنه يذهب العشاء بذلك . انظر بلوغ الأرب (٢ : ٣٤٠) .

(٥) س : « الأعمش » ، صوابه في ل ، ط .

(٦) مغربة ، بفتح الراء : بيضاء . ط ، س : « مقربة » ، وصوابه في ل .
و « العين » هي في ط : « العتق » محرفة .

(٧) ط ، س : « في غير النساء » وأثبت ما في ل . والبيت الآتي قاله أبو العيال
الهلالي ، يصف منيحة منحه إياها بدر بن عمار الهلالي . انظر بقية أشعار الهلاليين ١٣٠ .

(٨) كلمة « هي » ساقطة من ط ، س . « بصرا » هي في ط ، س :
« نظراً » .

وذكروا أَنَّ الأَجْهَرَ الَّذِي لَا يَبْصُرُ فِي الشَّمْسِ^(١) . وَقَوْلُهُ لَا تَأْلُو أَي
لَا تَسْتَطِيعُ . وَقَوْلُهُ أَظْهَرْتُ : صَارَتْ فِي الظَّهِيرَةِ . وَالْعَيْلَةُ : الْفَقْرُ . قَالَ :
يَعْنِي بِهِ شَاةٌ^(٢) .

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَنْصُورٍ ، فِي هِجَاءِ بَعْضِ [آل] الصَّعِقِ :

يَا لَيْتَنِي ، وَالْمَنَى لَيْسَتْ بِمَغْنِيَةٍ ، كَيْفَ اقْتِصَاصِكَ مِنْ ثَارِ الْأَحَابِيثِ^(٣)
١٦٨ أَتَنْكِحُونَ مَوَالِيَهُمْ كَمَا فَعَلُوا أُمَّ تَغْمِضُونَ كَأَغْمَاضِ الْخَفَافِيثِ^(٤)

وَقَالَ أَبُو الشَّمْتَقِ ، وَهُوَ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ^(٥) :

أَنَا بِالْأَهْوَازِ مَحْزُورٌ وَبِالْبَصْرَةِ دَارِي^(٦)
فِي بَنِي سَعْدٍ وَسَعْدٍ حَيْثُ أَهْلِي وَقَرَارِي
صَرْتُ كَالْخَفَاشِ لَا أَبُ صِرُّ فِي ضَوْءِ النَّهَارِ^(٧)
وَقَالَ الْأَخْطَلُ التُّغْلَبِيُّ :

وَقَدْ غَبَرَ الْعَجْلَانَ حِينًا إِذَا بَكَى عَلَى الزَّادِ أَلْقَتْهُ الْوَلِيدَةُ فِي الْكِسْرِ^(٨)

(١) ل : « أَنْ الْجَهْرَاءُ الَّتِي لَا تَبْصُرُ فِي الشَّمْسِ » .

(٢) ط ، س : « نَسَاءَهُ » ، صَوَابُهُ فِي ل .

(٣) ط ، س : « مِنْ نَارِ » ، صَوَابُهُ فِي ل . وَالْأَحَابِيثُ : طَائِفَةٌ مِنْ قَرِيشٍ ، هُمُ
بَنُو الْمَصْطَلِقِ وَبَنُو الْهَوْنِ بْنِ خَزِيمَةَ .

(٤) ل : « تَنْحَضُونَ كَأَغْمَاضِ » ، صَوَابُهُ فِي ط ، س .

(٥) تَقَلَّمَ تَرْجُمَتَهُ فِي (١ : ٢٢٥) . ل : « وَقَالَ مَرْوَانَ بْنُ مُحَمَّدٍ هَذَا أَبُو الشَّمْتَقِ
الغث البارد » .

(٦) ل : « مَحْزُورٌ » .

(٧) كَذَا عَلَى الصَّوَابِ فِي ل . ط : « إِلَّا فِي النَّهَارِ » ، س : « إِلَّا فِي نَهَارِي »

(٨) أَلْقَتْهُ : أَي الزَّادِ . وَالْكَسْرُ ، بِالْكَسْرِ : جَانِبُ الْبَيْتِ . وَفِي شَرْحِ الْدِيْوَانِ ١ : ٢٩ :
« الْهَاءُ فِي أَلْقَتْهُ عَائِدَةٌ إِلَى الْعَجْلَانَ » ، وَلَعَلَّ وَجْهَ التَّفْسِيرِ مَا ذَكَرْتُ .

فيصبح كأنخفاش يدلك عينه فقُبِّحَ من وجه لثيمٍ ومن حَجَرٍ (١)
وقالوا : السحاة مقصورة : اسم الخفاش (٢) ، والجمع سحاً (٣) كما ترى .

(لغز في الخفاش)

وقالوا في اللغز ، وهم يعنون الخفاش :
أبى شعراء الناس لا يُخبرونى وقد ذهبوا في الشعر في كلِّ مذهب (٤)
بجلدة إنسانٍ وصورة طائرٍ وأظفار يربوعٍ وأنياب ثعلب (٥)

(النهي عن قتل الضفادع والخفافيش)

هشامُ الدَّستَوائي (٦) قال : حدَّثنا قتادة ، عن زرارة بن أوفى ، عن
عبد الله بن عمر أنه قال : « لا تقتلوا الضفادع فإنَّ تقيمتهنَّ تسيح . ولا تقتلوا
الخفاش فإنه إذا خرب بيت المقدس قال : يارب سلطني على البحر حتى أغرقهم » .

(١) الحجر بالفتح ، قال ابن الأعرابي : « أراد بحجر العين » . وبحجر العين : مادار
بها من العظم . ط : « من وجهه » محرقة . ل : « لعين » بدل « لثيم »
وما أثبت من ط ، س واللسان (مادة حجر) .

(٢) ط ، س : « اسم الخفافيش » صوابه في ل . ل : « وقال : السحاة » الخ .
(٣) سحا ، بفتح السين ، ويقال سحاء بكسرها مع المد . اللسان ، والمقصود والممدود .
(٤) ط ، س : « أيا » ل : « أبا » ، صوابه في نهاية الأرب (١٠ : ٢٨٤) .
وفيها أيضاً : « علماء » مكان « شعراء » ط ، س : « تخبرونى » ، صوابه
في ل . وفي نهاية الأرب : « أن يخبرونى » وما هنا أجود . وفيها أيضاً :
« وقد ذهبوا في العلم » .

(٥) الربوع : حيوان طويل الرجلين قصير اليدين ، على العكس من الزرافة ، له ذنب
كذئب الجرذ يرفعه صعداً ، في طرفه شبه النواراة ، لونه كلون الغزال .

(٦) هو أبو بكر هشام بن أبي عبد الله سنبر — كجعفر — الدستوائى البصرى البكرى .
وكان يرى بالقدر . روى عن قتادة ، وروى عنه يحيى القطان . ونسبته إلى بيع =

حماد بن سلمة^(١) قال : حَدَّثَنَا قَتَادَةُ ، عن زرارة بن أوفى ، قال :
قال عبد الله بن عمر : « لا تقتلوا الحُفَّاشَ ؛ فَإِنَّهُ اسْتَأْذَنَ فِي الْبَحْرِ »^(٢) :
أَنْ يَأْخُذَ مِنْ مَائِهِ فَيَطْفِئُ نَارَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ حَيْثُ حُرِّقَ . وَلَا تَقْتُلُوا الضَّفَادِعَ
فَإِنَّ نَقِيصَتَهَا تَسْبِيحٌ » .

[قال] : و [حدثنا] عثمان بن سعيد القرشي^(٣) قال : سَمِعْتُ الْحَسَنَ
يَقُولُ : « نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَتْلِ الْوَطْوَاطِ ، وَأَمَرَ بِقَتْلِ
الْأَوْزَاعِ » .

قال : والحفَّاشُ يَأْتِي الرُّمَّانَةَ وَهِيَ عَلَى شَجَرَتِهَا ، فَيَنْقَبُ عَنْهَا^(٤) ،
فَيَأْكُلُ كُلَّ شَيْءٍ فِيهَا حَتَّى^(٥) لَا يَدَعُ إِلَّا الْقَشْرَ وَحَدَّهُ . وَهَمْ يَحْفَظُونَ
الرُّمَّانَ مِنَ الْحَفَّاشِ بِكُلِّ حِيلَةٍ .

= الثياب الدستوائية ، التي كانت تجلب من دستوا ، بفتح الدال والتاء بينهما سين
ساكنة ، وهي من بلاد فارس . مات سنة ١٥٢ أو ١٥٤ وله ثمان وسبعون
سنة . ط : « صاحب الدستواي » . والكلمة الأولى صحيحة ، يقال :
الدستواي ، وصاحب الدستواي ، كما في تذكرة الحفاظ للذهبي (١ : ١٥٥) . وأما
الكلمة الثانية فهي تحريف ما أثبت من ل ، س والمعجم والمعارف ٢٢٣ والتهذيب
وتذكرة الحفاظ . وانظر الخبر في (٥ : ٥٣٦) .

(١) حماد ، هذا ، هو ابن سلمة بن دينار البصرى ، كان من ثقات رواة الحديث .
ويقال : إنه كان عالماً بالنحو والعربية ، وإن سيبويه استمل عليه . توفي سنة
١٦٤ أو ١٦٧ . ط ، ش : « حماد عن سلمة » صوابه في ل وتقريب
التهذيب والمعارف ٢٢٠ . ل : « قال وحدثنا حماد بن سلمة » . وفي
العبارة نظر .

(٢) ل : « استأذن البحر » .

(٣) ط : « عثمان بن سعيد القرشي » ، صوابه في ل ، س وتقريب التهذيب .

(٤) ل : « فينقب عليها » .

(٥) إلى هنا ينتهى الجزء الثالث من نسخة كوبريل ، المشار إليها برمز « ل » .

قال : ولحوم الخفافيش موافقةً للشواهين والصُّمُورَة والبوازي (١) ،
ولسكثير من جوارح الطير ، وهى تسمن عنها ، وتصحّ أبدانها عليها .
ولها فى ذلك عملٌ محمودٌ نافعٌ عظيمٌ الشَّفَع ، بيِّنُ الأثر . والله سبحانه
وتعالى أعلم .

تمّ المصحف الثالث من كتاب الحيوان

ويليه المصحف الرابع

[وأوله (٢)] فى الذرّ

(١) ط ، س : « قال والبوازي » . وصوابه من نهاية الأرب (١٠ : ٢٨٤) .

(٢) ليست بالأصل .

THE HISTORY OF THE

... ..

... ..

... ..

... ..

... .. (1777)

تذييل واستدراك

- صفحة سطر
- ٢٠ ٤ « كَسِيرٌ وَعَوِيرٌ ». هو مثل عربي قديم . وهو بتمامه : « كَسِيرٌ وَعَوِيرٌ وكلُّ غَيْرٍ خَيْرٌ ». أصله أن امرأة منهم تزوجها أعور فولدت منه خمسة ، ثم طلقها فتزوجت آخرَ ظهر أنه أعرج . فقالت المثل المذكور . يُضْرَبُ في الشيء يكره ويذمُّ من وجهين . كذا في أمثال الميداني ، ولكن المناسب هنا ما قال العسكريُّ في جمهرة الأمثال ١٦٥ : « يُضْرَبُ مثلاً في الخلتين المكروهتين ، والرَّجُلَيْنِ الرَّدِيئَيْنِ ». ونصُّ المثل عنده كما عند الميداني . وصاحب معجم البلدان رواه : « كَسِيرٌ وَعَوِيرٌ وثالثٌ ليس فيه خيرٌ » ، ورأى أنَّ كَسِيرًا وَعَوِيرًا جبلان في البحر ، بين البصرة وُعَمَّان يشفقون على المراكبِ منهما . انظر فيه « كسير » و « عوير »
- ٩١ ٤ معنى هذا البيت مأخوذ من قول أحد الحكماء اليونانيين ، حين وقف يؤبن الاسكندر ، أو الموبذ حين كان يرثى قباذ الملك : « كان أمس أنطق منه اليوم ، وهو اليوم أوعظ منه أمس » انظر المراجع التي أشرنا إليها في التعليق ، وكذا مروج الذهب (٢ : ٣٦٨) والمستطرف (٢ : ٢٩٤)
- ١٠١ ٢ « يجوع » هي كذلك في ط ، س . وفي ل : « بجوخي » ، وهما موضعان ، أحدهما « جوخاء » بالفتح والمد : موضع بالبادية في ديار بني عجل كان يسلكه حاجٌ واسط ، وقد قصره بعض الشعراء .

والثاني جُوخى بالضم والقصر: اسم نهر عليه كورة واسعة في سواد بغداد. انظر معجم البلدان

سألت حضرة المحقق الكبير الأب أنستاس مارى الكرملى ١ ١٧٠

عن «أبي ريانوس» فكتب إلى: «هو على الحقيقة: (أبيرْيُونيسِدِس) أى منسوب إلى: Hyperion المسمّى أيضاً: Helios، أى الشمس، وتلفظ «عالْيوس». وما «عالْيوس» إلا «عالِي» أو «عالٍ» كسعت بعلامة الإعراب في كلام اليونان. ويطلق هذا اللفظ على كل ما يراد وصفه بالعلو أو الطول أو الارتفاع. فالدجاج «أبي ريانوس» أو «أبيرْيُونوس» هو ما يسمّيه اليوم العراقيون بالدجاج الهَرَائى بمعنى الهَرَوَى؛ لأن ديكتها جلبت من هراة، المشهورة بحسن دجاجها وعلوها وكبرها. فالكلمة إذن يونانية وقد صحفها النساخ لجهلهم إياها.

«الطبرزين» قال العلامة الأب أنستاس: ليس في العربية طائر ٩ ١٨٧

باسم طبرزين. والاسم الصحيح هو «طبرادران» وأصح منها بالدال، أى «دُبْرَادِران» أو «دُبْرَادِران» ومعناها الأخوان؛ لأن «دو» بلفارسية معناها اثنان، و«بَرَادِر» الأخ، و«ان» للجمع أو للتثنية؛ إذ لافرق عند الفرس بين المثنى والجمع. والحمام لا يخاف الدبرادران ولا الكركى، كما هو مقرر في علم الطير. واسم الدبرادران العربى هو الزَّمَج، وسمّاه الفرس ما معناه الأخوان؛ لأنه إذا عجز عن صيده أعانه أخوه على أخذه، واسمه

بلسان الغريبين من الإنجليز: Goshawk وبالفرنسية: Autour .

٣٧٠ ٤،٣ كنت قد كتبت إلى المحقق الأب أنستاس مارى الكرملى
لتحقيق هذه الكلمات الواردة في عوالم الجوس ، فكتب
إلى فى ٢٧/٨/٣٩ ما نصه : « وعندى أن هذا الجوسى استعمل
ألفاظاً يونانية فى كلامه ، تعميةً للأبصار ، وغشاوةً للأفكار ،
وتبianaً للباحثين ، أنه على صلة دائمة بعلوم اليونانيين ، ووقوفه
وقوفاً تاماً على مصطلحاتهم وأوضاعهم ، مع أنك لو تدبّرت
أحسنَ تدبّر هذه الأوضاع التى نقمها صدره ، أو سمعها سماعاً
من أحد أبناء مذهبه من أهل التلفيق والتويه ، لشفت لك
عن كذبها وزورها وزيفها ، وبانت لك الحقيقة بثوبها الذى
ألبسته .

ونحن نؤيد لك صادق كلامنا هذا ، بنقل تلك الحروف
على ما هى فى اليونانية ، مع دقة ضبطها العربى والغربى وشرح
معانيها ، فنقول :

١ - أبو سألوس : hyposalos أى تحت البحر، وهو أقرب عالم
إلى أرضنا .

٢ - أبرمّا كس : hyhermakèc أى العالم الممتد امتداداً
فاحشاً .

٣ - أپر يدس : hyperèdus أى الطيب فى النهاية ، أو الطيب
غاية الطيب .

- ٤ - كارِس : kherès أى السبيء المقنوت .
٥ - حَرِيرَة آمِنِس : arèra amenès أى المناسب الخوار .
وزاد بعض علمائهم من فرقة أخرى أسرس asyrès أى النجس .
ومنهم من زاد على هذه العوالم الستة عالماً سابعاً ليقابل
بهذه العوالم السبعة سبعة عوالم السماء المعروفة بالسيارات السبعة
أو الأفلاك السبعة ، وسمّوه : أبوجايوس : hypogaios
أى العالم الذى تحت الأرض .

الأب أنستاس مارى الكرملى

القاهرة فى ٢٧/٨/٣٩ .

- ٩ ٣٧٤ قال البيرونى فى كتاب (الجماهر) عند الكلام على الألباس :
« وشبهه الكندى بالزجاج الفرعونى » انظره ص ٩٣ .
وكلمة « الألباس » هى الوجه فى « الماس » . وللمحقق الكبير
الأب أنستاس بحث ممتع فى تحقيق هذه الكلمة . انظر نخب
الذخائر ص ٢٠ . ويظهر لى أن المراد بالزجاج الفرعونى
هو الألباس الصناعى . وانظر التبصر بالتجارة للجاحظ ص ١٦ .
٤ ٤١٤ كلمة « ميسر » جاءت فى الأصل هكذا ، والمعنى مستقيم بها .
ومثلها فى (٤ : ٨٥ س ٩) . وهى تنظر لى الحديث المشهور :
« اعملوا فكل ميسر لما خلق له » . انظر الجامع الصغير ١٢٠٢ .
ولا موجب للقول بأنها « مسير » .

« فقلت لبِقَار » كلمة « بقار » ذات مغزى خاص في التشاؤم ٤ ٤٥٢
وتجد في نهاية الأرب (٣: ١٣٦) هذه العبارة : « وإن خرج فلقى
بقرا فليرجع » ، يريد أن البقر مما يتشاءم به ، وهذا النص نقله
النويرى عن الجاحظ . انظر باب الزجر في نهاية الأرب (٣ :
١٣٤-١٤٣) .

الأترُجُجُ : ضرب من الفاكهة يكثر بأرض العرب ، وهو مما ٢ ٤٥٨
يغرس غرسا ولا يكون برياً ، وقد تبقى شجرته عشرين سنة ،
وهو صنفان : تفه وحامض ، وهو أبيض الجوف أصفر القشرة ،
فيه يقول أبو القاسم الزاهي :
وذات جسم من الكافور في ذهب

دارت عليه حواشيه بمقدار

كانها وهي قُدَامِي مُمَثَلَةٌ في رأس دوحها تاج من النار
ويقول آخر :

يا حبذا أترججة تحديث للنفس الطرب
كانها كافورة لها غشاء من ذهب

ويسمى أيضاً « تفاح ماهي » وتفتح مائي . واسمه العلمي :

Citrus medica Risso . ورواية البيت الثاني في حلبة

الكमित ٢٦٤ ونهاية الأرب (١١ : ١٨٣) تشبه رواية العقد :

خاف التلون إذ آتته لأنها لوانان باطنها خلاف الظاهر

ويشبه هذين البيتين ما قيل في التطير من السفرجل (حلبة
الكميث ٢٥٨) :

أهدى إليه سفرجلا فتطيراً منه فضلّ نهاره متحيراً
خاف الفراق لأن شطرها جاته سَفَرٌ وْحُقٌّ له بأن يتطيراً

« حَتَّى إِذَا طَعَنُوا » هكذا جاءت الرواية في ط، ش، ل، وكذا ١١ ٤٧٤

العمدة (٢: ٢٠) والوساطة ٤٤. والأجود من هذه الرواية رواية
الديوان ص ٤١ وعيون الأخبار (١: ١٩٠) والعمدة (٢: ٢٢٠)
ونقد النثر ص ٩٠: « حتى إذا طعنوا ». قال الشنمري في تأويل
البيت: « يقول: إذا ارتمى الناس في الحرب بالنبل دخل هو
تحت الرمي فجعل يطاعنهم، فإذا تطاعنوا ضارب بالسيف، فإذا
تضاربوا بالسيف اعتنق قرنته والتزمه ».

٤ ش تاء الافتعال إذا وردت بعد التاء المثلثة، كان لك فيها أوجه ٤٧٦

وثلاثة: أولها البيان، وهو الأصل. وثانيها تحويلها مع التاء
إلى تاء مشناة مدغمة. وثالثها تحويلها إلى تاء مثلثة مدغمة.
وتقول في الافتعال من « ثأر »: اثنأر، واثأر، واثأر.
وفي مفتعل من « ثرد »: مثررد، ومثررد، ومثررد. انظر شرح
المفصل لابن يعيش (١٠: ١٨٤ س ٢٦-٣٠).

« خيزران ريحها عبق » هذه رواية ط، ش وكذا ديوان الفرزدق ٣ ٤٨٧

من خمسة دواوين العرب ١٩٩ وعيون الأخبار (١: ٢٩٤).

وأنت الخيزران لتقدير : « عصا خيزران » . والرواية المعروفة « ريحه عبق » وهى رواية ل . وانظر ص ١٣٣ .

٦ ٤٩١ « نواكس » : جمع ناكس ، وهو من الجمع الشاذ . وقد أسهب البغدادى فى الحديث عن نحو هذا الجمع فى الخزانة (١ : ١٩٠ - ١٩٥ سلفية) . وفى مجلة الرسالة العدد ٣١٥ ص ١٣٩٤ بحث قيم ، واستدراك طيب لهذا الشذوذ الصرفى .

١٠ ٤٩٣ « فاستجودها » كذا جاءت العبارة فى كلام حمزة بن الحسن الأصبهاني فى ديوان أبى نواس ١٣٢ ، والقياس والمعروف : « استجادها » ، كما أن المسموع من الشاذ « أجوده » أى وجده جيداً . انظر شرح الشافية للرضى ١٩١ .

٤ ٥٣٧ ش وجاء أيضاً فى تهذيب الكمال ج ١١ من مخطوطة دار الكتب المصرية (٢٥ مصطلح) فى ترجمة هشام الدستوائى : « ودستوا : كورة من كور الأهواز ، كان يبيع الثياب التى تجلب منها فنسب إليها . ويقال له صاحب الدستوائى أيضاً » .

كتبه

مصر الجديدة فى { ٢٠ من رمضان من سنة ١٣٨٥ }
{ ١٢ من يناير من سنة ١٩٦٦ }
عبد السلام محمد هارون

أبواب الكتاب

	صفحة
باب ذكر الحمام	٥
» في صدق الظن وجودة الفراسة	٥٩
» من المديح بالجمال وغيره	٩١
» آخر في مثل ذلك من الغضب وفي ذكر الجنون في المواضع التي يكون ذكره فيها محموداً	١٠٥
» من القطن وفهم الرطانات والكنايات والفهم والإفهام	١٢٢
» ذكر خصال الحرم	١٣٩
» ذكر الحمام	١٤٤
» ومن كرم الحمام	٢٢٧
» ليس في الأرض جنسٌ يعتريه الأوضاح	٢٤٤
» الحمام طائر لئيم	٢٥٣
» القول في أجناس الذبّان	٢٩٨
» رجع القول إلى ذكر الذبّان	٣٨٠
» القول في الغربان	٤٠٩
» فيمن يهجى ويذكر بالشوم	٤٨١
» في مديح الصالحين والفقهاء	٤٩١
» القول في الجعلان والحنافس	٤٩٦
» القول في الهدهد	٥١٠
» القول في الرّخم	٥١٩
» القول في الخفّاش	٥٢٦